



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



الحق
علیه
السلام

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مَنْهَاجُ الْبِرِّ

فَتْحٌ مُبْتَدِئٌ فِي الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمْرِ

الْعَلَّامِ الْمُصَوِّفِ الْوَالِدِ الْبَرِّ الْحَبِيبِ الْهَادِي

السُّيُوطِيِّ

الجزء الثامن عشر

من مشوراته

الكتب الإسلامية

في مشورته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديڤيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
١٢	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ١٨
١٢	مشخصات كتاب
١٣	تتمه باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين و رسائله إلى أعدائه و أمراء بلاده
١٣	اشاره
١٥	تتمه المختار التاسع من كتبه عليه السلام و رسائله
١٥	تتمه المعنى
١٥	اشاره
٢٠	خاتمه
٢٣	الترجمه
٢٤	ترجمه نامه معاويه
٢٦	ترجمه نامه امير المؤمنين على عليه السلام در پاسخ نامه معاويه
٣١	و من كتاب له عليه السلام اليه أيضا
٣١	اشاره
٣٣	سند الكتاب و نقل صورته الكامله
٣٥	اللغه
٣٩	الاعراب
٤٠	المعنى
٤٠	اشاره
٤١	كلام هاشم بن عتبه له عليه السلام
٤١	كلام عمار بن ياسر له عليه السلام
٤١	كلام قيس بن سعد له عليه السلام
٤٢	كلام سهل بن حنيف له عليه السلام
٤٢	كلام اربد الفزارى له عليه السلام و قتله

- ٤٣ كلام الاشر له عليه السلام
- ٤٣ كلام ابن المعتم و حنظله العيسى المعروف بحنظله الكاتب له عليه السلام
- ٤٥ كلام عدى بن حاتم الطائى له عليه السلام
- ٤٥ كلام زيد بن حصين الطائى له عليه السلام
- ٤٦ كلام أبى زبيب بن عوف له عليه السلام
- ٤٧ كلام يزيد بن قيس الارحبي
- ٤٧ كلام زياد بن النضر له عليه السلام
- ٤٧ كلام عبد الله بن بديل له عليه السلام
- ٤٨ سب أصحاب على عليه السلام معاويه و أتباعه و براءتهم عنهم
- ٤٩ كتابه عليه السلام الى مخنف بن سليم و قد كان عامله عليه السلام
- ٥٠ كتابه عليه السلام الى عبد الله بن عباس و قد كان عامله على البصره
- ٥٠ كتابه عليه السلام الى الاسود بن قطنه
- ٥١ كتابه عليه السلام الى عبد الله بن عامر
- ٥٩ رؤيه النبى صلى الله عليه و آله بنى اميه فى المنام على صور قروذ
- ٦٢ جميع ملك بنى اميه كان ألف شهر كامله
- ٦٩ الترجمه
- ٦٩ اشاره
- ٦٩ نامه أمير عليه السلام در پاسخ معاويه
- ٧٢ پاسخ معاويه بأمير عليه السلام
- ٧٢ و من وصيه له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه الى العدو
- ٧٢ اشاره
- ٧٣ سندها و نقلها على صورتها الكامله على روايه نصرفى صفين،
- ٧٣ اشاره
- ٧٤ كتاب زياد بن النضر الى أمير المؤمنين على عليه السلام
- ٧٤ كتاب شريح بن هانى اليه عليه السلام
- ٧٥ كتابه عليه السلام الى زياد بن النضر و شريح بن هانى فى جواب

٧٦	صوره الكتاب على روايه ابن شعبه
٧٧	اللغه
٨٤	الاعراب
٨٤	المعنى
٨٩	الترجمه
٩١	و من وصيه له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحى حين أنفذه
٩١	اشاره
٩١	ذكر سندها و الكلام فى تلفيقها
٩٣	اللغه
٩٥	الاعراب
٩٦	المعنى
٩٦	اشاره
١٠٦	الكلام فى حدوث الفجر و تعاكس الصبح و الشفق و البحث
١٠٦	اشاره
١٢٠	تذييل
١٢٨	الترجمه
١٢٨	و من كتاب له عليه السلام الى أميرين من امراء جيشه
١٢٨	اشاره
١٢٩	مصدر الكتاب و سنده
١٣٠	اللغه
١٣٢	الاعراب
١٣٣	المعنى
١٣٧	الترجمه
١٣٨	و من وصيته عليه السلام لعسكره بصفين
١٣٨	اشاره
١٣٨	بيان مصادر الوصيه و اسنادها بطرق كثيره من الفريقين و نقل نسخها

- ١٤١ اللغة
- ١٤٤ الاعراب
- ١٤٧ المعنى
- ١٨٢ الترجمة
- ١٨٣ و كان يقول عليه السلام اذا لقي العدو محاربا
- ١٨٣ اشاره
- ١٨٤ مصادره و اسناده بطرق عديدة و مدارك
- ١٨٤ اللغة
- ١٨٨ الاعراب
- ١٨٩ المعنى
- ٢٠٣ الترجمة
- ٢٠٤ و كان يقول عليه الصلاه و السلام لاصحابه عند الحرب
- ٢٠٤ اشاره
- ٢٠٤ المصدر
- ٢١٧ اللغة
- ٢٢٢ الاعراب
- ٢٢٣ المعنى
- ٢٤١ الترجمة
- ٢٤١ و من كتاب له عليه السلام الى معاوية جوابا عن كتاب منه اليه
- ٢٤١ اشاره
- ٢٤٢ المأخذ
- ٢٤٨ صورته كتاب أمير المؤمنين على عليه السلام على
- ٢٥٠ نسخه الكتابين على ما فى كتاب سليم بن قيس
- ٢٥٢ اللغة
- ٢٥٤ الاعراب
- ٢٥٧ المعنى

- ٢٥٧ اشاره
- ٢٩٦ حديث فتح مكة و أن أهل مكة الطلقاء
- ٣٠٣ طائفه من احتجاجات و محاضرات وقعت بين معاويه و غيره يناسب نقلها
- ٣١٩ الترجمة
- ٣٢٣ و من كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس و هو عامله على البصره
- ٣٢٣ اشاره
- ٣٢٣ المصدر
- ٣٢٥ اللغة
- ٣٢٨ الاعراب
- ٣٢٩ المعنى
- ٣٣٥ الترجمة
- ٣٣٧ و من كتاب له عليه السلام الى بعض عماله
- ٣٣٧ اشاره
- ٣٣٧ المصدر
- ٣٣٩ اللغة
- ٣٤٢ الاعراب
- ٣٤٣ المعنى
- ٣٤٤ الترجمة
- ٣٤٥ و من كتاب (كلام - خ ل) له عليه السلام الى زياد بن ابيه
- ٣٤٥ اشاره
- ٣٤٥ المصدر
- ٣٤٦ اللغة
- ٣٤٧ الاعراب
- ٣٤٨ المعنى
- ٣٥٠ الترجمة
- ٣٥١ و من كتاب له عليه السلام اليه أيضا

٣٥١ اشارة

٣٥١ المصدر

٣٥٣ اللغة

٣٥٤ الاعراب

٣٥٤ المعنى

٣٥٨ الترجمة

٣٥٩ و من كتاب له عليه السلام الى ابن عباس

٣٥٩ اشارة

٣٥٩ المصدر

٣٤٣ اللغة

٣٤٤ الاعراب

٣٤٤ المعنى

٣٧٠ الترجمة

٣٧١ و من كلام له عليه الصلاة و السلام قبيل موته لما ضربه

٣٧١ اشارة

٣٧٢ المصدر

٣٧٤ المعنى

٣٧٩ الترجمة

٣٨٠ و من وصيه له عليه الصلاة و السلام بما يعمل في

٣٨٠ اشارة

٣٨١ المصدر و نقل الوصيه على صورتها الكاملة

٣٨٤ اللغة

٣٨٥ الاعراب

٣٨٤ المعنى

٣٩٤ الترجمة

٣٩٥ و من وصيه له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

٣٩٥ اشارة

٣٩٧ اللغه

٤٠١ الاعراب

٤٠٣ دربارہ مرکز

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۱۸

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبيب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبيب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحيحه و تهذيبه ابراهيم الميانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلاميه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهري: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ريال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی بر اساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰. مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲/خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تمه باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين و رسائله إلى أعدائه و أمراء بلاده

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لك يا من ألهمتنا حقائق الإيمان، و هديتنا إلى جنابك بنور العلم و العرفان، و دعوتنا إلى مآدبتك القرآن الفرقان، و جعلتنا أهلا للإطلاع على درر مكنونه عند خزنه علمك، و أذنت لنا فى الفحص عن أسرار مستتره عند عيبه و حيك و غيبك.

اللهم صل على نبيك الخاتم، المنزل عليه كتاب يهدى للتي هي أقوم؛ و على آله الكرام البرره، و أصحاب العصمه و المعرفه. و على جميع من اجتبيت من رسلك و أرسلتهم إلى عبادك. و على الذين احتذوا حذوهم، و اقتفوا آثارهم، و اقتدوا بهديهم.

و بعد: فيقول العبد المحتاج إلى مولاه الغنى نجم الدين الحسن بن عبد الله الطبرى الاملى رحمهما الله تعالى و عفى عنهما: إن ما لفظه لسان ميزان القسط و باب مدينه العلم بحر لا تنفذ لالى معانيه الغاليه، و ما أودعه فى لطائف ألفاظه كنوز لا يزيدا الإنفاق إلا كثره و سعته، فقد تيسر لنا بالكّد و الجهد التامين استخراج قبضه من تلك اللثالى و الكنوز فهذه بضاعتنا المزجاء نهديها إلى بغاه علم الدين فى شرح كلمات على أمير المؤمنين عليه السلام، و نطلب من الله التوفيق لاتمام الشرح على النهج السديد، و نرجوه لكل خير و نستزيد.

و هذا هو المجامد الرابع من تكمله منهاج البراعه فى شرحنا على نهج البلاغه فينتهى منهاج به إلى ثامن عشر، فنقول مستعينا بواهب المعانى و الصور:

ص: ٢

قوله عليه السلام: «و أميا ما سألت من دفع قتله عثمان إليك - إلى قوله: و لا إلى غيرك» هذا الفصل جواب عن قوله معاوية له عليه السلام: فان كنت صادقا فأمكننا من قتلته نقتلهم به.

و قد دريت من مباحثنا السالفه أن معاوية لم يجد شيئا يستغوى به الناس و يستميل به أهواءهم إلا أن قال لهم: قتل إمامكم مظلوما فهلّموا نطلب بدمه فاستجاب له جفاه طعام، عبيد قزام، جمعوا من كل أوب، و تلقطوا من كل شوب.

و أن عمّار بن ياسر قال فى بعض أيام صفين - كما رواه أبو جعفر الطبرى فى التاريخ و نقلناه فى ص ٢٨٦ ج ١٥ -: أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء المذنبين يبعون دم ابن عفّان، و يزعمون أنه قتل مظلوما، و الله ما طلبتم بدمه و لكنّ القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها و استمروا بها، و علموا أنّ الحقّ إذا لزمهم حال بينهم و بين ما يتمرّغون فيه من دنياهم، و لم يكن للقوم سابقه فى الاسلام يستحقّون.

طاعه الناس و الولاية عليهم، فخذعوا أتباعهم أن قالوا: إمامنا قتل مظلوما، ليكونوا بذلك جباريه ملوكا، و تلك مكيدة بلغوا بها ما ترون، و لولا هي ما تبعهم من الناس رجلا؛ إلخ.

و أنّ معاوية لم يكن وليّ دم عثمان حتّى يطلبه، بل كان ولده أولياء دمه و أشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه تلويحا: فلم أره يسعنى دفعهم إليك و لا إلى غيرك.

و أنّ معاوية لم يكن له ولاية شرعيه على المسلمين، ثمّ لم يرفع إليه أحد فى دم ابن عفّان شيئا، و ما ترفع إليه الخصمان فيه فأنى له أن يطلب قتله عثمان؟ و أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن شريكا فى دمه، بل كان فى عزله عن قتله و لم يحضر قتل عثمان يوم قتل.

و نصّ أبو جعفر الطبري في التاريخ أنه لما حصر عثمان كان عليّ عليه السّلام بخير فلو رأى معاوية أنه عليه السّلام كان من قاتليه فهو خطأ، و علمت أنّ إسناد قتله إليه اختلاق بل في مروج الذهب للمسعودي أنه لما بلغ عليا عليه السّلام أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن و الحسين و مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته حتّى أنّ القوم لما اشتبكوا جرح الحسن و شجّ قنبر.

و كذا قال المسعودي: لمّا حصر الناس عثمان في داره منعوه الماء فأشرف على الناس و قال: ألا أحد يسقينا؟ فبلغ عليا عليه السّلام طلبه للماء فبعث إليه بثلاث قرب ماء - إلخ، فراجع إلى (ص ٣٣٠ ج ١٦).

و لو رآه وليّ المسلمين، و حاكم الشرع المبين طلب عنده حقًا من غيره فقد كان واجبا عليه أن يرافع الدّعوى إليه عليه السّلام مع الشروط المعتمده في الترافع و ما فعل معاوية ذلك.

على أنّما قتله خلق كثير حتّى شهد قتله ثمانمائة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و اله يرون أنّ عثمان كان يستحقّ القتلى بأحداثه ففي كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ص ١٧٦ الطبع الناصري) مذكور أنّما جرى بين عمّار بن ياسر رضوان الله عليه و عمرو بن العاصي كلام طويل في بعض أيام صفين - إلى أن قال عمرو وعمّار: فعلى م تقاتلنا؟ أو لسنا نعبد إلها واحدا، و نصلى قبلكم، و ندعو دعوتكم، و نقرأ كتابكم، و نؤمن برسولكم؟ قال عمّار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك إنّها لي و لأصحابي القبلة و الدّين و عباده الرحمن و النبيّ صلّى الله عليه و اله و الكتاب من دونك و دون أصحابك؛ الحمد لله الذي قرّك لنا بذلك دونك و دون أصحابك، و جعلك ضالّا مضالّا لا تعلم هاد أنت أم ضالّ، و جعلك أعمى و ساء خبرك على ما قاتلتك عليه أنت و أصحابك، أمرني رسول الله صلّى الله عليه و اله أن اقاتل الناكثين و قد فعلت، و أمرني أن اقاتل القاسطين فأينم هم و أمّا المارقين فما أدري ادركم أم لا؟ (١) أيها الأبرأ لست تعلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه و اله

ص: ٤

١- (١) لم يدركهم لانه رضوان الله عليه قتل في صفين قتله الفئة الباغية معاوية و أتباعه و قدمنا ترجمه عمار فراجع الى ج ١٦ من ص ٢٧٣ الى ٢٩٩. منه

قال لعلّي عليه السّلام: من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهمّ و ال من والاه و عاد من عاداه و أنا مولى الله و رسوله و علىّ بعده و ليس لك مولى.

قال عمرو: لم تشتمنى يا أبا اليقظان و لست أشتمك؟ قال عمّار: و بم تشتمنى أ تستطيع أن تقول إننى عصيت الله و رسوله يوما قطّ؟.

قال له عمرو: إنّ فيك لمسات سوى ذلك.

فقال عمّار: إنّ الكريم من أكرمه الله: كنت وضيعا فرفعنى الله، و مملوكا فأعتقنى الله، و ضعيفا فقوّانى الله، و فقيرا فأغنانى الله.

و قال له عمرو: فما ترى فى قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء قال عمرو: فعلىّ قتله، قال عمّار: بل الله ربّ علىّ قتله و علىّ معه، قال عمرو:

كنت فيمن قتله من هنا عند ابن عقبه، قال: كنت مع من قتله و أنا اليوم اقاتل معهم، قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه، فقال عمرو:

ألا تسمعون قد اعترف بقتل عثمان؟ قال عمّار: و قد قالها فرعون قبلك لقومه:

ألا تسمعون.

و بالجمله إذا كان قتله عثمان هذا الجمع العظيم و كان فيهم كبار الصحابه من الأنصار و المهاجرين و مثل عمّار بن ياسر على جلاله شأنه و علوّ مقامه و ثباته فى الدّين اعترف بالمشاركه فى قتله فكيف يسع أمير المؤمنين عليه السّلام دفعهم إلى معاويه أو إلى غيره أوّلا و مع فرض تمكّنه من ذلك كيف يسوّغه الشرع قتل جمع عظيم من الأنصار و المهاجرين و كبار التابعين برجل أحدث أحداثا نغمها الناس منه و طعنوا عليه و قتلوه بها ثانيا.

و لعلّ قوله عليه السّلام: «و أمّا ما ذكرت من أمر عثمان فإننى نظرت فى هذا الأمر و ضربت أنفه و عينيه فلم أر دفعهم إليك و لا إلى غيرك» يشير إلى الوجه الأخير خاصّه.

و روى أنّ أبا هريره و أبا الدرداء أتيا معاويه فقالا له: على م تقاتل علينا

و هو أحقّ بالأمر منك لفضله و سابقته؟ فقال: لست اقاتله لأننى أفضل منه و لكن ليدفع إلى قتله عثمان، فخرجا من عنده و أتيا عليا عليه السلام فقالا له: إن معاوية يزعم أن قتله عثمان عندك و فى عسرك فادفعهم إليه فإن قاتلك بعدها علمنا أنه ظالم لك.

فقال علي عليه السلام: إنى لم أحضر قتل عثمان يوم قتل و لكن هل تعرفان من قتله؟.

فقالا: بلغنا أن محمّد بن أبى بكر و عمّارا و الأشر و عدى بن حاتم و عمرو بن الحمق و فلانا ممّن دخل عليه.

فقال علي عليه السلام: فامضيا إليهم فخذوهم، فأقبلا إلى هؤلاء النفر و قالا لهم:

أنتم من قتل عثمان و قد أمر أمير المؤمنين بأخذكم قال: فوعدت الصيحه فى العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر علي أكثر من عشرة آلاف رجل فى أيديهم السيوف و هم يقولون: كلنا قتله، فبهت أبو هريره و أبو الدرداء ثم رجعا إلى معاوية و هما يقولان: لا يتم هذا الأمر أبدا فأخبراه بالخبر.

و قد مرّ قريب من هذه الروايه عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم فى صدر هذا الشرح قول علي عليه السلام لأبى مسلم الخولانى: اغد علي غدا فخذ جواب كتابك - إلى قول نصر: فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملأوا المسجد و أخذوا ينادون:

كلنا قتل ابن عفان.

و فى روايه اخرى: لما سئل علي عليه السلام تسليمهم قال و هو على المنبر: ليقم قتله عثمان، فقام أكثر من عشرة آلاف رجل من المهاجرين و الأنصار و غيرهم.

فكيف يمكن تسليم أكثر من عشرة آلاف رجل جلّهم من حماه الدّين و قواعده إلى من يطلب بدم رجل واحد قتلوه بأحدائه التى نقموها منه؟.

قوله عليه السلام: «و لعمرى لئن لم تنزع عن غيئك - إلى قوله: و زور لا يسرك لقيانه» هذا الفصل جواب عن قول معاوية حيث قال فى كتابه مخاطبا له عليه السلام:

«و الذى لا إله إلا هو لنطلبنّ قتله عثمان فى الجبال و الرمال و البرّ و البحر حتى

يقتلهم الله أو لتلحقن أرواحنا بالله».

ولما كان معاوية شمخاً بأنفه و تجاوز عن حدّه و جعل الله تعالى عرضه في يمينه و هدّد الأمير و شيعته بقوله الشنيع أجابه الأمير عليه السّلام و أخبره عن عاقبته السّوى بقوله ذلك: أي لعمرى قسمي لئن لم تنته و لم تكفّ عن ضلالك و خلافتك لتعلمن أنّ هؤلاء المسلمين الذين يجاهدون في سبيل الله يطلبونك بعد زمان قليل، و لا يشقون عليك أن تطلبهم في البرّ و البحر و الجبال و الرمال، يعني لا حاجه إلى أن تكلف نفسك في طلبهم، بل أنّهم يطلبونك، فلا يخفى لطف كلامه و عدوبته في تهديده عليه السّلام معاوية قبال كلامه في تهديده أمير المؤمنين عليه السّلام.

ثمّ هدّده بعاقبه هذا الطلب بقوله: أنّ هذا الطلب يسوءك وجدانه، و زور لا يسرّك لقيانه، و الظاهر أن قوله عليه السّلام: عن قليل يطلبونك، إشاره إلى ما سيوقع في وقعه صفيين، و سيأتي نحو قوله هذا كلامه عليه السّلام في آخر الكتاب الثامن و العشرين الذي كتبه إلى معاوية أيضاً جواباً: فسيطلبك من تطلب، و يقرب منك ما تستبعد - إلخ.

قوله عليه السّلام: «و قد كان أبو بكر أتاني حين ولّي الناس أبا بكر، إلخ» قال اليعقوبي في التاريخ (ص ١٠٥ ج ٢ طبع النجف) و كان فيمن تخلف عن بيعه أبي بكر أبو سفيان بن حرب و قال: أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم و قال لعلّي بن أبي طالب: امدد يدك ابايعك و على معه قصي فقال:

بنی هاشم لا تطمعوا الناس فيکم و لا سیما تیم بن مرّه أو عدی

فما الأمر إلا فيکم و إليکم و ليس لها إلا أبو حسن علی

ابا حسن فاشدد بها كفّ حازم فاتك بالامر الذي يرتجى ملی

و إنّ امرأ یرمی قصیاً وراءه عزیزا الحمی و الناس من غالب قصی

و قال المفید فی الجمل (ص ٤٢ طبع النجف): فی الفصل المترجم بقوله:

انكار جماعه بيعه أبي بكر، بعد عدّ عدّه من المنكرين بيعته: و قال أبو سفيان بن حرب بن صخر بأعلى صوته: يا بني هاشم أرضيتم أن يلي عليكم بنو تيم بن مرّه حاكما على العرب و متى طمعت أن تتقدّم بنو هاشم في الأمر، انهضوا لدفع هؤلاء

القوم عمّا تمالوا إليه ظلما لكم، أما والله لأن شئتم لأملأنها عليكم خيلا ورجالا ثم قال: بنى هاشم، الأبيات.

وقال في الإرشاد (ص ٩٠ طبع طهران ١٣٧٧): وقد كان جاء أبو سفيان (يعنى بعد ما بدر الطلقاء بالعقد للرجل) إلى باب رسول الله صلى الله عليه و اله و عليّ و العباس متوفّراً على النظر في أمره فنادى: بنى هاشم لا تطمعوا، الأبيات؛ ثم نادى بأعلى صوته: يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرّذل ابن الرّذل أما والله لو شئتم لأملأنها عليهم خيلا ورجلا.

فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: ارجع يا أبا سفيان فوالله ما تريد بما تقول و ما زلت تكيد الإسلام و أهله و نحن مشاغل برسول الله صلى الله عليه و اله و عليّ كلّ امرىء ما اكتسب و هو وليّ ما احتقّب. فانصرف أبو سفيان إلى المسجد فوجد بنى اميه مجتمعين فحرّضهم على الأمر و لم ينهضوا له. و كانت فتنه عمّت، و بليته شملت، و أسباب سوء اتّفتت، تمكّن بها الشيطان، و تعاون فيها أهل الإفك و العدوان، فتخاذل في انكارها أهل الايمان و كان ذلك تأويل قول الله عزّ و جلّ، «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً».

خاتمه

يذكر فيها مسأله فقهيه

و هي أنه قد تقدّم في شرح هذا الكتاب (ص ٣٨٣ ج ١٧) أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله في يوم احد كانوا يدفنون الاثنتين و الثلاثه من القتلى في قبر واحد. و كذلك قد تظافرت الاثار في أنّ ابن سعد لعنه الله عليه لما رحل من كربلاء خرج قوم من بنى أسد كانوا نزولا بالغازيه إلى سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين و أصحابه روى لهم الفداء فصلّوا عليهم و دفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الان و دفنوا ابنه عليّ بن الحسين عند رجليه و حفروا للشهداء من أهل بيته و أصحابه الذين صرعوا حوله مما يلي رجلى الحسين عليه السلام و جمعوهم فدفنوهم جميعا معا و دفنوا العباس بن عليّ عليهما السلام في موضعه الذي قتل فيه عليّ طريق الغاضريه حيث قبره الان.

ففيهما دلالة على جواز دفن ميّتين أو أكثر في قبر واحد، أمّا الأوّل فلاّنه

كان في حضره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان باذنه حيث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: انظروا هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر. وقال في الخبر الآخر: المروى عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما في مدارك الأحكام في شرح شرايع الاسلام: انه قال للأَنْصار يوم احد:

احفروا و أوسعوا و عمقوا و اجعلوا الاثنيين و الثلاثة في القبر الواحد.

و أمّا الثاني فلأنّ بنى أسد كانوا مسلمين بل لعلمهم كانوا مؤمنين فلو لا علمهم بجواز ذلك من الشرع لما فعلوه في المقام، على أنّه لم ينكر عليهم أحد.

و الجواز لا خلاف فيه و إنّما الكلام في أنّ جواز ذلك فيما يقتضيه الضرورة كما هي ظاهر المقامين سيما الثاني، أو أنّ العمل جائز مطلقا، ثمّ لو لا-الضرورة أ كان مكروها أو محرّما. و هل يفصل في المقام بين ما كان الميتان رجلين أو امرأتين و بين ما كانا رجلا- و امرأه، و على الثاني بين ما كانا أجنبيّين و غير أجنبيّين و على التقادير كلّها هل يجوز دفن أكثر من واحد في قبر ابتداء أو مطلقا.

فالمقول عن الشيخ قدّس سرّه في المبسوط: الأولى أن يفرد لكلّ واحد منهم قبر لما روى عنهم عليهم السّلام أنّه لا يدفن في قبر واحد اثنان. و قال فيه: فان دعت الضرورة إلى ذلك جاز أن يجمع اثنان و ثلاثة في قبر واحد كما فعل النّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و اله يوم احد. قال: فإذا اجتمع هؤلاء جعل الرجل ممّا يلي القبلة و الصّبيان بعدهم ثمّ الخنثى ثمّ النساء، انتهى.

و في التهذيب: محمّد بن الحسن الصّيفيّ قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام أ يجوز أن يجعل (نجعل - معا) الميّتين على جنازه واحده و يصلّى عليهما؟ فوَّع عليه السّلام: لا يحمل الرجل مع المرأة على سرير واحد.

و رواه في الوسائل هكذا: قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام أ يجوز أن يجعل الميّتين على جنازه واحده في موضع الحاجه و قلّه الناس و إن كان الميتان رجلا و امرأه يحملان على سرير واحد و يصلّى عليهما؟ فوَّع عليه السّلام: لا يحمل الرجل مع المرأة على سرير واحد.

فيستفاد من الخبر أمران: أحدهما جواز حمل الميّتين الرجلين على جنازه

و ثانيهما عدم جوازه إذا كان أحدهما رجلا و الآخر امرأه حتى حال الضروره.

فيحكم على ذلك في دفنهما أيضا على طريق الأولويه أعني الجواز في الصورة الاولى و عدمه في الثانيه.

و قد ذهب بعض العلماء إلى حرمة دفن رجل أجنبي و امرأه أجنبيه في قبر واحد و لعله افتى به من ظاهر هذا الخبر و إن كان الخبر أعم شمولاً فإنه نهى عن حمل الرجل و المرأة الميتين في سرير مطلقاً.

كما أن الشيخ قدس سره حكم بجعل الرجل مميلاً إلى القبلة - إلخ في الدفن من الروايات الواردة في الصلاة على الجناز المتعدده المختلفه الجنس.

و الأصل يقتضى عدم جواز دفن الميتين في قبر حال الإختيار كما هو المنقول عن ابن سعيد في الجامع و المرسل المذكور في المبسوط ظاهر في عدم الجواز.

اللهم إلا - أن يقال إن ادعاء الضروره في واقعه احد غير ثابت فاذنه صلى الله عليه و اله دليل على الجواز مطلقاً من غير كراهه. لكن العلماء قد ذهبوا إلى القول بالكراهه في حال عدم الضروره و بعدمها في الضروره فمع الضروره تزول الكراهه قطعاً.

هذا إذا دفننا ابتداءً و أمياً إذا استلزم دفن ميت في قبر ميت آخر بعد دفنه نبشه فحرام لتحريم النباش أولاً، و لأن الأول قد ملكه بالحيازه لكن قد يناقش على الأول بأن الكلام في إباحه الدفن نفسه لا النباش و أحدهما غير الآخر، و على الثاني بعدم ثبوت حق الأول و في المسأله كلام بعد يطلب في الكتب الفقهيّه و الهدى حرى أن يقال في المقام: إن دفن الميتين في قبر واحد ابتداءً مكروه إذا لم يقتض الضروره و معها تزول الكراهه. و أمياً دفن ميت في قبر آخر قبل أن يصير رميماً فحرام. و إذا كان الميتان رجلاً و امرأه اجنبيين فلا يترك الاحتياط في أن يفرد لكل واحد منهما قبر.

این کتاب نهم از باب کتب و رسائل امیر علیه السلام است که بمعایه نوشت.

روزی ابو مسلم خولانی با گروهی از قاریان شام که از پیروان معاویه بودند بدو گفتند: تو که چون علی صحبت و قرابت با پیغمبر و سابقت در اسلام و هجرت نداری، از چه روی با وی سر کارزار داری؟.

معاویه گفت: من ادعا نمیکنم که در این صفات از وی برتر یا با وی برابرم و لکن نه این است که عثمان بستم کشته شد؟ گفتند: آری چنین است، گفت:

علی کشندگان عثمان را تسلیم ما کند تا کار به کار زار نکشد، گفتند: در این باره بدو نامه ای نویس، معاویه نامه ای بامیر علیه السلام نوشت و خولانی را برای رساندن نامه بسویش گسیل داشت.

خولانی نامه را بامیر علیه السلام رسانید و بدو گفت: اکنون زمام تولیت امور مسلمانان در دست تو است، و بخدا سوگند اگر از خود داد حق بدهی دوست ندارم که امر خلافت به دست دیگری جز تو باشد؛ همانا که عثمان مسلمان بود و خونش بستم ریخته شد تو امیر مائی کشندگانش را بما ده، چه اگر کسی بمخالفت با تو برخیزد دستهای ما بیاریت آماده، و زبانهای ما در حقت گواه، و مر تو را نیز در نزد خدا و مردم عذر و حجت خواهد بود.

امام علی علیه السلام فرمود: فردا بیا و پاسخ نامه را بستان، چون فردا پیامد دید که مردم از نامه معاویه آگاه شده همگی با سلاح در مسجد گرد آمده ندا در می دهند:

ما همه کشندگان عثمانیم.

خولانی بنزد امیر علیه السلام آمد، امیر بدو گفت: سوگند بخدا من نخواستم که بیک چشم بهم زدنی آنانرا بدست تو دهم چه این امر را نیک نگریستم و آنرا زیر و رو کردم، سزاوار ندیدم که ایشانرا بدست تو یا جز تو دهم.

پس خولانی نامه بستاند و بسوی معاویه بازگشت و داستان را بدو باز نمود.

بسم الله الرحمن الرحيم، از معاویه پور بو سفیان به علی بن ابی طالب: درود بر تو، با تو خدا را ستایش میکنم و نعمتهای او را سپاس می گذارم، آنکه جز او خدائی نیست؛ اما بعد همانا که خداوند بدانش خود محمد صلی الله علیه و اله را برگزید، و او را امین بروحیش و رسول به خلقش گردانید و از مسلمانان یارانی برایش برگزید که بدستکاری آنان نیرویش داد و تأییدش فرمود، و رتبه آنان در نزد خدا و رسول باندازه فضلشان در آسمان بود، پس در میانشان بعد از پیمبر کسی که در اسلام برتر و در راه خدا و رسول مخلص تر است جانشین پیمبر و جانشین جانشین او است، سپس جانشین سوم عثمان که بستم کشته شد.

و تو ای علی بر همه شان حسد بردی، و بهمه آنان ستم کردی، ما این معنی را از چپ چپ نگریستن، و بخشم و تند و تیز نگاه کردن، و از گفتار زشت، و از آه کشیدن و دم بر آوردن دراز، و از درنگ و کندی نمودن در یاری جانشینان پیمبر پی بردیم.

تو آنی که چون شتر نر مهار کرده (چوب در بینی کشیده) (۱) بسوی

ص: ۱۲

۱- (۱) عبارت معاویه این است: «تقاد الی کل منهم کما یقاد الفحل المخشوش حتی تبایع» و مخشوش یعنی شتر سرکش که در بینی او خشاش کرده باشند و خشاش بالكسر چوبکی است که در بینی حیوان سرکش گذارند و زمامش را بدان بندند تا رام و منقاد شود و بهتر اطاعت کند. و این عمل را در ولایت ما با گاو کاری سرکش میکنند تا رام شود و در شخم کردن سرکشی نکند؛ و گاهی بجای چوب و ریسمان باریک در بینی آن در می کشند و از دو طرف بشاخش می بندند و گویند گاو را مهار کرده است. و ابن اثیر در نهاییه گوید: و فی حدیث الحدیبیه أنه أهدی فی عمرتها جملا کان لابی جهل فی أنفه خشاش من ذهب. الخشاش: عوید یجعل فی أنف البعیر یشد به الزمام لیكون أسرع لانقیاده، و منه حدیث جابر فانقادت معه الشجره کالبعیر المخشوش هو الذی جعل فی أنفه الخشاش و الخشاش مشتق من خش فی الشیء اذا دخل فیه لانه یدخل فی أنف البعیر.

هر یک از خلفای رسول برای بیعت برده اند سرباز زدی و از آن کاره بودی و بویژه بعثمان بیشتر از دیگران حسد ورزیده ای با این که از جهت رحامت و خویشاوندی و دامادی او به پیمبر از همه سزاوارتر بود که با وی چنان کاری نکنی پس قطع رحم کردی، و خوبیهای او را زشت گردانیدی، و مردم را بر او شورانیدی، و زیر و رو کرده ای تا از هر سوی مردم بدو رو آوردند، و بر علیه او در حرم رسول خدا حمل سلاح کردند، تا او را کشتند، و تو حاضر بودی و ناله و فریاد او را می شنیدی و حرفی نزدی و کاری نکردی تا گمان بد در باره تو نبردند و تهمت بتو نزنند و بدانند که به قتل او راضی نبودی.

براستی سوگند یاد میکنم که اگر به یک سو می شدی و مردم را از کشتن عثمان باز می داشتی یک تن ما از تو بر نمی گشت، علاوه این که این عمل تو آنچه را که در باره تو راجع به عثمان می پنداشتند جبران میکرد و گمان بدشان را در باره تو محو میکرد.

و دیگر این که در نظر أنصار عثمان، متهمی که کشندگانش را جا و پناه دادی که اکنون تو را بازوان و یاراند و همدستان و دوستان خاص. و با این همه شنیدم که خویشان را از خون عثمان تبرئه می نمائی، اگر راست میگوئی ما را بر آنان دست ده تا ایشان را بقصاص خون عثمان بکشیم، آن گاه بسویت شتاییم، و گرنه تو و یارانت را طعمه شمشیر گردانیم.

سوگند به آن که جز او خدائی نیست اگر قاتلان عثمان در کوهها و ریگستانها و دشت و دریا پراکنده شوند، هر آینه بر آنان دست یابیم تا این که خدا آنانرا بکشد؛ یا این که آنان جانهای ما را بخدا بیوندند.

بسم الله الرحمن الرحيم، از بنده خدا علی امیر مؤمنان به معاویه پور بو سفیان:

اُمّیا بعد همانا که بو مسلم خولانی نامه ای از شما آورده که در او رسول خدا، و نعمت هدایت و وحی را که خدا باو انعام فرموده ذکر کرده ای، پس حمد خدائی را که به وعده اش در باره پیمبرش وفا کرد، و نصرتش را بر او تمام گردانید، و مر او را در شهرها تمیکن داد، و بر قوم او - که دشمنی و کینه تیزی با او داشتند، و بر او حمله ها کردند، و بغض او را در دل انباشتند، و به دروغ نسبتش دادند، و به قتال با او قیام کردند، و بر اخراج او و أصحابش از مکه هم پشت شدند، و عرب را بر او تحریک کردند، و آنانرا بر جنگ او گرد آوردند، و تمام کوشش در کار او نمودند، و کارها را بر او دگرگون کردند - پیروز گردانید، تا دین خدا - با این که آنان از آن بیزاری داشتند - آشکار شد و غالب گردید، و شدیدترین مردم بر او قوم او بویژه خویشان نزدیک او بودند؛ مگر کسانی که خداوند آنانرا حفظ کرد.

ای فرزند هند! روزگار امر شگفتی از شما بر ما پوشیده داشت؛ پیش آمدی و بد نمودی و ناروا کردی که ما را از آزمایش خدا به پیمبرش محمد صلی الله علیه و اله و به ما، خبر می دهی چه در این کار چون آن کسی که خرما به هجر برد، یا آنکه بگستاخی استادش را که از او تیراندازی بیاموخت به تیراندازی بخواند.

در آن کتاب گفתי: «خداوند از مسلمانان یارانی برای پیمبرش برگزید که بدستکاری آنان نیرویش داد و تأییدش فرمود و رتبه آنان در نزد خدا و رسول باندازه فضلشان در اسلام بود پس در میانشان بعد از پیمبر کسی که در اسلام برتر و در راه خدا و رسول مخلص تر است جانشین پیمبر و جانشین جانشین او است» بجانم (یا به دینم) سوگند که آن دو را در اسلام پایه ای بزرگ است، و از تیر مرگی که بدانها رسیده زخمی سخت در پیکر اسلام پدید آمده؛ خداوند رحمتشان کناد و نیکوترین پاداش دهد(۱).

ص: ۱۴

۱- (۱) ترجمه عبارت مطابق نسخه بحار چنین است: و در آن کتاب گفתי: خداوند از مسلمانان یارانی.... جانشین پیمبر صدیق، و جانشین جانشین او فاروق است. بجانم سوگند آنچه در نامه ات در باره بو بکر و عمر آوردی اگر تمام باشد آن همه صفات از تو دور است (یعنی به آنها متصف نیستی و لیاقت مقام خلافت و در دست گرفتن زمام امور ملت را نداری) و اگر ناتمام است بتو ثلمه و رخنه ای رو نخواهد کرد. تو را به صدیق چه رسد؟ صدیق آن کس است که حق ما را تصدیق کند، و تو را چه رسد به فاروق؟ فاروق آن کسی است که میان ما و دشمنان ما فرق گذارد

و در آن نامه آورده ای که عثمان در فضل و رتبه سؤمین آنها بود؛ اگر عثمان نیکوکار بود خداوند او را به نیکو کاریش پاداش می دهد و اگر بدکار بود دیدار می کند پروردگار آمرزنده ای را که گران و بزرگ نیاید او را گناهی که بیامرزدش.

بخدای لا یزال قسم که همانا امیدوارم و آرزو دارم که چون خداوند مردم را به پایه فضائل آنان در اسلام، و نصیحتشان در راه خدا و رسول پاداش عطا کند بهره ما در آن از دیگران زیادتر باشد؛ چه محمد صلی الله علیه و اله چون مبعوث برسالت شد و به ایمان بخدا و توحید دعوت کرد ما اهل بیت او نخستین کسی بودیم که به او ایمان آوردیم، و به آن چه آورده تصدیق کردیم.

و چند سال تمام بود که در سرزمین عرب هیچ خانواده ای جز ما خدا را پرستش نمی کردند. و قوم ما خواستند که پیغمبر ما را بکشند، و بیخ و بن ما را براندازند، در باره ما چیزها اندیشیدند، و کارهایی بما روا داشتند، و آب و نان را بروی ما بستند، و توشه را از ما بریدند، و زندگی خوش را از ما بازداشتند، و ما را همنشین و همدم ترس و بیم نمودند، و جاسوسان و دیده بانها بر ما گماشتند، و بکوهی سخت (شعب أبو طالب) ما را مضطر گردانیدند، و برای ما آتش جنگ برافروختند، و با هم پیمان بستند و همدست شدند و نوشته بمیان آوردند که کار را چنان بر ما تنگ گیرند حتی با ما نخورند و ننوشند و ازدواج نکنند، و از ایشان در تمام مدّت سال جز در موسم حجّ ایمن نبودیم تا این که پیغمبر را بدست آنها دهیم که او را بکشند و مثله اش کنند.

پس خداوند متعال ما را عزیمت آن داد که دست ستم آنانرا از سر رسول

بریدیم، و شرّشان را از ناحیه حضرتش بازداشتیم، و آنان را از حریم حرمتش دور کردیم، و در ساعات خوف، شب و روز با شمشیرها در حضور او ایستادگی نمودیم.

مؤمن ما باین حفظ و حراست پیمبر طلب پاداش میکرد، و امیدوار ثواب بود؛ و کافر ما حمایت از اصل و نسب و دودمان خود میکرد. (مراد این است از بنی هاشم و بنی مطلب آنکه ایمان برسول آورد مثل ابو طالب پدر امیر المؤمنین علی علیه السلام و حمزه بن عبد المطلب رضوان الله علیهما در حمایت پیغمبر امیدوار ثواب از خدا بودند و در راه خدا دین و پیغمبر را حفظ می کردند؛ بخصوص ابو طالب رضوان الله علیه که خدمت بسیار بزرگ به اسلام کرده و رنج و خدمت او از همه بیشتر بود و دین خود را از کفار نهان می داشت تا بهتر بتواند خدمت باسلام کند و پیغمبر او را کافل الیتیم خوانده که فرمود: انا و کافل الیتیم کهاتین فی الجّنه؛ و آنکه از بنی هاشم ایمان نیاورده و کافر بود چون عباس عموی پیغمبر و عقیل و طالب فرزندان ابی طالب و حارث و پدرش نوفل و عمویش ابو سفیان فرزندان حارث بن عبد المطلب که در شعب ابو طالب با پیغمبر و مؤمنین محصور بودند و حمایت از رسول می کردند نه بحساب دین و رسالت بلکه برای حفظ دودمان و اصل نسب و پس از خلاصی از شعب یکی پس از دیگری اسلام آوردند. و از بنی هاشم ابو لهب و پسرش همدست با کفار بودند و آنان را کمک می کردند).

و از قریش کسانی که اسلام آورده بودند از خوفی که ما داشتیم و رنجی که در آن بودیم ایمن بودند، یا بسبب هم قسمی که با مشرکان داشتند که آنان را از شرّ مشرکان باز می داشت، یا بسبب عشیره ای که پیش رویشان از آنها دفاع می کردند تا کسی بر آنان دست نیابد که از قتل در امان بودند، تا روزگاری بدین منوال بگذشت.

سپس خداوند پیغمبرش را امر بهجرت فرمود، و بعد از آتش بقتال مشرکین اذن داد. و هنگامی که جنگ سخت می شد و مردم از ترس عنان باز پس می کشیدند و رو می گردانیدند و دو طرف کارزار آماده جنگ می شدند، رسول خدا اهل بیت

خود را برپا میکرد و آنان را پیش می‌داشت که بایشان اصحاب خود را از گرمی و سوزش نیزه‌ها و شمشیرها حفظ میکرد، که عیبه بن حارث پسر عم آن حضرت در جنگ بدر کشته شد، و حمزه در روز احد، و جعفر طیار و زید بن حارثه در جنگ موته.

و کسی که اگر بخواهم اسمش را ببرم (مراد از این کس خود امیر المؤمنین علیه السلام است و آن جناب خبر از خودش می‌دهد) چندین بار در جنگها با پیغمبر صلی الله علیه و اله شهادتی را که آن شهداء خواستند نیز خواسته و آرزوی آن را داشته است جز این که روزگارشان بسر آمد که بدرجه رفیعه شهادت رسیدند ولی عمر وی بسر نیامده که مرگش بتأخیر افتاد. خداوند بایشان در ازای آن کارهای شایسته که پیش فرستاده اند نیکو احسان کننده و نعمت دهنده است.

و کسی از حامیان پیمبر را مخلص تر بخدا در طاعت رسولش، و مطیع تر برسول در طاعت پروردگارش، و شکیباتر در محنتها و سختیها و هنگام ترس و مواظن مکروه با پیغمبر، از این چند تن که نام برده ام ندیدم و در مهاجرین خیر بسیار می‌شناسیم خداوند ایشان را نیکوترین پاداش دهد.

و در آن نامه گفتی که «من بر خلفا حسد برده ام، و از بیعت بانان کنندی و خودداری نمودم، و بر ایشان ستم کردم» اما ستم معاذ الله که چنین باشد و من بأحدی ستم کرده باشم.

و اما در خودداری از بیعت و طاعت و در کراهت بامرشان؛ هیچ عذری پیش کسی نیاورم و پوزش نطلبم، زیرا خداوند چون قبض روح پیمبر کرد قریش گفتند امیر باید از ما باشد و انصار گفتند از ما؛ پس قریش گفتند: محمد رسول الله صلی الله علیه و اله از ما بود در نتیجه ما سزاواریم بأمر خلافت و امارت، و انصار تسلیم شدند و امارت را بقریش تفویض کردند. پس سبب بر کنار شدن انصار از امارت و استحقاق قریش آنرا این بود که محمد صلی الله علیه و اله از قریش بود. و بهمین بیان آنکه در میان قریش به پیغمبر اولی و اقرب است بخلافت نیز باید احق و اولی باشد (مرادش از این گفتار خود آن بزرگوار است). و گرنه انصار در میان عرب از آن بهره بزرگ داشتند.

نمی دانم اصحابم بگرفتن حقم تن در دادند، یا انصار بمن ظلم کردند؟ همین قدر دانم که حق من گرفته شد؛ وا گذاشتم آنرا بر ایشان خدا از ایشان در گذرد.

اما آنچه در باره عثمان گفتمی که «قطع رحم کردم، و مردم را بر او شورانیدم» تو خود دیده ای که عثمان در دین چه ها نمود، و با مردم چه ها کرد که سرانجام کارهای او سبب قتلش شده، و تو خود دانی که من در قتل او شریک نبودم و از آن کناره گرفتم و عزلت اختیار کردم؛ مگر این که بخواهی افترا بمن زنی و بدروغ نسبت به جنایتی دهی پس هر چه خواهی بکن، و هر چه دلت خواست بگو.

ای عجب از روزگار که با من قرین شد کسی (یعنی معاویه و خلفای گذشته) که در راه دین بپایه من قدم برنداشت و سابقه اش در اسلام چون سابقه من نبود؛ سابقه ای که کسی نتواند بمثل آن توسل جوید و دعوی چنان سابقت نماید مگر کسی ادعا کند آنچه را که من شناسمش، و گمان نکنم که خدای آن را بشناسد (کنایه از این که جز آن چه گفته ام وجود ندارد و صرف ادعا است اگر کسی ادعا کند دروغ گفته است) و حمد خدای را بر هر حال.

و اما آنچه در باره قاتلان عثمان گفتمی و از من طلب کردی که ایشان را تسلیم تو کنم؛ من در این امر نظر نمودم و نیک آن را زیر و رو کردم ندیدم که تسلیمشان بتو و بغیر تو برایم گنجایش داشته و مقدر باشد.

بجانم - یا بدینم - سوگند اگر از گمراهی باز نایستی و از دعوی خلافت دست بر نداری خواهی دید که کشندگان عثمان خودشان بطلب تو آیند و زحمت نمی دهند که در صحرا و دریا و کوه و دشت ایشان را طلب کنی؛ جز این که طلب کردنشان تو را طلبی است که از آن خوشت نیاید و دیدارشان دیداری است که خوشنودت ننماید (کنایه از این که چنان کار را بر تو سخت کنند که دمار از روزگارت در آورند و زندگی در کام تو تلخ گردد).

ای معاویه هنگامی که مردم ابو بکر را والی قرار دادند پدرت بو سفیان نزد

من آمد و بمن گفت: «تو بعد از محمد بخلافت و امارت سزاواری؛ برخیز و حق خود بستان و اگر کسی با تو مخالفت کند من کفالت و حمایت نمایم، اکنون دست دراز کن تا با تو بیعت کنم» ولی من نپذیرفتم.

و تو دانی که این سخن را پدرت بمن گفت و از من خواست؛ ولی من بودم که قبول نکردم از بیم این که مبادا تفرقه میان مسلمانان چون قریب العهد بکفر بودند رخ دهد. پس پدرت بحق من از تو آشناتر بود و تو اگر چون پدرت حق مرا شناسی راه راست را یافته ای و گرنه خداوند ما را کفایت کند و از تو بی نیاز گرداند. درود بر آنکه سزاوار آنست.

و من کتاب له علیه السلام ایضا

اشاره

و هو الكتاب العاشر من باب المختار من كتبه و رسائله و كيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزینتها، و خدعت بلدتها، دعوتك فأجبتها، و قادتك فاتبعتها، و أمرتك فأطعتها. و إنّه يوشك أن يقفك واقف علی ما لا ینجیک منه مجن، فاقعس عن هذا الأمر، و خذ أهبة الحساب، و شمّر لما قد نزل بك، و لا تمکن الغواه من سمعك؛ و إلاّ تفعل أعلمک ما أغفلت من نفسك، فإنّک مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه، و بلغ فيک أمله، و جرى منك مجرى الزوح و الدّم.

و متى كنتم يا معاويه ساسه الرعيه و ولاه امر الاممه بغير قدم سابق و لا- شرف باسق. و نعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء، و
أحذرك أن تكون متماديا في غزه الامتیه مختلف العلانيه و السريره. و قد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانبا و أخرج إلى و
أعف الفريقين من القتال ليعلم أننا المرين على قلبه، و المغطى على بصره فأنا أبو حسن قاتل جدك و خالك و أخيك شدخا
يوم بدر و ذلك السيف معي و بذلك القلب ألقى عدوى. ما استبدلت ديننا، و لا استحدثت نبيا و إنني لعلی المنهاج الذى
تركتموه طائعين و دخلتم فيه مكرهين. و زعمت أنك جئت نائرا بعثمان و لقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن
كنت طالبا فكأنى قد رأيتك تضحج من الحرب إذا عضتک ضجيج الجمال بالأثقال و كأنى بجماعتك تدعونى جزعا من الضرب
المتتابع، و القضاء الواقع، و مصارع بعد مصارع إلى كتاب الله و هى كافرہ جاحده، أو مبايعه حائده.

هذا الكتاب نقله نصر بن مزاحم المنقرى في كتاب صفين مسندا (ص ٥٩، الطبع الناصري ١٣٠١ هـ) و الرجل توفي قبل الرضى بماتى سنه تقريبا. و ما فى النهج بعض ما فى كتاب نصر على ما هو عاده الرضى كما اشرنا غير مره إلى أن غرضه الأهم انتخاب كلامه الذى له براعه فى الفصاحه و البلاغه، و دونك الكتاب على صورته الكامله التى نقلها نصر:

كتب عليه السلام إلى معاويه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبى سفيان سلام على من أتبع الهدى فإني أحمد الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فإنك قد رأيت من الدنيا و تصريفها بأهلها و إلى ما مضى منها و خير ما بقى من الدنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى و من نسى الدنيا نسيان الآخره يجد بينهما بونا بعيدا.

و اعلم يا معاويه أنك قد ادّعت أمرا لست من أهله لا فى القدم و لا فى الولاية و لست تقول فيه بأمر بين تعرف لك به أثره، و لا لك عليه شاهد من كتاب الله و لا عهد تدّعيه من رسول الله صلى الله عليه و اله.

فكيف أنت صانع إذا انقشعت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد انتهت بزيتها، و ركنت إلى لذتها، و خلّى فيها بينك و بين عدوّ جاهد ملّح مع ما عرض فى نفسك من دنيا قد دعتك فأجبتها، و قادتك فاتّبعتها، و أمرتك فأطعتها، فإيس من هذا الأمر، و خذ أهبة الحساب، فانه يوشك أن يقفك واقف على ما لا يحبك منه مجن.

و متى كنتم يا معاويه ساسه للرعيه، أو ولاه لأمر هذه الامه بغير قدم حسن و لا شرف سابق على قومكم؛ فشمر لما قد نزل بك، و لا- تمكّن الشيطان من بغيته فيك مع أتى أعرف أن الله و رسوله صادقان فنعوذ بالله من لزوم سابق الشقا و إلا تفعل اعلمك ما أغفلك من نفسك فانك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدم فى العروق.

و اعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا، و لأمتنوا به علينا، و لكنّه قضاء ممّن امتنّ به علينا على لسان نبيّه الصادق المصدّق. لا أفلح من شكّ بعد العرفان و البيّنه. اللهم احكم بيننا و بين عدونا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

فكتب إليه عليه السلام معاويه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من معاويه بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب أما بعد فدع الحسد فإنك طالما لم تنتفع به و لا تفسد سابقه قدمك بشره نخوتك، فإن الأعمال بخواتيمها، و لا تمحق سابقتك في حقّ من لا حقّ لك في حقّه فإنك إن تفعل لا تضرّ بذلك إلا نفسك، و لا تمحق إلا عملك، و لا تبطل إلا حجّتك و لعمرى ما مضى لك من السابقات لشبيه أن يكون ممحوقا لما اجترأت عليه من سفك الدماء، و خلاف أهل الحقّ، فاقرا سورة الفلق و تعوذ بالله من شرّ نفسك فإنك الحاسد إذا حسد.

و اعلم أنّ بين صورته كتاب الأمير عليه السلام على نسخه كتاب صفين التي نقلناه عنها و بين صورته على نسخه التي نقله عنها الفاضل الشارح المعتزلي في شرحه على النهج بونا بعيدا و تفاوتا كثيرا و لسنا نعلم أنّ هذا الاختلاف الفاحش من أين تطرّق إلى كتاب واحد و لم يحضرني نسخه مصحّحه من كتاب صفين و لا نسخ متعدّده منه لنحكم بتأ على صحّه نسخه و لا يبعد أن يقال أنّه إذا دار الأمر إلى اختيار نسخه من بين النسخ و ترجيحها على غيرها فالمختار هو ما في النهج لمكانه الرضى في معرفه فنون الكلام و أساليبه كيف لا و قد كان عالما نبیلا، و شاعرا مفلقا، و أدبيا بارعا، و مترسلا قويا ماهرا، و في تميز فصيح الكلام من غيره إماما خريتا يشهد على ذلك ديوان أشعاره و خطبته على النهج و سائر آثاره.

و أما الكتاب على نسخه الشارح المعتزلي فهذه صورته: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبي سفيان سلام على من اتّبع الهدى فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنك قد رأيت مرور الدنيا و انقضاءها و تصرّمها و تصرّفها بأهلها

و خير ما اكتسب من الدنیا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى و من يقس الدنیا بالآخره يجد بينهما بعيدا (بونا بعيدا - ظ).

و اعلم يا معاويه أنك قد ادّعت أمرا لست من أهله لا فى القديم و لا فى الحديث و لست تقول فيه بأمر بين يعرف له أثر و لا عليك منه شاهد و لست متعلقا بابه من كتاب الله و لا عهد من رسول الله صلى الله عليه و اله فكيف أنت صانع إذا تقشّعت عنك غيابه ما أنت فيه من دنيا قد فتنت بزيتها، و ركنت إلى لذاتها، و خلّى بينك و بين عدوك فيها، و هو عدوّ كلب مضلّ جاهد مليح ملح مع ما قد ثبت فى نفسك من حبّها دعتك فأجبتها، و قادتك فأتبعتها، و أمرتك فأطعتها؛ فاقعس عن هذا الأمر، و خذ أهبه الحساب فإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما يخبيك مجن.

و متى كنتم يا معاويه ساسه الرعيه، أو ولاه لأمر هذه الامه بلا قدم حسن، و لا شرف تليد على قومكم؛ فاستيقظ من سنتك و ارجع إلى خالقك، و شمّر لما سينزل بك؛ و لا تمكّن عدوك الشيطان من بغيه (بغيته - خ ل) فيك مع أنّي أعرف أنّ الله و رسوله صادقان نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء و إلاّ تفعل فأنّى اعلمك ما أغفلت من نفسك أنك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدّم فى العروق، و لست من أئمه هذه الامه و لا من رعاتها.

و اعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا، و لا متّوا علينا به، و لكنّه قضاء ممّن منحاه و اختصّنا به على لسان نبيّه الصادق المصدّق لا أفلح من شكّ بعد العرفان و البينه ربّ احكم بيننا و بين عدونا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

فكتب معاويه إليه الجواب من معاويه بن أبى سفيان.... و لا تفسد سابقه جهادك بشره.... و لا تمحص سابقتك بقتال من لا حقّ لك.... فاقراّ السوره التى يذكر فيها الفلق و تعوذ من نفسك فإنّك الحاسد إذا حسد.

اللغة

«تكشّفت عنك» أى ارتفعت و زالت عنك و «انقشعت» و «تقشّعت» بمعنى انكشفت و تكشّفت يقال: انقشع السحاب و تقشّع أى زال و انكشف.

«جلايب» جمع الجلاب بكسر الجيم و سكون اللام و تخفيف الباء و بكسر اللام و تشديد الباء أيضا: الملحفة و هى الثوب الواسع فوق جميع الثياب. و تجلب الرجل جليبه أى لبس الجلاب و لم تدغم لأنها ملحفة بد حرج.

«تبّهجت» أى تحسّنت. «يوشك» بالكسر أى يقرب و يدنو و يسرع، يقال:

أوشك يوشك إيشاكا فهو موشك، و الوشيك السريع.

قال الجوهريّ فى الصحاح: و قد أوشك فلان إيشاكا أى أسرع السير؛ و منه قولهم يوشك أن يكون كذا. قال جرير يهجو العباس بن يزيد الكندى:

إذا جهل الشقى فلم يقدر ببعض الأمر أوشك أن يصابا

و العلامة تقول: يوشك بفتح الشين و هى لغه رديئه، انتهى كلامه.

«يقفك واقف على ما لا ينجيك منه» أى يطلعك عليه. قال الجوهريّ فى الصحاح:

وقفته على ذنبه أى أطلّعته عليه.

«مجنّ» الترس: و بعض النسخ «منج» اسم الفاعل من قوله عليه السّلام ينجيك.

«اقعس عن هذا الأمر» أمر من قعس عنه قعسا من باب علم أى تأخّر عنه كتقاعس و اقعنسس كما فى صحاح الجوهريّ؛ و على نسخه نصر أمر من أيس منه إياسا من باب علم أى قنط و قطع الرجاء منه. «الأهبه» فى الصحاح: تأهب: استعدّ، و أهبه الحرب عدّتها؛ و الجمع اهب، «شمّر» فقد مضى تفسيره و تحقيقه فى شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب (ص ١٩٠ ج ١٦) فراجع.

«الغواه» كالقضاه جمع غاو أى الضالّ. الإغفال: الإهمال و الترك. «المترف» مفعول، و فى الصحاح: أترفته النعمة أى أطلّغته. و فى بعض النسخ مشكول على هيئه الفاعل و الصواب ما قدّمناه؛ قال الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» (سبا - ٣٤). و قال تعالى: «وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ» (أنبياء - ١٤).

المأخذ: المنهج و المسلك، و يروى على هيئه الجمع أعنى المأخذ أيضا، و جاءت المأخذ بمعنى المصائد أيضا.

«ساسة» جمع سائس كبطله جمع باطل إلا أن حرف العله فيها أبدلت ألفا و أصلها سيسه. «باسق» أى عال رفيع، يقال: بسق فلان على أصحابه أى علاهم و بسق النخل بسوقا أى طال و ارتفعت أغصانه و منه قوله تعالى: «وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ» (ق - ١٢) قال هشام أخو ذى الرّمه فى أبيات يرثى بها أخاه ذا الرّمه و ابن عمّه أو فى بن دلهم (الحماسه ٢٦٤).

نعوا باسق الأفعال لا يخلفونه تكاد الجبال الصمّ منه تصدّع

«متماديا» فاعل من التمدادى و أصله الممدى أى الغايه، يقال: تمادى فلان فى غيّه أى دام على فعله و لَجّ و بلغ فيه الممدى. «الغزه»: الغفله. «الامتيه» بضمّ الهمزه واحده الأمانى: ما يتمناه الإنسان و يؤمل إدراكه و طمع الناس.

«أعف» أمر من الإعفاء، و فى بعض النسخ مشكول بضمّ الفاء و همزه الوصل و لكّنّه و هم و الصواب الأوّل يقال: أعفاه من الأمر أى برّاه منه. و فى الصحاح:

يقال: أعفنى من الخروج معك أى دعنى منه؛ و استعفاه من الخروج معه أى سأله الاعفاء.

«المرين» اسم مفعول من ران كالمدين من دان، و فى النهايه الأثيريه: يقال:

رين بالرجل رينا إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، و أصل الرين: الطبع و التغطية و منه قوله تعالى: «كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» (المطففين - ١٥) أى طبع و ختم، و منه حديث علىّ عليه السّلام: لتعلم أينا المرين على قلبه و المغطّى على بصره؛ و المرين المفعول به الرين؛ و منه حديث مجاهد فى قوله تعالى: «وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» (البقره - ٧٧) قال: هو الرّان، و الرّان و الرّين سواء كالذام و القديم، و العاب و العيب. انتهى كلامه.

و لا يخفى عليك أنّ ابن الأثير أشار بقوله: «و منه حديث علىّ عليه السّلام لتعلم أينا المرين على قلبه و المغطّى على بصره» إلى هذه الفقره من ذلك الكتاب الذى نحن بصدد شرحه و ابن الأثير هذا هو مبارك بن أبى الكرام أثير الدّين محمّد الجزرى توفى بموصل سنة ٦٠٦ من الهجره.

و فى الصّحاح للجوهريّ: الرّين الطّبع و الدّنس، يقال: ران على قلبه ذنبه يرين رينا و ريونا أى غلب. و قال أبو عبيده فى قوله تعالى: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أى غلب. و قال الحسن، هو الدّنب على الدّنب حتّى يسوّد القلب. و قال أبو عبيده: كلّ ما غلبك فقد ران و رانك و ران عليك. و قال أبو زيد:

يقال: رين بالرجل إذا وقع فيما لا- يستطع الخروج منه و لا- قبل له به، و ران النعاس فى العين و رانت الخمر عليه غلبته. و قال القنانيّ الأعرابيّ: رين به أى انقطع به و رانت نفسه ترين رينا أى خبثت و غثت. انتهى قول الجوهريّ.

«شدخا» قال الجوهريّ فى الصّحاح: الشدخ كسر الشىء الأجوف، تقول:

شدخت رأسه - من باب منع - فانشدخ، و شدخت الرّؤوس شدّد للكثرة. انتهى.

«المنهاج» كالمعراج: الطريق الواضح «ثائرا بعثمان» ثار القتل و بالقتيل ثارا أو ثوره من باب منع: طلب دمه و قتل قاتله فهو ثائر، و قال الشاعر كما فى الصّحاح:

شفيت به نفسى و أدركت ثورتى بنى مالك هل كنت فى ثورتى نكسا

و قال الجوهريّ: الثائر: الذى لا يبقى على شىء حتّى يدرك ثاره.

و قال المرزوقى فى شرح الحماسه (٦٠٧) عند قول منصور بن مسجاح:

ثارت ركاب العير منهم بهجمه صفايا و لا بقيا لمن هو ثائر

و الثائر ليس من حقّه أن يبقى، و الأصل فى الثائر القاتل، فوضعه موضع الواتر المنتقم، يقال: ثارت فلانا و ثارت بفلان إذا قتلت قاتله.

«عضّتك» عضّه عضّا و عضّيا من باب منع أى أمسكه بأسنانه و يقال بالفارسيه: غاز گرفت او را، يقال: عضّه، و عضّ به و عضّ عليه و هما يتعضّان إذا عضّ كلّ واحد منهما صاحبه و كذلك المعاضّه و العضاض. و أعضضته الشىء فعضّه و فى الحديث فأعضّوه بهن أبيه و لا تكنوا، و يقال: أعضضته سيفى أى ضربته به.

و عضّه الزمان أى اشتدّ عليه. و عضّ الشىء أى لزمه و استمسك به.

«ضجيج» مصدر من قولك ضجّ يضحّج من باب ضرب أى جلبّ و صاح و جزع

من شيء فالضحيج: الصباح.

«حائده» أجوف يائي من حاد يحدد حيدا من باب باع يقال: حاد عن الطريق إذا مال عنه و عدل.

الإعراب

«من دنيا» كلمه من بياتيه لكلمه ما، و ضمير تبهجت و أخواتها يرجع إلى الدنيا و ضمائر الخطاب إلى من أجاب دعوتها.

«يوشك» من أفعال المقاربه، هو و أخواه كاد و كرب من النوع الأوّل منها الذي وضع للدلاله على قرب الخير للمسمّى باسمها. و هى تعمل عمل كان إلا أنّ خبرها يجب كونه جمله ليتوجّه الحكم إلى مضمونها و شدّ مجيئه مفردا فواقف اسم ليوشك. و أنّ يقفك فى موضع نصب خبر له قدّم على الاسم، و على صله يقف.

و الفاء فى فاقعس فصيح، و تفعل و اعلمك مجزومان بان فى إلا لأنّ أصلها ههنا إن لا. و كلمه من فى من نفسك بياتيه يفسر كلمه ما. و مفعول اغفلت العائد إلى ما محذوف أى ما أغفلته، أو يقال من نفسك متعلّق لأغفلت و إن لم نجد فى المعاجم الحاضره لدينا أن يقال أغفل منه و نحوه.

«مأخذه» مفعول لقوله أخذ، و روى الماخذ بالجمع أيضا. و كذا مجرى الروح و الدّم لقوله جرى.

قوله: متى كنتم - إلخ - استفهام على سبيل الانكار، قوله: بغير قدم سابق استفهام آخر أيضا على سبيل التعنيف و العتاب و الانكار أى: أ بغير قدم سابق و شرف باسق.

«مختلف العلانيه» خبر بعد خبر لقوله أن تكون؛ و الخبر الأوّل متماديا.

و قد دعوت؛ المفعول محذوف أى و قد دعوتنى أو دعوتنا.

«جانبا» منصوب على الظرفيه لقوله دع، و اللّام فى «ليعلم» جاره للتعليل و الفعل المدخول بها مأول بأن المصدريه مضمرة إلى المصدر المجرور باللام، و المعلل الأفعال الثلاثه أعنى دع و أخويه التالين له.

«قاتل جدك» إمّا خبر بعد خبر للضمير أنا، أو صفه لأبى حسن نحو قوله تعالى: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» فى كونه صفه «لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«شدخا» تميز يبين ابهام النسبه فى قوله عليه السّلام أنا قاتل جدك. «ما استبدلت دينا» المبدل منه محذوف أى ما استبدلت دينا بديني.

«ثائرا» حال لضمير جئت. و «جزعا» تميز للنسبه فى تدعو. من الضرب متعلّق بقوله جزعا، و القضاء عطف على الضرب و كذا المصارع الاولى معطوفه على الضرب مجروره بالفتح لأنها غير منصرفه و الثانيه مجروره بالإضافه. و جمله «و هى كافره» حاله و العامل فى الحال تدعو و ضمير التأنيث يرجع إلى جماعه معاويه. و إلى كتاب الله متعلّق بتدعو. و جاحده صفه للكافره، و مبايعه معطوفه على الكافره، و حائده صفه للمبايعه.

المعنى

اشاره

كتب عليه السّلام هذا الكتاب إلى معاويه لما أراد المسير إلى أهل الشام بعد ما شاور من كان معه فى ذلك و أورد كلامه عليه السّلام فى المشاوره مع قومه و كلام عدّه من أنصاره و أعوانه فى جوابه عليه السّلام و كذا كلام بعض من المنافقين له عليه السّلام و ما دار بينهم و بين أصحابه عليه السّلام نصر فى كتاب صفّين و لا بأس بنقلهما لأنّ كلمات أنصاره فى المقام تزيد القارى إيمانا.

نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن إسماعيل بن يزيد و الحارث بن حصيره عن عبد الرحمن بن عبيد أبى الكنود قال: لما أراد علىّ عليه السّلام المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين و الأنصار فحمد الله و أثنى عليه و قال: أمّا بعد فانكم ميامين الرأى مراجيح الحلم مقاويل بالحقّ مباركو الفعل و الأمر و قد أردنا المسير إلى عدوّنا و عدوّكم فأشيروا علينا برأيكم.

أقول: كلامه عليه السّلام هذا مع و جازته و جودته و فصاحته و بلاغته ليس بمذكور فى النهج.

كلام هاشم بن عتبة له عليه السلام

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أما بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جدّ خيرهم لك و لأشياعك أعداء و هم لمن يطلب حرث الدّنيا أولياء، و هم مقاتلوك و مجاهدوك لا- ييقون جهدا مشاّخه على الدّنيا وضنّا بما فى أيديهم منها و ليس لهم إربه غيرها إلاّ ما يخذعون به الجّاهل من الطلب بدم عثمان بن عفّان، كذبوا ليسوا بدمه يثارون و لكن الدّنيا يطلبون فسر بنا إليهم فان أجابوا إلى الحقّ فليس بعد الحقّ إلاّ الضلال، و إن أبوا إلاّ الشقاق فذلك الظنّ بهم و الله ما أراهم يبايعون و فيهم أحد ممّن يطاع إذا نهى و يسمع إذا أمر.

كلام عمار بن ياسر له عليه السلام

نصر عمر بن سعد، عن الحارث بن حصيره، عن عبد الرّحمن بن عبيد أبي الكنود أنّ عمّار بن ياسر قام فذكر الله بما هو أهله و حمده و قال: يا أمير المؤمنين إن استطعت أن لا- تقيم يوما واحدا فاشخص بنا قبل استعمار نار الفجره و اجتماع رأيهم على الصدود و الفرقه، و ادعهم إلى رشدهم و حظّهم فان قبلوا سعدوا، و إن أبوا إلاّ- حربنا، فو الله إنّ سفك دمائهم و الجّد فى جهادهم لقربه عند الله و هو كرامه منه.

كلام قيس بن سعد له عليه السلام

و فى هذا الحديث: ثمّ قام قيس بن سعد بن عباده فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال:

يا أمير المؤمنين انكمش بنا إلى عدوّنا و لا- تعرّج فو الله لجهادهم أحبّ إلّى من جهاد الترك و الروم لادهانهم فى دين الله و استدلالهم أولياء الله من أصحاب محمّد صلّى الله عليه و اله من المهاجرين و الأنصار و التابعين باحسان إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه و فيئنا لهم فى أنفسهم حلال و نحن لهم فيما يزعمون قطين، قال:

يعنى رقيق.

فقال أشياخ الأنصار منهم خزيمه بن ثابت و أبو أيوب الأنصارى و غيرهما: لم تقدّمت أشياخ قومك، و بدأتهم يا قيس بالكلام؟ فقال: أمّا إنى عارف بفضلكم، معظم لشأنكم و لكّنى وجدت فى نفسى الضغن الذى جاش فى صدوركم حين ذكرت الأحزاب.

فقال بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم فقالوا: قم يا سهل بن حنيف فقام سهل فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين نحن سلم لمن سالمت، و حرب لمن حاربت، و رأينا رأيك، و نحن كفّ يمينك. و قد رأينا أن تقوم بهذا الأمر فى أهل الكوفه فتأمرهم بالشخوص و تخبرهم بما صنع الله لهم فى ذلك من الفضل فأنهم هم أهل البلد و هم الناس؛ فان استقاموا لك استقام لك العدى تريد و تطلب و أمّا نحن فليس عليك منّا خلاف؛ متى دعوتنا أجبناك، و متى أمرتنا أطعناك.

كلام اربد الفزارى له عليه السلام و قتله

نصر عمر بن سعد، عن أبى مخنف، عن زكريا بن الحارث، عن أبى جيش عن معبد قال: قام علىّ عليه السّلام خطيبا على منبره فكنّت تحت المنبر حين حرّض الناس و أمرهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام فبدأ فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: سيروا إلى أعداء السنن و القرآن سيروا إلى بقيّة الأحزاب و قتله المهاجرين و الأنصار فقام رجل من بنى فزاره يقال له أربد فقال: أ تريد أن تسيرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصره فقتلناهم كالأه الله (1) إذا لا- نفعل ذلك.

فقام الأشتر فقال: من لهذا أيها الناس؟ و هرب الفزارى و اشتدّ الناس على أثره فلحق فى مكان من السوق تباع فيه البرازين فوطّؤه بأرجلهم و ضربوه بأيديهم و نعال سيوفهم حتّى قتل، فأتى علىّ عليه السّلام فقيل: يا أمير المؤمنين قتل الرجل قال: و من قتله؟ قالوا: قتله همدان و فيهم شوبه من الناس، فقال: قتيل عميّه

ص: ٣٠

١- (١) كلاها الله مخفف كلا و الله و معناها بالفارسيه، نه چنين است سو گند بخدا. منه.

لا يدري من قتله، ديته من بيت مال المسلمين. قال علاقه التميمي:

أعوذ بربي أن تكون ممتي كما مات في سوق البرازين أربد

تعاوده همدان خفق نعالهم إذا رفعت عنه يد وضعت يد

كلام الأشر له عليه السلام

قال: و قام الأشر فحمد الله و أثنى عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يهدنك ما رأيت و لا يؤيسنك من نصرنا ما سمعت من مقاله هذا الشقي الخائن إن جميع من ترى من الناس شيعتك و ليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك و لا يحبون بقاء بعدك فإن شئت فسر بنا إلى عدوك و الله ما ينجو من الموت من خافه و لا يعطى البقاء من أحبه و ما يعيش بامال إلا شقي، و إننا لعلى بينه من ربنا، إن نفسا لن تموت حتى يأتي أجلها؛ فكيف لا نقاتل قوما هم كما وصف أمير المؤمنين و قد و ثبت عصابه منهم على طائفه من المسلمين فأسخطوا الله و أظلمت بأعمالهم الأرض و باعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير.

فقال على عليه السلام: الطريق مشترك و الناس في الحق سواء و من اجتهد رأيه في نصيحه العامه فله ما نوى و قد قضى ما عليه ثم نزل فدخل منزله.

كلام ابن المعتم و حنظله العبسي المعروف بحنظله الكاتب له عليه السلام

و كانا كاتبين لمعاويه و مخالفين لأمر المؤمنين على عليه السلام، و ما قال لهما قوم على عليه السلام و أمره بهدم دار حنظله و ما جرى في ذلك.

نصر عمر بن سعد قال: حدثنى أبو زهير العبسي، عن النضر بن صالح: إن عبد الله بن المعتم العبسي، و حنظله بن الربيع التميمي لما أمر على عليه السلام بالناس بالمسير إلى الشام دخلا في رجال كثير من غطفان و بنى تميم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له التميمي: يا أمير المؤمنين إنا قد مشينا إليك بنصيحه فاقبلها منا و رأينا لك رأيا فلا تردّه علينا: فإنا نظرنا لك و لمن معك أقم و كاتب هذا الرجل و لا تعجل إلى قتال أهل الشام فإني و الله ما أدري و لا تدري لمن تكون إذا لقيتم الغلبه و على

من تكون الدبره؟ و قام ابن المعتم فتكلم و تكلم القوم الذين دخلوا معهما بمثل ما تكلم به.

فحمد علي عليه السلام الله و أثنى عليه و قال: أما بعد فإن الله وارث العباد و البلاد و رب السماوات و الأرضين السبع و إليه ترجعون يؤتى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء. أما الدبره فإنها على الضالين العاصين ظفروا أو ظفر بهم. و أيم الله إني لأسمع كلام قوم ما أراهم يريدون أن يعرفوا معروفًا و لا ينكروا منكرًا.

فقام إليه معقل بن قيس اليربوعي ثم الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء و الله ما أتوك بنصح و لا دخلوا عليك إلا بغش فاحذرهم فإنهم أدنا العدو.

فقال له مالك بن حبيب: يا أمير المؤمنين أنه بلغني أن حنظله هذا يكاتب معاويه فادفعه إلينا نجسه حتى تنقضي غزاتك ثم تنصرف.

و قام إلى علي عليه السلام عياش بن ربيعه و قائد بن بكير العبسيان فقالا: يا أمير المؤمنين إن صاحبنا عبد الله بن المعتم قد بلغنا أنه يكاتب معاويه فاحسبه أو أمكننا منه نجسه حتى تنقضي غزاتك و تنصرف.

فأخذا (يعني ابن المعتم و حنظله الكاتب) يقولان: هذا جزاء من نصركم و أشار عليكم بالرأى فيما بينكم و بين عدوكم.

فقال لهما علي عليه السلام: الله بيني و بينكم و إليه أكلكم و به أستظهر عليكم اذهبوا حيث شئتم.

ثم بعث علي عليه السلام إلى حنظله بن الربيع المعروف بحنظله الكاتب و هو من الصحابه فقال: يا حنظله أعلني أم لي؟ قال: لا عليك و لا لك. قال: فما تريد؟ قال: اشخص إلى الرها فإنه فرج من الفروج أصمد له حتى ينقضي هذا الأمر؛ فغضب من ذلك خيار بنى عمرو بن تميم و هم رهطه. فقال: إنكم و الله لا تغروني من ديني دعوني فأنا أعلم منكم. فقالوا: و الله لئن لم تخرج مع هذا الرجل لا ندع

فلاينه يخرج معك لام ولده و لا ولدها و لئن أردت ذلك لنقتلنك فأعانه ناس من قومه فانتزلوا سيوفهم، فقال: أجلوني حتى أنظر فدخل منزله و أغلق بابه حتى إذا أمسى هرب إلى معاويه و خرج من بعده إليه من قومه رجال كثير، و لحق ابن المعتّم أيضا حتى أتى معاويه و خرج معه أحد عشر رجلا من قومه، و أمّا حنظله فخرج بثلاثه و عشرين رجلا من قومه و لكنهما لم يقاتلا مع معاويه و اعتزلا الفريقين جميعا فقال حنظله حين خرج إلى معاويه:

يسلّ عواه عند بابى سيوفها و نادى مناد فى الهجيم لأقبلا

سأتركم عودا لأصعب فرقه إذا قلتكم كلاً يقول لكم بلا

قال: فلما هرب حنظله أمر على عليه السلام بداره فهدمت هدمها عزيفهم بكر بن تميم و شبت بن ربيعى.

كلام عدى بن حاتم الطائى له عليه السلام

نصر: عمر بن سعد، عن سعد بن طريف، عن أبى المجاهد، عن المحلّ بن خليفه قال: قام عدى بن حاتم الطائى فبدأ فحمد الله بما هو أهله و أتنى عليه ثم قال:

يا أمير المؤمنين ما قلت إلا بعلم و لا دعوت إلا إلى حقّ و لا أمرت إلا برشد فان رأيت أن تستأنى هؤلاء القوم و تستديمهم حتى يأتيهم كتبك و يقدم عليهم رسلك فعلت فإن يقبلوا يصيبوا و يرشدوا و العافيه أوسع لناولهم و إن يتمادوا فى الشقاق و لا ينزعوا عن الغى فسر إليهم و قد قدّمنا إليهم العذر و دعوناهم إلى ما فى أيدينا من الحقّ فوالله لهم من الله أبعد و على الله أهون من قوم قاتلناهم بناحيه البصره أمس لما أجهدنا لهم الحقّ فتركوه ناوحناهم براكاء القتال حتى بلغنا منهم ما نحب و بلغ الله منهم رضاه فيما يرى.

كلام زيد بن حصين الطائى له عليه السلام

فقام زيد بن حصين الطائى و كان من أصحاب البرانس المجتهدين فقال:

الحمد لله حتى يرضى و لا إله إلا الله ربنا و محمّد رسول الله صلّى الله عليه و اله نبينا أمّا بعد فوالله لئن كنّا فى شكّ من قتال من خالفنا لا يصلح لنا التّيه فى قتالهم حتى نستديمهم

و نستأنهم ما الأعمال إلا فى تباب و لا السعى إلا فى ضلال و الله يقول: «و أما بنعمه ربك فحدث» إنا و الله ما ارتبنا طرفه عين
فيمن يبتغون دمه فكيف بأتباعه القاسيه قلوبهم، القليل فى الاسلام حظهم، أعوان الظلم، و مسددي أساس الجور و العدوان ليسوا
من المهاجرين و لا الأنصار و لا التابعين باحسان.

فقام رجل من طيء فقال: يا زيد بن حصين أكلام سيدنا عدى بن حاتم تهجن؟ قال: فقال: ما أنت بأعرف بحق عدى منى و لكن
لا- أذع القول بالحق و إن سخط الناس، قال: فقال عدى بن حاتم: الطريق مشترك و الناس فى الحق سواء فمن اجتهد رأيه فى
نصيحه العامه فقد قضى الذى عليه.

كلام أبى زيب بن عوف له عليه السلام

نصر عمر بن سعد، عن الحراث بن حصيره (حصين - خ ل) قال: دخل أبو زيب بن عوف على على عليه السلام فقال: يا أمير
المؤمنين لئن كنا على الحق لأنت أهدانا سيلا و أعظمتنا فى الخير نصيبا و لئن كنا فى ضلاله انك لأثقلنا ظهرا و أعظمتنا وزرا
أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو و قد قطعنا ما بيننا و بينهم من الولايه و أظهرنا لهم العداوه نريد بذلك ما يعلم الله و فى أنفسنا من
ذلك ما فيها؛ أليس الذى نحن عليه الحق المبين؛ و الذى عليه عدونا الغي و الحوب الكبير؟ فقال على: شهدت أنك إن مضيت
معنا ناصرا لدعوتنا صحيح التيه فى نصرتنا قد قطعت عنهم الولايه و أظهرت لهم العداوه كما زعمت فانك ولى الله تسبح فى
رضوانه و تركض فى طاعته فأبشر أبا زيب.

فقال له عمّار بن ياسر: اثبت أبا زيب و لا تشك فى الأحزاب عدو الله و رسوله قال: فقال أبو زيب ما احب أن لى شاهدين من
هذه الأمه فيشهدا لى على ما سألت عنه من هذا الأمر الذى أهمنى مكانكما. قال: و خرج عمّار و هو يقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبى سيروا فخير الناس أتباع على

هذا أوان طاب سلّ المشرفى و قودنا الخيل و هزّ السمهري

كلام يزيد بن قيس الأرحبي

عمر بن سعد، عن أبي روق قال: دخل يزيد بن قيس الأرحبي على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين نحن على جهاز و عده و أكثر الناس أهل التقوى و من ليس بمضعف و ليس به عله فمر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيله فإن أخوا الحرب ليس بالسؤم و لا التؤم و لا من إذا أمكنه الفرص أجلها و استشار فيها و لا من يؤخر الحرب في النوب إلى غد و بعد غد.

كلام زياد بن النضر له عليه السلام

فقال زياد بن النضر: لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس و قال ما يعرف فتوكل على الله و ثق به و اشخص بنا إلى هذا العدو راشدا معانا فإن يرد الله بهم خيرا لا يدعوك رغبة عنك إلى من ليس مثلك في السابقه مع النبي صلى الله عليه و اله و القدم في الإسلام و القرابه من محمد صلى الله عليه و اله و إلا ينيبوا و يقبلوا و يأبوا إلا حربنا نجد حربهم علينا هينا و رجونا أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

كلام عبد الله بن بديل له عليه السلام

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين إن القوم لو كانوا الله يريدون أو لله يعملون ما خالفونا و لكن القوم إنما يقاتلون فرارا من الاسوه و حبا للأثره و ضنا بسلطانهم و كرها لفراق دنياهم التي في أيديهم و على إحن في أنفسهم و عداوه يجدونها في صدورهم لوقايح أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمه قتلت فيها آباءهم و إخوانهم.

ثم التفت إلى الناس فقال: فكيف يبائع معاويه عليا و قد قتل أخاه حنظله و خاله الوليد و جدّه عتبه في موقف واحد و الله ما أظن أن يفعلوا و لا يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهم المران و تقطع على هامهم السيوف و تنثر حواجبهم بعمد الحديد و تكون امور جمه بين الفريقين.

و منعه عليه السلام اياهم عن السب

نصر: عمر بن سعد، عن عبد الرحمن، عن الحارث بن حصيره، عن عبد الله ابن شريك قال: خرج حجر بن عدى و عمرو بن الحمق يظهر ان البراءه و اللعن من أهل الشام فأرسل إليهما على عليه السلام أن كفّاعما يبلغنى عنكما فأتياه فقالا يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين؟ قال: بلى، قالوا فلم منعنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين تشتمون و تتبرّون و لكن لو وصفتم مساوى أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا و كذا كان أصوب فى القول و أبلغ فى العذر و قلتم مكان لعنكم إياهم و براءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا و دماءهم و اصلح ذات بيننا و بينهم و اهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ منهم من جهله، و يرعوى عن الغيّ و العدوان من لهج به كان هذا أحبّ إلى و خيرا لكم.

فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك و نتأدّب بأدبك.

و قال عمرو بن الحمق: إني و الله يا أمير المؤمنين ما أحببتك و لا- بايعتك على قرابه بينى و بينك و لا إرادته مال تؤتينه و لا التماس سلطان برفع ذكرى به و لكن أحببتك لخصال خمس: إنك ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه و اله، و أوّل من آمن به، و زوج سيده نساء الامّه فاطمه بنت محمّد صلّى الله عليه و اله، و أبو الدرزيه التى بقيت فينا من رسول الله صلّى الله عليه و اله، و أعظم رجلا- من المهاجرين سهما فى الجهاد، فلو أنّى كلفت نقل الجبال الرواسى، و نزع البحور الطوامى حتّى يأتى على يومى فى أمر أقوى به وليك و أوهن به عدوك ما رأيت أنّى قد أدّيت فيه كلّ الذى يحقّ على من حقك.

فقال أمير المؤمنين على عليه السلام: اللهم نور قلبه بالتقى و اهده إلى صراط مستقيم ليت أنّ فى جندي مائه مثلك.

فقال حجر: إذا و الله يا أمير المؤمنين صحّ جندك، و قلّ فيهم من يغشك ثم قام حجر فقال: يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب و أهلها الذين... (1)

ص: ٣٤

و نتجها قد ضارسنا و ضارسناها و لنا أعوان ذو صلاح و عشيره ذات عدد، و رأى مجزّب و بأس محمود، و أزمّتنا منقاداه لك بالسمع و الطاعه، فان شرقت شرقنا، و إن غربت غربنا، و ما أمرتنا به من أمر فعلناه.

فقال عليّ عليه السّلام: أكلّ قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيت منهم إلّا حسنا و هذه يدي عنهم بالسمع و الطاعه و بحسن الإجابة، فقال له عليّ عليه السّلام خيرا.

قال نصر: و في حديث عمر بن سعد قال: و كتب عليّ عليه السّلام إلى عمّاله:

فكتب إلى مخنف بن سليم و كان عامله عليه السّلام علي اصفهان و همدان كتابا و هو قوله عليه السّلام:

كتابه عليه السلام الي مخنف بن سليم و قد كان عامله عليه السلام

علي اصفهان و همدان

و هذا الكتاب لم يأت به الرضى رضوان الله عليه فى النهج سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبه عنه و هبّ فى نعاس العمى و الضلال اختيارا له فريضه على العارفين إنّ الله يرضى عمّن أرضاه و يسخط على من عصاه و إنّنا قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا فى عباد الله بغير ما أنزل الله و استأثروا بالفىء و عطّلوا الحدود و أماتوا الحقّ و أظهروا فى الأرض الفساد و اتخذوا الفاسقين و ليجه من دون المؤمنين فإذا وليّ الله أعظم أحداثهم أبغضوه و اقصوه و حرّموه؛ و إذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبّوه و أدنوه و برّوه فقد أصرّوا على الظلم و أجمعوا على الخلاف و قديما ميا صدّوا عن الحقّ، و تعاونوا على الإثم و كانوا ظالمين فإذا اتيت بكتابتى هذا فاستخلف على عملك أو ثق أصحابك فى نفسك و أقبل إلينا لعلّك تلقى هذا العدوّ المحل فتأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر و تجامع الحقّ و تباين الباطل فإنّه لا غناء بك و لا بك عن أجر الجهاد و حسبنا الله و نعم الوكيل و لا حول و لا قوه إلّا بالله العليّ العظيم، و كتب عبد الله بن أبى رافع سنه سبع و ثلاثين.

قال نصر: فاستعمل مخنف على اصبهان الحرث بن أبي الحرث بن الربيع، واستعمل على همدان سعيد بن وهب و كلاهما من قومه و أقبل حتى شهد مع عليّ عليه السّلام صفين.

كتابه عليه السلام الى عبد الله بن عباس و قد كان عامله على البصره

و هذا الكتاب أيضا ليس فى النهج قال نصر: و كان عليّ عليه السّلام قد استخلف ابن عباس على البصره فكتب عبد الله بن عباس إلى عليّ عليه السّلام يذكر له اختلاف أهل البصره فكتب إليه عليّ عليه السّلام:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس أمّا بعد فالحمد لله ربّ العالمين و صلّى الله على سيّدنا محمّد عبده و رسوله أمّا بعد فقد قدم عليّ رسولك و ذكرت ما رأيت و بلغك عن أهل البصره بعد انصرافى و ساخبرك عن القوم هم من بين مقيم لرغبه يرجوها أو عقوبه يخشاها فأرغب راغبهم بالعدل عليه و الانصاف له و الاحسان إليه، و حلّ عقده الخوف عن قلوبهم فأنه ليس لامراء أهل البصره فى قلوبهم عظم إلاّ قليل منهم و انته إلى أمرى و لا تعده، و أحسن إلى هذا الحى من ربيعه و كلّ من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت إن شاء الله و السلام. و كتب عبد الله بن أبى رافع فى ذى القعدة سنه سبع و ثلاثين.

كتابه عليه السلام الى الاسود بن قطنه

و كتب إلى الأسود بن قطنه: أمّا بعد فإنّه من لم ينتفع بما وعظ لم يحذر ما هو غابر و من أعجبتّه الدّنيا رضى بها و ليست بثقه فاعتبر بما مضى تحذر ما بقى و اطبخ للمسلمين قبلك من الطّلاء ما يذهب ثلثاه و أكثر لنا من لطف الجند و اجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجند فإنّ للولدان علينا حقًا، و فى الذريّه من يخاف دعائه و هو لهم صالح و السلام.

أقول: هذا الكتاب ليس بمذكور فى النهج أيضا و قد يأتى كتاب آخر له عليه السّلام إلى الأسود بن قطنه، و هو الكتاب ٥٩. و جاء بعض النسخ قطيبه، و الاخر:

قطبه.

، وهذا الكتاب أيضا لا يوجد في النهج قال نصر: وكتب عليه السلام إلى عبد الله بن عامر: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر، أميا بعد فإن خير الناس عند الله عز وجل أقومهم لله بالطاعة فيما له و عليه و أقولهم بالحق و لو كان مراً فإن الحق به قامت السماوات و الأرض و لتكن سريرتك كعلانيتك؛ و ليكن حكمك واحدا، و طريقتك مستقيمه فإن البصره مهبط الشيطان فلا تفتحن على يد أحد منهم بابا لا نطق سده نحن و لا أنت و السلام.

و كتب إلى عبد الله بن عباس - إ.خ. هذا الكتاب هو الذي أتى به الرضى رضوان الله عليه فى موضعين الأول هو الكتاب ٢٢ أوله: أما بعد فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته - إ.خ. و الثانى هو الكتاب ٦٦ أوله: أما بعد فإن المرء ليفرح بالشىء الذى لم يكن ليفوته و إنما ذكره مرتين لاختلاف الروايه فى صورته و سيأتى شرحه فى محله بعون الله تعالى.

قال نصر: و كتب عليه السلام إلى امراء الخراج: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى امراء الخراج: أما بعد فإنه من لم يحذر ما هو صائر إليه - إ.خ. و هو الكتاب ٥١ من النهج و سيأتى تفصيله و شرحه إنشاء الله تعالى.

قال نصر: و كتب إلى معاويه - إ.خ. و هو الكتاب العاشر من النهج الذى نحن بصدد شرحه.

و كتب إلى عمرو بن العاص - إ.خ. و هو الكتاب ٤٩ من النهج أوله: فإن الدنيا مشغله عن غيرها - إ.خ. و سيأتى شرحه إنشاء الله تعالى فقد آن لنا أن نرجع إلى شرح جمل الكتاب:

قوله عليه السلام: «بسم الله - إلى قوله: بأهلها» و عطف عليه السلام معاويه بعد تسميه الله و تحميده بأن الدنيا منقضيه متصرمه و متصرفه بأهلها أنحاء التصرف فقد أشابت الصغير و أفنت الكبير و أبنائها فيها كأنما قد قضوا نحبهم و انصرفت آجالهم فإن

الموت قريب، و الدنيا دار مقرّ. و ليس الناس للدنيا خلقوا؛ و بالجمله أنّه عليه السّلام وعظه و ذكره بمرور الدنيا و تصرّمها بأهلها لعلّ العظه و التذكرة تنفعانه، و لكن معاويه زين له الحياه الدّنيا و صار قلبه أشدّ قسوه من الحجاره فأنى له أن يدكّر، و ينفعه نصحه عليه السّلام، قال عزّ من قائل فى سورة الأعلى: «فَدَكَّرْ إِنَّ نَفَعَتِ الذُّكْرَى سَيَدَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَ يَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيَى».

قوله عليه السّلام: «و خير ما بقى من الدّنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى» هذه عظه اخرى له. و كلمه من الجاره صلّه بقى لا- أنّها بيانيه تبين ما، و ما الثانيه خبر خير، و العباد فاعل أصاب، و الضمير العائد إلى ما الثانيه محذوف أى ما أصابه العباد لأنّه يجوز حذف العائد المنصوب إذا كان متصلا منصوبا و ناصبه فعل أو وصف غير صلّه الألف و اللام نحو يعلم ما يسرّون و ما يعلنون أى يسرّونه و يعلنونه. و لم يبين ما الثانيه ليذهب نفس السامع إلى كلّ مذهب خير و رأسه التقوى كما أتى بها فى نسخه الشارح المعتزلى. و ما الثالثه يمكن أن تفسّر إمّا بالزمان أى فى الزّمان الّذى مضى من عمرهم، قال تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أَقْرَأُ كِتَابِيهِ» - إلى قوله: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» (الحاقه ٢٠-٢٥) أو بالامور و الأفعال و نحوهما أى فى بين الامور الّتى مضت منهم و صدرت عنهم فتذكير الفعل على هذا الوجه باعتبار ظاهرها.

قوله عليه السّلام: «و من نسى الدّنيا نسيان الاخره يجد بينهما بونا بعيدا» كانت نسخه الشارح المعتزلى: «من يقس الدّنيا بالاخره يجد بينهما بونا بعيدا» و معناها واضح و الغرض أنّ العاقل لا يبيع الدار الباقيه بالفانيه و لا يخرب الاولى لأجل الثانيه قال عزّ من قائل: «إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا» (الدّهر - ٢٨).

و أمّا نسخه الاخرى فمعناه أنّ من زهد فى الدّنيا مثل من زهد فى الاخره يجد بين الدّنيا و الاخره بونا بعيدا، أى يجد ذلك الذى ترك الدّنيا بينه و بين

من ترك الآخرة في الآخرة بونا بعيدا فإنَّ الأوَّل له درجات عند ربِّه و الثاني ينسى في الآخرة؛ قال تعالى: «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا وَ عَزَّوْهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ» (الأعراف - ٥١).

أو يقال: من نسي حظوظ الدُّنيا و ترك الشهوات النفسانيَّة لأجل أن لا ينسى في الآخرة فيجد بينهما بونا بعيدا، و لعلَّ غيرى يفهم معنى آخر أدقَّ و أطف مَّا تبادر إليه ذهنى.

و معلوم أنَّ غرضه عليه السَّلام ترغيب معاويه فى ما ينفعه؛ و تحذيره مِّمَّا يوجب نكال الآخرة. و نقل العبارة الشارح البحرانى هكذا: «و من نفس الدُّنيا بشأن الآخرة - إلخ» و الظاهر أنَّ نفس فى نسخته تحريف يقس؛ لأنَّ نفس ثلاثيا أو مزيدا لم يجىء لمعنى يناسب المقام، أو أنه تحريف ينسى.

قوله عليه السَّلام: «و اعلم يا معاويه - إلى قوله: من رسول الله» يعنى أنَّ معاويه ادَّعى مقام الخلافة و الإمامه و ليس من أهله و ذلك لأنَّ هذا المقام هو خلافة الله و خلافة الرسول و لا بدَّ لمن يدَّعيه شاهد من كتاب الله و عهد من الرسول و قد قدَّمنا طائفه من البحث عن الخلافة و أوصاف الإمام فى شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب و قد حررنا هناك أنَّ الإمام يجب أن يكون منصوبا من عند الله تعالى، و معصوما من الذنوب مطلقا لما دريت أن ذلك المقام عهد الله و لا ينال عهده الظالمين فراجع.

و قوله عليه السَّلام: و لا لك عليه شاهد من كتاب الله، و لا عهد تدَّعيه من رسول الله؛ صريح بأنَّ الخلافة ليست زعامه عاديه عاميه تثبت بالشورى؛ بل هى رئاسه عامه إلهيه فى امور الدِّين و الدُّنيا و الفاتر بهذا المنصب الالهى إنَّما يفوز به بنصَّ الله تعالى و رسوله.

ثمَّ إنَّ معنى العبارة على نسخه الفاضل الشارح أعنى قوله عليه السَّلام: «أنك قد ادَّعيت أمرا لست من أهله لا فى القديم و لا فى الحديث» يبين لا يحتاج إلى التفسير و أمَّا على النسخة الاخرى أعنى قوله عليه السَّلام: «أنك قد ادَّعيت أمرا لست من أهله

لا فى القدم ولا فى الولاية» فلعلّ معناها: أنّك ادّعت أمر الخلافه لست من أهله لا فى القديم على أن يقرأ القدم بكسر القاف و فتح الدال بمعنى مقابل الحدوث، و يحتمل بعيدا أن يقرأ بفتحهما نحو قوله الاتى فى هذا الكتاب: بغير قدم سابق، و نحو ما مضى منه عليه السّلام فى الكتاب السابق: إذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى. و لا- فى الولاية بكسر الواو أى الإمارة لأنّ الولاية الإلهيّة تلزم التدبير و العلم بالدين و سائر ما يجب أن يكون صاحب هذه الرتبة واجدها و منها أن يكون وليّ العهد بنصّ الله تعالى و رسوله و لم تكن لمعاويه الولاية. و لعلّ حرف التعريف فيها يشير إلى أنّ الولاية المعهوده يجب أن تكون لخليفه رسول الله صلّى الله عليه و اله و يؤيد ما فسّرنا قول عمّار بن ياسر فى صفين حيث قال: أيّها النّاس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبعون دم ابن عفّان - إلى قوله: و لم يكن للقوم (يعنى بهم معاويه و أتباعه) سابقه فى الإسلام يستحقّون بها طاعه النّاس و الولاية عليهم فخذعوا أتباعهم، إلى آخر ما رويانا عن الطبرى فى ص ٢٨٦ ج ١٥ و رواه نصر أيضا فى كتاب صفين ص ١٦٥ من الطبع الناصرى.

و أظنّ أنّ الأصل فى الموضوعين هو النسخه التى نقلناها عن نصر و التى نقلها الشارح المذكور عنه مصحّفه و ذلك أنّ نسختنا لا تخلو من اعضاء و غرابه و لما لم يكن الذهن يستأنس بها فى جلّى النظر حرّفت إلى ما ترى كما هو دأب النّاس فى ماله غرابه.

قوله عليه السّلام: «فكيف أنت صانع إذا - إلى قوله: فأطعتها» العبارة فى نسخ النهج المذكوره بالواو مكان الفاء أى «و كيف أنت صانع» و الصواب الفاء دون الواو و ذلك لأنّ العبارة متفرّعه على ما قبلها و الفاء هذه فصيحته تنبىء عن محذوف يدلّ عليه ما قبلها أى إذا لم يكن لك فى ادّعائك هذا الأمر شاهد من كتاب الله، و لا عهد من رسول الله صلّى الله عليه و اله، و لا أمر بين تعرف لك به أثره فكيف أنت صانع - إلخ.

أى فما ذا تفعل إذا ارتفعت و زالت عنك ما كانت تغطيك و تواريك من جلايب ما أنت فيه من دنيا فبقيت مكشوفاً غير مستور منها.

و الغرض أنّ معاويه لم يكن له هذا الشأن العظيم الإلهى إلاّ أنّ الدنيا

فتنته بزيتها و غرته و خدعته فتجاوز عن حده فادعى ما لم يكن له و كأنه عليه السلام أشار بقوله جلابيب حيث أتى بلفظ الجمع إلى كثره اغتراره من الدنيا و توغله فيها و إحاطتها به كأن خدعتها إياه في كل مره كانت ملحفه غشيته. و بقوله: فأجبتها فاتبعتها، فأطعتها؛ إلى أنه استغشى ثيابها أيضا.

ثم إن من تصدى لخدعه الغير لا- بد له من أن يلبس الباطل في ثياب الحق و يزين المنكر و يزخرفه حتى يزور عليه الأمر فيصطاده بتلك الشرك المموهه؛ و لذا قال عليه السلام: قد تبهجت بزيتها و خدعت بلدتها.

قوله عليه السلام: «وإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا- ينجيك منه مجن» أجرى عليه السلام المخاطب مجرى الغافل عن شيء ثم أخبره بذلك الشيء كقول الشاعر:

جاء شقيق عارض رمحه إن بنى عمك فيهم رماح

و ذلك لأن أعمال معاويه تشبه عمل من لم يقر بالموت و لم يدعن بالحساب و الجزاء فأخبره تذكيرا له بأن مطالعا يطلع عن قريب على ما لا يتقى منه بترس و لا ينجيه منه منج. و لم يبين كلمه ما ليعم الموت و ما يتبعه من أحوال ما بعد الموت و أهواله. و ما لزم معاويه مما اكتسبها من معاصي الله و التجاوز عن حدوده فأنها صارت رينا على قلبه فما له من محيص قال عز من قائل: «ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (البقره - ٢٨٠) و قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» و الظاهر أن المراد من الواقف هو الله تعالى، أو ملك الموت؛ أو الموت، أو أنه عليه السلام أراد به نفسه و يخبره عن عواقبه النازله عليه في صفتين كقوله عليه السلام في ذيل هذا الكتاب: كأتى قد رأيتك تضج من الحرب - إلخ. و إن كان الأخير لا يناسب سياق الكلام.

قوله عليه السلام: «فاقعس عن هذا الأمر» الفاء فصيحه و أخذ عليه السلام أن ينقره

و يحذّره من سوء أعماله أى إذا كان الموت آتيك عن قريب و أنت رهين ما اكتسبت فتأخر عمّا تدّعيه و اقطع الرجاء منه و أمسك عن أباطيلك، و تنحّ عن أضاليلك.

قوله عليه السّلام: «و خذ أهبة الحساب» عطف على قوله اقعس، أى تأهب و استعدّ لحسابك يوم يقوم النّاس لربّ العالمين قال تعالى: «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ» (الأنبياء - ٢) و قال عزّ من قائل. «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» (الغاشية: ٢٥).

قوله عليه السّلام: «و شمّر لما قد نزل بك» عبر ما يأتى بلفظ الماضى لتحقق وقوعه عن قريب حتّى كأنه وقع. ثمّ إنّ عليه السّلام خوّفه من سوء ماله و نكال مابه فى الاخره بقوله شمّر لما قد نزل بك أى تهيّأ لأمر هائل و خطب عظيم لما قد دريت من مباحثنا السالفه انه يقال: فلان شدّ عقد إزاره، أو كشف عن ساقيه أو شمّر عن ساقيه، أو شمّر ذيله، أو نحوها إذا تهيّأ لأمر هائل و خطب عظيم و فطيع.

و يمكن أن يكون مراده عليه السّلام بقوله هذا تهديده و إنذاره من عواقبه و إخباره بما ينزل به و يفضحه فى وقعه صفيين كقوله عليه السّلام له فى ذيل كتابه هذا: فكأنّى قد رأيتك تضحّج من الحرب - إلخ. و لكن المعنى الأوّل أوفق بسياق الكلام.

قوله عليه السّلام: «و لا تمكّن الغواه من سمعك» يقال مكّنه و أمكنه من الشىء إذا جعل له عليه سلطانا و قدره. أى لا تسلّطهم على سمعك و لا تسمع منهم ما يوحون إليك و لا تشاورهم فإنهم يغوونك فيردونك لأنّ أتباع الاراء الباطله مرديه و ذلك لأنّ بعد الحقّ ليس إلا الضلال.

و من هؤلاء الغواه عبيد الله بن عمر لما علمت فى شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب و شرح المختار الأوّل من باب الكتب أنّ عمر لما ضرب فى غلس الصبح و اشتبه الأمر فى ضاربه سمع ابنه عبيد الله قوما يقولون قتله العليّ فظنّ أنّهم يعنون الهرمزان فبادر عبيد الله إليه فقتله قبل أن يموت عمر؛ فسمع عمر بما فعل ابنه فقال: قد أخطأ عبيد الله إنّ الذى ضربنى أبو لؤلؤه و إن عشت لأقيدنه به فإنّ عليّاً لا يقبل منه الديه و هو موليه. فلما مات عمر و تولّى عثمان طالبه علىّ عليه السّلام

بقود عبيد الله و قال: إنّه قتل مولاى - يعنى الهرمزان - ظلما و أنا وليه، فقال عثمان:

قتل بالأمس عمر و اليوم تقتل ابنه حسب آل عمر مصابهم به و امتنع من تسليمه إلى علىّ. و قال علىّ: لئن أمكننى الدهر منه يوما لأقتلنه به فلمّا ولى علىّ عليه السّلام هرب عبيد الله إلى الشام و التجأ إلى معاويه و خرج معه إلى حرب صفيين فقتله علىّ عليه السّلام فى حرب صفيين.

و منهم ذو الكلاع، و منهم مروان بن الحكم طريد رسول الله صلّى الله عليه و اله؛ و منهم عمرو بن العاصى و كثير ممّن أشرنا إليهم فى الشروح السالفه قد استحبوا الدّنيا و أسروا الكفر و جعلوا قتل عثمان عرضه لأغراضهم النفسانيه و أهوائهم الشيطانيه فخذعوا أتباعهم بقولهم قتل امامنا مظلوما.

قوله عليه السّلام: «و إلاّ تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك» أى إن لا تردع نفسك عن الغيّ و الضلال و لا تتأخّر عن هذا الأمر العذى تدعيه و لا- تتعظ بما و عظتك به و لا تفعل ما أمرتك فأنّى اعلم نفسك التى أهملتها و تركتها. و إهمال النفس إرخاء عنانها و إرسالها فيما تشاء و عدم روضها فى طاعه الله، و لا يخفى على عاقل أنّ النفس أبيت العنان و لا تنقاد لحكم العقل إلاّ أن تروض و تمنع ممّا تهويه و تشتيه فلو أهملت و لم تلجم لسلكت طريقه عمياء فأنّها أماره بالسوء، فطوبى لامرئ ألجم نفسه و أمسكها عن معاصى الله و قادها إلى طاعته تعالى.

و لم يبيّن عليه السّلام متعلّق الإعلام أعنى أنّه لم يقل بماذا يعلمه ليعمّ جميع تبعاتها. يعنى أنّك إن لم تنته عن أباطيلك و لم تمتثل أمرى لاذيقنك حرّ السيوف و شراره الموت حتّى تعلم نفسك ما كانت عليها من الأوزار التى اكتسبتها بإهمالك إيّاها.

و يمكن أن يكون من نفسك متعلّق أغفلت فعلى متعلّق الاعلام مذكور لكنه مبهم فيندرج فى حكم الأوّل.

قوله عليه السّلام: «فأنك مترف - إلى قوله: و الدّم» الظاهر من سياق العبارة

دالّ على أنّ الفاء تعليليّه لقوله عليه السّلام: اعلمك؛ لا- لقوله: أغفلت. أى اعلمك نفسك المهمله لأنك ممّن أطغته النعمه و استكّن فيه الشيطان و تسلّط عليه و فعل فيه ما شاء من الامال و الأهواء، و جرى فيه مجرى الروح و الدّم، و المراد أنّ معاويه تجاوز عن حدود الله بترّفه فلا بدّ للامام المبسوط اليد من أن يسدّه عن التجاوز إمّا بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر أوّلاً، و إمّا بحرّ الأسنّه و السيوف إن لم ينته عن التجاوز ثانياً و لذا قال عليه السّلام: و إلّا تفعل اعلمك - إلخ.

و قوله عليه السّلام: و جرى منك مجرى الروح و الدّم إشاره إلى ما روى عن رسول الله صلّى الله عليه و اله: إنّ الشيطان ليجرى من بنى آدم مجرى الدّم. و حمل الروح على معنى الروح البخارى أولى من حمله على النفس الناطقه المجرّده لمكان مجرى و ذلك لأنّ للنفس الناطقه تعلق تدبير و تصرف للبدن و لا يقال إنّها جاريه فيه بخلاف الروح البخارى فأنّه ليس بمجرّد بل جسم لطيف.

قوله عليه السّلام: «و متى كنتم - إلى قوله: سوابق الشقاء» هذا استفهام انكار، و قد قدّمنا فى مباحثنا السالفه أنّ الفائز برتبه الخلافه يجب أن يكون فى جميع الصفات الكماليه أفضل من غيره طول عمره، فلو كان لغيره سابقه الشرف و التقدّم فى الامور لم يكن له أهليّته ذلك المقام.

و قوله عليه السّلام: «بغير قدم سابق و لا شرف باسق» استفهام على سبيل التقريع و التعنيف و العتاب و الانكار أى هل كنتم ساسه الرعيه و ولاه أمر الامّه بغير قدم سابق يعنى أنّى يكون كذلك أن يلى أحد امور الامّه بغير قدم سابق و لا شرف سابق؟.

و قوله عليه السّلام: «و نعوذ بالله - إلخ» كأنّما يشير إلى ما جرى فيه القضاء الإلهى من لزوم سوابق الشقاء فأنّه لا يبدّل و لا يغيّر و نعم ما قال الخواجه عبد الله الأنصارى بالفارسيّه: إلهى همه از آخر ترسند و عبد الله از أول زيرا آنچه رفته در أول، در آخر نمى شود مبدّل.

قوله عليه السّلام: «و احذرک أن تكون متماديا فى غره الأمنيه» أى اخوّفک من

أن تدوم و تستمرّ في غفله الامال الباطله و الأهواء المرديه كاذّ عائه الخلافه. أى انته عنه فانّ عاقبته و خيمه.

قوله عليه السّلام: «مختلف العلانيه و السريره» أى احذرك أن تكون منافقا، و معلوم أنّ المنافق أضربّ بالدّين من الكافر فإنّ من كان معلوم الحال يتقى منه؛ و المنافق يردّ الناس عن صراط الله القهقري يظهر الإيمان و يصير إلى الكفر. و كان لمعاويه في ذلك النصيب الأوفر.

و في الكافي بإسناده عن سعيد بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و اله: مثل المنافق مثل جذع النخل أراد صاحبه أن ينتفع به في بعض بنائه فلم يستقم له في الموضع العذى أراد فحوّله في موضع آخر فلم يستقم له و كان آخر ذلك أن أحرقه بالنّار.

رؤيه النبي صلى الله عليه و آله بنى اميه فى المنام على صور قروود

تصعد منبره و ترد الناس عن الاسلام القهقري

قال الفيض في تفسير الصافي عند قوله تعالى: «و ما جعلنا الرّؤيا التي أريناك إلا فتنة للنّاس و الشّجرة الملعونه في القرآن و نخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً» (الأسراء - 63):

العياشي عن الباقر عليه السّلام أنه سئل عن قوله تعالى: «و ما جعلنا الرّؤيا التي أريناك»؟ فقال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و اله ارى أنّ رجالا من بنى تيم و عدى على المنابر يردون النّاس عن الصراط القهقري؛ قيل: و الشجرة الملعونه؟ قال: هم بنو اميه.

و عن الصادق عليه السّلام مثله إلا أنه قال: رأى أنّ رجالا على المنابر يردون النّاس ضلالا رزيق و زفر.

أقول: و هما كنايةتان عن الأوّلين و تيم و عدى جدّاهما.

قال: و في روايه اخرى عنه عليه السّلام: أنّ رسول الله صلّى الله عليه و اله قد رأى رجالا من

نار على منابر من نار يردون الناس على أعقابهم القهقري؛ قال: ولسنا نسمي أحدا، و في اخرى: إننا لا نسمي الرجال و لكن رسول الله صلى الله عليه و اله رأى قوما على منبره يضلون الناس بعده على الصراط القهقري.

و في روايه اخرى قال: رأيت الليله صبيان بنى اميّه يرقون على منبرى هذا فقلت: يا ربّ معي؟ فقال: لا و لكن بعدك.

و في الكافي عن أحدهما عليهما السّلام: أصبح رسول الله صلى الله عليه و اله يوما كثيبا حزينا؛ فقال له عليّ عليه السّلام: مالى أراك يا رسول الله كثيبا حزينا؟ فقال: و كيف لا أكون كذلك و قد رأيت فى ليلتى هذه أنّ بنى تميم و بنى عدىّ و بنى اميّه يصعدون منبرى هذا يردون الناس عن الإسلام القهقري، فقلت، يا ربّ فى حياتى أو بعد موتى؟ فقال: بعد موتك.

أقول: معنى هذا الخبر مستفيض بين الخاصّه و العامّه إلا أنّ العامّه رووا تاره أنّه رأى قوما من بنى اميّه يرقون منبره و ينزون عليه نزو القرده فقال هو حظهم من الدّنيا يعطونه بإسلامهم:

و اخرى أنّ قرودا تصعد منبره و تنزل فساءه ذلك و اغتمّ به.

و القمى قال: نزلت لما رأى النّبىّ صلى الله عليه و اله فى نومه كأنّ قرودا تصعد منبره فساءه ذلك و غمّه غمّا شديدا فأنزل الله: و ما جعلنا الرؤيا الّتى أريناك إلاّ فتنه لهم ليعمّوها فيها و الشجره الملعونه كذا نزلت و هم بنو اميّه.

و العياشىّ عن الباقر عليه السّلام و ما جعلنا الرؤيا الّتى أريناك إلاّ فتنه لهم ليعمّوها فيها و الشجره الملعونه فى القرآن يعنى بنى اميّه.

و مضمرا أنّه سئل عن هذه الايه فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه و اله نام فرأى أنّ بنى اميّه يصعدون منبره يصدّون الناس كلّما صعد منهم رجل رأى رسول الله صلى الله عليه و اله الذلّه و المسكنه فاستيقظ جروعا من ذلك فكان الّذين رأهم اثنى عشر رجلا- من بنى اميّه فأتاهم فأتاه جبرئيل عليه السّلام بهذه الايه، ثمّ قال جبرئيل: إنّ بنى اميّه لا يملكون شيئا إلاّ ملكك أهل البيت ضعفيه.

و فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث قال: أما إنّ معاويه و ابنه سيلانها بعد عثمان ثمّ يليها سبعة من ولد الحكم بن أبى العاص و احدا بعد واحد يكمله اثنى عشر إمام ضلاله و هم الذين رأى رسول الله صلّى الله عليه و اله على منبره يردّون الامّه على أدبارهم القهقرى، عشره منهم من بنى اميه و رجلاّن أسّسا ذلك لهم و عليهما أوزار هذه الامّه إلى يوم القيامة.

و فى مقدّمه الصحيفه السجّاديّه عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه إنّ رسول الله صلّى الله عليه و اله أخذته نعسه و هو على منبره فرأى فى منامه رجالا- ينزون على منبره نزو القرده يردّون الناس على أعقابهم القهقرى فاستوى رسول الله صلّى الله عليه و اله جالسا و الحزن يعرف فى وجهه فأتاه جبرئيل بهذه الايه: «و ما جعلنا الرؤيا الّتى أريناك» الايه يعنى بنى اميه.

قال: يا جبرئيل أعلى عهدى يكونون و فى زمنى؟ قال: لا و لكن تدور رحى الاسلام من مهاجرىك فتلبث بذلك عشرا ثمّ تدور رحى الاسلام على رأس خمس و ثلاثين مر مهاجرىك فتلبث بذلك خمسا ثمّ لا بدّ من رحى ضلاله فى قائمه على قطبها ثمّ ملك الفراعنه، قال: و أنزل الله فى ذلك: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ مَا أَذْرَاكَ وَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» تملكها بنو اميه ليس فيها ليله القدر فأطلع الله نبيّه أنّ بنى اميه تملك سلطان هذه الامّه و ملكها و طول هذه الامّه فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن الله بزوال ملكهم و هم فى ذلك مستشعرون عداوتنا أهل البيت و بغضنا أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد و أهل مودّتهم و شيعتهم منهم فى أيّامهم و ملكهم.

أقول: إنّما أرى صلّى الله عليه و اله ردّ الناس عن الإسلام القهقرى لأنّ الناس كانوا يظهرون الإسلام و كانوا يصلّون إلى القبلة و مع هذا كانوا يخرجون عن الإسلام شيئا فشيئا كالذى يرتدّ عن الصراط السوى القهقرى و يكون وجهه إلى الحقّ حتّى إذا بلغ غايه سعيه رأى نفسه فى الجحيم.

و فى الاحتجاج عن الحسن بن علىّ عليهما السّلام فى حديث أنّه قال لمروان بن الحكم:

أمّا أنت يا مروان فلست أنا سببتك و لا سببت أباك و لكن الله عزّ و جلّ لعنك و لعن

أباك و أهل بيتك و ذريتك و ما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة على لسان محمد صلى الله عليه و اله؛ يا مروان ما تنكر أنت و لا- أحد ممن حضر هذه الامه من رسول الله صلى الله عليه و اله لك و لأبيك من قبلك و ما زادك الله يا مروان بما خوَّفك إلا- طغيانا كبيرا و صدق الله و صدق رسوله يقول الله تعالى: «و الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نَحْوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» و أنت يا مروان و ذريتك الشجرة الملعونه في القرآن.

عن رسول الله صلى الله عليه و اله و عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث و جعل أهل الكتاب القائمين به و العاملين بظاهره و باطنه من شجره أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها أى يظهر مثل هذا العلم لمحتلميه في الوقت بعد الوقت و جعل أعدائها أهل الشجرة الملعونه الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الايات التى بينت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه.

أقول: و فى قوله سبحانه: «فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» لطافه لا يخفى.

انتهى ما أتى به الفيض قدس سره فى هذا المقام من تفسيره.

جميع ملك بنى اميه كان ألف شهر كامله

لما انجز الكلام إلى ذكر الحديث فى أن ليله القدر خير من ألف شهر تملكها بنو اميه ليس فيها ليله القدر يعجبني أن أذكر مقدار المده من الزمان و ما ملكت فيه بنو اميه من الأعوام على التفصيل ليزداد القارى بصيره فى ما أخبره الله تعالى و رسوله و آل الرسول و قد ذكر المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ ه فى مروج الذهب (ص ١٩٨ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ ه): كان جميع ملك بنى اميه إلى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كامله لا تزيد و لا تنقص لأنهم ملكوا تسعين سنه واحد عشر شهرا و ثلاثه عشر يوما.

قال المسعودى: و الناس متباينون فى تواريخ أيامهم و المعول على ما نوره و هو الصحيح عند أهل البحث و من عنى بأخبار هذا العالم و هو أن معاويه بن أبى سفيان

ملك عشرين سنه، و يزيد بن معاويه ثلاث سنين و ثمانيه أشهر و أربعة عشر يوما، و معاويه ابن يزيد شهرا و أحد عشر يوما، و مروان بن الحكم ثمانيه أشهر و خمسه أيام، و عبد الملك بن مروان إحدى و عشرين سنه و شهرا و عشرين يوما، و الوليد بن عبد الملك تسع سنين و ثمانيه أشهر و يومين، و سليمان بن عبد الملك سنتين و ستّه أشهر و خمسه عشر يوما، و عمر بن عبد العزيز سنتين و خمسه أشهر و خمسه أيام، و يزيد بن عبد الملك أربع سنين و ثلاثه عشر يوما، و هشام بن عبد الملك تسع عشره سنه و تسعه أشهر و تسعه أيام، و الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنه و ثلاثه أشهر، و يزيد بن الوليد بن عبد الملك شهرين و عشره أيام و أسقطنا أيام إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك كاسقاطنا أيام إبراهيم بن المهدي أن يعدّ في الخلفاء العباسيين، و مروان بن محمّد بن مروان خمس سنين و شهرين و عشره أيام إلى أن بويع السّفاح فتكون الجمله تسعين سنه و أحد عشر شهرا و ثلاثه عشر يوما، يضاف إلى ذلك الثمانيه أشهر التي كان مروان يقاتل فيها بنى العباس إلى أن قتل فيصير ملكهم إحدى و تسعين سنه و تسعه أشهر و ثلاثه عشر يوما يوضع من ذلك أيام الحسن بن عليّ و هي خمسه أشهر و عشره أيام، و توضع أيام عبد الله بن الزبير إلى الوقت الذي قتل فيه و هي سبع سنين و عشره أشهر و ثلاثه أيام فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثا و ثمانين سنه و أربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء.

قال: و قد ذكر قوم إنّ تأويل قوله عزّ و جلّ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» ما ذكرناه من أيامهم. و قد روى عن ابن عباس أنّه قال: و الله ليملكنّ بنو العباس ضعف ما ملكته بنو اميّه باليوم يومين و بالشهر شهرين و بالسنه سنتين و بالخليفه خليفتين انتهى ما أردنا من نقل كلام المسعودي في المروج.

قوله عليه السّلام: «و قد دعوت إلى الحرب - إلى قوله: و المغطّى على بصره» أي قد دعوتنا إلى الحرب؛ و قد قدّمنا في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام نادى يا معاويه علام يقتل الناس بيني و بينك؟ هلّم

احاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الامور. وقد ذكرنا شعر الممتبى و حكاية سيف الدوله مع الأخشيد المناسبه للمقام فراجع إلى ص ٣١٦ ج ١٥.

و أفاد الشارخ المعتزلى فى المقام بقوله: و إنما قال أمير المؤمنين عليه السلام هذه الكلمه - يعنى: أيّنا المرين على قلبه و المغطى على بصره - لأنّ معاويه قالها فى رساله كتبها و وقفت عليها من كتاب أبى العباس يعقوب بن أبى أحمد الصيمرى الذى جمعه فى كلام على عليه السلام و خطبه و أولها أما بعد فإنّك المطبوع على قلبك المغطى على بصرك، الشرّ من شيمتك، و العتوّ من خليفتك، فشمرّ للحرب، و اصبر للضرب فو الله ليرجعنّ الأمر إلى ما علمت و العاقبه للمتقين؛ هيهات هيهات إحطاءك ما تمنى و هوى قلبك فيما هوى؛ فاربع على ظلعك و قس شبرك بفترك تعلم أين حالك من حال من تزن الجبال حلمه و يفصل بين أهل الشكّ علمه و السلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد يا ابن صخر، يا ابن اللعين؛ يزن الجبال فيما زعمت حلمك و يفصل بين أهل الشكّ علمك و أنت الجاهل القليل الفقه، المتفاوت العقل، الشارد عن الدّين، و قلت: فشمرّ للحرب و اصبر فإن كنت صادقاً فيما تزعم و يعينك عليه ابن النابغه، فدع الناس جانباً و اعف الفريقين من القتال و ابرز إلى لتعلم أيّنا المرين على قلبه، المغطى على بصره. فأنا أبو الحسن حقاً قاتل أخيك و خالك و جدّك شدخا يوم بدر و ذلك السيف معى و بذلك القلب ألقى عدوى.

قوله عليه السلام: «فأنا أبو حسن» كان يعرف و يكتنى عليه السلام بأبى حسن و من الأمثال السائره من صدر الاسلام إلى الان قولهم: قضيه لا أبا حسن فيها. و لم يأت بالألف و اللام فى ابنه رعايه للتواضع. و هضم النفس لا استصغاراً لابنه عليه السلام نعوذ بالله لأنّ حرف التعريف يدلّ على التعظيم و التجليل فما كان يعجبه عليه السلام ادخاله على اسم ابنه، و إن كان الأعداء يذكرونه بلا حرف التعريف احتقاراً فقد قال الشيخ الأجلّ أبو الفتح الكراجكى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ فى كتابه المترجم بكتاب التعجب (ص ٤٤ طبع ايران هـ ١٣٢٢):

و من عجيب أمرهم و ظاهر بغضهم لأهل البيت عليهم السّلام أنّهم إذا ذكروا الإمام الحسن بن عليّ عليه السّلام الّذى هو ولد رسول الله و ريحانته و قره عينه و الّذى نحله الإمامه و شهد له بالجنّه حذف من اسمه الألف و اللّام و يقال حسن بن عليّ و لأولاده أولاد حسن استصغارا و احتقارا لذكّره، ثمّ يقولون مع ذلك: الحسن البصرى فيثبتون فى اسمه الألف و اللّام إجلالا له و إعظاما و تفخيما لذكّره و إكراما و ذلك أنّ هذا البصرى كان متجاوزا عن ولايه أهل البيت عليهم السّلام و هو القائل فى عثمان قتله الكفّار و خذله المنافقون و لم يكن فى المدينه يوم قتله إلّا قاتل و خاذل فنسب جميع المهاجرين و الأنصار إلى الكفر و النفاق، و تخلف عن الامام الحسن بن عليّ بن أبى طالب عليهما السّلام ثمّ خرج مع قتيبه بن مسلم فى جند الحجاج إلى خراسان.

قوله عليه السّلام: «قاتل جدّك و خالك و أخيك شدخا يوم بدر و ذلك السيف معى و بذلك القلب ألقى عدوى» و قد تكرر هذا الكلام منه عليه السّلام فى عدّه كتبه إلى معاويه: فقد يأتى فى آخر المختار ٢٨ من هذا الباب قوله عليه السّلام: قد صحبتهم ذرّيه بدرّيه و سيوف هاشميّه قد عرفت مواقع نصالها فى أخيك و خالك و جدّك و أهلك «و ما هى من الظالمين بيّعيد»؛ و فى المختار ٦٤ من هذا الباب أيضا قوله عليه السّلام: و عندى السيف الذى أعضضته بجدّك و خالك و أخيك فى مقام واحد.

و جدّه هذا هو جدّه لامّه هند عتبه بن ربيعه بن عبد شمس فإنّ عتبه كان أبا هند و خاله هو الوليد بن عتبه، و أخوه هو حنظله بن أبى سفيان و قد مضى كلام عبد الله ابن بديل رحمه الله تعالى فى صدر شرح هذا الكتاب: فكيف يبايع معاويه عليا و قد قتل أخاه حنظله و خاله الوليد و جدّه عتبه فى موقف واحد.

قوله عليه السّلام: «و دخلتم فيه مكرهين» قد مضى كلام أبى اليقظان عمّار رحمه الله فى معاويه و أتباعه أنّهم ما أسلموا و لكن استسلموا و أسروا الكفر حتّى وجدوا عليه أعوانا، و كذا كلام غير واحد من الصحابه و من تننى عليهم الخناصر فيهم فى شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب فراجع إلى ص ٣٧٠ ج ١٥.

أقول: كلام أبى اليقظان مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام كما يأتى فى

المختار ١٦ من هذا الباب: فواللهذى فلق الحبه و برأ النسمة ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلما وجدوا أعوانا عليه أظهروه.

قوله عليه السلام: «و زعمت أنك - إلى قوله: إن كنت طالبا» قد أشرنا فى الشروح السالفه غير مرّه إلى أنّ أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام كان فى عزله عن دم عثمان و أبرأ الناس منه و قد دريت فى شرح المختار الأول من باب كتبه عليه السّلام أنّ عمرو بن العاص كان شديد التحريض و التآليب على عثمان، و أنّ عثمان لما أبى أن يخلع نفسه تولّى طلحه و الزبير حصاره، و أنّ عائشه كانت أول من طعن على عثمان و أطمع الناس فيه و كانت تقول: اقتلوا نعتلا فقد فجر، نقله الدينورى فى الإمامه و السياسه و كانت تقول للناس: إنّ فيكم فرعون هذه الامه تعنى به عثمان.

و مراده عليه السّلام من كلامه هذا أنّ معاويه إن كان صادقا فى قوله أنّه يطلب بدم عثمان و لم يكن غرضه استغواء الناس و لم يجعل دمه عرضه لأهوائه الرديه المرديه فليطلبه من حيث وقع دمه يعنى من قتله و ألّب الناس على قتله أى من طلحه و الزبير و عائشه و عمرو بن العاصى و أمثالهم.

قوله عليه السّلام: «فكأنى قد رأيتك - إلخ» إخبار بما يأتى على معاويه و أتباعه فى غزوه صفين من الذّله و المسكنه و الهوان أولا بقوله جزعا من الضرب المتتابع و القضاء الواقع و مصارع بعد مصارع.

و بحيله عمرو بن العاصى فى رفع مصاحف لما ظهرت هزيمه أهل الشام ثانيا.

و قد أتينا بنبذه ما وقعت فى صفين فى شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب و قال اليعقوبى فى التاريخ ص ١٦٤ ج ٢ طبع النجف: ثمّ وجّه علىّ عليه السّلام إلى معاويه يدعوه و يسأله الرجوع أن لا يفترق الامه بسفك الدماء فأبى إلا الحرب فكانت الحرب فى صفتين سنه سبع و ثلاثين و أقامت بينهم أربعين صباحا، و كان مع علىّ يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلا و ممّن بايع تحت الشجره سبعمائه رجل و من سائر المهاجرين و الأنصار أربعمائه رجل، و لم يكن مع معاويه من الأنصار إلا النعمان

قال: و صدقت نيات أصحاب عليّ عليه السّلام في القتال و قام عمّار بن ياسر فصاح في النّاس فاجتمع إليه خلق عظيم فقال: و الله إنهم لو هزمونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ و أنّهم على الباطل؛ ثم قال: ألا من راح إلى الجنّه فتبعه خلق فضرب حول سرادق معاويه فقاتل القوم قتالا و قتل عمّار بن ياسر و اشتدّت الحرب في تلك العشيّه و نادى النّاس قتل صاحب رسول الله صلّى الله عليه و اله و قد قال رسول الله صلّى الله عليه و اله تقتل عمّارا الفئه الباغيه.

قال: و زحف أصحاب عليّ عليه السّلام و ظهوروا على أصحاب معاويه ظهورا شديدا حتّى لصقوا به فدعا معاويه بفرسه لينجو عليه فقال له عمرو بن العاص: إلى أين؟ قال:

قد نزل ما ترى فما عندك؟ قال: لم يبق إلّا حيله واحده أن ترفع المصاحف فتدعوهم إلى ما فيها فتستكفهم و تكسر من حدّهم و تفت في أعضادهم.

قال معاويه: فشأنك فرفعوا المصاحف و دعوهم إلى التحكيم بما فيها و قالوا ندعوكم إلى كتاب الله فقال عليّ عليه السّلام: إنّها مكيدة و ليسوا بأصحاب قرآن.

و إنّما قال عليه السّلام: فكأنتي قد رأيتك - إلخ، لأنّ الزّمان و المكان و سائر الأجسام و الجسمانيات إنّما هي حجب لنا و أمّا الحجج الالهيه فإنهم يرون الوقائع في متن العالم على ما هي عليه.

ثمّ لا يخفى لطافه كلامه عليه السّلام في ذلك حيث أتى بلفظ الماضي و قال: قد رأيتك و ما قال فكأنتي أرى، لئلا يتوهّم متوهّم أنّه عليه السّلام لما رأى ما جرى بينه و بين معاويه و تمهّد لهما تفرّس فيما سيكون لمعاويه و جنده من هزيمه و ذلك و هو ان.

على أنّ غايه ما يمكن أن يقال لمن كان له حزم له تفرّس في نحو هذه الامور أن يتفرّس في امور كليّه مثلا- أنّ له ظفرا على خصمه و أمّا أن يتفرّس في جزئيات الوقائع التي لا يعلمها إلّا الله و الراسخون في العلم و لا يتيسّر لغيرهم العلم بها عاده فلا؛ فانظر في قوله عليه السّلام: و كأنتي بجماعتك تدعوني إلى كتاب الله نظر درايه و إنصاف هل يمكن أن يقال إنّ عليه السّلام لما رأى مقدمات الامور تفرّس في رفعهم

المصاحف فيما يأتي من زمان طويل و أمد مديد. و ما أرى هذا الظنّ بمن له خبره في الامور و من جانب المرء و التعصّب و نظر بعيني العقل و الفهم.

و قد نقل اليعقوبيّ في التاريخ (ص ١٦٩ ج ٢ طبع النجف) خطبه له عليه السّلام لما قدم الكوفة بعضها قوله عليه السّلام: سلوني قبل أن تفقدوني فإني عن قليل مقتول فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها فلو الذي فلق الحَبّه و برأ النَّسمه لا تسألوني عن شيء فيما بينكم و بين الساعه و لا عن فته تضلّ مائه أو تهدى مائه إلا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها إلى يوم القيامة - إلخ.

و قد مضى نحو كلامه هذا قوله عليه السّلام في الخطبه ٩٩ لكأني انظر إلى ضليل قد نعق بالشام و فحص براياته في ضواحي كوفان إلخ. و قوله عليه السّلام في الخطبه ١٨٧ أيها النَّاس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض - إلخ.

قوله عليه السّلام: «و هي كافره جاحده أو مبايعه حائده» كان أتباع معاويه صنفين و قوله عليه السّلام و هي كافره جاحده يشير إلى المنافقين من جماعته، و قوله: أو مبايعه حائده إلى الذين بايعوه ثم نكثوا عهده يقال حاد عن الأمر أي مال و عدل عنه.

و قد روى الفريقان في جوامعهم أنّ النبي صلّى الله عليه و اله قال لعليّ عليه السّلام أنّه يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، و الناكثون أصحاب الجمل، و القاسطون أصحاب معاويه و المارقون خوارج نهران.

این نامه ایست که أمير عليه السلام در جواب نامه معاويه نوشت:

معاويه به أمير المؤمنين علي عليه السلام نوشت: تویی آنکه مهر غفلت و زنگ گناه بر دلش زده، و پرده هوی و هوس بر چشمش افکنده شد. بدی خوی تو، و گردنکشی و تجاوز سرشت است. از این روی آماده جنگ باش، و برای ضرب و شکنجه دیدن شکیبا. قسم بخدا کار بجایی کشد که خود دانی؛ و عاقبت برای پرهیزکاران است. چه بسا دور است رسیدن بارزویت و بخواسته دلت. پس از آنچه که از عهده ات خارج و از طاقت دور است دست بدار و خودداری کن. و وجبت را به درنه ات اندازه گیر (۱) تا بدانی تفاوت حال تو و آنکه بردباریش همسنگ کوهها، و دانش او تمیز مردم گاه شک و شبهه میباشد؛ تا چه حد است، و السلام.

نامه أمير عليه السلام در پاسخ معاويه

امير عليه السلام در جواب وی نوشت: بسم الله الرحمن الرحيم از بنده خدا علی أمير مؤمنان به معاويه پور سفیان: اما بعد درود بر آنکه پیرو راه رشاد است ستایش میکنم آنکه را جز او خدایی نیست. ای معاويه می بینی که دنیا با اهلش چگونه بسر می برد، بهترین توشه در روزگار آنست که بندگان شایسته گرد آوردند؛ آنکه دنیا را باختر بسنجد، و چشم از دنیا بپوشد و کار آخرت نماید تفاوت این سرا و آن سرا را بسیار می یابد.

ای معاويه ادعای امری (مقام خلافت و امامت) میکنی که سزاوار آن نیستی

ص: ۵۷

۱- (۱) یعنی چنانکه درنه بوجب نرسد تو بمن نرسی، و اصل عبارت این است: و قس شبرک بفترک. شبر بکسر شین و سکون با مسافت بین سرانگشت شصت دست تا سرانگشت کوچک دست است در صورتی که دست گشاده و انگشتها باز و کشیده باشد که بکلمه واحد سره آنرا وجب گویند. و فتر بر وزن شبر مسافت بین سرانگشت شصت تا سرانگشت شهادت در صورت نامبرده است که آن مسافت را در مازندران درنه گویند و آن بضم دال و سکون را و فتح نون است و چون لغت سره فارسی برای فتر نیافتم بجای آن درنه آوردم. منه.

نه در سابقگی، و نه در ولایت عهدی، و امر بین و حجتی نداری که بدان در باره تو مکرمت و برگزیدگی شناخته شود؛ و نه مر تو را برای این مقام از قرآن شاهی است، و نه از رسول خدا عهدی؛ پس چه خواهی کرد آن گاه که پرده ها از تو برداشته شود و رسوا گردی، پرده های دنیایی که خود را بزینتش آراسته و بلدتتش فریفته است، و تو را خوانده و اجابتش کرده ای، و افسارت را کشیده و پیرویش نموده ای و سر در پی او نهادی، و فرمانت داد و فرمان بردی.

همانا بزودی کسی آگاهت کند بر آنچه که کسی نتواند از آن برهاندت - و یا بهیچ دافعی از خود نتوانی دفع کرد - پس از این ادعا دست بدار و دور شو، و برای حساب آماده باش، و بر آنچه که بر تو فرود آید دامن بر میان زن، و بحرف گمراهان گوش مده.

و اگر چنین نکنی، جانت را که ترکش گفته ای و افسارش را رها کرده ای اعلام کنم بدانچه که خواهم اعلام کرد - یا بدانچه که خود را از آن غافل کرده ای اعلام خواهم کرد - که نعمت فراوان ترا سرکش کرده و در طغیان افکنده است و در تو شیطان راه یافته - یا این که دامهای خود را در تو نهاده - و بارزوی خود رسیده، و در تو چون جان و خون در جریان است.

ای معاویه کی شما مدیر امور رعیت، و والی امر این امت بوده اید؟ آیا بی سابقه و اثر نیکو، و پایه بلند و ارجمند باید صاحب آن مقام باشید؟ بخدا پناه می برم از لزوم رقم بدبختی که از قلم قضای الهی گذشته است. پرهیز از این که پیوسته در غفلت آرزوها بسربری و دورو باشی.

ما را بجنگ خوانده ای؛ اگر راست گوئی مردم را به یک سوی نه و هر دو سپاه را از آن معاف دار و تنها با من در آی تا دانسته شود کدام یک از ما زنگ بر دلش زده و پرده هوس بر چشمش افکنده شد، که منم آن ابو حسنی که در جنگ بدر نیا و خالوی و برادرت را سر کوفتم و هر یک را طعمه شمشیر کرده ام، همان شمشیر با من است و با همان دل بدشمن رو کنم. نه دینم را به دینی تبدیل کرده ام، و نه پیغمبری

از نو گرفته ام، و من بر همان راه روشنم که شما با اختیار ترکش گفته اید و با کراه بدان در آمدید.

گوئی که بخونخواهی عثمان آمدم، تو که خود دانی خونش را که ریخته است از آن کس بخواه.

هان ای معاویه بدهان اژدهای جنگ بینمت که دندانش را در تو چنان فرو برده که بسان شتران زیر بار گران ناله ات در گرفته است؛ و سپاهت را که یا کفر کیشند و یا پیمان شکن بینمی که از دیدن ضربتهای پی در پی و قضای بوقوع پیوسته یکی پس از دیگری بر خاک هلاک افتاده مرا بکتاب خدا خوانند.

بدان اگر مقام امامت و خلافت بدست مردم بودی و این کار بدیشان بر گزار می شدی هر آینه بر ما رشک می بردند و منت می نهادند لکن این مشیت الهی و قضای آسمانی است که خداوند از زبان پیامبر راستگوش که خود بر استیضاح تصدیق کرده است بما موهبت فرموده و ارزانی داشته است، آنکه پس از روشن شدن حق و إقامة بینه و برهان بر حقانیت آن دو دل باشد و شک و شبهه نماید رستگار نخواهد شد. بار خدایا میان ما و دشمن ما بحق حکم بفرما که تو بهترین حاکمی.

ترجمه نامه امیر علیه السلام در پاسخ نامه معاویه مطابق نسخه صمیری چنین است:

ای پسر صخر، ای فرزند لعین، پنداری که کوهها هموزن حلم تو و تمیز اهل شک علم تو است و حال این که نادانی کم فهم و پریشان عقل و رمیده از دینی.

بمن گفتی که آماده جنگ باش و صابر. اگر راستگویی و ابن نابغه (عمرو بن عاص) تو را کمک است مردم را بیک سوی نه و هر دو سپاه را از کار زار معاف دار و تنها با من در آی تا دانسته شود کدام یک از ما زنگ بر دلش زده و پرده هوس بر چشمش افکنده شد که منم همان أبو الحسن که در جنگ بدر برادر و خالو و نیایت را سر کوفتم و طعمه شمشیر کرده ام، همان شمشیر با من است و با همان دل بدشمن رو کنم.

معاویه در جواب أمیر علیه السّلام نوشت: بسم الله الرحمن الرحيم از معاویه بن أبی سفیان به علی بن أبی طالب أمّا بعد؛ دست از حسد بردار که هیچگاه از آن سودی نبوی، و گامی که در راه دین از پیش بر گرفته ای به آز بزرگ منشی و خود خواهی تباه مکن که کارها وابسته به پایان است، و سابقه ات را در حق کسی که بر او حقی نداری نابود مگردان که اگر چنان کنی جز خویشتن را آزار نکنی، و جز کارت را نابود نگردانی، و جز حجّت را باطل ننمائی.

بجانم سوگند آن همه سابقه خدمت در دین که داشته ای بخونهایی که ریخته ای و خلاف با مردم حق کرده ای شسته ای و فرا آب داده ای. پس سوره قل أعوذ بربّ الفلق را بخوان و از شرّ نفس خود بخدا پناه ببر، چه تویی آن حاسدی که خدا در فلق فرمود: «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ».

و من وصیه له علیه السّلام وصی بها جیشا بعنه الی العدو

اشاره

و کلامه هذا هو المختار الحادی عشر من باب الکتب و الرسائل فإذا نزلتم بعدو أو نزل بکم فلیکن معسکرکم فی قبل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار کیما یكون لکم رداء و دونکم مردّا. و لتکن مقاتلتکم من وجه واحد أو اثنین. و اجعلوا لکم رقباء فی صیاصی الجبال، و مناكب الهضاب؛ لئلا یأتیکم العدو من مکان مخافه أو أمن.

و اعلموا أنّ مقدمه القوم عيونهم، و عيون المقدمه طلائعهم. و إِيّاكم و التّفَرّق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، و إذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا، و إذا غشيكم الليل فاجعلوا الرّماح كفه؛ و لا تذوقوا النّوم إلّا غارا أو مضمضه.

سندها و نقلها على صورتها الكامله على روايه نصر في صفين،

اشاره

و الحسن بن على بن شعبه في تحف العقول

قد روى كلامه هذا نصر بن مزاحم المنقرى الكوفى في كتابه في صفين مسندا (ص ٦٦ من الطبع الناصرى) و ما أتى به الرضى في النهج فملتقط ممّا أتى به نصر في صفين و أشرنا غير مرّه إلى أنّ عاده الرضى التقاط الفصيح و البليغ من كلامه عليه السّلام و إن كان هذا الكتاب على صورته الكامله من محاسن كتبه عليه السّلام. و قد دريت في شروح الكتب السالفه أنّ نصرا في نفسه ثقه، و فى نقله ثبت؛ و أنّه كان يعيش قبل الرضى بمائتى سنه تقريبا؛ فدونك الوصيه على ما رواها نصر:

نصر: عمر بن سعد، حدّثنى يزيد بن خالد بن قطن أنّ عليّا عليه السّلام حين أراد المسير إلى النخيله دعا زياد بن النضر و شريح بن هانى و كانا على مذبح و الأشعرين فقال: يا زياد أتق الله فى كلّ ممسى و مصبح و خفف على نفسك الدّنيا الغرور و لا تأمنها على حال من البلاء. و اعلم أنّك إن لم ترع نفسك عن كثير ممّا يجب مخافه مكرهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضّرّ فكن لنفسك مانعا و ادعا من البغى و الظلم و العدوان فإنّى قد وليتكم هذا الجند فلا تستطيلنّ عليهم و إنّ خيركم عند الله أتقيكم، و تعلّم من عاملهم [علم] جاهلهم و احلم عن سفيهم فإنّك إنّما تدرك الخير بالحلم و كفّ الأذى و الجهد.

أقول: كلامه هذا مذکور فى النهج المعنون بقول الرضى: و من وصيه

ص: ٦١

له عليه السّلام وصّى به شريح بن هانى لَمَّا جعله على مقدّمته إلى الشام: اتّق الله في كلّ صباح و مساء و خف على نفسك الدّنيا - إلخ. و هو المختار ٥٦ من باب الكتب و الرسائل و بين النسختين أعنى بين ما في النهج و كتاب صفين لنصر اختلاف في الجملة و سيأتى شرحها و تحقيقها في محلّها إن شاء الله تعالى، فلنرجع إلى ما أتى به نصر في كتاب صفين.

فقال زياد: أوصيت يا أمير المؤمنين حافظا لوصيتك مؤدّبا بأدبك، يرى الرشد في نفاذ امرك، و الغي في تضييع عهدك.

فأمرهما أن يأخذا في طريق واحد و لا يختلفا. و بعثهما في اثني عشر ألفا، على مقدّمته شريح بن هانى على طائفه من الجند و زياد على جماعه. فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حده و لا يقرب بزياد بن النضر. فكتب زياد مع غلام له أو مولى يقال له شوذب:

كتاب زياد بن النضر الى أمير المؤمنين على عليه السلام

لعبد الله على أمير المؤمنين من زياد بن النضر سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو؛ أمّا بعد فأنك وليتني أمر الناس و أنّ شريحا لا يرى لي عليه طاعه و لا حقّا و ذلك من فعله بي استخفافا بأمرك و تركا لعهدك.

كتاب شريح بن هانى اليه عليه السلام

و كتب شريح بن هانى - إليه عليه السّلام - سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أمّا بعد فإنّ زياد بن النضر حين أشركته في أمرك و وليته جندا من جنودك تنكّر و استكبر و مال به العجب و الخيلاء و الزهو إلى ما لا يرضاه الربّ تبارك و تعالى من القول و الفعل فان رأى أمير المؤمنين أن يعزله عنّا و يبعث مكانه من يحبّ فليفعل فإنّا له كارهون و السلام.

كتابهما

و هذا الكتاب هو الذى أتى به الرضى فى النهج و عنوانه بقوله و من وصيه له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه الى العدو أعنى تلك الوصيه التى نحن بصدد شرحها الان على صورته الكامله على روايه نصر فكتب إليهما على عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر و شريح بن هانى، سلام عليكمما فإني أحمد إليكما الله الذى لا إله إلا هو؛ أما بعد فإني قد وليت مقدمتى زياد بن النضر و أمرته عليها و شريح على طائفه منها أمير، فان أنتما جمعكما بأس فزياد بن النضر على الناس، و إن افترقتما فكل واحد منكما أمير على الطائفه التى وليناه أمرها.

فاعلموا أن مقدمه القوم عيونهم، و عيون المقدمه طلائعهم. فإذا أنتما خرجتما من بلاد كما فلا تسأما من توجيه الطلائع، من نقض (نفض - ظ) الشعاب و الشجر و الخمر فى كل جانب كيلا يغتر كما عدو، أو يكون لهم كمين.

و لا- تسيرون الكنائب إلا من لادن الصباح إلى المساء إلا على تعبيه؛ فإن دهمكم دهم، أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم فى التعبيه.

و إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم فى قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كى ما يكون ذلك لكم رداء، و تكون مقاتلتكم من وجه أو اثنين.

و اجعلوا رقباءكم فى صياصى الجبال، و بأعلى الأشراف، و مناكب الأنهار يرون لكم لئلا يأتىكم عدو من مكان مخافه أو أمن.

و إياكم و التفرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، و إذا رحلتم فارحلوا جميعا و إذا غشيكم ليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح و الأترسه (و الأترسه)؛ و رماتكم يلون ترستكم و رماحكم و ما أقمتكم فكذلك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفله، و لا تلفى لكم

غره؛ فما قوم حفّوا عسكريهم برماحهم و ترستهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم في حصون.

و احرسا عسكريكما كما بأنفسكما، و إياكما أن تذوقا نوما حتى تصبحا إلا غرارا أو مضمضه، ثم ليكن ذلك شأنكما و دأبكما حتى تنتهيا إلى عدوّكما، و ليكن عندى كلّ يوم خبركما، و رسول من قبلكما؛ فأتى و لا- شىء إلا ما شاء الله حيث السير فى آثاركما، عليكمما فى حربكما بالتؤده، و إياكم و العجله إلا أن تمكّنكم فرصه بعد الإعدار و الحجّه، و إياكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكمما إلا أن تبديا، أو يأتىكما أمرى إن شاء الله و السّلام.

صورة الكتاب على روايه ابن شعبه

قد رواه أيضا الشيخ العالم الجليل أبو محمّد الحسن بن عليّ بن شعبه الحرّاني المتوفّى ٣٣٢ هـ فى تحف العقول عن آل الرسول (ص ٤٤ طبع ايران ١٣٠٣ هـ) لكنّه رحمه الله نقل أنّ هذا الكتاب كتبه إلى زياد بن النضر فقط فأنه بعد ما أتى بالوصيه التى وصّى بها زياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى صفيين و هى قوله عليه السّلام:

أتق الله فى كل ممسى و مصبح - إلى قوله: و كفّ الأذى و الجهد - كما رواها نصر قال: ثم أردفه بكتاب يوصيه فيه و يحذّره.

اعلم أنّ مقدّمه القوم عيونهم، و عيون المقدّمه طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك، و دنوت من عدوّك فلا تسأم من توجيه الطلائع فى كلّ ناحيه و فى بعض الشعاب و الشجر و الخمر و فى كلّ جانب حتى لا يغيّركم عدوّكم و يكون لكم كمين، و لا تسير الكتائب و القنابل من لدن الصباح إلى المساء إلا تعبيه، فان دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم فى التعبيه، و إذا نزلتم بعدوّ فليكن معسكركم فى اقبال الاشراف، أو فى سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كى ما تكون لكم رداء و دونكم مرداء. و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد و اثنين، و اجعلوا رقباءكم فى صياصى الجبال، و بأعلى الأشراف، و بمناكب الأنهار يريئون لكم لئلا يأتىكم عدوّ من مكان مخافه أو أمن، و إذا نزلتم فانزلوا جميعا، و إذا رحلتم

فأرحلوا جميعاً. وإذا غشيكم الليل فترلتم فحفّوا عسكركم بالرماح و الترسه، و اجعلوا رما تكم يلون ترستكم كيلا تصاب لكم غزه، و لا تلقى لكم غفله. و احرس عسكرك بنفسك. و إياك أن ترقد أو تصيح إلا غرارا أو مضمضه، ثم ليكن ذلك شأنك و دأبك حتى تنتهي إلى عدوك. و عليك بالتأني في حربك. و إياك و العجله إلا أن تتمكنك فرصه. و إياك أن تقاتل إلا أن يبدءوك أو يأتيك أمرى و السلام عليك و رحمه الله.

ثم إن كتابه هذا على روايه تحف العقول منقول في أبواب الجهاد من البحار (ص ٩٨ ج ٢١ من الطبع الكمباني و في ص ٦٢٧ ج ٨ منه أيضا) و على روايه صفيين لنصر منقول في باب بغى معاويه و امتناع أمير المؤمنين عليه السلام تأميره من البحار (ص ٤٧٧ ج ٨ من ذلك الطبع).

اللغة

«أحمد إليكما الله» قال المرزوقي في شرح الحماسه ٩٣: الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من الخصال المرتضاه، و بهذا المعنى فارق الشكر، لأن الشكر لا يكون إلا على صنيعه، انتهى.

أقول: الظاهر من قوله و بهذا المعنى فارق الشكر أنه أراد أن يبين مورد افتراق معنى الحمد و الشكر و إلا - فالحمد أعم من الشكر لأنك تحمد الانسان على صفاته الذاتيه و على عطائه و لا تشكره على صفاته.

و أما معنى قوله: أحمد إليكما الله فقال: ابن الأثير في النهايه: و في كتابه عليه السلام أما بعد فإني أحمد إليك الله أي أحمده معك فأقام إلى مقام مع. و قيل: معناه أحمد إليك نعمه الله بتحديثك إياها.

«وليت» من التوليه يقال: ولى الأمير فلانا الأمر إذا جعله واليا عليه.

و في صحاح الجوهري: ولاء الأمير عمل كذا، و ولاءه بيع الشيء و تولّى العمل أي تقلد.

«مقدمتي» في الصحاح: مقدمه الجيش بكسر الدال: أوله. وفي النهاية الأثيرية وفي كتاب معاوية إلى ملك الروم: لأكونن مقدمته إليك أي الجماعه التي يتقدم الجيش من قدم بمعنى تقدم؛ وقد استعيرت لكل شىء فقيل: مقدمه الكتاب و مقدمه الكلام بكسر الدال وقد يفتح. «أمرته عليها» أي جعلته أميرا عليها يقال: أمره إذا ولّاه الإماره و حكمه.

«عيونهم» العيون واحد العين بفتح العين، و معناه ههنا: الجاسوس و الراصد و يقال بالفارسيه ديدبان ففي الصحاح: العين: الديدبان و الجاسوس. و في النهاية الأثيرية:

و في الحديث أنه بعث بسبسه عينا يوم بدر أي جاسوسا. و اعتان له إذا أتاه بالخبر؛ و منه حديث الحدييه كان الله قد قطع عينا من المشركين أي كفى الله منهم من كان يرصدنا و يتجسس علينا أخبارنا.

«طلائهم» جمع طليعه و طليعه الجيش هم القوم الذين يبعثون ليطلعوا طلع العدو كالجواسيس. «لا تسأما» أي لا تملأ، يقال سئم الشىء يسئم سامه من باب علم أي مله و ضجر منه؛ و السامه: الملل و الضجر.

«نقض» النقض بالقاف: الهدم، و لكنى أرى أن النقض مصحف و الصواب النقض بالفاء ففي صحاح الجوهري: و قد نقضت المكان و استنقضته و تنقضته أي نظرت جميع ما فيه قال زهير:

و تنقض عنها غيب كل حميله و تخشى رماه الغوث من كل مرصد

و استنفض القوم أي بعثوا النفيضة، و يقال: إذا تكلمت ليلا- فانفض أي التفت هل ترى من تكره. و النفض بالتحريك: الجماعه يبعثون في الأرض لينظروا هل فيها عدو أو خوف، و كذلك النفيضة نحو الطليعه.

و في النهاية الأثيرية: و في حديث أبي بكر و الغار: أنا أنفض لك ما حولك أي أحرسك و أطوف هل ترى طلبا. يقال: نقضت المكان و استنقضته و تنقضته إذا نظرت جميع ما فيه. و النفضه بفتح الفاء و سكونها، و النفيضة قوم يبعثون متحسسين هل يرون عدوا أو خوفا.

«الشعاب» بكسر الشين جمع الشعب بكسرها أيضا أى الطريق فى الجبل.

و ما انفرج بين الجبلين، و مسيل الماء فى بطن أرض.

«الخمير» بالتحريك كَلِّمًا سترَك و واراكَ من الشجر و الجبال و نحوها؛ قال ابن الأثير فى النهايه: و منه حديث أبى قتاده فابغنا مكانا خمرا أى ساترا بتكاثف شجره. و فى الصحاح: تقول: توارى الصيد مَنَى فى خمير الوادى. و فى البيان و التبيين للجاحظ ص ٢١٠ ج ٣ قال الشاعر:

ثم أرميكم بوجه بارز لست أمشى لعدوى بخمر

«كمين» الكمين: القوم يكمنون المعدو و يستخفون فى مكمن لا يفتن له ثم ينتهزون غزه العدو فينهضون عليه، من قولهم كمن كمونا من بابى نصر و علم إذا اختفى و توارى. و منه قولهم: هذا أمر فيه كمن؛ أى دغل لا يفتن له.

«الكتائب» جمع الكتيبه من كتبت أى جمعت، تقول: فلان كتّب الكتائب تكتيبا أى عبى كتيبه كتيبه، و تكتّبت الخيل أى تجمعت فالكتيبه من الجيش ما جمع فلم ينتشر؛ الحق الهاء بها لأنه جعل اسما. و فى النهايه الأثيريه: فى حديث السقيفه نحن أنصار الله و كتيبه الإسلام، الكتيبه: القطعه العظيمه من الجيش، و الجمع الكتائب.

قال الفرّار السلمى (الحماسه ٣٨):

و كتيبه لبستها بكتيبه حتى إذا التبست نفضت لها يدي

فتركتهم تقص الرّماح ظهورهم من بين منعفر و آخر مسند

فى شرح المرزوقى عليها: هذا يتبجج بأنه مهياج شرّ و أذى، و جماع بين كتائب شتى تتقاتل من دونه، ثم يخرج هو من بينهم غير مبال بما يجرون إليه، و لا مفكر فيما ينتج من الشرّ فيهم، فيقول: ربّ كتيبه خلطتها بكتيبه.

فلما اختلطت نفضت يدي منهم و لهم و خلّيتهم و شأنهم.

«فان دهمكم دهم» دهمه أمر أى فاجأه و غشيه من بابى منع و علم و فى الحماسه ٧١:

ص: ٦٧

و كم دهمتني من خطوب ملّمه صبرت عليها ثم لم أتخشع

قال الجوهريّ في الصحاح: الدّهم: العدد الكثير؛ و الجمع الدّهوم و قال الشاعر:

جننا بدهم يدهم الدّهوما مجر كأنّ فوقه النجوما

و في النهايه الأثيريه: في الحديث لما نزل قوله تعالى تسعه عشر (المدّثر - ٣١) قال أبو جهل: أما تستطيعون يا معشر قريش و أنتم الدّهم أن يغلب كلّ عشره منكم واحدا؟ الدّهم: العدد الكثير. و منه الحديث محمّد في الدّهم بهذا القوز(١) و حديث بشير بن سعد فأدركه الدّهم عند اللّيل، و الحديث الاخر من أراد أهل المدينه بدهم أى بأمر عظيم و غائله؛ من أمر يدهمهم أى يفجأهم.

«معسكر» على هيئه المفعول: موضع العسكر أى الجيش و يقال بالفارسيه:

لشكرگاه.

«قبل» في الصحاح: القبل - بضمّ القاف و سكون الباء - و القبل - بضمّهما -:

نقيض الدّبر و الدّبر - كذلك و يقال: أنزل بقبل هذا الجبل أى بسفحه. انتهى قوله. و في النهايه: القبل: ما استقبلك من الشىء، فقبل الأشراف ما استقبلك منها.

و جاء في بعض النسخ قبيل مصغراً؛ و في بعضها الاخر: قبل بكسر القاف و فتح الباء و لكن الأوّل هو الصواب.

«الأشراف» جمع الشرف محرّكه ففي الصحاح: الشّرف: العلوّ و المكان العالى. و قال الشاعر:

أتى الندىّ فلا يقرب مجلسى و أقود للشّرف الرفيع حمارى

يقول: إننى خرفت فلا ينتفع برأىي، و كبرت فلا استطيع أن أركب من الأرض حمارى إلاّ من مكان عال و جبل مشرف عال.

«سفاح» بكسر أوّله جمع السفح بالفتح. و في الصحاح: سفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء و هو مضطجعه، و قال المرزوقى في شرح الحماسه ٣٣:

ص: ٦٨

١- (١) القوز بالفتح: العالى من الرمل كأنه جبل. منه.

فلما أتينا السفح من بطن حائل بحيث تلاقى طلحها و سيالها

دعوا لنزار و انتمينا لطئىء كأسد الشرى إقدامها و نزالها

ما هذا لفظه: و السفح أسفل الجبل و لاشتهاره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى الجبل.

«أثناء الأنهار» منعطفاتها، جمع الثنى بكسر الأول و سكون الثانى.

و فى الصحاح: قال أبو عبيد: الثنى من الوادى و الجبل منعطفه.

«ردء» الردء بالكسر فالسكون: العون و الناصر، تقول: ردأت الرجل ردءا من باب منع، و أردأته بمعنى أعتته. و أردأته بنفسى: إذا كنت له ردءا. و فى القرآن الكريم: «وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» (القصص - ٣٦) و جمع الردء أرداء.

«رقيب» جمع الرقيب، و الرقيب الحافظ و الراصد و الحارس تقول رقبه رقوبا من باب نصر إذا رصد و حرسه، و رقيب الجيش طليعتهم و عينهم أيضا.

«صياصى» جمع الصيصه و الصيصه و فى الصحاح: الصيصه: شوكة الحائك التى يسوى بها السداه و اللحمه؛ و منه صيصه الديك التى فى رجله، و صياصى البقر قرونها، و ربما كانت تركب فى الرماح مكان الأسنه. و الصياصى: الحصون. انتهى.

و فى النهايه الأثيريه: فيه - يعنى فى الحديث - انه ذكر فتنه تكون فى أقطار الأرض كأنها صياصى بقر أى قرونها، واحدها صيصيه بالتخفيف. و قيل:

شبه الرماح التى تشرع فى الفتنه و ما يشبهها من سائر السلاح بقرون بقر مجتمع و منه حديث أبى هريره أصحاب الدجال شواربهم كالصياصى يعنى أنها أطالوها و فتلوها حتى صارت كأنها قرون بقر، و الصيصه أيضا الوتد الذى يقلع به التمر، و الصناره التى يغزل بها و ينسج.

أقول: فبما ذكرنا من معانى الصياصى يمكن أن يكون معنى صياصى الجبال رؤوسها لأن أحد معانيها القرون و أحد معانى القرون رؤوس الجبال، كما يمكن

أن تكون الاضافه من قبيل لجين الماء أى الجبال التى كالحصون أو أنها حصون لأنه يمتنع بها كما أن ذا القرن يمتنع بقرنه.

«مناكب» جمع المنكب بفتح الميم و كسر الكاف، و فى الصحاح: المنكب من الأرض: الموضع المرتفع.

«الهضاب» بكسر الهاء جمع الهضبه بفتحها، و فى الصحاح: الهضبه: الجبل المنبسط على وجه الأرض و الجمع هضب و هضاب.

«الأترسه» الصواب الترسه، و الاولى مصحفه. و الترسه جمع الترس و هى صفحه من الفولاذ تحمل للوقايه من السيف و نحوه و يقال بالفارسيه: سپر، و فى الصحاح: الترس جمعه ترسه و تراس و أتراس و تروس قال يعقوب: و لا تقل أترسه. انتهى.

«رما تكم» الزمابه جمع الرامى كالمشاه جمع الماشى. و أصلها الرميه كالطلبه أبدلت ياؤها ألفا.

«لا- تلقى» أى لا- توجد. تقول: ألفت الشىء إذا وجدته. قال تعالى: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لَا يَهْتَدُونَ» (البقره - ١٦٧).

«كفه» بكسر الكاف أى مستديره بحيث تحفّ العسكر و تصير حصنا لهم.

و فى الصحاح: كفه القميص بالضمّ: ما استدار حول الذيل. و كان الأصمعى يقول:

كلّ ما استطال فهو كفه بالضمّ نحو كفه الثوب و هى حاشيته، و كفه الرّمل و جمعه كفاف؛ و كلّ ما استدار فهو كفه بالكسر نحو كفه الميزان، و كفه الصائد و هى حبالته، و كفه اللثه و هى ما انحدر منها. قال: و يقال: كفه الميزان أيضا بالفتح و الجمع كفف. انتهى.

و قال المرزوقى فى شرح الحماسه ٥٦:

ملأت عليه الأرض حتى كأنها من الضيق فى عينيه كفه حابل

و الكفّه يجوز أن يريد به الحفيره التي ينصب الحابل فيها الحباله، و يجوز أن يريد بها قترته، و يجوز أن يريد بها عين الحباله لأنها تجعل كالطوق و هذا أقرب لأنّ الخليل فسّر الكفّه على ذلك.

أقول: المراد منها ههنا أن يحفّوا العسكر بالرماح و الترسه حتّى تكون حصناء لهم كما بين في نسخه نصر و سيّضح في المعنى أيضا. و قد غلط بعض الشراح حيث فسّر قوله عليه السّلام فاجعلوا الرّماح كفّه بقوله: ليكون الرماح حولكم ككفّه الميزان أى مجموعه.

«غرا» الغرار بالكسر، أحد معانيه: النوم القليل، تقول العرب: ما نومه إلا غرار. و قال تأبّط شرّا كما في ديوان الحماسه من اختيار أبى تمام (حماسه ١٦٥):

و قالوا لها لا تنكحيه فإنّه لأوّل نصل أن تلاقى مجمعا

قليل غرار النوم أكبر همّه دم الثار أو يلقي كمّيا مسفعا

«مضمضه» ههنا كناية عن قلّه النوم، و الأصل في المضمضه: تحريك الماء في الفم و المضمضه في النوم أن تنام خفيفا ثمّ تستيقظ ثمّ تنام خفيفا و هكذا تشبّها بمضمضه الماء في الفم، و في الصحاح: يقال: ما مضمضت عيني بنوم أى ما نمت، و تمضمض النعاس في عينه، قال الراجز:

و صاحب نبهته لينهضا إذا الكرى في عينه تمضمضا

«حثيث» أى سرع، يقال: ولى حثيثا أى مسرعا، و في القرآن الكريم «يُعْثِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا» (الأعراف - ٥٤) «التّوده» بضمّ التاء و فتح الهمزه و الدال: الرزانه و التّانى و الرّفق مقابل العجله، و أصلها من وأد كالتّوآد على وزن التكرار. و في الصحاح: إتّأد في مشيه و توأد في مشيه و هو افتعل و تفعّل من التّوآده و أصل التاء في اتّأد و او يقال: اتّأد في أمرك أى تثبت و في الحماسه ٧٤:

إنّى امرؤ مكرم نفسى و متّأد من أن اقادعها حتّى اجازيها

مقدّمتي و زياد مفعولان لقوله وليت فإذا أنتما خرجتما، الفاء فصيحته، و في كلّ جانب متعلّق بكلّ واحد من التوجيه و النفض فإن دهمكم؛ الفاء تعليليه لقوله إلاّ- على تعبيه و ضمير يرون يرجع إلى الرقباء و الفاء في فإذا نزلتم فصيحته، فحفّوا جواب إذا الثالثه، و الفاء في فنزلتم تفرّيع على غشيكم فما قوم حفّوا؛ الفاء تعليليه لقوله: فحفّوا عسكر كم بالرماح إلخ. و قوله عليه السّلام: كيلا- تصاب - إلى قوله: غزه، يمكن أن يكون تعليلا لقوله حفّوا كما يمكن أن يكون تعليلا لقوله: و ما أقمتم و إن كان بالأوّل أوفق، حيث السير خبر إنّ، و قوله عليه السّلام و لا شيء إلاّ ما شاء الله جملة معترضه وقعت بين اسم إنّ و خبرها.

المعنى

كتابه هذا من محاسن كتبه عليه السّلام لفظا و معنى و يا ليت الشريف الرضّى رضوان الله عليه أتى بصورته الكامله في النهج من دون التقاط بعضه و رفض بعضه الاخر.

ثمّ إنّ الكتاب مشتمل على قوانين كليته أصيله لا بدّ لمن تولّى إماره جيش أن يستعملها في الحرب كي يظفر على الخصم. و لا تختصّ تلك القوانين بعصر دون عصر بل تعمّ الأعصار و الدهور؛ فلا مجال لأحد في أن يقول: إنّ الكتاب يتضمّن على قوانين الحرب في تلك الأعصار السالفه دون هذه الأزمان غايه الأمر أنّ أدوات الحرب تغيّرت، و لو تأمل في الكتاب من تدرب في فنون المحاربه يجد قائله بطلا محاميا و محاربا حريّتا في فنون الحرب، و أميرا لم يكن له في طول دهره إلاّ تعبیه العساكر و تهيئته سلاح الحرب و تعليم فنون القتال، و اعمال الرويه في كيفية مقابله المقاتل في المعارك؛ مع أنّه عليه السّلام كان في جميع الصفات الكماليه إماما و قدوه، فدونك بما تضمّن الكتاب:

قوله عليه السّلام: «و إن افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطائفه التي وليناه أمرها» و قد دريت أنّه عليه السّلام كتب إليهما هذا الكتاب بعد اعتزال شريح بن زياد و تنحّى زياد عنه، ثمّ إنّ الشركه في أمثال هذه الامور قلما تتفق؛ على أنّ

الاجتماع على رايه واحده و أمير واحد أقرب إلى الظفر على الخصم من التساند في الحرب و قد أجمعوا على أن الشركه رديه في ثلاثه أشياء: في الملك، و الحرب و الزوجه.

قوله عليه السلام: «فاعلموا أن مقدمه القوم عيونهم - إلخ» قد أتى عليه السلام في هذا الكتاب بأحد و عشرين دستوراً مما لا بد أن يراعيها أمير الجيش طلباً للظفر على الخصم و هي ما يلي:

الاول: أن القوم لا بدّ لهم من مقدمه.

الثاني: أن المقدمه لا بدّ من أن يكونوا أكياساً حذاقاً بصراء لأنهم عيون القوم فالمقدمه من القوم بمنزله العين من الجسد و كما أن العين جاسوس للبدن تحفظه من المهالك و تراقبه عن المهاوى كذلك المقدمه للقوم، ففي كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبه الدينوري (ص ١١٧ ج ١ طبع مصر): ذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك حين فصل مع قحطبه من خراسان، بينا هو على سطح بيت في قريه قد نزلاها و هم يتغدون نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهه الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبه: أيها الأمير ناد في الناس: يا خيل الله اركبي، فإن العدو قد نهى إليك و حثّ، و غايه أصحابك أن يسرجوا و يلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل، فقام قحطبه مذعوراً فلم ير شيئاً يروعه و لم يعاين غباراً، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير لا تتشاغل بي و ناد في الناس، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت و فارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها لجمعا كثيفا، قال: فوالله ما أسرجوا و لا ألجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، و لو لا ذلك لكان الجيش قد اصطلم.

الثالث: أن للمقدمه لا بدّ من طلائع.

الرابع: أن الطلائع عيون المقدمه فالكلام في المقدمه كالكلام في الطلائع بل الطلائع يجب أن يكونوا أكيس من المقدمه لأنهم عيون العيون.

الخامس: أن يوجهوا الطلائع في كلّ جانب يظنّ فيه كمين مرّه بعد مرّه

كما يستفاد من قوله عليه السّلام فلا تسأما أى لا تملأ من كثره توجيه الطلائع.

السادس: أن يبعثوا النفيضة كزّه بعد كزّه كما يستفاد من قوله عليه السّلام فلا تسأما أيضا فى كلّ جانب يظنّ فيه عدوّ فى مكنن و اغترار لينظروا فى الشعاب و فى وراء الشجر و الخمر. و علّل هذين القسمين بقوله كيلا يغرّ كما عدوّ، أو يكون لهم كمين و هذان القسمان فى الحقيقة متفرّعان على ما قبلهما و لذا أتى بفاء الفصيحه بعد قوله فاعلما أنّ مقدّمه القوم عيونهم و عيون المقدّمه طلائعهم.

السابع: أن لا تسير الكتائب فى اللّيل لما فى اللّيل من خوف الوقوع إلى التهلكه فحصر السير فى النهار بقوله إلا من لدن الصباح إلى المساء.

الثامن: أنّ سير الكتائب إذا كان فى اللّيل فلا بدّ من أن يكونوا على تعيه أى على تهيئه و تجهيز من قبل أن تسير الكتائب و علّل ذلك بقوله: فإن دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم فى التعيه.

التاسع: إذا نزلوا بعدوّ أو نزل العدو بهم فليكن المعسكر فى قبل الأماكن العاليه أو أسافل الجبال، أو منعطفات الأنهار و علّل ذلك بقوله كيما يكون لكم رداء و دونكم مردًا.

العاشر: أن تكون المقاتله من وجه واحد أو اثنين و ذلك لأنّ المقاتله إذ، كانت من وجوه شتى تشتت القوى فيتطرق الوهن و الضعف فى الجند فيستلزم ظفر الخصم عليهم. و الغرض من هذا الكلام أنّ الجيش ينبغى لهم أن يجعلوا معسكرهم فى قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كى لا- يحمل عليهم الخصم من كلّ جانب بل من جانب واحد أو من جانبيين و الجوانب الاخر تكون مصونه بالجبال و الأنهار. و إن لم توجد الجبال و الأنهار فيحفر الخندق حول العسكر كما فعله الامام سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبى طالب عليه السّلام فى كربلاء.

الحادى عشر: لا بدّ للقوم من رقباء.

الثانى عشر: أن يجعل الرقباء فى رءوس الجبال و التلال و نحوهما من موضع

مرتفع بحيث يرون للقوم؛ و السرّ في ذلك أنّهم إذا كانوا في مواضع مرتفعه على مرئى قومهم يرون الخصم عن بعيد فيخبرون قومهم فلا ينزل الخصم عليهم بغته كما صرح عليه السلام بذلك لئلا يأتيكم عدوّ من مكان مخافه أو أمن.

الثالث عشر: أن يحذروا من التفريق لأنّ الاجتماع يوجب الهيبة و العظمة تجاه الخصم فيستلزم وهنه و انكساره. و في القرآن الكريم: «وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » (آخر الفتح). و فزع على التحذير من التفريق قوله: فاذا نزلتم و أتى بالفاء الفصيحة أى إذا كان التفريق محذورا منه فانزلوا جميعا و ارحلوا جميعا.

الرابع عشر: أن يحفّ العسكر بالرماح و الترسه كى تصير الرماح و الترسه حصنا لهم و علل ذلك بقوله فما قوم حفّوا عسكرهم برماحهم و ترستهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم فى حصون.

الخامس عشر: أنّ الرّماه يلون الترسه و الرّماح. و المراد أنّ كلّ من تدرب فى فنّ من فنون الحرب يلى أمره و لما أمرهم بأن يحفّوا العسكر بالرماح و الترسه أشار إلى أنّ الرماه يلون الترسه و الرماح لأنّ ذلك أربط للجاش و أتقن و أكد فى الحراسه.

السادس عشر: إذا أقام الجيش فى منزل و إن كانت الإقامة فى النهار فكذلك عليهم أن يحفّوا العسكر بالترسه و الرماح و يجعلوا شأن الترسه و الرماح على الرماه و أشار إلى هذا الدستور بقوله و ما أقمتم فكذلك فافعلوا، و إنّما قيدنا الإقامة بالنهار لأنّه عليه السّلام بعد ما أمر بعمله فى اللّيل بقوله: و إذا غشيكم ليل - إلخ أتى بقوله: هذا و ما أقمتم - إلخ. ثمّ إنّّه عليه السّلام بعد ذلك يقول: فما قوم حفّوا عسكرهم برماح و ترستهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم فى حصون فأتى باللّيل و النهار على سبيل اللّفّ و النشر المرّتين فقوله: من ليل يشير إلى قوله: و إذا غشيكم ليل، و قوله عليه السّلام: أو نهار يشير إلى قوله: فما أقمتم فكذلك فافعلوا غايه الأمر أن يقال فما أقمتم يعمّ الجديدين. فلا ضير أيضا، ثمّ علّله بقوله كيلا تصاب لكم غفله و لا تلفى

لكم غزّه. و ذلك لأنّهم إذا اعتادوا أن يحفّوا العسكر بالرماح و الترسه مهما أقاموا لا- تفوتهم الكفّه فى اللّيل و لذا قال عليه السّلام: كيلا تصاب بكم غفله و لا تلقى لكم غزّه، و ان جعل قوله عليه السّلام: كيلا تصاب دليلا لقوله فحفّوا عسكركم فالأمر أوضح.

السابع عشر: أن يحفظ الأمير قومهم بنفسه و لا يحمله على غيره لأنّه إذا جانب العسكر لا يراقبهم غيره من أفراد الجند كما ينبغى فربّما ينجزّ إلى فرار بعض أو استيلاء الخصم على غفله و غيرهما من المفاسد.

و فى نوادر الراوندىّ بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السّلام قال:

قال الحسن بن علىّ عليهما السّلام: كان علىّ عليه السّلام يباشر القتال بنفسه و لا يأخذ السلب (البحار الكمبانيّ ص ١٠٠ ج ٢١).

الثامن عشر: أن يجتنبوا من النوم الطويل بل من القليل أيضا إلا غرارا أو مضمضه لئلا يدهمهم الخصم و هم نيام.

التاسع عشر: أنّ عليهم التأنى و الرفق فى الحرب و التحذّر من العجله.

ثمّ استثنى الحكم بالتأنى بقوله إلا أن تمكنكم فرصه بعد الاعذار و الحجّه.

العشرون: أن يقدّموا الإعذار و الحجّه و النصح قبل الحرب.

الواحد و العشرون: أن لا يقدّموا فى الحرب و لا يبتدءوا فيه و سيجىء الكلام فى هذين الوجهين فى المختارين ١٤ و ١٥ من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

ثمّ إنّ فى الفصل السابع و الثلاثين من الباب الثالث من مقدّمه ابن خلدون مطالب مفيده فى الحروب و سياستها و ما يتعلّق بها و مذاهب الامم فيها و أقسامها، و قال فيه: و انظر وصيّته علىّ رضى الله عنه و تحريضه لأصحابه يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب و لم يكن أحد أبصر بها منه قال فى كلام له: فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص - إلخ. فمن شاء فليطلبها (ص ٢٧٠ طبع مصر).

این کتاب یازدهم از باب مختار کتب و رسائل امیر علیه السّلام است که در آن لشکری را که بسوی دشمنی گسیل داشت بدستورهایی وصیت کرده است.

امیر علیه السّلام این نامه را به شریح بن هانی و زیاد بن نضر نوشت گاهی که آن دو را بر لشکری امارت داد و در اثنای راه بمخالفت یکدیگر اقدام کردند و هر یک نامه ای بامیر المؤمنین علیه السّلام نوشت و از مخالفت دیگری حضرتش را اعلام کرد. و زیاد نامه نوشت که شریح از طاعت من سر باز زد و برای من حقی روا نمی دارد و امر امیر را سبک شمرده و پیمانش را ترک گفت، و شریح نامه نوشت که زیاد تکبر نمود و بدخویی کرد و عجب و خودبینی و فخر او را به گفتار و کرداری که خداوند از آن خرسند نیست کشانید، و از امیر علیه السّلام عزلش را درخواست کرد. چون نامه آن دو بان بزرگوار رسید در جوابشان مرقوم فرمود:

بسم الله الرحمن الرحيم از بنده خدا علی امیر المؤمنین به زیاد بن نضر و شریح بن هانی؛ درود بر شما، من با شما حمد میکنم خدایی را که نیست جز او خدایی امّا بعد همانا که تولیت مقدمه لشکر را به زیاد برگزار کرده ام و او را امیر بر آنان گردانیدم. و شریح بر طائفه ای از ایشان امیر است. پس اگر کار شما به وفاق کشید زیاد بر مردم امیر است، و اگر به خلاف انجامید هر یکی بر طائفه ای که شما را بر آنها والی گردانیدم امیر خواهد بود.

بدانید که مقدمه لشکر دید بانسانند و طلیعه دیدبان مقدمه اند (مقدمه گروهی هستند که پیشاپیش لشکرند و جاسوسشان، و طلیعه نفری چند که جاسوس مقدمه اند) از این روی چون از شهر خود بدر رفتید از فرستادن طلیعه ها بگوشه و کنار و این سوی و آن سوی خودداری نکنید و از تفتیش و تجسس در درّه ها و پشت درختها و کوهها و مانند آنها از هر سوی کوتاهی نکنید و از کثرت این کار ملال نگیرید که مبادا دشمن در کمین باشد و ناگهان شما را بفریبد و غفلت گیر کند.

و باید که سپاه از شبروی بر حذر باشند و فقط از بامداد تا شامگاه راه بپیمایند

مگر این که اگر بخواهند شبروی کنند از پیش آمادگی داشته و خود را مجهز کرده باشند که اگر دشمن نابهنگام روی آورد شما نیز آماده و از پیش برای دفاع در تعبیه بوده و تهیّه دیده باشید.

پس هر گاه بر سر دشمن فرود آید یا دشمن بر شما فرود آید باید لشکر گاه شما در پیش جاهای بلند یا دامنه کوهها یا در خم جویها باشد تا شما را از شر دشمنان مددی و در پیش رویتان از آنان سدّ و مانعی بود، و باید که کارزارتان از یک روی یا دو روی باشد (یعنی جهات دیگر باید بکوه یا به نهر محفوظ باشد که دشمن از هر طرف دست نیابد و حمله نکند).

و دیده بانها و پاسبانهای لشکر را بر سر کوهها و بر بلندی پشته ها قرار دهید تا دشمن از رهگذر خوف یا امن بر سر شما ناگهان فرود نیاید.

و باید که از پراکندگی بپرهیزید از این روی هر گاه فرود می آید همگی یک بار فرود آید، و اگر کوچ می کنید همگی یک بار کوچ کنید.

و هر گاه شب فرارسد و فرود آمدید نیزه ها و سپرها را در گرداگرد لشکر دیوار لشکر کنید، و کار نیزه ها و سپرها را به تیراندازان واگذارید. و اگر روز هم در جایی فرود آمدید همین کار کنید تا مبادا که در غفلت باشید و ناگهان دشمن بر شما بتازد چه هیچ لشکری خواه در شب جایی فرود آیند و خواه در روز گرداگرد خود را به نیزه ها و سپرها نگرفتند مگر این که گویی در دیواری قرار گرفتند.

و باید خودتان لشکر را بپایید، و بپرهیزید از خواب تا بیداری شب بروز آورید مگر این که خواب اندکی مضمضه کنید. و باید بدینسان که گفته ام خوی کنید و پایدار باشید تا با دشمن روبروی شوید. و باید هر روز از شما خبر داشته باشم. و من بخواست خدا بسرعت از پی شما خواهم آمد و باید در جنگ تائی کنید و از شتاب دوری جوید مگر این که گاهی فرصت شما را بشتاب در جنگ پس از آنکه حجت را بر خصم به پند و اندرز تمام کرده باشید دست دهد. و مبادا تا من نیامدم اقدام بجنگ کنید. مگر این که دشمن افتتاح و ابتدای به جنگ کند، یا این که دستور من بخواست خدا برسد. و السلام.

إشاره

الى الشام فى ثلاثه آلاف مقدمه له

و كلامه هذا هو المختار الثانى عشر من باب كتبه و رسائله و عهوده و وصاياه عليه السّلام إتق الله الذى لا بد لك من لقائه، لا منتهى لك دونه. و لا- تقاتلنّ إلا- من قاتلك. و سر البردين. و غور بالناس. و رفّه فى السّير. و لا تسر أول الليل فإنّ الله جعله سكنا، و قدره مقاما لا ظعنا، فأرح فيه بدنك، و روح ظهرك. فإذا وقفت حين ينبطح السّحر، أو حين ينفجر الفجر فسر على بركه الله. فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا، و لا تمدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمرى. و لا يحملنكم شانهم على قتالهم قبل دعائهم و الإغذار إليهم.

ذكر سندها و الكلام فى تليقها

رواها نصر بن مزاحم المنقرى التميمى الكوفى الملقب بالعطار من معاصرى محمد بن على بن الحسين عليهم السّلام باقر علوم الأولين و الاخرين فى كتاب صفيين (ص ٧٨

ص: ٧٩

من الطبع الناصري) عن عمر بن سعد، عن أبي مخنف، عن نمير بن وعلة، عن أبي الودّاع أنّ عليّاً بعث من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف و قال له:

خذ على الموصل ثم نصيبين ثم القنى بالرقه فإني موافيهما و سكن الناس و آمنهم، و لا تقا تل إلا من قاتلك، و سر البردين، و غور بالناس، و أقم الليل، و رقه في السير، و لا تسر أول الليل، فإن الله جعله سكننا، أرح فيه بدنك و جندك و ظهرك فإذا كان السحر و حين ينبطح الفجر فسر.

فخرج - يعني معقل بن قيس - حتى أتى الحديثه - و هي إذ ذاك منزل الناس إنما بنى مدينه الموصل بعد ذلك محمّد بن مروان - فإذا هم بكبشين ينتطحان و مع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعه قتل بعد ذلك مع الحروريه فأخذ يقول: إيه إيه فقال معقل: ما تقول؟ قال: فجاء رجلان نحو الكبشين فأخذ كل واحد منهما كبشا ثم انصرفا، فقال الخثعمي لمعقل: لا تغلبون و لا تغلبون.

قال له: من أين علمت ذلك؟ قال: أما أبصرت الكبشين أحدهما مشرق و الآخر مغرب التقيا فاقتتلا و انتطحا فلم يزل كل واحد منهما من صاحبه منتصفا حتى أتى كل واحد منهما صاحبه فانطلق به، فقال له معقل: أو يكون خيرا ممّا تقول يا أبا خثعم؟ ثم مضوا حتى أتوا عليّاً بالرقه. انتهى كلام نصر.

أقول: وصيته عليه السلام لمعقل على نسخه نصر لا- تتجاوز عن قوله حين ينبطح الفجر فسر كما نقلناها عنه و ذيلها كان من وصيته عليه السلام لمالك الأشر و قد رواها نصر في صفين أيضا (ص ٨١) و سيأتي تمام وصيته لمالك في شرح المختار الثالث عشر من هذا الباب أعني المختار التالي لهذه الوصيه و قدّمنا صورته وصيته عليه السلام لمالك المتضمنه لما في ذيل هذه الوصيه لمعقل عن أبي جعفر الطبري في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب أيضا فراجع إلى ص ٢٢١ من ج ١ من تكمله المنهاج.

فبما روينا عن الطبري و ما يأتي عن نصر في صفين المتحددين في صورته تلك الوصيه لمالك المتضمنه لذيل هذه الوصيه، علم أنّ هذه الوصيه لمعقل ملفقه

من وصيَّتين صدرها من وصيَّته عليه السَّلام لمعقل و ذيلها لمالك. و الشريف الرضى قدس سرّه مال إلى أنّها وصيَّه واحده قالها لمعقل و قد علمت ما فيه. على أنّ إسقاط بعض عباراته عليه السَّلام و تلفيق بعض آخر إلى خطبه أو كتاب غير عزيز في النهج و قد دريت أنّه من عادة الرضى رحمه الله لأنّ ما كان يهّمه التقاط الفصيح من كلامه عليه السَّلام اللهمّ إلا أن يقال أنّه ظفر بروايه اخرى لا توافق ما فى تاريخ أبى جعفر الطبرىّ و ما فى صفين لنصر و عدّ فيها جميع هذه الوصيَّه وصيَّه واحده لمعقل و لم نظفر بها.

و الذى يسهّل الخطب أن يقال إنّ الأمير عليه السَّلام كتب مضمونا واحدا و دستورا فاردا إلى أكثر من واحد من امراء جيشه فإنّ ما يجب أن يراعيها هذا من قوانين الحرب يجب أن يراعيها ذاك أيضا غايه الأمر أنّ نصرا لم ينقل وصيَّته عليه السَّلام لمعقل كامله و ذلك لأنّ ظاهر كلام الشريف الرضى رحمه الله يأبى عن أن يقال إنّ هذه الوصيَّه ملقَّقه من وصيَّتين و هو رحمه الله أجلّ شأنًا من أن يسند وصيَّته عليه السَّلام لمالك إلى أنّه وصيَّته لمعقل، و المواضع التى اسقط بعض كلامه عليه السَّلام و لفق بعضه الاخر يغيّر المقام فتأمل.

اللغة

«دونه» قد مضى ذكر معانى دون فى شرح المختار السادس من كتبه عليه السَّلام و رسائله، و ههنا بمعنى سوى أى ليس لك سواه منتهى.

«سر» أمر من السير كما أنّ قوله لا تسر نهى عنه و مشتقّ منه.

«البردان»: الغداه و العشيّ، قال الجوهريّ فى الصحاح: البردان:

العصران، و كذلك الأبردان و هما الغداه و العشيّ، و يقال: ظلّاهما و قال - يعنى الشاعر :-

إذا الأرطى توّسد أبردیه حدود جوازى بالزّمل عين

أقول: البيت للشّماخ بن ضرار نقله الجاحظ فى البيان و التبيين أيضا (ص ٢٥١ ج ٢) و الجوازى بقر الوحش، و العين جمع العيناء، و العصران ثنى على التغليب أى الصبح و العصر كقولك صلاه الظهرين و فسّرهما ثانيا بقوله: و هما الغداه و العشيّ.

قال ابن الأثير فى النهاية: فيه - يعنى فى الحديث - من صلّى البردين دخل الجنة، البردان والأبردان: الغداه والعشى وقيل: ظلّاهما، ومنه حديث ابن الزبير: كان يسير بنا الأبردين؛ وحديثه الآخر مع فضاله بن أبى شريك: و سربها البردين.

أقول: و سيأتى روايه هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

سيروا البردين.

«غور» أمر من التغوير مأخوذ من الغائر أى الظهيره، و فى الصحاح:

التغوير: القيلولة، يقال: غوروا أى انزلوا للقائله. قال أبو عبيد: يقال للقائله:

الغائره. و فى النهاية الأثيرية: و فى حديث السائب لما ورد على عمر بفتح نهاوند قال: ويحك ما وراءك؟ فوالله ما بت هذه الليله إلا تغويرا؛ يريد بقدر النومه القليله التى تكون عند القائله. يقال غور القوم إذا قالوا.

«رفه» أمر من الترفيه أى الإراحه و التخفيف و التنفيس و التوسيع، أو من رفه الراعى الإبل إذا أوردها متى شاء، و فى الصحاح: رفهت الإبل بالفتح ترفه رفها و رفوها إذا وردت الماء كل يوم متى شاءت و الاسم الرفه بالكسر.

و أرفتها أنا. و رفه ترفيها و رفاهيه على فعاليه و رفهنيه و هو ملحق بالخماسى بالألف فى آخره و إنما صارت ياء لكسره ما قبلها، و يقال بينى و بينك ليله رافهه و ثلاث ليال روافه إذا كان يسار فيهن سيرا لينا، و رفه عن غريمك أى نفس عنه، و الأول أوسع و أعم و بأسلوب الكلام و سياقه أدلّ و ألصق، و سيأتى تقرير كل واحد منهما فى المعنى.

«سكنا» السكن بالتحريك: ما سكنت إليه.

«ظعنا» الظعن: الارتحال، يقال: ظعن ظعنا و ظعنا من باب منع أى سار و رحل. و فى القرآن الكريم: «وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ» (النحل - ٢٨).

«أرح» على وزن أقم أمر من الأراحه. «رّوح» أمر من الترويح. و الظهر

هنا بمعنى الركاب، لا بمعنى خلاف البطن. قال الجوهري في الصحاح: الظهر:

الركاب. و بنو فلان مظهرون إذا كان لهم ظهر ينقلون عليه كما يقال منجبون إذا كانوا أصحاب نجائب. انتهى كلامه.

و الركاب: الإبل التي يسار عليها؛ الواحده راحله و لا واحد لها من لفظها و الجمع الركب مثال الكتب. فيكون معنى الترويح من قولهم رَوَّحَ فلان إبله ترويحاً إذا رَدَّها إلى المراح. قال الجوهري: أراح إبله أي رَدَّها إلى المراح و كذلك الترويح. و لا يكون ذلك إلا بعد الزوال انتهى.

«ينبطح» يقال: انبطح الرجل إذا اسبطر على وجهه ممتدا على وجه الأرض و ههنا كناية عن الانبساط و الإتساع فينبطح أي ينبسط و يتسع و منه البطحاء و الأبطح أي مسيل واسع فيه دقاق الحصى. و تبطح السيل أي اتسع في البطحاء.

«ينشب الحرب» ينشب مضارع من باب الإفعال. في الصِّحاح: نشب الشيء في الشيء بالكسر - من باب علم - نشوبا أي علق. و أنشبتة أنا فيه أي أعلقتة فانتشب و أنشب الصائد: أعلق، و يقال: نشبت الحرب بينهم.

«يهاب» أجوف يائي تقول: هابه يهابه هيبا و هيبه و مهابه إذا خافه و حذره فهو هائب و هيبوب، و رجل مهيب أي يهابه الناس «البأس»: الحرب. «الشان»: البغض و العداوه.

البغض و العداوه.

الاعراب

في بعض النسخ «بالسير» الباء بمعنى في. و مذكور في نسختنا العتيقه في السير مكان بالسير «فإنَّ الله» الفاء للتعليل. و التي بعدها فصيحته للتفريع و النتيجة.

«فسر» الفاء جواب إذا كالتى بعدها. «دنوّ» مفعول مطلق لقوله لا تدن. و كذلك تباعد لقوله و لا تباعد، و في نسخه الطبرى كما اشرنا إليها آنفا مذكور: بعد من يهاب، و هو بضمّ الباء مفعول مطلق أيضا إلا أنه ليس من باب عامله أعنى لا تباعد على وزان قوله تعالى: «وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا». «حَتَّى يَأْتِيَكُ أَمْرِي» غايه

ص: ٨٣

لكلا النهيين المقدمين و متعلق بكلا الفعلين أعنى لا تدن، و لا تباعد «قبل» ظرف لقوله: و لا يحملنكم.

المعنى

إشارة

قد أتى عليه السّلام فى هذه الوصية بامور يدلّ بعضها على كمال رأفته بالنّاس، و الآخر على نهايه بصارته فى البأس. و قد جمع عليه السّلام فيها بين الأضداد و ألف بين الأشتات.

و إذا ضمت هذه الوصية إلى التي قبلها و اللاتي بعدها تزيد المجاهد بصيره فى فنون الحرب، و مع ذلك تذكّره بتقوى الله و تحذّره عن أتباع الهوى و تنشطه و تشجعه فى الجهاد فى سبيل الله تعالى. و لو تأمل فيها متأمل و فكر فيها متفكّر علم أنّ عليها مسحه من العلم الإلهي و فيها عبقة من الكلام النبويّ. و أنّ قائلها كان على بينه من ربّه و بصيره فى الدّين و لم يكن فى قلبه زيغ عن سواء الطريق. و ما كان همّه إلاّ إطفاء نار الفتنة و انقاذ الناس ممّا فيه الهلكه و إنفاذهم إلى ما فيه سعاده جمّه. فانظر فى فقرات هذه الوصية، افتتحها بتقوى الله و اختتمها بالكفّ عن القتال قبل الإعذار و الدّعاء، و وسط فيها قوله: فسر على بركه الله، و صدّر فيها بالأوامر، و أردفها بالنواهي و لعمرى إنّ محاسنها فوق أن يحوم حولها العباره و إنّما هى تدرك و لا توصف و ستقف على بعضها فى أثناء الشرح فلنتعرّض لشرح فقراتها و جملها على قدر الوسع و الاستطاعة.

قوله عليه السّلام: «اتق الله - إلى قوله: دونه» أمره بتقوى الله أوّلا لأنّها خير زاد و كان عليه السّلام كثيرا ما يوصى أصحابه بتقوى الله ففى الكافى بإسناده عن أبى الحسن موسى عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يوصى أصحابه و يقول:

أوصيكم بتقوى الله فانها غبطه الطالب الراجي و ثقه الهارب اللاجي و استشعروا التقوى شعارا باطنا و اذكروا الله ذكرا خالصا تحبوا به أفضل الحياه و تسلكوا به طريق النجاه - إلخ (ص ٦٢ ج ١٤ من الوافى).

و فى الفقيه عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السّلام حين أوصى إلى ابنه الحسن - يعنى حين ضربه ابن ملجم - و أشهد على وصيته الحسين

و محمدًا و جميع ولده و رؤساء شيعته - إلى أن قال: قال عليه السلام: ثم إنى اوصيك يا حسن و جميع ولدى و أهل بيتى و من بلغه كتابى من المؤمنين بتقوى الله ربكم (ص ٧٩ ج ٢ من الوافى).

ثم وصف الله تعالى بما فيه تخويف و تشجيع و ذلك أنه عليه السلام لما أنفذ معقل بن قيس فى ثلاثة آلاف مقدمه له إلى الشام توجه إلى معقل أمران: الأول إماره ثلاثه آلاف رجل، الثانى الجهاد فى سبيل الله. و الإمارة سلطان قد توجب البغى و الطغيان إلا من عصمه الله عن اتباع الشيطان؛ و الجهاد بذل النفس دونه تعالى و الجود بالنفس أقصى غايه الجود. فعلى الأول خوفاً بقوله: الله الذى لا بد لك من لقائه و لا منتهى لك دونه؛ أى خف الله تعالى و اتقه فانك لو عصيته و ظلمت من دونك من الجيش و عدلت عن العدل فيهم فاعلم أنما لا بد لك من لقاء الله تعالى و ليس منتهى لك غيره فاذا يجازيك و يعاقبك بما أسلفت من سوء أعمالك فكن على حذر من طوع الهوى.

و على الثانى شجعه بذلك القول أيضا على الجهاد أى لا تخف من الجهاد فإنك لو تجود بنفسك فقتلت فى سبيل الله فاعلم أنما تلقى الله تعالى و ليس لك سواه منتهى فاذا كان منتهى أمرك إليه و لا بد لك من لقائه فهو تعالى يجزيك بما قدمت. قال عز من قائل: «و لا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء و لكن لا تشعرون» (البقره - ١٥١) و قال تعالى: «و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله و...» «يستبشرون بنعمه من الله و فضل و أن الله لا يضيع أجر المؤمنين» (آل عمران - ١٦٧).

و قال تعالى: «فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة و من يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً» (النساء ٧٧).

قوله عليه السلام: «و لا تقاتلن إلا من قاتلك» فى الكافى و فى حديث عبد الله بن جندب عن أبيه أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر فى كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجه و ترككم

إياهم حتى يبيدوا وكم حجة لكم اخرى فإذا هزمتوهم فلا تقتلوا لهم مدبرا ولا تجيزوا على جريح ولا تكشفوا عوره ولا تمثلوا بقتيل. انتهى.

و أقول: سيأتى تمام الكلام فى سيرته عليه السلام فى الحروب فى شرح المختار الرابع عشر من هذا الباب.

ثم اعلم أن أولياء الله شأنهم أجل وقدرهم أعظم من أن يقاتلوا الناس لغير رضا الله تعالى فإنهم مأمورون أولا لإحياء النفوس و إناره العقول و الهدايه إلى جناب الرب جل و علا إلا أن طائفه من الناس لما استحوذ عليهم الشيطان طغوا و نهضوا إلى هدم بناء الدين، أو صاروا جرائم مؤذيه راسخه فى اصول شجره الفضيله التى غرسها النبى بإذن الله تعالى فكان واجبا على النبى أو الولي أن يجتاحوا اصول الجرائم لئلا تطرق المفسد و الفواحش فى الاجتماع الإنسانى و لذا ترى أن الافتتاح فى كل غزوه إنما كان من معاندى الأنبياء و الأولياء. و أما الأنبياء و الأولياء فكانوا يأمرن جيوشهم قبل الغزوات بدعاء الكفار إلى ما فيه حياتهم الدائمة و سعادتهم الباقية، و الاعذار إليهم، و إتمام الحجة عليهم، و بأن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم لأن قتال غير المقاتل ظلم و هم مبرؤون عنه.

و بما ذكرنا يعلم فضيله المجاهد فى سبيل الله و درجه سيف به ينتظم امور الناس و يؤمن الخائفون و يعبد الله المؤمنون، و سر بعض الايات القائله بأنه لو لم يكن السيف لفسدت الأرض كقوله تعالى: «وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ» و قوله تعالى: «وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَهَيَّجَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» و كذا سر بعض الأخبار العدى ينادى بأعلى صوته أن الناس لما أبوا أن يقبلوا أمر الله رسوله بالقتال: ففى الكافى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: خيول الغزاه فى الدنيا خيولهم فى الجنة و أن أرديه الغزاه لسيوفهم. و قال النبى صلى الله عليه و اله: أخبرنى جبرئيل بأمر قرأت به عيني و فرح به قلبى قال: يا محمد من غزا من امتك فى سبيل الله فأصابه قطره من السماء أو صداع كتب الله له شهاده.

و فيه: عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الخَيْرُ كُلُّهُ فِي السَّيْفِ وَتَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ، وَ لَا يُقِيمُ النَّاسَ إِلَّا السَّيْفُ، وَ السَّيُوفُ مَقَالِيدُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ.

أقول: يعنى أنّ السيف الذى يشهره المسلم مجاهدا فى سبيل الله فهو مقلاد الجنه أى مفتاحها له، و أنّ الذى يشهره الكافر مفتاح النار له.

و فيه عن معمر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: الخَيْرُ كُلُّهُ فِي السَّيْفِ وَ تَحْتَ السَّيْفِ وَ فِي ظِلِّ السَّيْفِ.

و فيه عن عمر بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ الله تعالى بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتّى أمره بالقتال فالخير فى السيف و تحت السيف و الأمر يعود كما بدا.

أقول: و قوله عليه السّلام: و الأمر يعود كما بدا إشاره إلى دوله القائم عليه السّلام و الروايات فى ذلك كثيره جدّا تشير إلى سرّ فارد و حقيقه واحده.

قوله عليه السّلام: «و سر البردين» أمره أن يسير فى الغداه و العشى لأنّ السير فى طرفى النهار يكون أهون، و طىّ الطريق فيهما يكون أكثر، و التعب يكون أقلّ لبرد الهواء و طيبها فى هاتين الساعتين. و فى الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول:

سيروا البردين، قلت: إنّنا نتخوّف الهوام، قال: إنّ أصابكم شىء فهو خير لكم ثمّ إنّكم مضمونون.

قوله عليه السّلام: «و غور بالناس» أى أنزل بهم للقائه أى منتصف النهار و ذلك لأنّ السير فى الغائره يستلزم شدّه الحرّ الموجه للتعب و الكلال. و القائله هى وقت القيلولة و الاستراحه. قال تعالى: «وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ» (النور - ٥٨).

قوله عليه السّلام: «و رفّه بالسّير» سياق الكلام يدلّ على أنّه عليه السّلام أمره أن يرفّه جيشه فى السير أى يوسّيه معهم فيه و يرفق بسيرهم و لا يوجفهم لكى لا يتعب الركاب و الركبان، و لا يتأخّر بعض الجيش عن بعض فلو لا التأنى و الرّفق فى السير

لأنجّر الأمر إلى التفرقه و الكلال و غيرهما من المضارّ في الجند و الدواب فكأنّه عليه السّلام قال له: هوّن بالسير و لا تتعب نفسك و لا دأبتك بالوجيف.

و إن أخذناه من قولهم: رفّه الزّاعى الإبل متى شاء فمتعلّق رفّه يكون خاصّا أى رفّه الركاب بالسير. فيكون توصيه له فى أن يراعى حالها فى السير و لا يمنعها من الماء و الكلاء و يوسّع فى الانفاق عليها، و من وصيّه لقمان لابنه:

و إذا قربت من المنزل فانزل عن دأبتك و ابدأ بعلفها فإنّها نفسك - إلخ.

رواها الكلينيّ فى الكافى و الصدوق فى الفقيه و أتى بها الفيض فى الوافى (ص ٦٦ ج ٨).

و فى الباب التاسع من أبواب أحكام الدواب من حجّ الوسائل عن السكونى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: للدّابة على صاحبها ستّه حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، و لا يتخذ ظهرها مجالس يتحدّث عليها، و يبدأ بعلفها إذا نزل، و لا يسمها، و لا يضربها فى وجهها فانها تسبح، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به.

قوله عليه السّلام: «و لا تسر أوّل اللّيل - إلى قوله: ظعنا» نهى عن السير فى أوّل اللّيل نهى كراهه لا نهى تحريم و كلامه هذا ممّا يستدلّ به فى الفقه على كراهه السير أوّل اللّيل كما استدلّ به العاملى رحمه الله عليها فى الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل. ثمّ علّل النهى بقوله: فإنّ الله جعله سكنا أى موضعا تسكنون فيه وقت إقامتكم. و هذا إشاره إلى قوله تعالى: «و جعل اللّيل سكناً» (الأنعام - ٩٧). ثمّ أكّده بقوله: و قدره مقاما لا ظعنا. أطلق لفظ الظعن على اللّيل مجازا لأنّ اللّيل ليس بزمان الظعن لا أنه ليس بظعن إطلاق اسم المظروف الذى هو الظعن على الظرف الذى هو اللّيل، بخلاف إطلاق المقام عليه لأنّ المقام بضمّ الميم اسم زمان من الإقامة فأطلق عليه حقيقه.

على أنّ أوّل اللّيل يكون حين تنشر الشياطين كما وردت به روايات عن أئمّتنا المعصومين عليهم السّلام: ففى الكافى بإسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ إبليس عليه لعائن الله إنّما يبثّ جنوده من حين تغيب الشمس و حين تطلع فأكثروا

ذكر الله تعالى في هاتين الساعتين و تعوذوا بالله من شرّ إبليس و جنوده و عوذوا صغاركم هاتين الساعتين فأنهما ساعتا غفله.

و فى الفقيه عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ إبليس إنّما يبثّ جنود اللّيل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق و يبثّ جنود النهار من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس. و ذكر أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و اله كان يقول: أكثروا ذكر الله تعالى فى هاتين الساعتين - إلى آخر الحديث المروى عن الكافى و رواهما الفيض فى الوافى (ص ٢٣٢ ج ٥).

إن قلت: هل يدلّ الخبران على كراهه السير أوّل اللّيل؟ قلت: لا كلام فى كراهه السير أوّل اللّيل و قد دلّت عليها أخبار اخر أيضا كما دلّت على استحباب اختيار آخر اللّيل للسير فى الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل عن السكونى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و اله: عليكم بالسفر باللّيل فإنّ الأرض تطوى باللّيل. و فيه عن حمّاد بن عيسى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال لقمان لابنه: يا بنى إياك و السير فى أوّل اللّيل و سر فى آخره. و على روايه الكلينى:

إياك و السير فى أوّل اللّيل و عليك بالتعريس و الدّلجه و قد أتى بهما الطباطبائى قدّس سرّه فى أوّل الحجّ من العروه الوثقى و أفتى بهما كذلك، و سيأتى نقل روايات اخرى دالّة على كراهه السير أوّل اللّيل و استحبابه فى آخره و فى البردين عن قريب.

و أمّا دلالة الخبرين على ذلك فغير معلومه لأنهما يأمران بإكثار ذكر الله تعالى فى هاتين الساعتين و التعوذ بالله فيهما من شرّ إبليس و جنوده فلا بأس أن يسير السائر فيهما ذاكرًا متعوذًا، اللهمّ إلا أن يقال: إنّ دلالة تلك الأخبار على تحذير السير فى أوّل اللّيل و كراهته فيه و على أنّه ساعه غفله أنّما تكون من حيث أنّه وقت تنشر الشياطين فإذا كانت هذه الساعه فى الحضر ساعه غفله ففى السفر أولى لأنّ اضطراب البال فى السفر أكثر و إنّما كانت الساعه ساعه غفله لأنّها وقت اختتام الأعمال فالناس يعرضون ساعتئذ عما كانوا فيها من الأشغال و ينسلون فى

الإقبال إلى بيوتهم من كلّ جانب فيشتغلون بالاكتنان فترى الناس فيها أشتاتا فطائفه أسرع إلى تغليق الدّكاكين، و اخرى إلى التأهب لليل، و اخرى كذا و كذا؛ و بعكسها فى الساعه الاخرى أعنى حين تطلع الشمس فالناس فى هاتين الساعتين فى امور دياهم متوغّلون، و إلى كلّ جانب ينسلون فسمّيتا لما ذكرنا ساعتى غفله.

قوله عليه السّلام: «فأرح فيه بدنك» أى إذا كان الله تعالى قدّر الليل سكنا و مقاما فأرح فيه بدنك و ليرح الجيش أبدانهم.

قوله عليه السّلام: «و رُوّح ظهرك» بين الظهر و البدن إيهام التناسب نحو بيت السقط:

و حرف كنون تحت راء و لم يكن بدال يؤمّ الرسم غيره النقط

ففى الجمع بين الحرف و الرء و الدالّ و النقط إيهام أنّ المراد منها معانيها، و ليس كذلك؛ إلا أنّ النون فى البيت كان على معناه المتبادر من حروف المعجم و المراد من الحرف الناقه المهزوله، و راء اسم فاعل من رأيته، و دال اسم فاعل من دلاً الركائب إذا رفق بسوقها. و النقط ما تقاطر على الرسوم من المطر، شبه الناقه فى المدقه و الانحناء بنون و مدح حبيبه بأنّها تجلّ عن أن تركب من النوق ما هى فى الضمر و الانحناء كالنون يركبها الأعرابى لزياره الأطلال فيضرب ريتها إذ لا حراك بها من شدّه الهزال بل مراكب الحبيبه سمان ذوات أسنمه.

و كذلك فى المقام أنّ الجمع بين البدن و الظهر يوهم أنّ المراد من الظهر هو خلاف البطن و ليس كذلك بل المراد منه الركاب أى رُوّح ركابك فى الليل بمعنى ردها إلى المراح. فأراد عليه السّلام بلفظ الظهر معناه البعيد كقول القاضى أبى الفضل بن عياض يصف ربيعا باردا:

أو الغزاه من طول المدى خرفت فما تفرّق بين الجدى و الحمل

يعنى كأنّ الشمس من كبرها و طول مدتها صارت خرفه قليله العقل فنزلت فى برج الجدى فى أوان الحلول ببرج الحمل، إذ الجدى من البروج الشتويه، و الحمل

من الربيعيه، و المراد من الغزاله معناها البعيد أى الشمس، و معناها القريب: الرشا و كذلك الكلام فى قوله عليه السلام: ظهرك؛ إلا- أن القاضى قد قرن بها ما يلايم المعنى القريب الذى ليس بمراد كالجدى و الحمل؛ و هو عليه السلام أتى بما يلايم كلا معنى القريب و البعيد أعنى رّوح و إن كان المراد ما يلايم البعيد كما دريت فى اللغه، و ما يلايم القريب إنّما كان من قولهم رّوح فلان الرجل إذا أراحه و لكنه ليس بمراد.

قوله عليه السلام: فإذا وقفت - إلى قوله: بركه الله» يمكن أن يفسر هذه الفقره على ثلاثة أوجه:

الأول أن الأمير عليه السلام أمر معقل بن قيس بأن يكون وقت انبساط السحر أو انفجار الفجر يقظا و ذلك أنه لما تولى من قبله عليه السلام اماره الجيش و صار قائدهم فلا بد له من أن يكون قبل ظعن القوم يقظان ليهيأ أصحابه للسير و يستعدّهم للارتحال و يكون ناظر أعمالهم و قائما عليهم يراقبهم حتى لا يفوته بعض ما يصلح لهم.

الثانى أن تكون صلّه وقف كلمه إلى المحذوفه فمعناه إذا وقفت الليل إلى حين ينبطح السحر فسر على بركه الله؛ فكأنه عليه السلام أمره بأن يريح بدنه و يروّح ظهره فى الليل و نهاه عن السير فيه إلى أن ينبطح السحر.

الثالث أن تكون صلّه الفعل كلمه على أى إذا وقفت على حين ينبطح السحر بمعنى إذا اطلعت على انبطاحه فسر على بركه الله لأنّ وقف مع على يفيد معنى الاطلاع يقال: وقفه على ذنبه إذا اطلعه عليه؛ فكأنه عليه السلام أمره أن لا ينام هو و لا عسكره على حدّ يفوتهم السحر نظير قوله عليه السلام فى الوصيه السابقه: و لا تدوقوا التّوم إلا غرارا أو مضمضه، فكأنّ الوجه الأوّل أنسب بسياق الكلام من الأخيرين.

ثم اعلم أن السحر يكون قبيل الصبح و هو على قسمين: السحر الأعلى و هو ما قبل انصداع الفجر، و السحر الآخر و هو عند انصداعه و الظاهر من قوله عليه السلام: ينبطح السحر أن المراد منه السحر الثانى فيقول معنى كلامه إلى أنه عليه السلام أمر ابن قيس بأن يسير إمّا فى السحر الثانى أو حين انشقّ الفجر أى

الفجر الصادق، فعلى هذا كأنما السحر خارج عن الليل حقيقه لأنَّ الليل يتم حين انصداع الفجر و أمّا على نسخه نصر فى صفين أعنى: فإذا كان السحر أو حين ينبطح الفجر فسر؛ فالسحر خارج عن الليل حكما لأنَّ الظاهر من قوله عليه السّلام: و لا تسر أوّل الليل فإنَّ الله جعله ساكنا أن الدليل أعنى قوله: فإنَّ الله جعله ساكنا راجع إلى قوله أوّل الليل فالكراهه تختصّ بأوّل الليل فيستثنى آخر الليل عن حكم الكراهه فكلامه عليه السّلام هذا كغيره من روايات أخر مخصّص لقوله تعالى: «وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا» الآية المتقدّمه، و الأخبار يأمر بعضها بالسّير فى الليل مطلقاً و ينهى الآخر عن السّير فيه كذلك فقد تقرّر فى اصول الفقه صحّه تخصيص الكتاب بالسّنّه، و السّنّه بالسّنّه أيضاً، فعليك بطائفه من أخبار وردت فى المقام رواها العاملى قدّس سرّه فى الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل.

بإسناده عن جميل بن درّاج و حمّاد بن عثمان جميعاً، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

الأرض تطوى فى (عن - خ ل) آخر الليل.

و عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: سيروا البردين، قلت: إنّا نتخوف الهوام، قال: إن أصابكم شىء فهو خير لكم ثم إنكم مضمونون.

و عن السكونى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و اله: عليكم بالسفر بالليل فإنّ الأرض تطوى بالليل.

و عن حمّان بن أعين قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: يقول الناس: تطوى لنا الأرض بالليل كيف تطوى؟ قال: هكذا ثم عطف ثوبه.

و عن يعقوب بن سالم رفعه إلى علىّ عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و اله: إذا نزلتم فسطاطاً أو خباً فلا تخرجوا فإنّكم على غره.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: اتّقوا الخروج بعد نومه فإن لله دواراً بينها يفعلون ما يؤمرون.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: بعثنى رسول الله صَلَّى الله عليه و اله على اليمن فقال لى و هو يوصينى ما حار من استخار و لا ندم من استشار، يا على عليك بالدلجه فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، يا على اغد على اسم الله فإن الله تعالى بارك لأمتى فى بكورها.

و عن حماد بن عيسى، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: يا بنى إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم فى أمرك - إلى أن قال: و إياك و السير فى أول الليل و سر فى آخره. قال: و رواه الكلينى - إلا أنه قال: و إياك و السير فى أول الليل و عليك بالتعريس و الدلجه من لدن نصف الليل إلى آخره.

أقول: قد ذكر طائفه من وصيه لقمان لابنه و منها هذه النبذه التى رواها حماد عن الصادق عليه السلام ابن قتيبه الدينورى فى كتاب الحرب من عيون الاخبار ص ١٣٥ ج ١ طبع مصر ١٣٨٣ هـ.

بيان: قال الجوهرى فى الصحاح: أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل؛ و الاسم الدلج بالتحريك و الدلجه و الدلجه أيضا مثل برهه من الدهر و برهه فإن ساروا من آخر الليل فقداد لجوا بالتشديد (يعنى بتشديد الدال) و الاسم الدلجه و الدلجه.

انتهى كلامه. و التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم و الاستراحة من قولهم عرس القوم إذا نزلوا فى السفر فى آخر الليل للاستراحة كما فى مجمع البحرين و أقرب الموارد، و ربما استعمل الإدلاج بالتخفيف لسير آخر الليل كقول الشاعر:

اصبر على السير و الإدلاج فى السحر. كما أن الإدلاج بالتشديد قد يستعمل لسير الليل كله.

و أقول: فيما قدمنا دريت وجه الجمع بين تلك الأخبار. ثم إن مقتضى الجمع أن تكون الدلجه اسما من ادلج القوم بتشديد الدال لأن قول رسول الله صَلَّى الله عليه و اله لعلى: يا على عليك بالدلجه فإن الأرض تطوى بالليل، ما لا تطوى بالنهار و إن كان لم يفرق بين أول الليل و آخره إلا أن روايه الصادق عليه السلام حكاية عن لقمان

و إِيَّاكَ و السِيرِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ و عَلَيْكَ بِالْتَعْرِيسِ و الدَّلْجَهُ مِنْ لَدُنْ نِصْفِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ تَبَيَّنَ بِأَنَّ الْمَرَادَ مِنَ الدَّلْجَةِ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ اسْمٌ مِنَ الْإِدْلَاجِ الْمَشْدَدِ أَيْ السَّيْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ.

و بما حَقَّقْنَا دَرَيْتَ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الطَّرِيحِيُّ فِي مَادَّةِ دَلْجٍ مِنَ الْمَجْمَعِ حَيْثُ قَالَ: «فِي الْحَدِيثِ عَلَيْكُمْ بِالْدَلْجَةِ وَ هُوَ سَيْرُ اللَّيْلِ يُقَالُ أَدْلَجَ بِالتَّخْفِيفِ إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ وَ بِالتَّشْدِيدِ إِذَا سَارَ مِنْ آخِرِهِ وَ الْاسْمُ مِنْهُمَا الدَّلْجَةُ بِالضَّمِّ وَ الْفَتْحِ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الْإِدْلَاجَ لِلَّيْلِ كُلِّهِ وَ كَأَنَّهُ الْمَرَادُ هُنَا لَمَّا فِي آخِرِ الْحَدِيثِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تَطْوِي وَ لَمْ يَفْرَقْ بَيْنَ أَوَّلِ اللَّيْلِ وَ آخِرِهِ» لَيْسَ بِصَوَابٍ.

الكلام في حدوث الفجر و تعاكس الصباح و الشفق و البحث

إشاره

عن مسائل شتى متنوعه

و اعلم أَنَّ الشَّمْسَ أَكْثَرَ جُرْمًا مِنَ الْأَرْضِ بِكَثِيرٍ وَ هِيَ عَلَى الْحَسَابِ الْبَدِيِّ أوردته غياث الدّين جمشيد الكاشي في رسالته المفيدة الأنيقه المترجمه بسلم السماء ثلاثمائه و ستّ و عشرون مثلا للأرض.

و قد بين اسطرخس في الشكل الثّاني من كتابه في جرمي التيرين أنّ الكره إذا أقبلت الضوء من كره اخرى أعظم منها كان المستضيّ منها أعظم من نصفها فلما كانت الشمس و الأرض كرتين و الشمس أعظم منها بكثير فالأرض تستضيء أكثر من نصفها من الشمس دائما. و تحدث بين المستضيء و المظلم من الأرض دائره صغيره إذا الجزء المضىء من الأرض أعظم من النصف كما علمت فهي لا تنصّف كره الأرض و قد بين في محلّه أنّ الدائره العظيمة هي التي تنصّف الكره التي فرضت عليها.

ثمّ اعلم أنّ ما يقبل الضوء يجب أن يكون كثيفا مانعا من نفوذ الضوء فيه فلو لم يكن مانعا كالهواء و الزجاج المشفّين لم يقبلا الضوء فالأرض لكثافتها المانعه من نفوذ الضوء قابله له و كذا كره البخار المحيطة بها و أمّا ما فوق كره البخار

من الهواء لا يستضيء بضياء الشمس أصلا لكونها مشفّه في الغايه و ينفذ النور فيها و لا ينعكس فاذا وقع ضوء الشمس على الأرض يستضيء وجهها المواجه لها بها و لما كانت الأرض كزيه الشكل تقريبا و الشمس أعظم منها يكون ظلّها على شكل مخروط مستدير فإن الكره المنيره لو كانت مساويه للمستديره يكون الظلّ على شكل الأستوانه المستديره لا المخروط المستدير، ثمّ قاعده المخروط المستدير من ظلّ الأرض هي تلك الدائره الصغيره يحيط به هذه القاعده و سطح مستدير يرتفع منها و يستدقّ شيئا فشيئا إلى أن ينتهي في أفلاك الزهره و يكون لا محاله قاعده مخروط الظلّ نحو جرم الشمس و سهمه في مقابله جرمها أبدا ففي منتصف الليل يكون السهم على دائره نصف النهار فوق الأرض إمّا قائما على سطح الافق الحسيّ إن كانت الشمس على سمت القدم، أو مائلا- إلى جهه القطب الظاهر إن كانت عن سمت القدم في جهه القطب الخفيّ، أو إلى جهه القطب الخفيّ إن كانت عن سمت القدم في جهه القطب الظاهر؛ و لكن يتساوى بعده عن الشرق و الغرب في جميع الصّور.

و لا يخفى على ذى دربه في الفنّ أنّ هذا مخصوص بما إذا لم يتّصل الصبح بالشفق إذ حينئذ قبل أن يميل المخروط إلى جانب الغرب يصير الشعاع المحيط به مرثيا كما سنزيدك فيه بيانا.

ثمّ إنّ كره البخار هواء متكاثف بسبب مخالطه الأجزاء الأرضيه و المائيه المتصاعدتين من كرتيهما بحراره الشمس أو غيرها على شكل كره محيطه بالأرض على مركزها و سطح مواز لسطحها و هي مختلفه القوام فما هو أقرب منهما إلى الأرض أكتف ممّا هو أبعد لأنّ تصاعد الألف أكثر بالطبع من الأكتف و قد بين في الأبعاد و الأجرام أنّ بعد سطحها الأعلى عن سطح الأرض اثنان و خمسون ميلا تقريبا.

و مخروط الظلّ يثقب كره البخار و لا- يحيط بها و ذلك لأنّ قاعده المخروط سطح دائره محيطها هو الفصل المشترك بين المضىء و المظلم من كره الأرض و تلك

الدائرة صغيره أعنى أنّ القاعده أصغر من عظيمه مفروضه على كره الأرض كما دريت فتكون أصغر كثيرا من عظيمه كره البخار لأنها محيطة بالأرض. فما وقع من كره البخار داخل هذا المخروط لا يستضىء بضياء الشمس و ما سواه من كره البخار مستنيره أبدا لكثافتها و احاطه الشمس بها لكنّها لا ترى في الليل لبعدها عن البصر.

فإذا كانت الشمس تحت الأرض قريه من الافق فما يرى من القطعه المستنيره من كره البخار فوق الافق إن كان في الجانب الشرقى يسمّى صباحا، و إن كان في الجانب الغربى يسمّى شفقًا و هما متعاكسان أى متشابهان شكلا و متقابلان وضعًا فإنّ أوّل الصّبح بياض مستدقّ مستطيل منتصب، ثمّ بياض عريض منبسط في عرض الافق مستدير كنصف دائره يضىء به العالم، ثمّ حمرة. و أوّل الشفق حمرة، ثمّ بياض عريض منبسط مستدير، ثمّ بياض مستدقّ مستطيل منتصب.

و هما مختلفان لونا أيضا لاختلاف ما يستضىء من الجوّ بضياء الشمس بسبب اختلاف لون البخار فإنّه يكون في أواخر الليل مائلا- إلى الصّفاء و البياض لرطوبه المكتسبه من بروده الليل؛ و إلى الصفرة في أوائله لغلبيه الحرّ الدخاني المكتسب من حراره النهار مع أنّ الكثيف كلّما كان أكثر صفاء و بياضا كان أضوء و الشعاع المنعكس عنه أقوى.

و اعلم أنّ النوع الأوّل من الفجر أعنى ذلك البياض المستدقّ المستطيل المنتصب يعرف بالصّبح الأوّل. و الصّبح الكاذب، و يلقّب بذنب السرحان. أمّا بالأوّل فلسبقه لأنه أوّل ما يرى فوق الافق من نور الشمس.

و أمّا بالكاذب فلكون ما يقرب من الافق بعد مظلمة أى لو كان يصدق أنّه نور الشمس لكان المنير ما يلي الشمس دون ما يبعد منها.

وقيل: سمى بالكاذب لأنه تعقّب ظلمه تكذّبه فإنه إذا طلع الصبح الثاني انعدم ضوء الصبح الأوّل.

و فيه أنّ ضوء الصبح الأوّل لا يعدم بطلوع الصبح الثّاني بل يخفى عن البصر لضعفه و غلبه الضوء الشّديد الطّارى أعنى ضوء الصبح الثّاني عليه كما هو حكم النور الضعيف فى قبال القوىّ منه و لذا يخفى ضياء الكواكب فى ضوء الشمس فلا يصحّ أن يقال إنّ ظلمه تعقّبه و تكذّبه أيضا لأنّه لا تعقّبه ظلمه بل يكون وقتئذ ما قرب من الافق مظلمًا و إنّما يعقّبه ضوء قوى عليه.

و أمّا بذنب السرحان فلدقّته و استطالته تشبيها له به إذا شاله و لاستطالته يسمّى بالفجر المستطيل أيضا.

قال المسعود بن السعد بن السّلمان:

و ليل كأنّ الشمس زلّت ممرّها و ليس لها نحو المشارق مرجع

نظرت إليه و الظّلام كأنّه من الجوّ غربان على الأرض وّقع

فقلت لئنسى طال ليلي و ليس لى من الهّمّ منجاء و فى الصّبر مفرع

أرى ذنب السّرحان فى الجوّ طالعا و هل ممكن قرن الغزاه تطلع؟

و مراده من الغزاه معناها البعيد أعنى الشمس، قال الحافظ:

شود غزاه خورشيد صيد لاغر من گر آهويى جو تو اندر کنار من باشى

و قال الخاقانى الشروانى فى قصيده مدح بها منوچهر شروانشاه (ص ۳۷۹ طبع طهران ۱۳۳۶ ه ش):

صبحدم آب خضر نوش از لب جام گوهرى كز ظلمات بحر جست آينه سكندرى

شاهد طارم فلک رست ز ديو هفت سر ريخت بهر دريچه اى آغچه زرّ شش سرى

غاليه ساي آسمان سود بر آتئين صدف از پي مغز خاكيان لخلخه هاى عنبرى

يوسف روز جلوه کرد از دم گرگ و ميکند يوسف گرگ مست ما دعوى روز پيکرى

و النوع الثّانى من الفجر أعنى ذلك البياض العريض المنبسط فى عرض الافق المستدير كنصف دائره يضىء به العالم يسمّى

بالصبح الثّانى، و الصّبح الصادق، و الفجر المستطير، و الصّديع.

أمّا بالثّانى فلكونه فى مقابل الأوّل؛ و أمّا بالصادق لأنّ ضياءه أصدق من

الضياء الأول، ولأنه في إزاء الكاذب؛ و أما بالمستطير فمن قولهم استطار الفجر إذا انتشر و تبين، و سيأتي قول رسول الله صلى الله عليه و اله: لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا و اشربوا حتى يطلع الفجر المستطيع؛ و أما بالصديق لأنه انصداع ظلمه عن نور و الصدع: الشق و الفرق و الفصل كما مضى تفصيله في شرح المختار ٢٢٩ من باب الخطب (ص ٩ ج ١٥). و قد وردت في التعبير عن الصديق روايه عن الصادق عليه السلام رواها شيخ الطائفة الطوسي قدس سره في التهذيب بإسناده عن الحضرمي قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: متى أصلى ركعتي الفجر؟ قال: حين يعترض الفجر و هو الذي تسميه العرب الصديق (ص ٥٣ ج ٥ من الوافي).

و لا يتعلّق بالنوع الأول شيء من الأحكام الشرعيه، و لا من العادات الرّسميه غالباً، بل يتعلّق بالنوع الثاني منه كما يدلّ عليه بعض الايات القرآنيه و أخبار مستفيضه إن لم تكن متواتره و ردت في هذا المعنى و سيجيء نقل طائفه منها إن شاء الله تعالى.

و إنّما قيّدنا الحكم بقولنا غالباً لأنّ نبذه من عبادات نفلية تتعلّق بطلوع الفجر الأول: منها دخول وقت فضيله الوتر فإنّ أفضل أوقاتها ما بين الفجرين كما رواه شيخ الطائفة قدس سره في التهذيب (و في الوافي ص ٥٣ ج ٥) بإسناده عن إسماعيل بن سعد الأشعري قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن ساعات الوتر فقال: أحبّها إلىّ الفجر الأول - الحديث.

فإنّ قوله عليه السلام: أحبّها إلىّ، يدلّ على أنّ وقت فضيلته الفجر الأول.

و في الكافي و التهذيب بإسنادهما عن ابن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ساعات الوتر فقال: الفجر الأول (ص ٥٣ ج ٥ من الوافي).

و في أوائل مفتاح الفلاح للشيخ الأجلّ العلامة البهائي قدس سره أنّه روى أنّ رجلاً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الوتر أوّل الليل فلم يجبه فلمّا كان بين الصّبحين خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد فنادى أين السائل عن الوتر؟ ثلاث مرّات، نعم ساعه الوتر هذه؛ ثمّ قام عليه السلام فأوتر.

فإنَّ المراد من قوله: بين الصُّبحين هو بين الفجرين أى الكاذب و الصادق كما لا يخفى.

و منها وقت نافلتى الصُّبح ففى التهذيب بإسناده عن البنظى قال: قلت لأبى الحسن عليه السِّلام: ركعتى الفجر أصليهما قبل الفجر، و بعد الفجر؟ فقال: قال أبو جعفر عليه السِّلام: احش بهما صلاة اللّيل و صلّهما قبل الفجر. (ص ٥٣ ج ٥ من الوافى).

و فى الكافى و التهذيب بإسنادهما عن زراره قال: قلت لأبى جعفر عليه السِّلام:

الركعتان اللتان قبل الغداه أين موضعهما؟ فقال: قبل طلوع الفجر فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداه. (ص ٥٣ ج ٥ من الوافى).

و فى التهذيب بإسناده عن زراره، عن أبى جعفر عليه السِّلام قال: سألته عن ركعتى الفجر قبل الفجر أو بعد الفجر؟ فقال: قبل الفجر إنهما من صلاة اللّيل ثلاث عشره ركعه صلاة اللّيل - الحديث. (ص ٥٣ ج ٥ من الوافى).

و فيه بإسناده عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السِّلام قال: قلت: ركعتا الفجر من صلاة اللّيل هى؟ قال: نعم. (ص ٥٣ ج ٥ من الوافى).

و كذا غيرها من الزّوايات الواردة فى ذلك عن أصحاب العصمه عليهم السِّلام. و أنّما تدلّ على ما أشرنا إليه؟ لأنّ المراد من الفجر إذا اطلق هو الفجر الثانى، على أنّ قوله عليه السِّلام: «فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداه» قرينه دالّه على ذلك.

و أنّ قوله عليه السِّلام: احش بهما صلاة اللّيل، و إنهما من صلاة اللّيل و غيرهما ترشدنا إلى أنّ وقت النافلتين بين الفجرين، و قد علمت أنّ الوتر الذى هى من صلاة اللّيل كان أفضل أوقاتها بين الفجرين فنافلتا الصُّبح وقتها بعد صلاة الوتر و قبل الفجر الثانى أى بين الفجرين فيتمّ المطلوب.

نعم إن طلع الفجر الثانى و لم يكن قد صلّى صلاههما إلى أن يحمرّ الافق فإن احمرّ و لم يكن قد صلّى أخرهما إلى بعد الفريضة، كما ورد بها روايات عنهم عليهم السِّلام.

و بما قدّمنا علمت أن ما جنح إليه العلامة البيروني في القانون المسعودي (٩٤٩ ج ٢) من أنه لا- يتعلّق بالفجر الأوّل شيء من الأحكام الشرعيّة و لا من العادات الرسميّة، ليس باطلاقه صحيحا.

فالأحكام الشرعيّة أكثرها متعلّقه بالثاني فالمروى عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لا يغرّنكم الفجر المستطيل فكلوا و اشربوا حتّى يطلع الفجر المستطير، فأوّل النهار طلوع الفجر الثاني، و يدلّ عليه القرآن الكريم: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا حتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» (البقره - ١٨٦) فالخيّط الأبيض بياض الفجر المعترض الممدود المستطيل أى الفجر الثاني لأنّه أوسع ضياء و يناسب قوله تعالى حتّى يتبين، و الخيّط الأسود سواد الليل، قال أبو داود الأياديّ في الخيّط الأبيض:

و لما أضاءت لنا غدوه و لاح من الصبح خيّط أنارا

(١) و قال آخر في الخيّط الأسود:

قد كاد يبدو و بدت تباشره و سدف الخيّط البهيم ساتره

ففى الايه استعاره عجيبه و المراد حتّى يتبين بياض الصبح من سواد الليل و عبّرهما بالخيّطين مجازا.

و الظاهر أنّ وجه تشبيههما بالخيّط لدقّتهما كالخيّط لأنّ بياض الصبح فى أوّل طلوعه يكون مشرقا خافيا فيزداد انتشارا، و سواد الليل وقتئذ يكون منقزيا موليّا فيزداد استتارا فهما جميعا ضعيفان دقيقان كالخيّط.

و تحقيقه أنّ الفصل المشترك بين ما انفجر أى انشقّ من الضياء و بين ما هو مظلم بعد يشبه خيّطين اتّصلا عرضا فالمدى انتهى إليه الضياء الخيّط الأبيض و الذى ابتداء منه الظلام الخيّط الأسود.

ص: ١٠٠

١- (١) المصراع الاول قد يروى هكذا: و لما تبدت لنا سدفه، و قد يروى: و لما أضاءت لنا سدفه، و فى بعض النسخ ظلمه مكان غدوه، و السدفه: الضياء المخلوّط بالظلام. منه.

و كلمه من بيائيه أى الخيط الأبيض من الفجر؛ و استغنى به عن بيان الخيط الأسود لأنه يعلم بالتبع، و قد مال بعض إلى أنها للتبعيض و قد علمت بما حَقَّقنا أنه و هم.

و روى أن عدى بن حاتم قال: لما نزلت: و كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض الايه قلت للنبي صلى الله عليه و اله إني وضعت خيطين من شعر أبيض و أسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبين لى فضحك رسول الله صلى الله عليه و اله حتى رؤيت نواجده ثم قال: يا ابن حاتم إنما ذلك بياض النهار و سواد الليل، و قد نقله المفسرون بألفاظ مختلفه تؤل إلى ما نقلناه، فالايه تدل على أن أول النهار طلوع الفجر الثانى.

و فى الكافى بإسناده عن حماد، عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر فقال: بياض النهار من سواد الليل - إلخ. (ص ٣٤ ج ٧ من الوافى).

و اعلم أن البياض المستدق المستطيل المنتصب الموازى لذنب السرحان آخر الشفق قلما أن يتتبه له الناس و يدركوه و السر فى ذلك أن الهواء حينئذ يكون كدرا جدا بسبب ما يكون الناس فيه من الأشغال و بغلبه الحر الدخانى المكتسبه من حراره النهار؛ بخلاف الصبح فإن الهواء فيه يكون مائلا إلى الصفاء و البياض لرتوبه المكتسبه من بروده الليل و لعدم أشغال معتده تكدره فبتلك العوائق الطاريه أن ذنب السرحان لا يرى فى الشفق، لا كما ذهب إليه العلامه أبو ریحان البيرونى فى القانون المسعودى (ص ٩٤٩ ج ٢ طبع حيدر آباد الدكن ١٣٧٤ هـ) و تبعه المحقق الشريف و الفاضل الفخرى و غيرهما حيث قال: و إنما لا يتبه الناس له لأن وقته عند اختتام الأعمال و اشتغالهم بالاكنتان و أميا وقت الصبح فالعاده فيه جاريه باستكمال الرّاحه و التهيؤ للتصرف فهم فيه منتظرون طليعه النهار ليأخذوا فى الانتشار فلذلك ظهر لهم هذا و خفى ذلك. انتهى كلامه.

كيف لم يكن هذا الدليل عليلا و لو ينتظر أحد غروب الشفق لا يدرك

ذلك الخيط الشبيه بذنب السرحان غالبا كما يدركه أول طلوع الصبح.

و جملة الأمر أنّ هذا الحكم رياضى لا يخصّص ولا يعتريه ريب ولا يشوبه عيب إلا أنّ الطوارى تمنعنا عن إدراكه.

فبما حققناه فى المقام دريت و هن ما ذهب إليه المولى أحمد النراقى رحمه الله فى الخزائن حيث قال: إشكال رياضى و هو أنّ الرياضيين علّوا الفجر الكاذب و نسبوه إلى الشمس وضوئها و لو كان كذلك ينبغى أن يكون فى المغرب أيضا كذلك يعنى إذا غاب الشمس يظهر بعد قليل بياض مستطيل شبيه بذنب السرحان و ليس كذلك انتهى كلامه. فراجع إلى (ص ١٦٥ من كتاب الخزائن الذى طبع فى طهران عاصمه ايران سنه ١٣٨٠ هـ) على تصحيحنا و تعليقنا عليه.

و إن شئنا ثبينا البيان على تحرير أدقّ و برهناه ببرهان هندسى أتم فنقول:

إنّ ظلّ الأرض مخروط مستدير و المخروط المستدير كما عرّفه اقليدس فى صدر مقاله الحاديه عشر من الاصول ما يحوزه مثلث قائم الزاويه أثبت أحد ضلعي الزاويه القائمه محورا لا يزول و أدير المثلث إلى أن يعود إلى موضعه، و سهمه الضلع الثابت و قاعدته دائره و سهم المخروط مارّ بمركز القاعده عمود عليها أبدا، و قد بين فى محلّه أنّ مركز الشمس و الأرض أبدا على سهم مخروط ظلّ الأرض فليمّر سطح بمركزى الشمس و الأرض و سهم المخروط و هذا السطح قائم على قاعده المخروط على زوايا قوائم كما برهن فى الشكل الثامن عشر من مقاله الحاديه عشر من الاصول. ثمّ ليحدث من ذلك السطح مثلث حادّ الزوايا قاعدته على الافق و ضلعا على سطح مخروط الظلّ.

أمّا كون المثلث حادّ الزوايا فنقول إنّ زاويتى قاعدته حادّتان لأنّ سهم المخروط قائم على القاعده و مارّ بمركزها و قطر قاعده المخروط قاعده المثلث فمنتصف القطر موقع عمود السهم فينقسم المثلث بمثلثين يكون سهم المخروط ضلعهما المشترك، و نصف قطر قاعده المخروط قاعده كلّ واحد منهما و الزاويتان

اللتان بين السهم و نصفى القطر قائمتان لأنّ السهم عمود على القطر، فالزاويتان الاخرتان أعنى زاويتي قاعده المثلث الأعظم حادثان لأنّ المثلث على البسيط المستوى تعدل زواياه الثلاث قائمتين فإذا كانت إحدى زواياه قائمه فلا بدّ من أن تكون كلّ واحده من زاويتي الأخرين أقل من قائمه أعنى حادّه، و المثلثان متساويان زواياهما كلّ لنظيره متساويه كما برهن فى الرابع، و فى الثانى و الثلاثين من أولى الاصول.

و إنّما قيّدنا المثلث على البسيط المستوى لأنّه إذا كان على كره أمكن أن يبلغ جميع زواياه الثلاث إلى أعظم من قائمتين كما برهن فى الشكل الحادى عشر من أولى أكرمانا لاؤوس.

و إنّما كانت زاويه رأسه حادّه لأنّها لو لم تكن حادّه لكانت إمّا قائمه أو منفرجه فكان وتره أعظم من كلّ من ضلعي المخروط لأنّهما و ترا حادثين و قد بين فى التاسع عشر من أولى الاصول أنّ الزاويه العظمى من المثلث يوترها الضلع الأطول و كان وترها قطر قاعده المخروط الممدى هو أصغر من قطر الأرض و قد تبين فى الأبعاد و الأجرام أنّ رأس المخروط فى أفلاك الزهره و أنّ بعد مقعر فلک الزهره أعظم من قطر الأرض بكثير.

و إنّما كان قطر قاعده المخروط أصغر من قطر الأرض لأنّ الأرض أصغر من الشمس بكثير فتقبل منها الضوء و قد علمت أنّ الكره إذا قبلت الضوء من كره اخرى أعظم منها كان المستضىء منها أعظم من نصفها و لذا تحدث بين المستضىء و المظلم من الأرض دائره صغيره هى قاعده مخروط الظلّ فيكون قطره أصغر من قطر الأرض.

و أمّا كون قاعده المثلث على الافق فلاّ أنّ قطر قاعده المخروط يكون دائما موازيا لافق موضع ما قريبا من الحسى، و فى المقام خاصّه إذا كان نصف الليل كان قطر قاعده المخروط موازيا لافق الناظر قريبا من الافق الحسى.

فإذا دريت ما قدّمنا لك فنقول: و ليفرض هذا المثلث فى سطح ممتدّ فيما بين

المشرق و المغرب فوق الأرض إن كان المطلوب تميز الصبح، و بينهما تحتها إن كان المقصود تميز الشفق، بحيث إن أحد الضلعين على القاعده يلي الشمس، و لا شك أن الأقرب من الضلع الذى يلي الشمس إلى الناظر يكون موقع العمود الخارج من البصر الواقع على ذلك الضلع ثم الأقرب فالأقرب منه، لا موضع اتصال الضلع بالافق؛ فإذا ما يرى نور الشمس يرى فوق الافق كخط مستقيم منطبق على الظل المذكور، و يكون ما يقرب من الافق بعد مظلمًا، و لذلك يسمّى ذلك النور المرئى فى المشرق بالصبح الأول و الصبح الكاذب.

و إن شئت قلت إن أول ما يرى من الشعاع المحيط بالمخروط أعنى أقربه إلى موضع الناظر هو موضع خط يخرج من بصره إليه فى سطح دائره سمّيته أعنى دائره ارتفاع تمرّ بمركز الشمس حال كون ذلك الخط عمودًا على الخط المماس للشمس و الأرض جميعًا الذى هو فى سطح الفصل المشترك بين الشعاع و الظل فيرى الضوء مرتفعًا عن الافق مستطيلًا و ما بينه و بين الافق مظلمًا و هو الصبح الكاذب؛ فتبصر.

ثم إذا قربت الشمس من الافق الشرقى جدًا ينسط النور فصار الافق منيرا يصير الصبح صادقًا ثم يزداد نوره لحظه فلحظه إلى أن تظهر الحمره. و قد علمت أن الشفق يكون بعكس الصبح.

و الحمره التى ترى فوق الافق فى الصبح و الشفق إنما تتكوّن من اختلاط النور القوى و الظلمه، و ليكن ذلك فى ذكر ك حين تسير بك قطار فى نفق السكّه الحديدية، أو سيّاره فى نفق؛ سيّما إذا كنت مواجهًا للشمس و كان النفق ذا طول فإذا ظهر مخرج النفق من بعيد ترى حمره كحمره الصبح و الشفق قد تكوّنت من اختلاط شعاع الشمس من خارج النفق و الظلمه فى داخله.

و لنمّثل لك مثالا توضيحا للمراد فليفرض ا ب ح ممثّلت المخروط و ا ح الضلع الّذى يلي الشمس و ب ح سطح الافق المرئى و د موضع الناظر و ه موقع عمود البصر و نخرج من موضع الناظر عمود د ه على ا ح و هذا العمود لا يمكن أن يقع على ح لأن زاويه د ح ه الداخلة فى المثلث حاده كما دريت. و زاويته قائمتان لأنّ د ه عمود فيلزم إذن تساوى الحاده و القائمه هف.

و كذلك لا يمكن أن يقع خارجا عن جانب ح. مثلا أن يقع على رلّائه يلزم أن يجتمع فى مثلث د ح قائمه و منفرجه و قد بين امتناع اجتماعهما فى مثلث مستو. أمّا الزاويه القائمه فلاّذّ در عمود بالفرض على ضلع ا ح.

و أمّا المنفرجه فلاّذّ زاويه د ح ه كانت حادّه فد ح ر منفرجه لا محاله لأنّه برهن فى الثالث عشر من أولى الاصول إذا قام خط على خط كيف كان حدثت عن جنبتيه زاويتان إما قائمتان أو متساويتان معا لقائمتين فإذا كانت إحداهما حادّه بقيت الاخرى منفرجه.

و أمّا امتناع اجتماعهما فى مثلث مستو فلاّذّ إذا كان إحدى زواياه قائمه فلا بدّ من أن تعادل الاخرى قائمه فلو كانت أحدهما منفرجه تعادل زواياه الثلاث أكثر من قائمتين هف.

و بمثل هذا البيان نقول: إنّ هذا العمود لا يمكن أن يقع على ا أعنى رأس

المخروط و لا خارجا من جانبه فيقع موقع العمود فيما بين نقطى اح، ثم نقول:

إنّ - د ه وتر حادّه و د ح - وتر قائمه فالأول أقصر من الثانى بالتاسع عشر من أولى الاصول بل أقصر من كلّ خطّ يخرج من موضع الناظر إلى اح لكونه وتر قائمه فيكون نقطه ه موقع العمود أقرب النقاط إلى البصر فيكون خط د ه من بين الخطوط الخارجه من البصر إلى ضلع اح أقلّ مسافه منها فيرى أولا موقع العمود أعنى نقطه ه لقربه من البصر ثمّ بعض ما كان من الضلع المذكور فوق موقع العمود و تحته القرييين منه دون البعض الاخر لبعده عنه فلذلك يرى بعض الأجزاء المرئى من الضلع المذكور كخطّ مستقيم شبيه بذنب السرحان إذا شال ذنبه.

و أمّا ما يقرب من الافق فيكون بعد مظلما و لا يرى نور الشمس الذى وراء الظل لبعده عن البصر لأنّ لكلّ مبصر غايه من البعد و القرب إذا جاوزهما لم يبصر كما حقّق فى محلّه و أشرنا إلى شرايط الرؤيه فى شرحنا على الكتاب الثامن فراجع.

على أنّ الهواء الذى عند الافق يكون أكثف و أغلظ بخلاف الهواء الذى ارتفع عنه و لا يخفى عليك أنّ للطفاه الهواء و كثافته دخلا فى ظهور الضوء و عدمه.

فان قلت: ما قدمت إنّما يتمّ لو كان خط د ه العمود الواقع على اح شعاع البصر فتكون نقطه د بمنزله عين الناظر مرتفعه عن الافق على حدّ قامته، و الاشكال فيه أن صورته مثلث د ح ه إنّما تتحقّق لو كانت نقطه د على سطح الافق الحسيّ لا مرتفعه عنه، و لو اعتبر كونها عليه فأين قامه الناظر؟ قلت: قامه الناظر فى أمثال هذه الامور كنقطه لا تخلّ بالمقصود فلا يضرنّا فى المقام اعتبار قامته و عدمه.

و أمّا ما وعدنا من زياده بيان فى اتّصال الصبح بالشفق فى بعض الافاق فنقول: قد علم بالتجربه أنّ انحطاط الشمس عند أوّل طلوع الصبح الكاذب و آخر الشفق ثمانيه عشر درجه ففى الافاق التى يكون عروضها ثمانى و أربعين درجه

و ثلاث و ثلاثين دقيقه شماليه كانت أو جنوبيه يتصل آخر الشفق و هو عند غايه انحطاط الشمس عن الافق بأول الصبح الكاذب إذا كانت الشمس فى المنقلب الصيفى أعنى أول السرطان فى الافاق الشماليه و أول الجدى فى الافاق الجنوبيه.

و ذلك لأن افقا كان عرضه ٤٨ ٣٣ يكون تمام عرضه ٤١ ٢٧ فإذا نقص منه الميل الكلى أعنى الميل المنقلب الصيفى و هو فى سنتنا هذه و هى سنه ١٣٨٥ هـ بلغ ٢٣ ٢٧ تقريباً بقى ١٨ درجه؛ و تكون غايه انحطاط المنقلب الصيفى فى هذا الافق ١٨ درجه لا محاله و لا يخفى عليك أنّ غايه انحطاطه حينئذ قوس من نصف النهار بين المنقلب عند كونه تحت الأرض و بين قطب أول السموت من الجانب الأقرب و لمّا كانت الشمس بلا عرض أعنى أنّها فى سطح دائره منطقه البروج دائماً فإذا بلغت إلى هذا المنقلب تكون غايه انحطاطها عن ذلك الافق ١٠٨ درجه فيكون آخر الشفق أى غايه انحطاطها مبدء الصبح الأول.

و هذا أول عرض يتفق فيه اتصال الصبح بالشفق و فى الافاق التى جاوزت عروضها ذلك المقدار إلى أن بلغ عرضها مثل تمام الميل الأعظم أعنى ٦٦ ٣٣ يتناقص انحطاط الشمس عن الافق عند كونها فى المنقلب الصيفى عن ذلك المقدار أى يكون انحطاط أقل من ١٨ درجه فلا محاله تكون عن جنبى المنقلب نقطتان غايه انحطاطهما تكون ١٨ درجه فما دامت الشمس فى القوس التى بين النقطتين يتصل الشفق بالصبح و طلوع الصبح يكون قبل تمام غروب الشفق فيتداخل الصبح و الشفق فيكون زمان ما من ساعاتهما و يكثر هذا الزمان كلّما ازداد العرض لأنّ العرض كلّما كان الأكثر كانت تلك القوس الواقعه بين النقطتين أعظم.

و إذا بلغ العرض مثل تمام الميل الكلى فما فوقها فلا يكون للشمس فى المنقلب الصيفى انحطاط أصلاً لأنّ مدار المنقلب على الأول يكون أعظم المدارات الأبدية الظهر و على الثانى يدور فوق الافق.

و بما حرّرتنا دريت أنّ قول الفاضل البرجنديّ فى شرح التذكره فى المقام حيث فسّر نهايه المقدار فى كلام الخواجه: «و فيما جاوزت عروضها ذلك المقدار»

بقوله: إلى أن بلغ عرض تسعين، ليس بصواب. و الحق فيه التفصيل.

ثم إن في المقام مباحث أئيقه و مطالب دقيقه حرّرتها في رسالتنا المدوّنه في الوقت و القبله فليرجع الطالب إليها. و لعلنا نشير إلى طائفه منها في شرح كتابه عليه السّلام إلى امراء البلاد في معنى الصلاه إنشاء الله تعالى و الله تعالى نحمد و نستزيد.

تذييل

: قد ذكرنا أنّ قوله تعالى: «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» يدلّ على أنّ المراد من الفجر هو الثاني و قد رويت أخبار عديده من أئمّتنا المعصومين عليهم السّلام فيه: ففي الكافي عن عليّ بن مهزيار قال: كتب أبو الحسن بن الحسين إلى أبي جعفر الثاني عليه السّلام معى جعلت فداك قد اختلف موالوك في صلاه الفجر فمنهم من يصلّى إذا طلع الفجر الأوّل المستطيل في السماء، و منهم من يصلّى إذا اعترض في أسفل الافق و استبان؛ و لست أعرف أفضل الوقتين فاصلّى فيه فان رأيت أن تعلمنى أفضل الوقتين و تحدّه لى و كيف أصنع مع القمر و الفجر لا يتبيّن معه حتّى يحمّر و يصبح؟ و كيف أصنع مع الغيم؟ و ما حدّد ذلك في السفر و الحضر؟ فعلت إن شاء الله تعالى.

فكتب بخطّه و قراءته: الفجر يرحمك الله هو الخيط الأبيض المعترض ليس هو الأبيض سعداء؛ فلا تصلّ في سفر و لا حضر حتّى يتبيّن فإنّ الله تعالى لم يجعل خلقه في شبهه من هذا فقال: «و كلوا و اشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» و الخيط الأبيض هو المعترض الذى يحرم به الأكل و الشرب في الصوم و كذلك هو الذى يوجب به الصلاه. أتى به الفيض في الوافى في ص ٥١ ج ٥. و العاملى في باب أنّ أوّل وقت الصبح طلوع الفجر الثانى المعترض في الافق دون الفجر الأوّل المستطيل من صلاه الوسائل، و رواه في التهذيب بأدنى تفاوت في ألفاظه.

و في التهذيب عن زراره، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه و اله يصلّى ركعتى الصبح و هى الفجر إذا اعترض الفجر و أضاء حسنا. و فى الفقيه: و روى أنّ وقت الغداه إذا اعترض الفجر فأضاء حسنا. رواه فى ذلك الباب من الوسائل أيضا.

و فى الكافى و التهذيب و الفقيه، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: الصبح هو الذى إذا رأيتَه (كان - نسخه الفقيه) معترضاً كأنّه نباض سورى.

أقول: النباض بتقديم النون على الباء من نبض الماء إذا سال و ربما قرىء بالباء فالباء و المراد منه نهري سورى على وزن بشرى موضع بالعراق و قد دلّ عليه ما فى التهذيب عن هشام بن الهذيل، عن أبى الحسن الماضى عليه السّلام قال: سألت عن وقت صلاه الفجر فقال: حين يعترض الفجر فتراه. مثل نهر سورى. رواه فى ذلك الباب من الوسائل أيضاً.

و فى التهذيب عن أبى بصير المكفوف قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن الصائم متى يحرم عليه الطعام، فقال: إذا كان الفجر كالبطيّ البضاء، الخبر.

أقول: البطيّ بضم القاف: الثوب من ثياب مصر رقيقه بيضاء منسوب إلى القبط و هم أهل مصر هذا فى الثياب و أمّا فى الناس فقبطيّ بالكسر كما فى النهايه الأثيريه.

و فى الباب التالى من ذلك الباب المقدّم من الوسائل: عن زريق، عن أبى عبد الله عليه السّلام أنّه كان يصلّى الغداه بغلس عند طلوع الفجر الصادق أول ما يبدو قبل أن يستعرض.

أقول: و الأخبار بهذا المضمون المرويّه عن أئمتنا عليهم السّلام كثيره رويت أكثرها فى الكتب الأربعة و كتابى الصلاه و الصوم من الوسائل و غيرها من الجوامع تدلّ على ما قدّمنا من أنّ قوله تعالى «حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ» يدلّ على أنّ المراد من الفجر الفجر الصادق و أنّ الأحكام الشرعيّه و العادات الرسميّه إنّما تتعلّق به لا بالكاذب.

قوله عليه السّلام: «فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً» امره عليه السّلام أن يقف عند لقاء العدو فى وسط الجيش و ذلك لأنّ أمير الجيش إذا كان حينئذ فى وسط الجيش يكون نسبته إلى كلّ جوانب على السواء فكان أقدر على ابلاغ أوامره و نواهيّه إلى الجميع، و على الإحاطه بهم و التسلّط عليهم.

على أن أمير الجيش بمنزله القطب فيهم فينبغي لهم أن يكونوا حوله على نسبه سواء، و يقوه بأنفسهم و ينتظروا أمره و لا يبعدوا عنه بعدا ربّما يوجب اختلال نظامهم.

و أنّه بمنزله القلب من جسد العسكر فيجب عليه و عليهم العناية التامّة في حفظه و حراسته و ذلك لأنّ موت واحد من أفراد الجيش لا- يوجب اضمحلالهم بخلاف الأمير لأنّه من الأعضاء الرئيسة التي ينتفى الكلّ بانتفائه فهلاك رئيس القوم يوجب انهزامهم و انهزامهم فنعم ما قاله الشاعر:

لك العزّ إن مولاك عزّ فإن يهن فأنت لدى بحبوحه الهون كائن

فإذا كان في وسط القوم فكأنّه في حصن حصين يمنع الخصم عن الظفر عليه.

قوله عليه السّلام: «و لا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب - إلخ» بعد ما أمره عليه السّلام بما دريت أخذ أن ينهيه عن عدّه امور فمنها أن لا- يدنو من القوم دنوّ من يريد أن يوقع الفتنة و يقيم الحرب و ذلك لما قدّمنا من أنّ أولياء الله ما أمروا بسفك الدماء و قتل النفوس إلّا بعد أن أبى الناس إلّا نفورا و طغيانا فعند ذلك كان أمر ربّهم حتما مقضيا في اجتياحهم لئلا يختلّ بهم انتظام الاجتماع البشرى و قد قيل: إنّ ما يزع السلطان أكثر ممّا يزع القرآن و ما يلتئم بالسنان لا ينتظم بالبرهان. و قد تقدّم في ص ٣٩ ج ٢ من التكملة، و قال رسول الله صلّى الله عليه و اله الخير كلّ في السيف و تحت ظلّ السيف و لا يقيم الناس إلّا السيف و السيوف مقاليد الجنّة و النار. رواه الكليني في الكافي و قد تقدّم و بيانه آنفا. و في القرآن الكريم: «و لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » (البقره - ٢٥٤). «و لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ لَهَادَمَتِ صَوَامِعُ وَ بِيَعُ وَ صِيْلَوَاتُ وَ مَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا » (الحج - ٤٢) و الايتان مسوقتان إلى الجهاد في سبيل الله بالسيف كما يدلّ عليه سياق الايات التي قبلهما فراجع.

ثم انظر في سيره قائد الغر المحجلين أمير المؤمنين علي عليه السلام في حروبه، لا يأذن القوم أن يواجهوا الخصم إلى حد يشعر باراده ايقاع الفتنة فتبصر أن الحجج الإلهية والذين تولوا أمور الدين بعدهم ياذنهم شأنهم أجل مما توهمه الجاهلون و عزوهم إلى كثير مما ليس إلا فريه و اختلاق.

و منها أن يتباعد عنهم تباعد من يؤذن بخوفه من البأس أي الحرب لأن ذلك يشعر بالوهن و الضعف و الخوف من العدو فيوجب أن يطمع العدو فيه. ثم ضرب له في هذين النهيين غايه فقال: حتى يأتيك أمرى.

و منها أن لا يحملن معقل بن قيس و أصحابه بغض القوم و عداوتهم إياهم على أن يقاتلوهم قبل أن يعذروا إليهم الدعاء و يمنحوهم النصح و يتموا الحجج عليهم و يدعوهم إلى الإمام الحق. و في الكافي (الوافى ص ١٦ ج ٩) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لما وجهني رسول الله صلى الله عليه و اله إلى اليمن فقال: يا علي لا تقاتل أحدا حتى تدعوه إلى الإسلام و أيم الله لئن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس و غربت و لك و لاؤه.

و يستحب أن يكون الدعوه بما في النص كما يأتي تفصيله في شرح المختار الخامس عشر من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

فلو كان القتال بمجرّد عداوه الخصم يخرج كونه طاعه بل قتال في سبيل هوى النفس و تشقيها فلا أقل من أن يكون مشوبا بغير طاعه الله و قد قال تعالى و تقدّس:

«فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (آخر الكهف) و الجهاد عباده فلا بد فيه من خلوص اليه. و تأبى نفسى إلا نقل جمله ما أجاد العارف الرومى فى المثنوى من أبيات تناسب المقام جدّا:

از على آموز اخلاص عمل شیر حق را دان منزّه از دغل

در غزا بر پهلوانی دست یافت زود شمشیری بر آورد و شتافت

او خدو انداخت بر روی علی افتخار هر نبی و هر ولی

او خدو انداخت بر روی که ماه سجده آرد پیش او در سجده گاه

در زمان انداخت شمشیر آن علی کرد او اندر غزایش کاهلی
گشت حیران آن مبارز زین عمل از نمودن عفو و رحم بی محل
گفت بر من تیغ تیز افراستی از چه افکندی مرا بگذاشتی
آن چه دیدی بهتر از پیکار من تا شدی تو سست در آشکار من
آن چه دیدی که چنین خشم نشست تا چنین برقی نمود و باز جست
آن چه دیدی که مرا زان عکس دید در دل و جان شعله ای آمد پدید
آن چه دیدی بهتر از کون و مکان که به از جان بود و بخشیدیم جان
در شجاعت شیر ربانیستی در مروّت خود ندانم کیستی
در مروّت ابر موسایی به تیه کامد از وی خوان و نان بی شبیه
ای علی که جمله عقل و دیده ای شمه ای وا گو از آن چه دیده ای
تیغ علمت جان ما را چاک کرد آب علمت خاک ما را پاک کرد
باز گو دانم که این اسرار هوست زان که بی شمشیر کشتن کار اوست
باز گو ای باز عرش خوش شکار تا چه دیدی این زمان از کردگار
چشم تو ادراک غیب آموخته چشمهای حاضران بر دوخته
راز بگشا ای علی مرتضی ای پس از سوء القضا حسن القضا
یا تو واگو آنچه عقلت یافته است یا بگویم آنچه بر من تافته است
از تو بر من تافت چون داری نهان می فشانی نور چون مه بی زبان
لیک اگر در گفت آید قرص ماه شب روان را زودتر آرد براه
از غلط ایمن شوند و از ذهول بانگ مه غالب شود بر بانگ غول
ماه بی گفتن چو باشد رهنما چون بگوید شد ضیا اندر ضیا

چون تو بایی آن مدینه علم را چون شعاعی آفتاب حلم را
باز باش ای باب بر جویای باب تا رسند از تو قشور اندر لباب
باز باش ای باب رحمت تا ابد بارگاه ما له کفوا أحد

ص: ۱۱۲

پس بگفت آن نو مسلمان ولیّ از سر مستی و لذّت با علیّ
که بفرما یا امیر المؤمنین تا بجنبد جان بتن همچون جنین
باز گو ای باز پر افروخته با شه و با ساعدش آموخته
باز گو ای باز عنقا گیر شاه ای سپاه اشکن بخود نی با سپاه
امت وحدی یکی و صد هزار باز گو ای بنده بازت را شکار
در محلّ قهر این رحمت ز چیست ازدها را دست دادن کار کیست
گفت من تیغ از پی حق می زخم بنده حقم نه مأمور تنم
شیر حقم نیستم شیر هوا فعل من بر دین من باشد گوا
من چو تیغم و آن زننده آفتاب ما رمیت اذ رمیت در حراب
رخت خود را من زره برداشتم غیر حق را من عدم انگاشتم
گفت امیر المؤمنین با آن جوان که بهنگام نبرد ای پهلوان
چون خدو انداختی بر روی من نفس جنّید و تبه شد خوی من
نیم بهر حق شد و نیمی هوا شرکت اندر کار حق نبود روا
گفت من تخم جفا می کاشتم من ترا نوعی دگر پنداشتم
تو ترازوی أحد خود بوده ای بل زبانه هر ترازو بوده ای
من غلام آن چراغ شمع خو که چراغت روشنی پذیرفت ازو
عرضه کن بر من شهادت را که من مر تو را دیدم سرافراز ز من
قرب پنجه کس ز خویش و قوم او عاشقانه سوی دین کردند رو
او بتیغ حلم چندین خلق را وا خرید از تیغ چندین خلق را
تیغ حلم از تیغ آهن تیز تر بل ز صد لشکر ظفر انگیز تر

این وصیتی است که امیر علیه السلام بمعقل بن قیس ریاحی - هنگامی که وی را با لشکری سه هزار نفری مقدمه خود کرده بوده، و بسوی شام گسیل داشت - فرمود:

بترس از خدائی که ناچار بازگشت بدو است، و سرانجامت تنها او است، جنگ مکن مگر با کسی که با تو سر جنگ دارد، و در دو طرف روز (صبح و عصر که هوا خنک است) راه میرو، و در نیم روز لشکر را فرود آر تا بیاسایند، و سبک و آسان راه میرو. و در اول شب سیر مکن که خدا آنرا برای آرمیدن قرار داده و برای اقامت تقدیر فرموده نه کوچ کردن، پس در آن تنت و ستورانت را آسایش ده تا به پهن شدن آثار سحر، و پیدایش سپیده صبح آگاه شدی، با درخواست برکت از خدای سیر میکن، و چون دشمن را دیدی در میان لشکر قرار گیر، و بدشمن چندان نزدیک مشو چون نزدیک شدن کسی که آهنگ در گرفتن آتش جنگ دارد، و چندان از آنان دور مشو چون دور شدن کسی که از جنگ هراس دارد، تا فرمان من در رسد، و مبادا که دشمنی آنان، شما را پیش از آنکه با آنان اتمام حجت کنید، و مرایشان را براه حق بخوانید، و عذر خود را بدیشان تمام گردانید بجنگ و او دارد.

و من کتاب له علیه السلام الی امیرین من امراء جیشه

اشاره

و هو المختار الثالث عشر من باب کتبه و رسائله علیه السلام و قد أمرت علیکما و علی من فی حیز کما مالک بن الحارث الأشتر فاسمعا له و أطيعاه و اجعلاه درعا و مجنًا فإنه ممّن لا یخاف وهنه

ص: ۱۱۴

(وهيه - نسخه) و لا سقطته، و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم، و لا إسراعه إلى ما البطؤ عنه أمثل.

مصدر الكتاب و سنده

نقل الكتاب مسندا أبو جعفر الطبري المتوفى (٣١٠هـ) في التاريخ بأدنى اختلاف و قد مضى نقله في شرح الخطبه ٢٣٦ فراجع إلى ص ٢٢١ من ج ١ من تكمله المنهاج.

و رواه مسندا نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفين (ص ٨١ من الطبع الناصري)، و أتى به المجلسي في المجلد الثامن من البحار (ص ٤٧٨ من الطبع الكمباني). و ما أتى به الرضوي في النهج فهو بعض هذا الكتاب و قد أسقط منه قريبا من سطر فدونك الكتاب بصورته الكامله على ما رواه نصر و إن كان يوافق ما نقله الطبري تقريبا و قد نقل قبل.

قال نصر: و قال خالد بن قطن: فلما قطع علي عليه السلام الفرات (١) دعا زياد بن النضر و شريح بن هاني فسرهما أمامه نحو معاويه على حالهما الذي كانا عليه حين خرجا من الكوفه في اثني عشر ألفا و قد كانا حيث سرحهما من الكوفه أخذا على شاطئ الفرات من قبل البر ممّا يلي الكوفه حتى بلغا عانات فبلغهم أخذ علي عليه السلام على طريق الجزيره، و بلغهما أنّ معاويه أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقبال علي عليه السلام فقال: لا و الله ما هذا لنا برأى أن نسير و بيننا و بين أمير المؤمنين هذا البحر، و ما لنا خير أن نلقى جموع أهل الشام بقله من عددنا منقطعين من العدد و المدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات و حبسوا عندهم السفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت، ثم لحقوا عليا بقريه دون قرقيسياء و قد أرادوا أهل عانات فتحصنوا منهم فلما لحقت المقدمه عليا قال: مقدمتي تأتي ورائي.

ص: ١١٥

١- (١) قد مضى تفصيله في ج ١٥ ص ٢٢٠ منه.

فتقدّم إليه زياد و شريح فأخبراه الذي رأيا؛ فقال: قد أصبتما رشدكما، فلما عبر الفرات قدّمهما أمامه نحو معاويه، فلما انتهوا إلى معاويه لقيهم أبو الأعور في جند أهل الشام فدعوهم إلى الدخول في طاعه أمير المؤمنين فأبوا؛ فبعثوا إلى عليّ أنا قد لقينا أبا الأعور السلمى بسور الروم في جند من أهل الشام فدعوناهم و أصحابه إلى الدخول في طاعتك فأبوا علينا فمرنا بأمرك. فارسل عليّ عليه السلام إلى الأشتر فقال:

يا مال إنّ زيادا و شريحا أرسلا إليّ يعلماني أنّهما لقيّا أبا الأعور السلمى في جند من أهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول أنّه تركهم متواقفين فالنجاء إلى أصحابك النجاء، فإذا أتيتهم فأنت عليهم و إياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدءوك حتى تلقاهم و تسمع منهم و لا- يجر منكم شأنهم على قتالهم قبل دعائهم و الإغذار إليهم مرّه بعد مرّه و اجعل على ميمنتك زيادا، و على يسرتك شريحا، وقف بين أصحابك وسطا، و لا تدن منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب، و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم إليك فأنتي حثيث السير إليك إن شاء الله.

و كان الرسول الحارث بن جمهان الجعفيّ. و كتب إليهما: أما بعد فإنّي قد أمرت عليكما مالكا فاسمعا له و أطيعا أمره فأنّه ممّن لا يخاف رهنه و لاسقاطه و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم و لا الإسراع إلى ما البطؤ عنه أمثل. و قد أمرته بمثل الذي أمرتكما ألاّ يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم فيدعوهم و يعذر إليهم(١).

اللغة

الحيز: أصله من الواو. و قد يقال: الحيز مخففا مثل هين و هين، و لين و لين. قال الجوهريّ: الحيز ما انضمّ إلى الدار من مرافقها و كلّ ناحيه حيز، قال تعالى: «و من يؤلّهم يؤمّن دبره إلاّ متحرّفا لقتال أوّ منحيزا إلى فئه فقدّ باء بغضب من الله»، الايه (١٧، انفال) أي صائرا إلى حيز.

«درعا» الدرع بكسر الدال و سكون الراء مصنوع من حديد يلبس في

ص: ١١٦

١- (١) كان الاصل من نسخه صفين: ألاّ تبدءوا القوم حتى تلقاهم فتدعوهم و تعذر إليهم.

الحروب للوقاية من الضرب و الطعن، يقال بالفارسيه: زره. مؤنثه و قد يذكر جمعه القليل أدرع و أدراع فاذا كثرت فهي الدروع. رجل دارع أى لا بس الدرع أى عليه درع كأنه ذو درع مثل تامر، قال السموأل بن عاديا اليهودي:

و أسيافنا في كل شرق و مغرب بها من قراع الدارعين فلول

في أبيات له أتى بها الجاحظ في البيان و التبيين (ص ١٨٥ ج ٣ طبع مصر) و درع المرأة قميصها و هو مذكر و الجمع أدراع قاله الجوهري.

«المجنّ» بالكسر: الترس و هو اسم آله من الجنّ و الجمع مجانّ بالفتح.

و كذا المجنّه و الجنّه. و أصل الجنّ ستر الشيء عن الحاسه و الترس يجنّ صاحبه و الجنّه: الستره يقال: استجنّ بجنّه أى استتر بستره. قال عزّ من قائل: اتّخذوا أيمانهم جنّه، و في الكافي عن الصادق عليه السّلام: الصوم جنّه، و في التهذيب و الفقيه عن رسول الله صلّى الله عليه و اله: الصوم جنّه من النار، و الولد ما دام في بطن امه جنين جمعه أجنّه، قال تعالى: «وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّه فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ»، و الجنان بالفتح القلب لكونه مستورا عن الحاسه و كذا سمى الجنّ جنّا لاستتارهم و اختفائهم عن الأبصار و على هذا القياس ما اشتقّ من الجنّ فأنّه لا يخلو فيه معنى الاستتار.

«الوهن»: الضعف و «السقطه»: الغلظه و الخطاء، و في نسختي الطبري و نصر:

فإنه ممّن لا يخاف رهقه و لاسقاطه، «الرهق» محرّكه: السفه، و النوك و الخفّه و ركوب الشرّ و الظلم و غشيان المحارم، و في نهايه الأثيرية: و في حديث عليّ عليه السّلام أنّه وعظ رجلا في صحبه رجل رهق، أى فيه خفّه و حدّه، يقال: رجل فيه رهق إذا كان يخف إلى الشرّ و يغشاه، و الرهق السفه، و غشيان المحارم و منه حديث أبي وائل أنّه صلّى على امرأه كانت ترهق أى تتهم بشرّ، و منه الحديث سلك رجلا مفازه أحدهما عابد و الاخر به رهق، انتهى. و في القرآن الكريم: «فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَ لَا رَهَقًا» (الجن - ١٤). و روى: و لا وهيه، و هو قريب من الوهن معنى.

«السقاط» ككتاب قال الجوهري في الصحاح: السقطه العثره و الزلّه

و كذلك السقاط. قال سويد بن أبي كاهل:

كيف يرجون سقاطى بعد ما جلل الرأس، مشيب و صلح

و قال المرزوقى فى شرح الحماسه ٧٦٩: يقال لمن لم يأت مأتى الكرام: هو يساقط. قال الشاعر: كيف يرجون البيت.

«أحزم» الحزم: ضبط الرجل أمره و أخذه بالثقه و الحذر من فواته من قولهم حزمت الشىء أى شدتته، و هذا الرأى أحزم من هذا أى أدخل فى باب الحزم و الاحتياط.

«أمثل» قال ابن الأثير فى النهايه: و فيه - يعنى فى الحديث - أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل أى الأشرف فالأشرف و الأعلى فالأعلى فى الرتبه و المنزله.

يقال هذا أمثل من هذا أى أفضل و أدنى إلى الخير، و أمائل الناس خيارهم، و منه حديث التراويح قال عمر: لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل أى أولى و أصوب.

الاعراب

من فى حيز كما: معطوف على الضمير المجرور المقدم و لذا أعاد الجار لأنّ الضمير المتصل بالجار لشده اتصاله به صار كالجاء له و لا- يجوز العطف على جزء الكلمه، مالك منصوب بأمرت و مفعول له، و الأشر صفة له، و الفاء الاولى للتسيب لأنّ المعطوف بها متسبب عن المعطوف عليه، و لك أن تجعلها فصيحى و الثانيه للتعليل، و كلمتا من موصولتان اسميتان و لا يخاف فعل مجهول و ضمير و هنه و سقطته راجعان إليه و افردا مراعاة للفظ نحو قوله تعالى: «و مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ» (الأنعام - ٢٦) و يسمى هذا الضمير فى النحو بالعائد.

و لا- بطؤه عطف على وهنه أى لا- يخاف بطؤه، و عمّا صله للبطوء و ما موصوله و ضمير إليه عائدها باعتبار اللفظ و أحزم خبر للإسراع و كذا القياس فى الجمله التاليه لها.

قد علمت بما قدّمنا ههنا عن نصر و فى ص ٢٢١ ج ١ من التكملة عن الطبرى أنّ الأميرين هما زياد بن نصر و شريح بن هانى و قد مضى نقل كتابهما إلى الأمير عليه السّلام و كتابه عليه السّلام إليهما فى شرح الكتاب الحادى عشر و سيأتى أيضا وصيّة له عليه السّلام وصّى بها شريح بن هانى لما جعله على مقدّمته إلى الشام و هو الكتاب السادس و الخمسون أوله: اتق الله فى كلّ صباح و مساء - إلخ.

قال ابن عبد البرّ فى الاستيعاب: شريح بن هانى بن يزيد بن الحارث الحارثى بن كعب، جاهلى إسلامى، يكتنى أبا المقدام و أبوه هانى بن يزيد، له صحبه قد ذكرناه فى بابه. و شريح هذا من أجله أصحاب علىّ رضى الله عنه.

و قال فى باب هانى فى ترجمه أبيه: هانى بن يزيد بن نهيك، و يقال هانىء ابن كعب المذحجى، و يقال: الحارثى، و يقال: الضبى، و هو هانىء بن يزيد بن نهيك ابن دريد بن سفيان بن الضباب، و هو سلمه بن الحارث بن ربيعه بن الحارث بن كعب الضبابى المذحجى الحارثى. و هو والد شريح بن هانىء، كان يكتنى فى الجاهليه أبا الحكم لأنّه كان يحكم بينهم فكناه رسول الله صلّى الله عليه و سلّم بأبى شريح، إذ وفد عليه، و هو مشهور بكنيته، شهد المشاهد كلّها، روى عنه ابنه شريح بن هانىء حديثه عن ابن ابنه المقدام بن شريح بن هانىء عن أبيه، عن جدّه، و كان ابنه شريح من أجله التابعين و من كبار أصحاب علىّ رضى الله عنه و ممّن شهد معه مشاهده كلّها. انتهى.

قوله عليه السّلام: «و قد أمرت عليكما و على من فى حيزكما مالك بن الحارث الأشر» أى جعلت مالكا أميرا عليكما و على من كان فى كنفكما و تحت أمارتكما و فى ناحيتكما و قد دريت بما قدّمنا أنّ الأمير عليه السّلام سرّح زيادا و شريحا نحو معاويه فى اثنى عشر ألفا.

قوله عليه السّلام: «فاسمعا له و أطيعاه» تفريع على تأميره مالكا عليهما و على من فى حيزهما فأمرهما أن يسمعا له و يطيعاه أى أن لا يخالفاه ما أمرهما فإنّ مخالفه

الأمير فيما أمر توجب التفرق الموجب للهزيمة وقلما غلب قوم اجتمعت كلمتهم.

وقد استشار قوم أكثرهم بن صيفي في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال:

أقلوا الخلاف على امرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محاله، تثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين، وربت عجله نعقب ريشا، وأتزرروا للحرب، وأدرعوا الليل فإنه أخفى للويل، ولا جماعه لمن اختلف عليه نقله ابن قتيبة الدينوري في كتاب الحرب من عيون الأخبار.

ثم إن النسخ المطبوعه من النهج وبعض النسخ الخطيه أيضا تخالف ما اخترنا من قوله عليه السلام في كلمه «أطيعاه» فإنها موافقه في عدم الضمير المنصوب فيها وما أتينا به هو ما اختاره السيد الرضي رحمه الله أعنى أنها من نسخه قوبلت بنسخته رضوان الله عليه.

قوله عليه السلام: «و اجعلاه درعا و مجنا» عطف على قوله عليه السلام اسمعا له، أمرهما بعد الأمر بالسمع و الإطاعه بأن، لا يفارقه قط فإنه لحسن تدبيره و طول باعه في فنون الحرب درع و مجن أي واق و حافظ عن الخصم فحذرهما بأبلغ وجه و أحسن طور عن التأيي لأمره و المفارقه عنه حتى أنهما لو اقتحما في الحرب بدونه كأنهما دخلاها بلا درع و لا مجن.

و من كلامه عليه السلام هذا يعلم جلاله قدر الأشر و عظم أمره كيف لا و قد جعله لذلك الجيش الكثيف درعا و مجنا و لا يليق بهذا الوصف عن مثل أمير المؤمنين عليه السلام إلا من كان بطالا محاميا و مجاهدا شديدا بالبأس و رابط الجأش. و قال الجاحظ في البيان و التبيين (ص ٢٥٧ ج ٣ طبع القاهرة): يعقوب بن داود قال: ذم رجل الأشر، فقال له رجل من النخع: اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام، و موته هزم أهل العراق.

قوله عليه السلام: «فإنه ممن لا يخاف - إلخ» الظاهر أن هذا التعليل يتعلق بقوله عليه السلام أمرت عليكما أي أنما أمرت مالكا عليكما و على من في حيز كما لأنه ممن لا يخاف وهنه - إلخ. فدل كلامه عليه السلام على أن هذا الأمر لا يصلح

إلا لمن اجتمعت فيه تلك الأوصاف.

ويمكن أن يتعلّق بقوله عليه السّلام فاسمعا له و تالييه و كأنّ الأوّل أولى و أجدر يعنى أنّ مالكا ممّن لا يخاف أحد ضعفه و عشرته فى المعارك لثبات قدمه فى المهالك ثم وصفه بأنّه حازم فى الامور و بصير فيها بحيث لا يبطن فى ما الاسراع إليه أقرب إلى الحزم، و كذلك لا يسرع فيما الإبطاء عنه أولى و أنسب بل يبطن عن ما ينبغى الإبطاء عنه، و يسرع إلى ما يليق الاسراع إليه.

ثمّ إنّ وصفه عليه السّلام مالكا بها يدلّ على تثبته عند الهزائم، و شجاعته قبال الأبطال و كثره حذاقته فى الامور حيث عزّفه أوّلا بأنّه ممّن لا يخاف وهنه و لا سقطته و ثانيا بأنّه يبطن فى محلّه و يسرع كذلك و لا ريب أنّه إذا كان قوم أميرهم جبانا فمحال أن يرتقوا إلى المدارج العاليه و ينالوا المراتب الساميه فإنّ الجبن بوجب الوهن الموجب للسقطه فى الامور كلّها فأمير الجيش إذا أدركه الجبن أدركته الهزيمه بلا تراخ. و الخطيب إذا أدركه الجبن كلّ عن التكلّم بلا كلام بل ربّما لم يقدر على التفوّه أو إن تفوّه فكثيرا ما يهجر و كذا الحكم فى غير الخطيب أيضا و قد مضى طائفه من كلامنا فى ذلك فى شرح المختار ٢٣١ من باب الخطب ص ٣٤ ج ١ من التكملة.

قال ابن قتيبه الدينورى فى كتاب الحرب من عيون الأخبار فى أخبار الجبناء (ص ١٦٥ ج ١ طبع مصر): كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة ابن سعيد صاحب المغيرة [من الرافضه] و هو من بجيله فقال من الدهش: أطعمونى ماء فدّكره بعضهم فقال:

عاد الظلوم ظليما حين جدّ به و استطعم الماء لّمّا جدّ فى الهرب.

و قال (ص ١٦٤ منه): أبو منذر قال: حدّثنا زيد بن وهب، قال: قال لى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: عجا لابن التّابغه! يزعم أنّى تلعبه أعافس و امارس! أما و شرّ القول أكذبه، إنّّه يسأل فيلحف و يسأل فيبخل فإذا كان عند

ص: ١٢١

البأس فأنه امرؤ زاجر مالم تأخذ السيوف مأخذها من هام القوم، فإذا كان كذلك كان أكبر همّه أن يبرقظ و يمنح الناس استه. قبحه الله و ترحه.

أقول: و قد أتى الرضى رحمه الله فى النهج بكلامه عليه السّلام هذا لابن النابغه إلا أنّ بين النسختين تفاوتاً فى الجملة كما و كيفاً، و الرضى توفى ٤٠٦ هـ و ابن قتيبه ٢٧٦ هـ.

قال: و قال عبد الملك بن مروان فى اميه بن عبد الله بن خالد:

إذا صوّت العصفور طار فؤاده و ليت حديد الناب عند الثرائد

قال: قال ابن المقنع: الجبن مقتله، و الحرص محرّمه فانظر فيما رأيت و سمعت: من قتل فى الحرب مقبلاً أكثر أم من قتل مدبراً؟ و انظر من يطلب إليك بالإجمال و التكرّم أحق أن تسخو نفسك له بالعطيه أم من يطلب إليك بالشره و الحرص؟ قال: المدائنى قال: رأى عمرو بن العاص معاويه يوماً يضحك فقال له: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبى طالب أما و الله لقد وافقته منّا كريماً، و لو شاء أن يقتلك لقتلك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما و الله إنى لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك و ربا سحر ك و بدامنك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أودع.

أقول: و قد مضى كلامنا على التفصيل فى دعوه أمير المؤمنين على عليه السّلام معاويه إلى البراز و الحيله الشيعه التى احتال بها ابن النابغه فى شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٣١٦ الى ٣١٩ ج ١).

قال الشاعر:

يفرّ الجبان عن أبيه و أمّه و يحمى شجاع القوم من لا يناسبه

و الأخبار فى الجبناء كثيره جداً لا يخلو أكثرها عن لطافه و انما أتينا بشرذمه منها روما للتنوع فى الكلام الموجب لرفع الكلال.

قوله عليه السّلام: «و قد أمرته بمثل الذى أمرتكما ألا يبدأ القوم إلخ».

ص: ١٢٢

قد دريت من الكتاب الذى أرسله عليه السّلام إلى الأشتر على ما رواه نصر و أبو جعفر أنه عليه السّلام قال له: إياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدءوك - إلخ. فيكون كلامه عليه السّلام بمثل الذى أمرتكما بمعنى مثل الذى أمر كما الان. و سيأتى إن شاء الله تعالى تفصيل الكلام فى نهيه عليه السّلام امراء جيشه عن أن يبدءوا القوم بقتال فى شرح الكتاب التالى لهذا الكتاب اعنى الكتاب الرابع عشر، و ترجمه مالک الأشتر رضوان الله عليه فى شرح الكتاب ٣٨ أوله من عبد الله على أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله - إلخ.

ثم ينبغى أن يتأمل الأديب الحاذق فى الكتاب كيف نسجه الأمير عليه السّلام على اسلوب بلغ من البلاغه ما يعدّ فى السحر سيمًا ذيله: و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم و لا إسراعه إلى ما البطؤ عنه أمثل.

الترجمه

يکى از کتابهای أمير عليه السلام است که بدو اميرى از اميران سپاهش نوشته است:

همانا که بر شما و بر هر که در کنف شما و در تحت امارت شما است مالک بن حارث اشتر را امير گردانيدم پس بشنويد امر او را و فرمان بريد. و وى را زره و سپر خود بگردانيد، چه او کسى است که بيم سستى و لغزش در او نمى رود.

و خوف درنگى در کارى که سرعت بدان باحتياط نزديکتر، و سرعت بکارى که تأنى در آن بهتر است در باره او راه ندارد.

إشارة

و كلامه هذا هو المختار الرابع عشر من باب كتبه و رسائله عليه السلام لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حججه، و ترككم إياهم حتى يبدءوكم حججه أخرى لكم عليهم. فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقاتلو مدبرا؛ و لا تصيبوا معورا؛ و لا تجهزوا على جريح؛ و لا تهيجوا النساء بأذى و إن شتمن أعراضكم، و سببن أمرائكم فإنهن ضعيفات القوى و الأنفس و العقول. إن كننا لنؤمر بالكف عنهن و إنهن لمشركات. و إن كان الرجل ليتناول المرأه فى الجاهليته بالفهر أو الهراوه فيغير بها و عقبه من بعده.

بيان مصادر الوصيه و اسنادها بطرق كثيره من الفريقين و نقل نسخها

قد رواها الفريقان فى الجوامع الروائيه بأسناد عديده و صور كثيره متفاوتة و فى بعضها زياده لم يذكرها الرضى رحمه الله. فقد رواها نصر بن مزاحم المنقرى الكوفى المتوفى سنة ٢١٢ هـ فى كتاب صفين (ص ١٠٦ من الطبع الناصرى) حيث قال: نصر عمر بن سعد و حدثنى رجل عن عبد الله بن جندب، عن أبيه أنّ عليا عليه السلام كان يأمرنا فى كلّ موطن لقينا معه عدوه يقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حججه و ترككم إياهم

حتى يبدءوكم حجّه اخرى لكم عليهم، فإذا قاتلتموهم فهزمتوهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عوره، ولا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا، ولا تدخلوا دارا إلا بإذني، ولا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأه إلا بإذني، وإن شتمت أعراضكم وتناولن امراءكم وصلحاءكم فأنهت ضعاف القوى والأنفس والعقول ولقد كنّا وإنا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وإنهنّ لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهليّه بالهراوه والحديد فيعيّر بها عقبه من بعده.

وفي الجامع الكافي لثقه الاسلام الكليني قدس سرّه المتوفى سنة ٣٢٩ هـ كتاب الجهاد (ص ٣٣٨ طبع ١٣١٥ هـ): وفي حديث عبد الله بن جندب، عن أبيه أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدونا فيقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجّه، وترككم إيّاهم حتى يبدءوكم حجّه لكم اخرى فإذا هزمتوهم فلا تقتلوا مدبرا، ولا تجيزوا على جريح ولا تكشفوا عوره ولا تمثلوا بقتيل. (الوافي ص ١٩ ج ٩).

وفي مروج الذهب للمسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ (ص ٩ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ) قام عليّ عليه السّلام (يعني في حرب الجمل) فقال: أيها الناس إذا هزمتوهم فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيرا، ولا تتبعوا موليا، ولا تطلبوا مدبرا، ولا تكشفوا عوره، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا سترا، ولا تقربوا من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمه وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله.

وقد روى أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفى ٣١٠ هـ في تاريخه (ص ٦ ج ٤ طبع مصر) بإسناده عن عبد الرحمن بن جندب الأنزدي، عن أبيه أنّ عليّ عليه السّلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوه فيقول: لا تقاتلوا القوم - إلى آخر ما نقلنا عن نصر - فإن الروايتين متحدتان تقريبا، على أنّ روايه الطبري قد نقلناها في شرح المختار ٢٣٦ (ص ٢٢٢ ج ١٥) وفي البحار نقلا عن الكافي: وفي

حديث عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر - إلخ (ص ٦٢٤ ج ٨ من الطبع الكمباني).

و أقول: يشبه أن يكون عبد الله بن جندب حرّف في تاريخ الطبريّ بعبد الرحمن بن جندب، لأنّ نصرًا و الكلينيّ روي هذه الروايه عن عبد الله بن جندب، عن أبيه بلا- اختلاف و رواها الطبريّ عن ابن جندب، عن أبيه أيضا و صوره الروايه في الجميع واحده و لو لا عبد الرحمن مكان عبد الله في التاريخ لكانت صورته السند أيضا واحده.

و في الجامع الكافي ايضا (ص ٣٣٨ من كتاب الجهاد طبع ١٣١٥ هـ): و في حديث مالك بن أعين قال: حرّض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس بصفين فقال:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارِهِ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ وَ تَشْفِي بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ:

الايمان بالله، و الجهاد في سبيل الله؛ و جعل ثوابه مغفره للذنوب، و مساكن طيبه في جنّات عدن. و قال جلّ و عزّ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صِيْفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ» (الصف - ٥) فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص فقدّموا الدارع، و أخروا الحاسر، و عضّوا على النواجذ فانه أنبأ للسيوف عن الهام. و التّوا أطراف الرماح فانه أمور للأسّته. و غضّوا الأبصار فانه أربط للجاش و أسكن للقلوب. و أميتوا الأصوات فانه أطرّد للفشل و أولى بالوقار. و لا تميلوا براياتكم و لا تزيلوها و لا تجعلوها إلاّ مع شجعانكم فإنّ المانع للذّمار و الصابر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ. و لا تمثّلوا بقتيل. و إذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترًا. و لا تدخلوا دارًا. و لا تأخذوا شيئا من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم.

و لا تهيجوا امرأه بأذى و إن شتمت أعراضكم و سبين أمراءكم و صلحاءكم فانّهنّ ضعاف القوى و الأنفس و العقول و قد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ و هنّ مشركات و ان كان الرجل ليتناول المرأه فيعيربها و عقبه من بعده. و اعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحقّون براياتهم و يكتفونها و يصيرون حفافيها و وراءها و أمامها و لا يضيعونها.

لا يتأخرون عنها فيسلّموها. و لا يتقدّمون عليها فيفردوها. رحم الله امرأ و اسى

أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك الأئمه و يأتي بدنائه و كيف لا يكون كذلك و هو يقاتل اثنين و هذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هاربا منه ينظر إليه و هذا فمن يفعله يمقته الله فلا تعرّضوا لمقت الله عزّ و جلّ فانما ممرّكم إلى الله و قد قال الله عزّ و جلّ: «لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» (الأحزاب - ١٧) و أيم الله لئن فررتم من سيوف العاجله لا تسلمون من سيوف الاجله فاستعينوا بالصبر و الصدق فانما ينزل النصر بعد الصبر فجاهدوا في الله حقّ جهاده و لا قوه إلا بالله (الوافية ص ١٩ ج ٩).

أقول: قد أتى الرضى رحمه الله ببعض هذا الحديث المنقول من الكافي في المختار ١٢٢ من باب الخطب أوله: فقدّموا الدارع و أحرّوا الحاسر - إلخ. و سيأتي نقل روايات اخرى في ذلك في المختار ١٦ من هذا الباب إنشاء الله تعالى.

ثمّ على روايتي الكافي كانت الوصيه ملققه منهما صدرها من حديث عبد الله بن جندب و ذيلها من حديث مالك بن أعين.

اللغة

«يبدء وكم» مهموز اللام من البدء يقال: بدأ الشى و به يبدأ بدءا من باب منع أى افتتحه و قدّمه و بدأ و البدىء: الأول. و منه قولهم افعله بادىء بدء على وزن فعل، و بادىء بدىء على وزن فعيل أى أول شىء.

«الحجّه» بالضمّ: الدليل و البرهان. و الجمع حجج و حجاج. قال تعالى: «قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ» (الأنعام - ١٤٩) تقول: حاجّه فحجّه أى غلبه بالحجّه. و احتجّ على خصمه أى ادعى و أتى بالحجّه. و احتجّ بالشىء جعله حجّه و عذرا له. و قال الراغب فى المفردات: الحجّه الدلاله المبيّنه للحجّه أى المقصد المستقيم، و الذى يقتضى صحّه أحد النقيضين.

«الهزيمة» هزم العدو هزما من باب ضرب أى كسرهم و فلهم. و هزمت

الجيش هزما و هزيمه فانهزموا أى وقعت عليهم الهزيمة. قال الراغب فى المفردات:

اصل الهزم غمز الشىء اليابس حتى ينحطم كهزم الشَّنّ، و هزم القتاء و البطيخ و منه الهزيمة لأنه كما يعبر عنه بذلك يعبر عنه بالحطم و الكسر، قال تعالى: «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ» - «جُنُدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ» و أصابته هازمه الدهر أى كاسره كفاقره. و هزم الرعد تكسر صوته.

«معور» من العوره. قال الجوهري فى الصحاح: العوره كلّ خلل يتخوّف منه فى ثغر أو حرب، و عورات الجبال شقوقها. و هذا مكان معور أى يخاف فيه القطع.

و قال ابن الأثير فى النهاية: كلّ عيب و خلل فى شىء فهو عوره و منه حديث علىّ عليه السّلام و لا تجهزوا على جريح و لا تصيبوا معورا. اعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب فيه. انتهى.

و قد أعور لك الصيد و أعورك: أمكنك: قال تأبط شرا (الحماسة ٧٧).

أقول للحيان و قد صفرت لهم و طابى و يومى ضيق الحجر معور

و قال المرزوقى فى شرحه: و معور من أعور لك الشىء اذا بدت لك عورته و هى موضع المخافه. قال الله تعالى فى الحكايه عن المنافقين لما قعدوا عن نصره النبىّ صلّى الله عليه و آله: إنّ بيوتنا عوره، أى واهيه يجب سترها و تحصينها بالرجال و كما قيل: يوم معور قيل: مكان معور أى مخوف. و يقال: عور المكان إذا صار كذلك. و قال بعضهم: كلّ ما طلبته فأمكنك فقد أعورك و أعور لك.

العوره: سواء الإنسان، و ذلك كناية و أصلها من العار و ذلك لما يلحق فى ظهوره من العار أى المذمّه و لذلك سمى النساء عوره و من ذلك العوراء للكلمه القبيحه. قاله الراغب فى المفردات فى غريب القرآن.

«و لا تجهزوا على جريح» الجريح فعيل بمعنى المفعول أى المجروح و هو المصاب بجرح، جمعه جرحى كقتيل و قتلى. يستوى فيه المذكر و المؤنث يقال:

رجل جريح و امرأه جريح.

أجهز على الجريح اجهازا أى شدّ عليه و أسرع و أتمّ قتله.

و فى الصحاح أجهزت على الجريح إذا أسرع قتله و قد تمّت عليه، و لا تقل أجزت على الجريح. انتهى.

أقول: و تردّه روايه الجامع الكافى المتقدّمه «و لا تجيزوا على جريح».

و روايته الأخرى باسناده، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه قال: لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لا تتبعوا مؤلّيا و لا- تجهزوا على جريح و من أغلق بابيه فهو آمن، فلما كان يوم صفين قتل المقبل و المدبر و أجاز على الجريح الحديث. و روايته الأخرى عن الصادق عليه السّلام: و جريحهم يجاز عليه (ص ١٨ ج ٩ من الوافى) و الاجازة على الجريح كالأجهاز عليه معنى.

قال ابن الأثير فى النهاية: و فيه - يعنى فى الحديث - هل تنتظرون إلّا مرضا مفسدا أو موتا مجهزا أى سريعا يقال: أجهز على الجريح يجهز إذا أسرع قتله و منه حديث علىّ عليه السّلام لا يجهز على جريحهم أى من صرع منهم و كفى قتاله لا يقتل لأنهم مسلمون و القصد من قتالهم دفع شرّهم فاذا لم يمكن ذلك إلّا بقتلهم قتلوا و منه حديث ابن مسعود انه أتى على أبى جهل و هو صريع فأجهز عليه. انتهى.

ثم إنّ ما عليه أهل اللغة و ما ذهب اليه فقهاء الفريقين فى الكتب الفقهيه و شرّاح الأحاديث أنّ كلمه تجهزوا و يجهز و امثالهما فى المقام مشتقه من الإجهاز إلّا أن كلمه تجهزوا مشكوله فى نسخه مخطوطه من النهج قوبلت بنسخه السيد الرضىّ رضى الله عنه بفتح الجيم و كسر الهاء المشدّده أعنى أنها مأخوذه من التجهيز و لكنّ الوجه الأوّل أنسب و أصوب و لذا اخترناه فى المتن:

«لا تهيجوا» فى بعض النسخ مشكوله بضم التاء و فتح الهاء و كسر الياء المشدّده من التّهيج، و فى بعضها بضمّ التاء و كسر الهاء من الإهاجه، و نسخه الرضىّ رضوان الله عليه مشكوله بفتح التاء و كسر الهاء يقال: هاج الشىء يهيج هيجا و هياجه و هياجا و هيجانا أى ثار و انبعث، و هاج الشىء و بالشىء أثاره و بعثه يتعدّى و لا يتعدّى. و كذا يقال: هيج الشىء تهيجا إذا أثاره و بعثه إلّا أنّ كثره

المباني تدلّ على كثره المعانى فلا- بدّ فى التهييج من زياده الهيجان و مبالغته و تكثيره و الظاهر أنّه لا حاجه فى المقام إلى المبالغه و التكثر. و أمّا القراءه الثانيه فما وجدت لها معنى يناسب المقام و أظنّها مصحّفه فقراءه الرضىّ متعيّنه.

«أعراضكم» الأعراض جمع العرض بكسر العين المهمله و سكون الراء أحد معانيه النفس يقال: أكرمت عنه عرضى أى صنت عنه نفسى.

قال عتبه بن بجير الحارثى (باب الاضياف من الحماسه، الحماسه ٦٧٤):

فقام أبو ضيف كريم كأنّه و قد جدّ من فرط الفكاهه مازح

إلى جذم مال قد نهكنا سوامه و أعراضنا فيه بواق صحائح

قال المرزوقى فى الشرح: يعنى بأبى الضيف نفسه، و جعله كالمزح المفاكه لما أظهره من التطلق و البشاشه و اظهار السرور بما يأتى من توفير الضيافه و الاحتفال فيه و ايناس الضيف و البسط منه محتفًا بالضيافه، و يريد بالقيام غير الذى هو ضدّ القعود و إنّما يريد به الاشتغال له بما يؤنّسه و يرحّب منزله و يطيب قلبه، على ذلك قوله تعالى: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ»، لأنّه لم يرد القيام المضادّ للقعود بل أراد التهيوء و التشمّر له، و الجذم: الأصل، و معنى نهكنا سوامه أثرتنا فى السائمه من المال بما عودناها من النحر و التفريق و يقال: نهكه المرض إذا أضربّه، و قوله:

و أعراضنا فيه بواق صحائح أى نفوسنا باقيه على حدّها من الظلف و الصّيانه، لم تشنها الأفعال الذميمة، و لا كسرتها التكاليف المبخله فهى سليمه لا آفه بها و لا عار يكتنفها، و إن كانت أموالنا مشفوهه مفرّقه، انتهى ملخصًا.

و فى الصحاح: يقال فلان نقىّ العرض أى برىء من أن يشتم أو يعاب، و قد قيل: عرض الرجل حسبّه، انتهى.

أقول: كثيرا ما يستعمل العرض فى الحسب و منه قول بشامه بن الغدير:

دافعت عن أعراضها فمنعتهما و لدىّ فى أمثالها أمثالها

ذوو العرض من القوم أى أشرافهم، و فلان عرب العرض أى لثيم الأسلاف و العرض ما يفتخر الانسان به من حسب أو شرف و ما يصونه الانسان من نفسه أو سلفه

أو من يلزمه أمره أو موضع المدح و الذم منه.

«الفهر» بالكسر الحجر ملء الكف يذكّر و يؤثّر و الجمع أفهار و قيل هو الحجر مطلقا، و فى الحديث: لَمَّا نزلت تبت يدا أبى لهب، جاءت امرأته و فى يدها فهر، نقله ابن الأثير فى النهاية، قال مزرد بن ضرار (البيان و التبيين ج ٣ ص ٧٧):

فجاء على بكر ثفال يكده عصاه استه و جاء العجايه بالفهر

البكر الفتى من الابل، و الثفال: البطيء، الوجء: الضرب، العجايه:

العصب يضرب حتّى يلين، أى جاء على بكر ثقيل فى مشيه و لم يكن له عصا يضربه بها حتّى يسير بل يحرك و يضرب استه عليه بشده نحو ضرب العجايه بالفهر.

«الهاوه» بالكسر: العصاء الضخمه جمعها الهاوى بالفتح كالمطايا: تقول:

هروته و تهريته إذا ضربته بها، قال فضاله بن شريك الأسدى (ص ١٥ ج ٣ من البيان و التبيين):

دعا ابن مطيع للبياع فجثته إلى بيعه قلبى لها غير آلف

فناولنى خشنا لَمَّا لمستها بكفى ليست من أكفّ الخلائف

من الشّئات الكرم أنكرت مسّها و ليست من البيض الرّقاق اللّطائف

معاوده حمل الهاوى لقومها فرورا إذا ما كان يوم التسايف

و فى هامشه: و كان من خبر الشعر أنّ عبد الله بن الزبير كان قد ولّى عبد الله ابن مطيع الكوفه فكان ينشر الدّعوه و يتقبّل البيعه لابن الزبير، حتّى إذا نهض المختار بن أبى عبيد و دعا لنفسه، طرد عن الكوفه فيمن طرد عبد الله بن مطيع فقال فضاله الشعر، و قد رواه أبو الفرج فى الأغانى (١٠:١٦٤) بروايه أبسط.

و اعلم أنّ جمع الهاوه و الاداوه و أمثالهما كان قياسه هراوى و اداوى على وزن فعائل نحو رساله و رسائل لكنّهم تجنّبوه و فعلوا به ما فعلوا بالمطايا و الخطايا و جعلوا فعائل فعالى و أبدلوا هنا الواو لتدلّ على أنّه قد كانت فى الواحده و او ظاهره قالوا اداوى و هراوى فهذه الواو بدل من الألف الزائده فى اداوه و هراوه و الألف

المدى فى آخر الأداوى و الهراوى بدل من الواو التى فى أداوه و هراوه و الزموا الواو هاهنا كما الزموا الياء فى المطاياى قاله الجوهريّ فى أدو من الصحاح.

«عقبه» عقب الرجل ولده و ولد ولده و فيها لغتان عقب و عقب بالتسكين و هى مؤنثه عن الأخفش كما فى صحاح الجوهريّ جمعها أعقاب.

الاعراب

الفاء فى فأنكم لتعليل النهى عن القتال بدوا، على حجه خبر لأنّ بحمد الله معترضه، حجه خبر للترك و اخرى صفه للحجه، لكم و عليكم متعلّقان بها، الفاء فى فلا- تقتلوا جواب إذا، بأذى متعلّق بلا تهيجوا، الواو فى و إن شتمن للوصل و سببن عطف على شتمن، و الفاء فى فأنهنّ لتعليل النهى عن هيجانهنّ بأذى إن فى إن كنا مخفّفه عن المثقله و فيه ضمير الشأن و تلزم اللام خبرها فرقا بينها و بين إن النافيه، الواو فى و انهن للحال، الواو فى و إن كان عطف على إن كنا، و إن هذه مخفّفه من المثقله أيضا و قيل للشرط و هو وهم، و اللام فى خبرها كالأولى و يعير فعل مجهول ضميره يرجع إلى الرجل، و عقبه مرفوعه بيعير بالعطف أعنى أنّها معطوفه على الضمير المستكن المرفوع فى فيعير.

و لما كان الضمير المرفوع المتّصل بارزا كان أو مستترا ينزل من عامله منزله الجزء فالعطف عليه لا يحسن فى فصيح الكلام إلّا بعد توكيده بتوكيد لفظى مرادف له بأن يكون بضمير منفصل نحو قوله تعالى: «لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (الأنبياء ٥٤) و «أَسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» (البقره - ٣٥) أو بتوكيد معنوى كقول الشاعر:

دعوتم أجمعون و من يليكم برؤيتنا و كنا الظافرينا

أو بعد فاصل أى فاصل كان بين المعطوف عليه و المعطوف نحو قوله تعالى.

«جَنّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ» (الرعد ٢٣) و كقول الأمير عليه السلام.

فيعير بها و عقبه من بعده. أو بعد فصل بلا- النافيه بين حرف العطف و المعطوف نحو قوله تعالى: «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَ لَا آبَاؤُنَا» (الأنعام ١٤٨).

قد علم بما قدّمنا من مصادر هذه الوصية أنّ روايه نصر و الطبرى هي أقرب الروايات إليها متنا من غيرها لكن روايتهما لم تخصّيهما بصفين بل روي عن جندب أنّه قال: إنّ علياً عليه السّلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول تلك الوصية و قد نصّ الرضى أنّه عليه السّلام وصّى بها عسكره بصفين، نعم إنّ للكلينيّ قدس سرّه فيها روايتين ذكر في إحداهما أنّه عليه السّلام قالها بصفين كما دريت إلّا أنّ روايته هذه تشمل على ذيل هذه الوصية من قوله عليه السّلام: و لا تهيجوا امرأه بأذى - إلى آخرها.

والذى يسهّل الخطب أنّ كلام الرضى لا يدلّ على الحصر و التخصيص و قد اتّفق الرواه و تضافرت الروايات في أنّه عليه السّلام كان يأمرهم في كلّ موطن لقيهم العدوّ بها.

و العدوّ الخارج على الإمام المعصوم عليه السّلام إن كان من المسلمين يعرف في كتاب الجهاد من الكتب الفقهيّة بالباغى، و من هذه الوصية و ممّا نتلوها عليك إن شاء الله تعالى يعلم طائفه من أحكام القتال مع البغاه.

و من البغاه الخارجين على أمير المؤمنين عليه السّلام أصحاب الجمل حاربوه في البصره و أتباع معاويه حاربوه في صفين، و الخوارج حاربوه في نهروان.

و عن عليّ عليه السّلام أنّه قال: امرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين ففعلت ما امرت.

و قد مرّ قوله في أواخر الخطبه القاصعه: و قد أمرنى الله بقتال أهل البغى و النكث و الفساد فى الأرض فأما الناكثون فقد قاتلت، و أما القاسطون فقد جاهدت و أما المارقه فقد دوّخت - إلخ.

و كذا قوله عليه السّلام فى الخطبه الشقشقيه: فلما نهضت بالأمر نكثت طائفه، و مرقت اخرى، و فسق آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول:

«تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ»

«الْمُتَّقِينَ» (القصص - ٨٣) بلى و الله لقد سمعوها و وعوها و لكنهم حليت الدنيا فى أعينهم و راقهم زبرجها - إلخ.

و فى المجلس الخامس عشر من أمالى الطوسى قدس سره فى حديث طويل أنّ رسول الله صلى الله عليه و اله قال لام سلمه: يا أم سلمه! اسمعى و اشهدى هذا على بن أبى طالب سيد المسلمين و إمام المتقين و قائد الغر المحجلين و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال صلى الله عليه و اله: الذين يبايعون بالمدينه و ينكثون بالبصره. قلت: و من القاسطون؟ قال صلى الله عليه و اله: معاويه و أصحابه من أهل الشام. قلت: و من المارقون؟ قال صلى الله عليه و اله: أصحاب نهروان. الحديث.

فالناكثون أصحاب الجمل لأنهم نكثوا بيعتهم، و القاسطون أهل الشام أتباع معاويه لأنهم جاروا فى حكمهم و بغوا عليه، و المارقون الخوارج لأنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمي.

و قد روى نصر بن مزاحم فى صفين (ص ١٧٦ من الطبع الناصرى) فى حديث طويل دار بين أبى اليقظان عمّار بن ياسر رحمهما الله تعالى و بين عمرو بن عاص فى وقعه صفين أنّ أبى اليقظان قال له: و ساخبرك على ما قاتلتك عليه أنت و أصحابك أمرنى رسول الله صلى الله عليه و اله أن اقاتل الناكثين و قد فعلت، و أمرنى أن اقاتل القاسطين فأنتم هم، و أمّا المارقين فما أدرى أدركم أم لا، أيها الأيتر أ لست تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه و اله قال لعلى: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم و ال من والاه و عاد من عاداه - إلخ.

و قال الشارح المعتزلى فى شرح النهج: روى إبراهيم بن ديزيل الهمدانيّ فى كتاب صفين عن يحيى بن سليمان، عن يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبى غثيه (١) عن أبيه، عن إسماعيل بن رجا، عن أبيه، و محمّد بن فضيل، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجا، عن أبى سعيد الخدرى رحمه الله قال: كنّا مع

ص: ١٣٤

١- (١) قد حرفت كلمه غنيه فى النسخ، و الصواب أنها بفتح الغين المعجمه و كسر النون و تشديد التحتانيه كما فى تقريب التهذيب لابن حجر. منه.

رسول الله صَلَّى الله عليه و اله فانقطع شسع نعله فألقاها إلى عليّ عليه السلام يصلحها، ثم قال:

إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، فقال عمر بن الخطاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا و لكنّه ذاكم خاصف النعل و يد عليّ عليه السّلام يصلحها، قال أبو سعيد: فأنت عليّ عليه السّلام فبشّرته بذلك فلم يحفل به كأنه شيء قد كان علمه من قبل. نقله عنه المجلسي رحمه الله في ثامن البحار ص ٤٥٧.

أقول: الخبر المروى عن رسول الله صَلَّى الله عليه و اله بأنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام يقاتل بعده الناكثين و القاسطين و المارقين ممّا اتفقت عليه الامّه و قد روى في جوامع الفريقين بوجوه عديده و طرق كثيره و قد أفرد في فتن البحار بابا لذلك (ص ٤٥٤ ج ٨) فهذا الخبر الدالّ على الاخبار الصريح بالغيب من معجزاته و دلائل نبوّته و هذا ممّا لا تخالجه شكوك و لا تمازجه ظنون.

و أنّما يعرف الخارج على الإمام العادل بالباغى لقول رسول الله صَلَّى الله عليه و اله عمّار ابن ياسر رحمهما الله: أنّما تقتلك الفئة الباغية، و هذا الخبر ممّا اتفقت الامّه على نقله و قد مضى الكلام فيه من أنّ هذا الحديث لا تناله يد الانكار، و قد رواه البخارى و المسلم في صحيحهما و قال الحافظ السيوطى أنّه من الأخبار المتواتره و نقله أكثر من عشره من الصحابي. فراجع إلى شرح المختار ٢٣٦ من الخطب في ترجمه عمّار (ج ١٥ ص ٢٧٣-٢٩٩).

و لقوله تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحِدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسُطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (الحجرات - ١٠).

إن قلت: فالايه تدلّ على أنّ الخارجين على الإمام العادل مؤمنون و أنتم قد ذهبتم في المباحث السالفه إلى أنّهم كافرون و ادّعيتم على أنّه مذهب الجلّ من الإماميه فكيف التوفيق و ما جوابك عن الايه؟

قلت: أولا- الايه لا تدلّ على أنّهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان و يطلق عليهما هذا الاسم و لا يمتنع أن يفسق إحدى الطائفتين أو تفسقا جميعا - كما في تفسير المجمع - إلا أنّ الأدلّة القطعيّة لما كانت ناطقه بعصمه أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام و انه حجّه الله على خلقه و خليفه رسوله و أنّ الفسق لا- يتطرّق عليه أبدا علمنا أنّه عليه السّلام كان باقيا على الإيمان و ما كان باغيا على أحد بل الباغي غيره.

و ثانيا أنّه تعالى أنّما سمّي البغاه مؤمنين في الظاهر كما قال: «وَ إِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ » (الأنفال - ٧) و هذه صفة المنافقين بلا خلاف فالايه لا تدلّ على أنّ البغاه على الإيمان واقعا.

و ثالثا أنّ خير الأسياف أعنى خير حفص بن غياث المروى في الكافي و التهذيب و تفسير عليّ بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السّلام دالّ على أنّ الخارج على الامام العادل باغ بالمعنى الذي ذهبنا إليه و قد أشهد الإمام عليه السّلام الايه على ذلك المعنى و لا- بأس بنقل الخبر و إن كان طويلا لاشتماله على فوائد كثيرة من أحكام الجهاد و وجوهه و غيرها، روى الكليني في كتاب الجهاد من الكافي بإسناده عن المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: سألت رجل أبي صلوات الله عليه عن حروب أمير المؤمنين عليه السّلام و كان السائل من محبينا فقال له أبو جعفر عليه السّلام: بعث الله محمّدا صلّى الله عليه و اله بخمسة أسياف: ثلاثه منها شاهره فلا- تغمد حتّى تضع الحرب أوزارها و لن تضع الحرب أوزارها حتّى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها امن النّاس كلّهم في ذلك اليوم فيومئذ «لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»، و سيف منها مكفوف، و سيف منها مغمود سلّه إلى غيرنا و حكمه إلينا.

و أما السيوف الثلاثه الشاهره فسيف على مشركي العرب قال الله عزّ و جلّ:

«فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوا حُيُوتَهُمْ وَ أَحْصِرُوا وَّهُمْ وَ أَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ » «فَإِنْ تَابُوا» - يعنى آمنوا - «وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ » فهؤلاء

لا يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الإسلام و أموالهم و ذراريهم سبي على ما سنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و اله فأنه سبي و عفى و قبل الفداء.

و السيف الثاني على أهل الذمّه قال الله تعالى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسِينًا» نزلت هذه الايه في أهل الذمّه ثم نسخها قوله عزّ و جلّ «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية أو القتل و مالهم في ء و ذراريهم سبي و إذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم، و حرمت أموالهم، و حلّت لنا مناكحتهم، و من كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيهم و أموالهم، و لم تحل لنا مناكحتهم و لم يقبل منهم إلا الدخول في دار الإسلام أو الجزية أو القتل.

و السيف الثالث سيف على مشركى العجم يعنى الترك و الديلم و الخزر قال الله عزّ و جلّ في أوّل السوره التّي يذكر فيها الذّين كفروا فقصّ قصّتهم ثم قال:

«فَضْرِبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخَتُّمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا» فأما قوله: فأما منا بعد يعنى بعد السبي منهم، و اما فداء يعنى المفاداه بينهم و بين أهل الإسلام فهؤلاء لن يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الإسلام و لا تحلّ لنا مناكحتهم ما داموا في دار الحرب.

و أما السيف المكفوف فسيف على أهل البغى و التأويل قال الله عزّ و جلّ: «وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» فلما نزلت هذه الايه قال رسول الله صَلَّى الله عليه و اله: إن منكم من يقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل فسئل النبي صَلَّى الله عليه و اله من هو؟ فقال: هو خاصف النعل يعنى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، و قال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذا الرايه مع رسول الله صَلَّى الله عليه و اله ثلاثا و هذه الرابعه و الله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنّا على الحقّ و أنّهم على الباطل، و كانت السيره فيهم من أمير المؤمنين عليه السّلام ما كان من رسول الله صَلَّى الله عليه و اله في أهل مكّه يوم

فتح مكّه فأنه لم يسب لهم ذريّه و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن؛ و كذلك قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم البصره نادى فيهم لا تسبوا لهم ذريّه، و لا تجهزوا على جريح، و لا تتبعوا مدبرا، و من أغلق بابه و ألقى سلاحه فهو آمن.

و أمّا السيف المغمود فالسيف الذى يقوم به القصاص قال الله عزّ و جلّ: «النَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ» فسئله إلى أولياء المقتول و حكمه إلينا فهذه السيوف التى بعث الله محمّدا صلّى الله عليه و اله فمن جحدها أو جحد واحدا منها أو شيئا من سيرها و أحكامها فقد كفر بما أنزل الله على محمّد صلّى الله عليه و اله. انتهى الخبر الشريف و سيأتى بياننا فيه إن شاء الله تعالى.

و رابعا بعد الاغماض عن الاستشهاد بالايه على هذا المعنى، و التمسك بهذا الخبر فى بيانها علمنا أيضا أنّ من حارب الإمام العادل كافر بالأدله التى اشرنا إلى طائفه منها فى المجلد الأول من هذه التكملة (ص ٣٦٧-٣٧٩) و فى المجلد الثالث منها (ص ٧٦) فراجع. و سيأتى طائفه من الروايات الاخرى المنقوله عن أئمة الدين الداله على ذلك فى شرح المختار ١٦ من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

و نزيدك بصيره بنقل ما أفاده علم الهدى فى الانتصار (ص ١٢٧ طبع طهران ١٣١٥) قال قدس سرّه: و ممّا انفردت به الإماميه القول بأنّ من حارب الإمام العادل و بغى عليه و خرج عن الترام طاعته يجرى مجرى محارب النبى صلّى الله عليه و اله و خالف طاعته فى الحكم عليه بالكفر و إن اختلف أحكامهما من وجه آخر فى المدافعه (المدافنه - خ) و الموارثه و كيفيه الغنيمه من أموالهم و خالف باقى الفقهاء فى ذلك و ذهب المحصّيون منهم و المحقّقون إلى أن محاربي الإمام العادل فساق تجب البراءه منهم و قطع الولايه لهم من غير انتهاء إلى التكفير. و ذهب قوم من حشو أصحاب الحديث إلى أنّ الباغى مجتهد و خطاهه يجرى مجرى الخطاء فى سائر مسائل الاجتهاد.

و الذى يدلّ على صحّه ما ذهبنا إليه إجماع الطائفه.

و أيضا فإنّ الإمام عندنا يجب معرفته و تلتزم طاعته كوجوب (لوجوب - خ)

المعرفة بالنبي صَلَّى اللهُ عليه و اله، و لزوم طاعته كالمعرفة بالله تعالى و كما أنّ جحد تلك المعارف و التشكيك فيها كفر كذلك هذه المعرفة.

و أيضا فقد دلّ الدليل على وجوب عصمه الإمام من كلّ القبائح و كلّ من ذهب إلى وجوب عصمته ذهب إلى كفر الباغي عليه و الخالف لطاعته، و التفرقة بين الأمرين خلاف إجماع الأمة.

فإن قيل: لو كان ما ذكرتم بالغا إلى حدّ الكفر لوجب أن يكون مرتدّا أو أن تكون أحكام المرتدّين و أجمعت الأمة على أنّ أحكام الباغي تخالف أحكام المرتدّ و كيف يكون مرتدّا و هو يشهد الشهادتين، و يقوم بالعبادات؟ قلنا: ليس يمتنع أن يكون الباغي له حكم المرتدّ في الإنسلاخ عن الإيمان و استحقاق العقاب (العذاب - خ) العظيم و إن كانت الأحكام الشرعيه في مدافنه و موارثه و غير ذلك تخالف أحكام المرتدّ، كما كان الكافر الدّمي مشاركا للحربي في الكفر و الخروج عن الإيمان و إن اختلفت أحكامهما الشرعيه.

فأما إظهار الشهادتين فليس بدالّ على كمال الإيمان ألا ترى أنّ من أظهرهما و جحد وجوب الفرائض و العبادات لا يكون مؤمنا بل كافرا و كذلك إقامه بعض العبادات من صلاه و غيرها، و من جحد أكثر العبادات و أوجبها من طاعه إمام زمانه و نصرته لم ينفعه أن يقوم بعباده اخرى و غيرها.

و أما ما تذهب إليه قوم من غفله الحشويه من عذر الباغي و إلحاقه بأهل الاجتهاد فمن الأقوال البعيده من الصواب، و من المعلوم ضروره أنّ الامّه اطبقت في الصدر الأوّل على ذمّ البغاه على أمير المؤمنين عليه السّلام و محاربتة و البراءه منهم و لم يقم لهم أحد في ذلك عذرا و هذا المعنى قد شرحناه في كتبنا و فرغناه و بلغنا فيه النهايه و هذه الجملة ههنا كافيه.

فان اعترض المخالف على ما ذكرناه بالخبر الّذي يرويه معمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن الحكم الغفاري، عن عديسه بنت أهبان بن صيفي قالت: جاء عليّ عليه السّلام إلى أبي فقال: ألا تخرج معنا؟ قال: ابن عمّك و خليلك أمرني إذا

اختلف الناس أن أتخذ شيئا من خشب.

أو بالخبر الذي يروى عن أبي ذرّ رحمه الله عليه أنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و اله:

كيف بك إذا رأيت أحجار الزيت و قد غرقت بالدمّ؟ قال: قلت: ما اختار الله لي و رسوله، قال: تلحق، أو قال: عليك بمن أنت منه، قال: قلت: أفلا آخذ بسيفي و أضعه على عاتقي؟ قال: شاركت القوم إذا، قلت فما تأمرني يا رسول الله؟ قال:

ألزم بيتك، قلت: فإن دخل على بيتي؟ قال: فإن خفت أن يبهرك شعاع السيف فألق رداءك على وجهك يبوء بإثمه و إثمك.

قلنا: هذان الخبران و أمثالهما لا يرجع بهما عن المعلوم و المقطوع بالأدله عليه بلا دليل و هي معارضه بما هو أظهر منها و أقوى و أولى من وجوب قتال الفئه الباغيه و نصره الحقّ و معونه الإمام العادل و لو لم يرو في ذلك إلا ما رواه الخاص و العام و الوليّ و العدو من قوله عليه السّلام: حربك يا عليّ حربى و سلمك يا عليّ سلمى، و قد علمنا أنه عليه السّلام لم يرد أنّ نفس هذه الحرب تلك بل أراد تساوى تلك الأحكام فيجب أن يكون أحكام محاربهه هي أحكام محاربه النبي صلّى الله عليه و اله إلا ما خصّصه الدليل.

و ما روى أيضا من قوله: اللهم انصر من نصره و اخذل من خذله.

و لأنه عليه السّلام لما استنصره في قتال أهل الجمل و صفين و نهروان أجابته الامّه بأسرها و وجوه الصحابه و أعيان التابعين و سارعوا إلى نصرته و معونته (معاونته - خ) و لم يحتج أحد عليه بشيء ممّا تضمّه هذان الخبران الخبيثان الضعيفان.

على أنّ الخبر الأوّل قد روى على خلاف هذا الوجه لأنّ أهدم بن الحارث (كذا) قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه و اله يا أهبان (كذا) أما أنّك إن بقيت بعدى ستري في أصحابي اختلافا فان بقيت إلى ذلك اليوم فاجعل سيفك يا أهبان من عراجين، و قد يجوز أن يريد عليه السّلام بالاختلاف الذي يرجع إلى القول و المذاهب دون المقاتله و المحاربه.

على أنّ هذا الخبر ما يمنع من قتال أهل الردّة عند بغيتهم و مجاهرتهم فهو أيضا غير مانع من قتال كلّ باغ و خارج عن طاعه الامام.

فأمّا الخبر الثّاني فمّا يضعفه أن أبا ذرّ رحمه الله عليه لم يبلغ إلى وقعه أحجار الزيت لأنّ ذلك أنّما كان محمّد بن عبد الله بن الحسن في أوّل أيّام (يوم - خ) المنسوب و أبو ذرّ مات في أيّام عثمان فكيف يقول له رسول الله صلّى الله عليه و اله: كيف بك في وقت لا يبقى إليه.

على أنّ أبا ذرّ رضى الله عنه كان معروفا بانكار المنكر بلسانه و بلوغه فيه أبعد الغايات و المجاهدات في إنكاره و كيف يسمع من الرسول الله صلّى الله عليه و اله ما يقتضى خلاف ذلك. انتهى كلامه قدّس سرّه.

ثمّ اعلم أنّ القوم ذهبوا إلى أنّ في الايه خمس فوائد: إحداها أنّ البغاه على الإيمان لأنّ الله سمّاهم مؤمنين.

الثانيه وجوب قتالهم فقال: فقاتلوا التي تبغى.

الثالثه القتال إلى غايه و هو أنّ يفيثوا إلى أمر الله بتوبه أو غيرها.

الرابعه أنّ الصلح إذا وقع بينهم فلا تبعه على أهل البغى في دم و لا مال لأنّه ذكر الصلح أخيرا كما ذكره أولا و لم يذكر تبعه فلو كانت واجبه ذكرها.

الخامسه أنّ فيها دلالة على أنّ من كان عليه حقّ فمنعه بعد المطالبه به حلّ قتاله فإنّ الله لما أوجب قتال هؤلاء لمنع حقّ كان كلّ من منع حقّا بمثابتهم و على كلّ أحد قتالهم.

أقول: أمّا الاولى فقد دريت ما فيها، و علمت أنّ تسميتهم البغاه ليس بالمعنى الذي مال إليه بعضهم من أنّه ليس بدمّ و لا نقصان و هم أهل الاجتهاد اجتهدوا فأخطئوا بمنزله طائفه خالفوا من الفقهاء أو بالمعنى الاخر العدى مال إليها بعض آخر منهم من أنّهم سيّاق تجب البراءه منهم و قطع الولايه لهم من غير انتهاء إلى الكفر، بل العدى بالمعنى ذهبنا إليه من أنّ تسميتهم بذلك ذمّ و كفر، و قد استدللّ عليه أيضا بقوله تعالى: «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ»

«لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (التوبة آية ١٢).

و بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (المائدة ٦٠).

و قد مضى وجه الاستدلال بهما في شرح المختار ٢٣٦ من الخطب (ص ٣٧٧ ج ١ من التكملة).

و قد روى الفريقان أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله كزارا غير فزار، فتبصر.

و بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأَوْاهُمْ جَهَنَّمَ وَبئس المصير» (التوبة ٧٤).

و ذلك لأنّ المنافق من ظاهره الإسلام و كذلك الباغي لإظهاره الإسلام و خروجه عنه بيغيه على إمامه فهو حقيق باسم النفاق، و لذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و اله لعلي عليه السلام لا يحيك إلا مؤمن تقى و لا يغضك إلا منافق شقى رواه النسائي في صحيحه و رويناه أيضا نحن في أخبارنا، و من يحاربه لا يحبه قطعا فيكون منافقا و هو المطلوب، و لا يلزم من عدم جهاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للمنافقين عدم ذلك بعده.

و أمّا الثانيه فصحيح، و قد يستدل أيضا على قتال البغاه بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (النساء ٦٣) بعموم و جوب طاعه اولى الأمر.

و أمّا الثالثه فكالثانيه.

و أمّا الرابعه فليست بصحيحه عندنا الإماميه فإنّ الباغي إذا أتلف مالا- أو نفسا ضمنه نعم إن كان المتلف من أهل العدل فلا ضمان عليه لأنّ الله تعالى أوجب على أهل العدل قتالهم فكيف يوجب عليه القتال و يوجب عليه الضمان إذا أتلف مالا لهم أو قتل نفسا منهم، كما إذا أتلف الحربى مالا أو نفسا من أموال المسلمين

و نفوسهم ثم أسلم فإنه لا يضمن ولا يقاد لقوله تعالى: «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ» (الأنفال ٤٠) ولخبر الجب.

و تفصيل هذه الأحكام موكول على الفقه و البحث عنها يوجب التطويل و الخروج عن موضوع الكتاب، على أن الجهاد مشروط بحضور الإمام العادل و أمره و هو أعلم بأحكام الله من غيره.

و أمّا الخامسة فكالتابعة لأن العلة التي ذكرها لجواز القتال مستنبطه ليست بحجّه، و لأنّ الحقوق متفاوتة فلا يوجب قتال البغاه لمنع حقّ خاص، قتال كلّ من منع حقًا من الحقوق.

على أن الایه كما أفاد شيخ الطائفة قدس سرّه في المبسوط خطاب للامة دون آحاد الامة و ليس من حيث قال: فقاتلوا التي تبغى فأتى بلفظ الجمع ينبغى أن يتناول الجميع لأنّ ذلك يجرى مجرى قوله: «و السارق و السارقه فاقطعوا أيديهما» و لا خلاف أن هذا خطاب للامة و نحن و إن وجبت علينا طاعة الإمام في قتال هؤلاء فإنّ قتالنا تبع لقتال الإمام و ليس لنا الانفراد بقتالهم.

و أمّا ما وعدنا من بيان خبر الأسياف فنقول: قوله عليه السّلام: شاهره أي مجرّده من الغمد. قوله: حتّى تضع الحرب أوزارها أي حتّى تنقضى لأنّ أهلها يضعون أسلحتهم حينئذ، و سمى السلاح وزرا لأنّه ثقل على لابسسه، أو لأنّ أصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى السلاح أوزارا لأنّه يحمل قال الأعشى:

و أعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا و خيلا ذكورا

و من نسج داود يحدوبها على أثر الحى عيرا فعيرا

قوله عليه السّلام: حتّى تطلع الشمس من مغربها، قد جاءت روايات في علامات ظهور الإمام القائم عليه السّلام نقلها المحقق الفيض قدس سرّه في الوافي (ص ١٠٦-١١٤ من ج ٢) و المحدث الجليل المجلسى في البحار (ج ١٣ ص ١٥٠-١٧٢ من الطبع الكمباني) و أتى بطائفة منها الشيخ الأجل المفيد في الارشاد (ص ٣٣٦ طبع طهران

و كذلك قد جاءت روايات اخرى فى أشرط الساعه و قيام القيامه منها طلوع الشمس من المغرب، فى الخرائج و الجرائح للراوندى (ص ١٩٥ طبع ايران ١٣٠١ هـ):

قال النبى صلى الله عليه و اله: عشر علامات قبل الساعه لا بدّ منها: السفىانى، و الدجال، و الدخان، و خروج القائم، و طلوع الشمس من مغربها، و نزول عيسى بن مريم. الحديث و فى أول كتاب الجهاد من المبسوط لشيخ الطائفة قدس سره أنه روى عن النبى صلى الله عليه و اله أنه قال: لا تنقطع الهجره حتى تنقطع التوبه و لا تنقطع التوبه حتى تطلع الشمس من مغربها.

فإن كانت كلمه امن فى قوله عليه السّلام فإذا طلعت الشمس من مغربها امن الناس فعلا ثانيا مجردا فالمراد أن الحرب لن تضع أوزارها حتى أن يظهر الإمام القائم عليه السّلام لأن الله يملأ به الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا و ظلما، روى على ابن عقبه، عن أبيه قال: إذا قام القائم عليه السّلام حكم بالعدل و ارتفع فى أيامه الجور و أمنت به السبل و أخرجت الأرض بركاتهما وردّ كلّ حق إلى أهله و لم يبق أهل دين حتى يظهر الإسلام و يعترفوا بالإيمان - إلخ (الإرشاد ص ٣٤٣).

لكنّ الصواب أن الكلمه فعل ماض من الإيمان بقرينه قوله: فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها - إلخ. و هذا اشاره إلى قوله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا» (الأنعام - ١٦٠).

و أنّما لم ينفعها إيمانها حينئذ لأنّ باب التوبه ينسدّ بظهور آيات القيامه، و أنّ التكليف يزول عند ظهورها، و قال عزّ من قائل: «قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» (السجده - ٣٠)، و قال تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» (آخر الغافر).

ثمّ إنّه عليه السلام جعل السيوف الشاهره مقابله جهاد أهل البغى و معلوم أنّ جهاد

أهل البغى إنما يكون بإذن الإمام عليه السّلام فهو جار إذا كان الإمام حاضرا باسط اليد، و أمّا جهاد غيرهم من المشركين فالظاهر من قوله عليه السّلام ثلاثه منها شاهره دالّ على جواز قتالهم في زمان الغيبه أيضا و في الحديث كما في مجمع البيان في تفسير سوره محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: و الجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدّجال، لكنّ جهادهم لمّا كان مشروطا بوجود الإمام أو من نصبه كما حقّق في محلّه فالمراد أنّها شاهره إلى قيام الساعه إذا خيف على بيضه الإسلام إلاّ أنّه لا يكون جهادا بل كان دفاعا و قد تجب المحاربه على وجه الدّفْع من دون حضور الإمام أو من نصبه إذا خيف كذلك.

قوله عليه السّلام على أهل الذّمه، أهل الذّمه هم اليهود و النصارى و المجوس و إنّما يجب جهادهم إذا أخلّوا بشرائط الذّمه.

قوله عليه السّلام: و إذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سيّهم، و حرمت أموالهم، و حلّت لنا مناكحتهم. و اعلم أنّه لا خلاف في عدم جواز نكاح غير الكتائبه للمسلم و أمّا في جواز الكتائبه فقد اختلفت الأقوال فيه و أتى بها العلّامه قدّس سرّه في المختلف قال: قال المفيد رحمه الله: نكاح الكافره محرّم سواء اليهود و النصارى و المجوس و اطلق النكاح مع أنّه قسّمه أوّلا إلى نكاح المتعه و الدائم و ملك اليمين و مقتضى هذا تحريم الجمع.

و قال الصدوق في المقنع: و لا يتزوّج اليهوديّة و النصرانيّه على حرّه متعه و غير متعه. و روى هذا اللفظ في كتاب من لا يحضره الفقيه عن أبي بصير، عن الصادق عليه السّلام، ثمّ روى عن الحسن التّفليسي، عن الرّضا عليه السّلام أنّه سأله يتمتّع الرّجل من اليهوديّة و النصرانيّه؟ قال: يتمتّع.

و سوّغ الشيخ في النهايه التّمّتّع باليهوديّه و النصرانيّه دون من عداهما من ضروب الكفّار و مقتضاه تحريم المجوسيّة.

و قال سلّار: يجوز نكاح الكتائب متعه.

و قال ابن إدريس: لا بأس أن يعقد على اليهوديّة و النصرانيّه هذا النكاح في حال الإختيار فأما من عدا هذين الجنسين من سائر أصناف الكفّار سواء كانت

إلى دار الإسلام ثم يحبسها و يعطى أزواجهن مهورهن.

و ثانيا على أنّ المؤمنات لسن بحلّ للكفار و أنّ الكفار لا- يحلون لهنّ فهي دالّة على منع النكاح مطلقا سواء كانا يهوديين أو نصرانيين أو مجوسيين أو غيرها من أقسام الكفار، و سواء كان النكاح دائما أو مؤجلا أو ملكك يمين.

و ثالثا على تحريم نكاح المسلم الكوافر بقوله «و لا تمسكوا بعصم الكوافر» و عمومها شامل على جميع أقسام الكفر و على جميع أقسام النكاح.

و فى مجمع البيان: قال الزهرى: و لما نزلت هذه الآية و فيها قوله: «و لا تمسكوا بعصم الكوافر» طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكّه مشركتين قرينه بنت أبى اميّه بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان و هما على شركهما بمكّه، و الاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية امّ عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حذافه بن غانم رجل من قومه و هما على شركهما.

و كانت عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ففرّق بينهما الاسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر و كان طلحة قد هاجر و هى بمكّه عند قومها كافره، ثم تزوّجها فى الاسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص ابن اميّه و كانت ممّن فرّت إلى رسول الله صلّى الله عليه و اله من نساء الكفار فحبسها و تزوّجها خالدا.

و أميمه بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحه ففرّت منه و هو يومئذ كافر إلى رسول الله صلّى الله عليه و اله فتزوّجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل.

قال الشعبى و كانت زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه و اله امرأه أبى العاص بن الربيع فأسلمت و لحقت بالنبيّ فى المدينة و أقام أبو العاص مشركا بمكّه ثم أتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردّها عليه رسول الله صلّى الله عليه و اله.

و قال الجبائى: لم يدخل فى شرط صلح الحديبيه إلا ردّ الرجال دون النساء و لم يجر للنساء ذكر و إنّ امّ كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط جاءت مسلمه مهاجره من مكّه فجاء أخاها إلى المدينة فسألا رسول الله صلّى الله عليه و اله ردّها عليهما فقال رسول الله

انَّ الشَّرْطَ بَيْنَنَا فِي الرِّجَالِ لَا فِي النِّسَاءِ فَلَمْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِمَا. قَالَ الْجَبَائِي: وَ إِنَّمَا لَمْ يَجْرَ هَذَا الشَّرْطُ فِي النِّسَاءِ لِأَنَّ الْمَرَأَةَ إِذَا أَسْلَمَتْ لَمْ تَحَلَّ لِزَوْجِهَا الْكَافِرِ فَكَيْفَ تَرُدُّ عَلَيْهِ وَ قَدْ وَقَعَتِ الْفَرْقَةُ بَيْنَهُمَا.

و الْآيَةُ الثَّانِيَةُ دَالَّةٌ صَرِيحَةٌ أَيْضًا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ نِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ أَى الْكَافِرَاتِ وَ كَذَا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ نِكَاحِ الْمُشْرِكِينَ أَى الْكَافِرِينَ وَ الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَ قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيْحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (التوبة - ٣٢) فَسَمَّاهُمْ مُشْرِكِينَ نَعَمْ إِنَّ الظَّاهِرَ مِنْ قَوْلِهِ: «خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكِهِ» وَ كَذَا «خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكِهِ» يَوْمَى إِلَى جَوَازِ نِكَاحِ الْمُشْرِكَةِ لِلْمُسْلِمِ وَ نِكَاحِ الْمُشْرِكِ لِلْمُسْلِمَةِ فَتَأَمَّلْ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى عَلَقَ النَّهْيَ عَلَى الْغَايَةِ الَّتِي هِيَ الْإِيمَانُ وَ التَّعْلِيْقَ يَدُلُّ عَلَى اشْتِرَاطِ الْإِيمَانِ فِي النِّكَاحِ، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ أَوْلَيْتُكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الزَّوْجَ يَدْعُو زَوْجَتَهُ إِلَى النَّارِ بَلْ رَبَّمَا يَدْعُو أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ إِلَى النَّارِ وَ يَأْخُذُ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ دِينِ الْآخَرِ.

قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: وَ هِيَ - يَعْنِي هَذِهِ الْآيَةُ - عَامَّةٌ عِنْدَنَا فِي تَحْرِيْمِ مَنَآكِحِهِ جَمِيْعِ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ غَيْرِهِمْ وَ لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ وَ لَا مَخْصُوصَةٍ.

وَ الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ دَلَّتْ عَلَى الْمَطْلُوبِ أَيْضًا حَيْثُ وَصَفَ الْفَتِيَّاتُ بِالْمُؤْمِنَاتِ أَى لَا يَجُوزُ نِكَاحُ الْفَتِيَّاتِ الْكَافِرَاتِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ النَّكَاحُ طَوْلًا. كَمَا أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى تَحْرِيْمِ نِكَاحِ الْكَافِرَةِ الْحَرَّةِ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ طَوْلًا حَيْثُ لَمْ يَجُوزَ مَعَ عَدَمِ الْإِسْتِطَاعَةِ بِالْمَحْصَنَاتِ أَى الْمُؤْمِنَاتِ الْحَرَّاتِ نِكَاحَ الْحَرَّةِ مِنَ الْكَافِرَاتِ.

وَ الرَّابِعَةُ تَدَلُّ بِظَاهِرِهَا عَلَى نَفْيِ التَّسَاوَى فِي جَمِيْعِ الْأَحْكَامِ الَّتِي مِنْ جَمَلَتِهَا الْمَنَآكِحُ.

إن قلت: قد دلت آية أخرى على جواز نكاح الكتابيات و هي قوله تعالى:

«الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَ لَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (المائدة - ٨) فكيف التوفيق؟ قلت: قد نهت الايات المتقدّمة عن نكاح الكوافر كما دريت و قد يجوز حمل هذه الايه على من أسلم منهنّ و من الجائز أن فرّق الشرع قبل ورود الايه بين المؤمنه التي لم تكن قطّ كافره، و بين من كانت كافره ثم آمنت ففي بيان ذلك و الجمع بين الأمرين في الإباحه فائده، كما في الانتصار، و قد حكى الطبرسي في مجمع البيان عن أبي القاسم البلخي أنّ قوما كانوا يتحرّجون من العقد على من أسلمت عن كفر فبيّن سبحانه أنّه لا حرج في ذلك فلهدا أفردهنّ بالذكر.

و ان قيل: إنّ ظاهر الايه و سياقها في مقام الامتنان و التسهيل فتأبى عن ذلك الحمل.

قلنا: إنّ النكاح على ثلاثه أقسام: نكاح المتعه، و الدائم، و ملك اليمين و قد نطق القرآن الكريم بنكاح المتعه في قوله: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً» (النساء - ٢٥) و هو المنقول عن غير واحد من الصحابه و التابعين و جماعه معروفه الأقال منهم أمير المؤمنين عليه السلام و عبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود و مجاهد و عطا و أنّهم يقرءون «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى فاتوهنّ اجورهنّ» و قد روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري و سلمه بن الأكوع و أبي سعيد الخدرى و المغيره بن شعبه و سعيد بن جبير و ابن جريح أنّهم كانوا يفتون بها و قد أجاز الأئمه من أهل البيت عليهم السلام نكاح الكتابيات متعه لا دائما و أهل البيت أدري بما فيه فالايه باقيه على الامتنان و التسهيل غايه الأمر أنّها تبين حكم نكاح واحد من بين الثلاثه و لا ضير فيه فإنّ نكاح المتعه نكاح، و على هذا المعنى يحمل ما روى أنّ عمّارا نكح نصرانيته، و نكح طلحه نصرانيته، و نكح حذيفه يهوديه.

على أنه قد ورد روايات على أنها منسوخة بقوله تعالى: «وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ» وقوله تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» ففي الكافي بإسناده عن ابن رثاب، عن زراره قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله سبحانه: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» قال: هذه منسوخة بقوله: «وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ».

وفيه بإسناده عن ابن فضال. عن الحسن بن الجهم قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا با محمّد! ما تقول في رجل يتزوج نصرانيه على مسلمه؟ قلت: جعلت فداك و ما قولي بين يديك؟ قال: لتقولن فإن ذلك تعلم به قولي، قلت: لا يجوز ترويح نصرانيه على مسلمه و لا- على غير مسلمه، قال: و لم؟ قلت: لقول الله عزّ و جلّ: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ»، قال: فما تقول: في هذه الآية:

«وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ»؟ قلت:

فقوله: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ» نسخت هذه الآية فتبسّم ثم سكت.

نعم إنّ في نسخ الآية بالآيتين كلاما و هو أنّ الفريقين رووا عدّه روايات في أنّ المائدة آخر سورة نزلت و آيه تحليل نكاح الكتابيات منها و تقديم الناسخ على المنسوخ نزولا ليس بصحيح، ففي الإتيان للسيوطي: أخرج الترمذي و الحاكم عن عائشه قالت: آخر سورة نزلت المائدة فما وجدت فيها من حلال فاستحلّوه - الحديث.

و في مجمع البيان: روى العياشي بإسناده، عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضا و إنّما يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه و اله بأخذه و كان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها و لم ينسخها شيء - إلخ.

لكن غير واحده من الروايات ناطقه بأنّ آخر السورة نزولا ليس المائدة ففي الاتقان: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله و الفتح، و أخرج الترمذي و الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: آخر سورة نزلت

سوره المائده و الفتح - يعنى إذا جاء نصر الله، و فى حديث عثمان المشهور براه من آخر القرآن نزولا، و فى مجمع البيان للطبرسى فى تفسير سوره هل أتى أن التوبه آخر سوره نزولا و نزلت المائده قبلها.

أقول: سلمنا أن المائده ليست آخر السوره نزولا- أمّا أن نزلها كان بعد البقره فلا كلام فيه بل فى المجمع فى تفسير السوره المذكوره أن البقره أول سوره نزلت بالمدينه فالإشكال فى تقديم الناسخ على المنسوخ باق بحاله، اللهم إلا أن يقال يجوز أن يكون نزول الايتين الناسختين فى البقره بعد نزول الايه المنسوخه فى المائده إلا أن رسول الله صلى الله عليه و اله جعلها بأمر الله تعالى فى ذلك الموضع من سوره المائده كما أن آيه: «وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» آخر آيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه و اله فجعلها رأس الثمانين و المائتين من البقره بأمر الأمين جبرائيل عليه السلام كما فى المجمع و الكشاف و أنوار التنزيل و غيرها. فتأمل.

و بالجمله لو لم نقل بنسخ الايه لكانت بيانا لنكاح المتعه و تجويزه كما دريت.

و لقائل أن يقول: إن قوله تعالى فى البقره: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» - الايه غير الكتابيه من عبده الأوثان و غيرهم من الذين ليس لهم كتاب بدليل الافتراق بينهما فى قوله تعالى: «مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ» - الايه (البقره ١٠٠) و قوله تعالى: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ» (البينه - ٢).

قلت: قد دلت الايه المتقدمه من التوبه على أن اليهود و النصارى من المشركين و افتراقهما فى آيه لعنايه خاصه لا يدل على عدم كون أهل الكتاب مشركين.

و بالجمله القول بجواز نكاح الكتابيه للمسلم بالدوام مشكل جدا و أمّا نكاحها متعه أعنى مؤجلا، أو ملك يمين فلا بأس به.

و روايات الباب طائفه منها صريحه فى أنّ نكاح الكافره سواء كانت عابده وثن أو مجوسيه أو يهوديه أو نصرانيه محرّم منها روايه ابن الجهم المتقدّمه المنقوله عن الكافى.

و فيه أيضا بإسناده عن ابن رثاب، عن زرار، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لا ينبغى نكاح أهل الكتاب، قلت: جعلت فداك و أين تحريمه؟ قال: قوله: «و لا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ».

و فيه بإسناده، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لا ينبغى للمسلم أن يتزوّج يهوديه و لا نصرانيه و هو يجد مسلمه حرّه أو أمه.

و اخرى منها تجوز النكاح لكنّها يحتمل وجوها من التأويل كما اشار إليها شيخ الطائفه فى التهذيب منها أن تكون هذه الأخبار خرجت مخرج التقيّه لأنّ كلّ من خالفنا يذهب إلى إباحه ذلك فيجوز أن تكون هذه الأخبار وردت وفقا لهم.

و منها أن تكون هذه الأخبار تناولت إباحه من لا تكون مستبصره معتقده للكفر متديّنه به بل تكون مستضعفه فإنّ نكاح من يجرى هذا المجرى جائز.

و منها أن يكون ذلك إباحه فى حال الضروره و عند عدم المسلمه و يجرى ذلك المجرى إباحه الميته و الدم عند الخوف على النفس.

و منها أن تكون هذه إباحه فى العقد عليهنّ عقد المتعه و إن شئت تفصيلها فعليك بالتهذيب.

ثمّ إنّ فى خبر الأسياف تفصيلا آخر فى المقام و هو أنّ أهل الذّمه إذا قبلوا الجزيه حلّت للمسلم مناكتهم و أمّا إذا كانوا فى دار الحرب فلا.

و مثله مروى عن النّبىّ صلّى الله عليه و اله أيضا فى تفسير القمى أنّه صلّى الله عليه و اله قال: و إنّما يحلّ نكاح أهل الكتاب الذين يؤدّون الجزيه و غيرهم لم تحلّ مناكتهم.

أقول: الخبران يدلّان على جواز نكاحهم مع انعقاد الذّمه و إنّما لم يجز بدونها لأنّهم حينئذ محاربون فيشملهم الأحكام الوارده على المحاربين.

قوله عليه السّلام: فلن يقبل منهم إلا الجزية أو القتل - إلخ.

أقول: أهل الكتاب أى اليهود و النصارى يجوز إقرارهم على دينهم ببذل الجزية و كذا حكم من لهم شبهه كتاب أى المجوس فيقرون على دينهم ببذل الجزية و متى امتنع أهل الكتاب من بذل الجزية قوتلوا و سبيت ذراريهم و نساءهم و أموالهم تكون فيئا و أما من لا كتاب له و لا شبهه كتاب من عباد الأصنام و الأوثان و الكواكب و غيرهم فلا يقرون على دينهم ببذل الجزية.

قوله عليه السّلام: و السيف الثالث سيف على مشركى العجم - إلخ.

أقول: لما ذكر الإمام عليه السّلام فى هذا الخبر أحكام أهل الذّمه على حده علم أنّ المراد من مشركى العرب و العجم سوى أهل الكتاب منهما و هذا واضح و إنّما الكلام فى ذكر كلّ من مشركى العرب و العجم منفردا و ذلك لأنّ أحكام المشركين الذين ليس لهم كتاب واحده و لا- تختلف أحكامها باختلاف البلاد و الأقاليم و الألسنه و لم نجد فى الكتب الفقهيّه من تعرّض بالتفصيل و التفريق بين مشركى العرب و العجم و ما نعلم سبب انفراد مشركى العجم بالذكر إلا أنّ العلامة المجلسى قدّس سرّه قال فى مرآه العقول: و إنّما أفردّه عليه السّلام (يعنى السيف الثالث) بالذكر لعلمه بأنّ قوله تعالى: «فَصَرْبَ الرِّقَابِ» نزل فيه و المخاطب بالقتال فيه امّه النّبىّ صلّى الله عليه و اله لأنّه لم يقاتلهم و إنّما قاتلهم الله. انتهى فتأمل.

قوله عليه السّلام: فسيف على أهل البغى و التأويل - و قال رسول الله صلّى الله عليه و اله: إنّ منكم من يقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل.

أقول: فى حديث علىّ عليه السّلام ما من آيه إلاّ و علمنى تأويلها أى معناها الخفىّ الذى هو غير المعنى الظاهرى لما تقرّر من أنّ لكلّ آيه ظهرا و بطنا و المراد أنّه صلّى الله عليه و اله اطّلع على تلك الخفيات المصونه و الأسرار المكنونه. قاله الطريحي فى مجمع البحرين.

و قال المجلسى رحمه الله فى مرآه العقول: لعلّ كون قتال التأويل لكون الايه غير نصّ فى خصوص طائفه إذ الباغى يدعى أنّه على الحقّ و خصمه باغ.

أو المراد به أن آيات قتال المشركين و الكافرين يشملهم في تأويل القرآن. انتهى و أقول: هذا البيان يناسب قول رسول الله صلى الله عليه و اله انّ منكم من يقاتل بعدى على التأويل. و أمّا الظاهر من كلام أبي جعفر عليه السّلام فسيّف على أهل البغى و التأويل فإنّما المراد أنّ الخارجين على الإمام العادل هم أهل البغى و التأويل و يؤيد ما ذكرنا قول أمير المؤمنين عليه السّلام في كتابه الاتى (كتاب ٥٥) إلى معاوية خطابا إليه:

فعدوت على طلب الدّنيا بتأويل القرآن فطلبتنى بما لم تجن يدي و لا لسانى إلخ.

حيث طلب معاوية القصاص لعثمان و أوّل قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ» الایه و نحوه من آیات اخرى بما أراد حتّى ألّب الناس على أمير المؤمنين عليه السّلام و سیأتى كلامنا فى تحقيق التأويل فى تفسير كتابه عليه السّلام إلى ابنه المجتبى عليه السّلام عند قوله: و أن أبتدئک بتعليم كتاب الله و تأويله إلخ.

قوله عليه السّلام: و قال عمّار بن یاسر: قاتلت بهذه الرايه إلخ.

أقول: الرايه إشاره إلى رایه معاويه فى بدر واحد و حنین. و هذه الرابعه يعنى وقعه صفین و قد مرّ كلامنا فى تفسير قوله هذا و قوله: و الله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا السعفات من هجر فى شرح المختار ٢٣٦ (ج ١٥ ص ٢٨٥-٢٨٩).

فقد آن أن نشرح جمل الوصیّه فنقول قوله: «لا- تقاتلوهم حتّى یبدءوكم» نهى أصحابه عن الابتداء بالحرب و قد دريت من حدیث عبد الله بن جندب المنقول من الكافى أنّ أمير المؤمنين علیا عليه السّلام كان يأمر أصحابه فى كلّ موطن لقیهم عدوّهم بقوله: لا تقاتلوا القوم حتّى یبدءوكم: إلخ. و إنّما نهاهم عن الابتداء بها لأنّه دعوه إلى المبارزه و الداعى إليها باغ و قد قال عليه السّلام لابنه الامام المجتبى عليه السّلام كما یأتى فى باب المختار من حکمه عليه السّلام (الحکمه ٢٣٣): لا تدعونّ إلى مبارزه و إن دعیت بها فأجب فإنّ الدّاعى باغ و الباغى مصروع. انتهى و فى کتاب الحرب من عیون الأخبار لابن قتیبه (ص ١٢٨ ج ١ طبع مصر): العتبى عن أبیه قال:

قال علی بن أبى طالب علیه السّلام لابنه الحسن: یا بنی لا تدعونّ أحدا إلى البراز و لا يدعونّک أحد إليه إلاّ أجبته فإنّه بغى.

و قال عزّ من قائل: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ» (يونس ٢٤) و من الأمثال القديمه قولهم: لا ظفر مع بغى. أتى به ابن القتيبه فى كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ١١١ ج ١).

و فى باب حكم طلب المبارزه من كتاب الجهاد من الوسائل باسناده عن ابن القدّاح عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: دعى رجل بعض بنى هاشم إلى البراز فأبى أن يبارزه فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: ما منعك أن تبارزه؟ فقال: كان فارس العرب و خشيت أن يغلبنى؛ فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: فأنه بغى عليك و لو بارزته لغلبته و لو بغى جبل على جبل لهدم الباغى.

و فى هذا الباب من الوسائل أيضا: قال أبو عبد الله عليه السّلام: إنّ الحسين (الحسن خ ل) بن عليّ دعى رجلا إلى المبارزه فعلم به أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

لئن عدت إلى مثل هذا لعاقبتك؛ و لئن دعاك أحد إلى مثلها فلم تجبه لا عاقبتك أما علمت أنه بغى.

و قد مضى فى شرح المختار ٢٣٦ أنّ معاويه لما كف أمير المؤمنين و عسكره فى صفين عن الماء ثم أخذ أصحاب الأمير عليه السّلام الماء عنهم و صار الماء فى أيديهم قال بعضهم: لا نسقى معاويه و أتباعه الماء أرسل أمير المؤمنين عليه السّلام إليهم أن خذوا من الماء حاجتكم و ارجعوا إلى عسكركم و خلّوا عن معاويه و عسكره فإنّ الله عزّ و جلّ قد نصركم عليهم بظلمهم و بغيتهم (ص ٢٢٧ ج ١٥).

قوله عليه السّلام: «فانكم بحمد الله على حجّه» علل التّهى عن القتال بدوا بأن أتباعه عليه السّلام على حجّه و بينه و يقين من ربّهم و أنّهم على الطريق الواضح من حيث إنهم شايعوا الإمام الحقّ فهم على الصراط السّوى و الجادّه الوسطى. و أهل الحقّ لا يقاتلون أحدا بغير حقّ و حجج الله لم يؤمروا بالقتل و القتال بل امروا باحياء النفوس و تزكيتها من الأرجاس و الأدناس و تعليمهم الكتاب و الحكمه فإنّ لهم أن يبدأوا بالقتال و قد قالوا: إنّ البادى بالحرب باغ.

و إنّما قال: بحمد الله، لأنّ الكون على حجّه من أعظم نعم الله تعالى

لا تعادله نعمه فيجب على المنعم عليه حمد المنعم.

قوله عليه السّلام: «و ترككم إياهم حتّى يبدءوكم حجّه اخرى لكم عليهم» قد علمت أنّ البادى بالحرب باغ و الإمام الحقّ مطلقا على حجه فأنّه ينظر بنور الله فاذا بدأوا بالحرب فقد تحقّق بغيهم عليه فيجب عليه قتالهم لقوله تعالى: «فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ». «

ثمّ إنّ البادى بالحرب معتد فيجب على الإمام الاعتداء عليه لقوله تعالى:

«فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ» (البقره - ١٩١).

و إنّ محارب الإمام العادل محارب الله و رسوله فقد دريت من المباحث السالفه أنّ الفريقين نقلا عنه صلّى الله عليه و اله انه قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: حربك يا علىّ حربى.

على أنّ الباغى عليه من الذين يسعون فى الأرض فسادا فقد قال الله تعالى:

«إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (المائدہ ٣٨).

و بالجملة أنّ وجود الإمام عليه السّلام حجّه عليهم فيجب عليهم اتّباع أمره و اقتفاء أثره و التأسى به فاذا طغوا و أعرضوا عن أمره و حاربوه و جازاهم على فعالهم و طغيانهم تمّت الحجه عليهم و انقطع عذرهم و فاء لحقّ الاعتداء فهم محاربون و الإمام عليه السّلام و عسكره حينئذ مدافعون فهذه حجّه اخرى لهم عليهم.

ثمّ ينبغى للقارئ الكريم الطالب نهج القويم أن يتأمّل فى سيره سفراء الله فى أهل البغى حقّ التأمل و التدبّر حتّى يرى بعين العدل و الإنصاف أنّهم لم يكونوا فى سدد قتال الناس و قتلهم بل شأنهم فى القتال و القتل شأن من يجثّ نبات السوء من مزرعه، أو كمن يقلع و يطرد أشواكا واقعه على طريق مانعه عن العبور عنها، أو كمثل الّذى يقتل جراثيم مؤذيه تؤذى شجره مثمره فى حديقته. لأنّ الله تعالى بعثهم رحمه للناس كافّه يدعوهم إلى ما يحييهم حياه طيبه، و يسلكهم إلى الفوز و النجاح و السعاده

الأبديّة إلّا- أنّ طائفه من أرادل الناس و أوباشهم و أشرارهم لّمّا ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون و اتّخذوا دين الله و عباده سخرتيا و أرادوا أن يطفؤا نور الله بألسنتهم و أستتهم و سيوفهم و رماحهم، و كانوا يضلّون الناس و يغوونهم حقّ عليهم العذاب بأيدى أهل الحقّ دفاعا عن حوزة الإسلام الساميه، قال تعالى: «وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» (البقره ٢٥٣) و قال عزّ من قائل: «وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوَاتٌ وَ مَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» (الحج ٤٢).

و قد روى ثقه الإسلام الكليني قدّس سرّه فى الباب الثامن من كتاب الجهاد من الكافى بإسناده عن السكونى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بعثنى رسول الله صلى الله عليه و اله إلى اليمن و قال لى: يا على لا تقاتلنّ أحدا حتّى تدعوه و أيم الله لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك ممّا طلعت عليه الشمس و غربت و لك و لاؤه يا على.

و قد مضى فى شرح المختار الثانى من باب الكتب (ص ٥٧ ج ١٧) أنّه عليه السّلام بينا يوصى أصحابه فى الجمل بقوله: لا تبدأوا القوم بالقتال و لا تقتلوا مدبرا - إلخ، إذ ظلّهم نبل القوم الناكثين فقتل رجل من أصحابه فلما رآه قتيلا قال: اللهمّ اشهد، ثمّ رمى رجل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى فقتله فأتى به أخوه عبد الرحمن يحمله فقال علىّ عليه السّلام: اللهمّ اشهد، و تواتر على عمّار بن ياسر الرّمى فقال:

ما ذا تنتظر يا أمير المؤمنين و ليس لك عند القوم إلّا الحرب إلخ.

و فى الكافى (الباب الثامن من كتاب الجهاد) بإسناده عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ النبىّ صلى الله عليه و اله كان إذا بعث أميرا له على سرّيه أمره بتقوى الله عزّ و جلّ فى خاصّه نفسه ثمّ فى أصحابه عامّه ثمّ يقول: اغزوا - (ظ) بسم الله و فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، و لا تغدروا، و لا تغلّوا، و لا تمثّلوا، و لا تقتلوا وليدا و لا متبتلا فى شاق، و لا تحرقوا النخل، و لا تغرقوه بالماء، و لا تقطعوا شجره مثمرة، و لا تحرقوا زرعاً لأنكم لا تدرون لعلكم

تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم ممّا يؤكل لحمه إلا ما لا بدّ لكم من أكله و إذا لقيتم عدوّاً للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فإن هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم و كفّوا عنهم، و ادعوهم إلى الإسلام فإن دخلوا فيه فاقبلوه منهم و كفّوا عنهم و ادعوهم إلى الهجرة بعد الإسلام فإن فعلوا فاقبلوا منهم، و كفّوا عنهم، و إن أبوا أن يهاجروا و اختاروا أديانهم و أبوا أن يدخلوا إلى دار الهجرة كانوا بمنزلة أعراب المؤمنين يجرى عليهم ما يجرى على أعراب المؤمنين، و لا- يجرى لهم في الفىء و لا- في القسمة شىء إلا أن يهاجروا في سبيل الله. فإن أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يدهم صاغرون، فإن أعطوا الجزية فاقبل منهم و كفّ عنهم و إن أبوا فاستعن الله عزّ و جلّ عليهم و جاهدوهم في الله حقّ جهاده. و إذا حاصرت أهل الحصن فارادوك على أن ينزلوا على حكم الله عزّ و جلّ فلا- تنزل لهم و لكن أنزلهم على حكمهم، ثم اقض فيهم بعد ما شئتم فإنكم إن تركتموهم على حكم الله لم تدرؤا تصيبوا حكم الله بهم أم لا. و إذا حاصرت أهل حصن فإن أذنوك على أن تنزلهم على ذمّه الله و ذمّه رسوله فلا تنزلهم و لكن أنزلهم على ذممكم و ذمم آبائكم و إخوانكم فإنكم إن تخفروا ذممكم و ذمم آبائكم و إخوانكم كان أيسر عليكم يوم القيامة من أن تخفروا ذمّه الله و ذمّه رسوله.

فهذا هو رسول الله صلّى الله عليه و اله يوصى سراياه و عساكره بتقوى الله، و دعوه الكفّار إلى الإسلام فأين هو صلّى الله عليه و اله من أن يخوض في دماء الناس و قد طهره الله من الرجس تطهيراً، و قال له عزّ من قائل: «و لو كنت فظّاً غليظ القلب لا نفّضوا من حولك».

و هو صلّى الله عليه و اله قد تأدّب باداب الله و في الجامع الصغير نقلاً عن ابن عدى في الكامل عن ابن مسعود أنّه صلّى الله عليه و اله قال: أدبني ربّي فأحسن تأديبي. و من أدبه صلّى الله عليه و اله أنّه بعد ما لقي في دعوته من قومه ما لقي قال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، و على روايه اخرى: اللهم اغفر قومي فإنهم لا يعلمون.

و في كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبه (ص ١٢٣ ج ١) أنّ النبيّ صلّى الله عليه و اله في بعض أيامه التي لقي فيها العدوّ انتظر حتّى مالت الشمس ثمّ قام

فى الناس فقال: لا تتمنوا لقاء العدو، و اسألوا الله العافيه - إلخ.

و قال ابن هشام فى السيره: إن رسول الله صلى الله عليه و اله لما أشرف على خيبر قال لأصحابه: قفوا ثم قال: اللهم رب السماوات و ما أظللن - إلى قوله: فإننا نسألك خير هذه القرية و خير أهلها و خير ما فيها - إلخ، و قد نقلناه فى شرح المختار الثانى من باب الكتب و الرسائل (ص ٥٠ ج ١٧).

فإياك أن تظن أن مثل حجج الله تعالى كمثل سلاطين الجور، و الذين يريقون الدماء نيلا- إلى أغراض دنيويّه و هو اجس نفسانيّه.

و هذا هو أمير المؤمنين على عليه السّلام يعظّ عسكره أن يدعوا الله أن يحقن دماءهم و دماء العدو، و يصلح ذات بينهما، و يهدى الأعداء من ضلالتهم.

و كان عليه السّلام ينهى جنوده عن أن يسبوا و يشتموا الأعداء فأين هو عليه السّلام و الخوض فى الدماء، فقد روى نصر بن مزاحم المنقرى فى صفين (ص ٥٥ من الطبع الناصرى) عن عمر بن سعد، عن عبد الرحمن، عن الحارث بن حصيره، عن عبد الله ابن شريك قال: خرج حجر بن عدى و عمرو بن الحمق يظهران البراءة و اللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما على عليه السّلام أن كفّا عما يبلغنى عنكما. فأتياه، فقالا:

يا أمير المؤمنين! ألسنا محقّين؟ قال: بلى، قالوا: فلم منعنا من شتمهم؟ قال:

كرهت لكم أن تكونوا لعانين، شتّامين، تشتمون، و تتبرؤون. و لكن لو وصفتهم مساوى أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا و كذا، و من عملهم كذا و كذا كان أصوب فى القول، و أبلغ فى العذر، و قلتكم مكان لعنكم إياهم و براءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا و دماءهم، و أصلح ذات بيننا و بينهم، و اهدهم من ضلالتهم، حتّى يعرف الحقّ منهم من جهله، و يرعوى عن الغىّ و العدوان من لهج به، كان هذا أحبّ إلّى، و خيرا لكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك و نتأدّب بأدبك.

و قد مضى فى شرح المختار الثانى من باب الكتب و الرسائل أنّه عليه السّلام لما سار مع عسكره من المدينة إلى البصره لقتال جند المرأه و أتباع البهيمه بلغ الموضع المعروف بالزاويه فنزلوا و صلى عليه السّلام أربع ركعات و عفر خديّه على التربه و قد

خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو: اللهم رب السماوات و ما أظلت - إلى قوله:

اللهم احقن دماء المسلمين. (ص ٥٠ ج ١٧).

و هذا هو الإمام الحسن بن عليّ عليهما السّلام لم يرض أن يهرق في أمره محجمه دم كما علمنا من وصيته عليه السّلام يوم حضرته الوفاة و قد تضافرت بنقلها الروايات.

و هذا هو الإمام الحسين بن عليّ عليهما السّلام، لما رام مسلم بن عوسجه أن يرمى شمر بن ذى الجوشن حين سبّ الحسين عليه السّلام بسهم منعه عن ذلك فقال له: لا ترمه فإنّي أكره أن أبدأهم رواه المفيد في الإرشاد (ص ٢١٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ).

و كذا روى في (ص ٢١٠) من الإرشاد: إنّ الحرّ بن يزيد الرياحي لما أخذهم بالنزول في مكان على غير ماء و لا قرية - ساق الكلام إلى أن قال: فقال زهير بن القين إنّي و الله ما أراه يكون بعد الّذى ترون إلّا أشدّ ممّا ترون يا ابن رسول الله صلّى الله عليه و اله إنّ قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قبل لنا به فقال الحسين عليه السّلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال ثمّ نزل.

نعم إنّ الخوض في دماء النّاس إنّما هو من شأن عبيد الدّنيا و أسره الهوى الّذين اتّخذوا دين الله دغلا، و عباد الله خولا، و مال الله دولا، أتباع الشقيّ الجبار الّذى يعالن الناس قائلا: و الله إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا و لا لتزكّوا و لا لتصوموا و لا لتحجّوا، و إنّما قاتلتكم لأتأمر عليكم، و قد أعطاني الله ذلك و أنتم كارهون.

و قد قدّمنا نبذه من الكلام في ذلك في شرحنا على المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٢٢٧ و ٢٥٢ و ٣٠٠ ج ١٥) فراجع.

قوله عليه السّلام: «فإذا كانت الهزيمة باذن الله» الهزيمة و إن كانت بحسب الظاهر على أيديهم و لكنّها ليست متحقّقة إلّا باذن الله تعالى و أمره و لمّا كان ولي الله الأعظم عليه السّلام موحّدا فانيا في الله لا يرى من نفسه أثرا في البين، و لا يرى في دار الوجود مؤثرا إلّا الله، لا حول و لا قوّه إلّا بالله، و لا يرى شيئا إلّا من عنده تعالى

قال عز من قائل في قصه طالوت و ما جرى بينه و بين جالوت: «قال الذين يظنون أنهم ملأوا الله كفاً من فئه قليله غلبت فئه كثيره بإذن الله و الله مع الصابرين و لما برزوا لجالوت و جوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً و ثبت أقدامنا و انصربنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله» (البقره - ۲۵۲).

و قال تعالى: «و البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه» (الأعراف - ۵۸).

و قال تعالى مخاطباً لعيسى عليه السلام: «و إذ تخلق من الطين كهينه الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني و تبرئ الأكمه و الأبرص بإذني و إذ تخرج الموتى بإذني» (المائده - ۱۱۲).

و قال حكاية عن عيسى عليه السلام: «أنى أخلق لكم من الطين كهينه الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله و أبرئ الأكمه و الأبرص و أحي الموتى بإذن الله» (آل عمران - ۴۵).

و قال عز من قائل مخاطباً لرسوله الخاتم: «أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم» (إبراهيم - ۲).

و قال تعالى: «فلم تقتلوهم و لكن الله قتلهم و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى» (الأنفال - ۱۹).

و الانسان له وجهه إلهيه بها فاعليته و وجهه نفسيه بها ينسب الأفعال إلى نفسه، و المؤمن الموحيد السالك إلى الله قد يرتقى بالرياضات و المجاهدات إلى مرتبه لا يرى لنفسه فيها أثراً، و لا يرى مؤثراً إلا الله، و ما يشاهد من دونه تعالى على ظاهر الأمر «كسراب بقيعه يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً و وجد الله عنده فوفاه حسابه» (النور - ۴۰). «قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً» (النساء - ۸۲).

از سبب سازيش من سودائيم و ز سبب سوزيش سوفسطائيم

در سبب سازيش سر گردان شدم در سبب سوزيش هم حيران شدم

اين سببها بر نظرها پرده هاست كه نه هر ديدار صنعش را سزا است

دیده ای باید سبب سوراخ کن تا حجب را بر کند از بیخ و بن

تا مسبب بیند اندر لا مکان هرزه بیند جهد و أسباب دکان

هر چه خواهد آن مسبب آورد قدرت مطلق سببها بر درد

قوله عليه السلام: «فلا تقتلوا مدبرا» نهی عليه السلام أصحابه عن امور:

نهاهم عن أن يقتلوا المدبر عن القتال كما نهاهم عن أن يتبعوا موليا، و أن يطلبوا مدبرا على ما رواه الكليني في الجامع الكافي، و المسعودي في مروج الذهب كما مر ذكرهما آنفا في بيان المصادر، و ما يستفاد من ظواهر الأخبار و فتاوى العلماء في المقام أن هذه الجمل الثلاث تشير إلى معنى فارد و تفيد حكما واحدا و لذا يوجد واحده منها في نسخه دون الاخرين إلا أن المسعودي جمع بين نسختي و لا تتبعوا موليا، و لا تطلبوا مدبرا.

و ما وجدنا في الجوامع الروايه من الكافي و التهذيب و الوسائل و البحار و الوافي مع طول الفحص و كثره الطلب روايه جامعه لها أو لاثنين منها.

اللهم إلا- أن يفسير قوله موليا بمن عاد من البغي إلى طاعه الامام و ترك المباينه فإنه يحرم قتله قتاله حينئذ فلا تكرار في نسخه المسعودي على هذا الوجه و لكنّه كما ترى.

قوله عليه السلام: «و لا- تصيبوا معورا» قد تفرد الرضي رضوان الله عليه بنقله و ما وجدناه مع كثره التحري في نسخه اخرى عن غيره، إلا أن ابن الأثير أتى به في النهايه كما مر آنفا في اللغه إن لم يكن النهج مأخذه. و لم يتعرض الفقهاء على هذا الحكم في أحكام أهل البغي الخارجين على الإمام.

و يمكن أن يفسير على وجوه: أحدها أنه عليه السلام نهى أصحابه عن أن يقتلوا أو يجرحوا من أمكنتهم الفرصه في قتله و جرحه بعد هزيمه العدو و انكسارهم كما نص عليه بقوله فإذا كانت الهزيمه باذن الله- إلخ و قد بين في اللغه أنه يقال أعور لك الصيد و أعورك إذا أمكنك و الإصابه كناية عن القتل أو الجرح و كأن المعنى الثاني أعنى الجرح أنسب بأسلوب الكلام.

ثانيها أنه عليه السلام نهاهم أن يقتلوا بعد انهزام العدو فارسا منهم اصيب قبل الانهزام بجراحه من قولهم أعود الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب فيه و هذا الوجه يقرب من قوله و لا تجهزوا على جريح معني بخلاف الأول ففيه تكرار.

أما لو فسّرت الاصابه بالطعن و الجرح فلا تكرار فيه لأنّ معنى العبارة حينئذ أنه نهاهم عن أن يطعنوا و يجرحوا بعد انهزام العدو من كان منهم جريحا أى لا تصيبوا جريحا بجراحه اخرى كما فسّره خواند مير بهذا الوجه فى روضه الصفا.

ثالثها أنه نهاهم عن أن يقتلوا أو يجرحوا بعده العدو الذى صار مضطرا حتى أفضاه الاضطرار إلى أن يكشف عورته و يبدي سوءته و قايه لنفسه كما فعله عمرو بن العاص فى صفين حين اعترضه أمير المؤمنين على عليه السلام و قد أعرض عن قتله و تقدّمت الحكايه فى شرح المختار ٢٣٦ (ص ٣١٨ ج ١٥).

رابعها أن يكون المراد بالمعور المريب أى الذى يشك فيه هل هو محارب أم لا أى لا تقتلوا إلا من علمتم أنه محارب لكم.

لطيفه: فى كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبه (ص ١٦٩ ج ١ طبع مصر) قال المدائنى: رأى عمرو بن العاص معاويه يوما يضحك فقال له: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبى طالب، أما و الله لقد وافقته منانا كريما و لو شاء أن يقتلك لقتلك.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما و الله إننى لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك و رباك سحرک و بدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أو دع.

قوله عليه السلام: «و لا تجهزوا على جريح» نهى عليه السلام جنوده أن يشدوا بعد انهزام العدو على صريعهم و يسرعون إلى قتله أى نهاهم عن قتل المجروح.

و إنّما نهاهم عليه السّلام عن أن يقتلوا مدبرا، أو يصيبوا معورا، أو يجهزوا على الجرحى بعد أن هزموهم لأنّهم على ظاهر الأمر مسلمون، و كان القصد من قتالهم دفع شرّهم و تفريق كلمتهم فإذا ولّوا منهزمين فقد حصل القصد.

و اعلم أنّ أهل البغى لا يقتل مدبرهم، و لا يصاب معورهم، و لا يجهز على جريحهم إذا لم يكن لهم فئه يرجعون إليها فإذا كان لهم فئه يرجعون و يلتجئون إليها جاز اتباع مدبرهم و الإجهاز على جريحهم و اصابه معورهم لأنّهم ربّما عادوا إلى الفئه و اجتمعوا و رجعوا إلى قتال الإمام العادل و هو مذهبنا الإماميه و خالفنا فيه بعض العامه.

دليلنا قوله تعالى: «فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبَغُّوا حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» الايه و هؤلاء الذين لهم فئه يرجعون إليها ما فاؤوا إلى أمر الله و لذا أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام نادى يوم الجمل أن لا يتبع مدبرهم و لا يقتل، و لا يجهز على جريحهم لأنّ أهل الجمل قتل إمامهم و لم تكن لهم فئه يرجعون إليها و أنّما رجح القوم إلى منازلهم غير محاربين و لا مخالفين و لا منابذين، و قتل أهل صفين مقبلين و مدبرين و أجاز على جريحهم لأنّ إمامهم كان من المنظرين و كان لهم فئه يرجعون إليها و يلجئون إليها و أخبار الإماميه بذلك عن أئمّتهم وردت متظافره:

ففى الباب العاشر من كتاب الجهاد من الجامع الكافى بإسناده عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن الطائفتين من المؤمنين إحداهما باغيه و الاخرى عادله فهزمت العادله الباغيه؟ فقال: ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبرا، و لا يقتلوا أسيرا، و لا يجهزوا على جريح، و هذا إذا لم يبق من أهل البغى أحد و لم يكن لهم فئه يرجعون إليها فإذا كان لهم فئه يرجعون إليها فإنّ أسيرهم يقتل، و مدبرهم يتبع، و جريحهم يجهز.

و فى ذلك الباب منه: بإسناده عن عقبه بن بشير، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه قال: لمّا هزم الثّاس يوم الجمل قال أمير المؤمنين: لا تتبعوا موليا و لا تجيزوا (لا تجهزوا - خ ل) على جريح و من أغلق بابه فهو آمن؛ فلّمّا كان يوم صفين قتل المقبل و المدبر و أجاز على جريح. فقال أبان بن تغلب لعبد بن شريك:

هذه سیرتان مختلفتان، فقال: إنّ أهل الجمل قتل طلحه و الزبير، و إنّ معاویه كان قائما بعينه و كان قائدهم.

رواه المجلسی فی المجلد الحادی و العشرين من البحار (ص ۹۸ من الطبع الكمبانی) بسند آخر عن عقبه بن شریک نقلا عن رجال الکشی.

و روى علی بن شعبه فی تحف العقول عن الإمام العاشر أبی الحسن الثالث علی بن محمّد علیهما السّلام فی باب أجوبته علیه السّلام لیحیی بن أکثم عن مسائله (ص ۱۱۶ من الطبع الحجرى ۱۳۰۳هـ): أنّ یحیی بن أکثم قال له علیه السّلام: أخبرنى عن علی لم قتل أهل صفین و أمر بذلك مقبلین و مدبرین و أجاز علی الجرحی، و كان حکمه يوم الجمل أنه لم یقتل مؤلیا، و لا یجز علی جریح؛ و لم یأمر بذلك و قال: من دخل داره فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، لم فعل ذلك فإن كان الحکم الأوّل صوابا فالثانی خطأ؟ قال علیه السّلام: و أما قولک: إنّ علیا قتل أهل صفین مقبلین و مدبرین و أجاز علی جریحهم، و إنّّه يوم الجمل لم یتبع مؤلیا، و لم یجز علی جریح، و من ألقى سلاحه آمنه، و من دخل داره آمنه فإنّ أهل الجمل قتل إمامهم، و لم تکن لهم فئه یرجعون إليها و إنّما رجع القوم إلى منازلهم غیر محاربین و لا مخالفین و لا منابذین رضوا بالکفّ عنهم فكان الحکم فیهم رفع السیف عنهم و الکفّ عن أذاهم إذ لم یطلبوا علیه أعوانا. و أهل صفین كانوا یرجعون إلى فئه مستعدّه و إمام یجمع لهم السلاح الدروع و الزّماح و السیوف، و یسنی لهم العطاء، و یهنئ لهم الأنزال، و یعود مریضهم، و یجبر کسیرهم، و یداوی جریحهم، و یحمل راجلهم، و یکسو حاسرهم، و یردّهم فیرجعون إلى محاربتهم و قتالهم فلم یساوین الفریقین فی الحکم لما عرف من الحکم فی قتال أهل التوحید لکنّه شرح ذلك لهم فمن رغب عرض علی السیف أو یتوب من ذلك.

قوله علیه السّلام: «و لا تهیجوا النساء بأذى و إن شتمن أعراضکم و سببن امراء کم فأنهن ضعيفات القوى و الأنفس و العقول» فی نسخه الکافی و ان شتمن أعراضکم

و سبين امراءكم و صلحاءكم، و فى نسخه الطبرى: و لا تهيجوا امراه بأذى و إن شتمن أعراضكم و تناولن امراءكم و صلحاءكم، و فى روايتى الكافى و صفين لنصر فأنهنّ ضعاف القوى و الأنفس و العقول، و فى روايه الطبرى: فأنهنّ ضعاف القوى و الأنفس و لم يأت بالعقول. نهى عليه السّلام عسكره أن يثيروا غضب نساء البغاه و شرورها و يحركوهنّ و يؤذوهنّ مطلقا حتّى إنهنّ إن شتمن أعراضهم و سبين امراءهم و جب عليهم الامساك عن ردّ السبّ إليهنّ و الكفّ عنهنّ و عدم الاعتناء بشمهنّ و سبهنّ.

و علل النهى بقوله فأنهنّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول يعنى لا يجوز إثارة من بلغن فى الضعف هذه الغايه.

قال الشارح البحرانى: قوله: لا- تهيجوا النساء المراد بذلك أن لا- تثيروا شرورهنّ بأذى و إن بلغن الغايه المذكوره من شتم الأعراض و سبّ الأمراء و علل أولويه الكفّ عنهم «كذا و الصواب الكفّ عنهنّ» بكونهنّ ضعيفات القوى أى ضعيفات القدر عن مقاومات الرجال و حربهم و سلاح الضعيف و العاجز لسانه، و بكونهنّ ضعيفات الأنفس أى لا صبر لنفوسهنّ على البلاء فيجتهدن فى دفعه بما أمكن من سبّ و غيره، و بكونهنّ ضعيفات العقول أى لا قوه لعقولهنّ أن ترى عدم الفائدة فى السبّ و الشتم و أنّه من رذائل الأخلاق و أنّه يستلزم زياده الشرور و إثارة الطباع الّتى يراد تسكينها و كفّها. انتهى.

أقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أتى فى كلامه هذا بحكمين: الأوّل أن لا- يهيج قومه نساء أهل البغى ابتداء، و الثانى أن يكفوا عنهنّ إذا شتمنهم لمكان كلمه إن الوصلية فى قوله: و إن شتمن أعراضكم و سبين امراءكم و اسلوب الكلام يدلّ على أنّ قوله فأنهنّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول دليل للنهى أعنى أنّه متعلّق بقوله و لا تهيجوا و ما أتى به الشارح المذكور فأنما هو بيان لسبب شتمهنّ و سبهنّ و فحوى الكلام يأبى عن ذلك.

قوله عليه السّلام: «ان كُنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ و أنهنّ لمشركات» و فى نسخه الطبرى: و لقد كُنّا و إنّنا لنؤمر بالكفّ عنهنّ - إلخ يعنى أنّا كُنّا فى عصر

قیحین: أحدهما فی حیاہ مرتکبه حیث یعیّر ویلام به، و الآخر بعد حیاته حیث یعیّر عقبه به فمن عرف قدره و أحبّ نفسه و أهله و عقبه لا- یعمل ما یوجب شینه و لومه و تعییر عقبه من بعده و بالجمله جعل حال الرجل الذی کان یضرب المرأه فی الجاهلیه بالحجر و العصا یورث له و لعقبه تعییر الناس و ملامتهم عبره لهم فنفرهم عن ذلك العمل أشدّ تنفییر.

علی أنّه علیہ السلام تبهم بهذا الكلام ضمنا علی أنّ المرأه إذا ارتکب فی الجاهلیه هذا العمل یؤل أمره إلی کذا و اجتنابکم عنه و أنتم المسلمون کان أولى، یعنی أنّ شناعه هذا الأمر بیته غایه الوضوح حتّی أنّ الناس فی الجاهلیه کانوا یلومون فاعله فکیف أنتم لا تکفون عن أذهانّ و قد رزقتم الانتحال إلی الشریعه السلمیه المحمّدیّه.

ثمّ إنّ فی حقوق المرأه فی الإسلام و وظائفها الإجتماعیه و الانفرادیه و سائر آدابها الّتی بینها الشارع تعالی مبحثا نأتی به إن شاء الله تعالی فی شرح وصیته علیہ السلام الاتیه لابنه المجتبی عند قوله: إیاک و مشاوره النساء فإنّ رأیهنّ إلی أفن - إلخ.

الترجمه

یکی از وصیتهای علیّ امیر المؤمنین علیه السلام است که بسیاه خود در سرزمین صفین پیش از برخوردن به لشکر دشمن (معاویه و پیروانش) و در گرفتن جنگ بیان فرمود:

با ایشان کارزار نکنید تا آنان آغاز بجنگ کنند زیرا بحمد الله شما بر حقیق و حجّت با شما است، و وا گذاشتن شما ایشان را تا آغاز جنگ از آنها بشود حجّتی دیگر مر شما را بر ایشان خواهد بود، و چون بخواست خدا بر آنان پیروز شدید و شکستشان دادید آنکه را پشت کرده و رو بفرار گذاشته مکشید، و آنکه را از در اضطرار بکشف عورت خود پناهنده شد (یا بر آنکه بعد از شکست دست یافته اید - یا آن کسی که معلوم نیست که دوست است یا دشمن - یا بر آنکه جراحت

دیده و زخمی شده) مکشید و زخم مرسانید، و زخم خورده ای که در میان کشتگان می بینید بر کشتن او مشتاید و وی را نکشید، و زنان را اگر چه عرض شما و بزرگان و پارسایان شما را دشنام دهند و یاوه گویند بر مینگیزانید و اذیت و آزارشان نکنید و بدشنامشان اعتناء نکنید چه نیرو و جان و خردشان ضعیفست، همانا که ما در زمان پیمبر از پیمبر امر داشتیم که از آنها با این که مشرک بودند خودداری کنیم و دست بداریم (اکنون که بظاهر مسلمانند) و اگر در زمان جاهلیت مردی زنی را بسنگ و چوبدستی می زد وی را سرزنش می کردند و پس از مرگش فرزنداناش را نکوهش می کردند، (زمان جاهلیت که چنین بود پس مسلمان باید حتما از این کار ناروا دست بردارد).

و کان یقول علیه السلام اذا لقی العدو محاربا

اشاره

هذا هو المختار الخامس عشر من باب المختار من كتبه عليه السلام اللهم إليك أفضت القلوب، ومدت الأعناق، و شخصت الأبصار و نقلت الأقدام، و أنضيت الأبدان. اللهم قد صرح مكنون (مكتوم - معا) الشنان، و جاشت مراحل الأضغان. اللهم إنا نشكوا إليك غيبه نبينا، و كثره عدونا، و تشت أهواننا. ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين.

ص: ۱۶۹

نقله بصور اخرى ممن كانوا قبل الرضى.

رواه نصر بن مزاحم المنقرى فى صفين ياسناده عن عمرو بن شمر، عن جابر ابن نمير الأنصارى (ص ٢٥٦ من الطبع الناصرى) و فى نقله زياده لم يأت بها الرضى فى النهج و قد نقلنا نسخه نصر كامله فى شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٣٢٦ ج ١٥) فلا حاجه إلى نقلها ثانيه.

و رواه الشيخ الأجلّ المفيد عن الواقدى فى الجمل (ص ١٦٥ من طبع النجف) و قد نقلنا نسخه فى شرح المختار الثانى من باب المختار من كتبه و رسائله (ص ٥٥ ج ١٧).

و رواه نصر بن مزاحم على وجوه اخرى تقرب ممّا سبق ذكره فى كتاب صفين أيضا بطرق عديده (ص ١١٨ و ١١٩ من الطبع الناصرى) و هى كما يلى:

نصر، قيس بن الربيع، عن عبد الواحد بن حسان العجلّى، عمّن حدّثه، عن علىّ عليه السّلام أنّه سمع يقول يوم صفين: اللهمّ إليك رفعت الأبصار، و بسطت الأيدي، و دعت الألسن، و أفضت القلوب، و تحوكم إليك فى الأعمال، فاحكم بيننا و بينهم بالحقّ و أنت خير الفاتحين، اللهمّ إنّنا نشكو إليك غيبه نبينا، و قلّه عددنا، و كثره عدوّنا و تشتّت أهوائنا، و شدّه الزّمان، و ظهور الفتن، أعنّا عليهم بفتح تعجّله، و نصر تعزّبه سلطان الحقّ و تظهره.

نصر، عمرو بن شمر، عن عمران، عن سويد قال: كان علىّ عليه السّلام إذا أراد أن يسير إلى الحرب قعد على دابّته و قال: الحمد لله ربّ العالمين على نعمه علينا و فضله العظيم، سبحان الذى سخر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين و إنّنا إلى ربّنا منقلبون. ثمّ يوجّه دابّته إلى القبله ثمّ يرفع يديه إلى السماء ثمّ يقول: اللهمّ إليك نقلت الأقدام، و أفضت القلوب، و رفعت الأيدي، و شخصت الأبصار، نشكو إليك غيبه نبينا، و كثره عدوّنا، و تشتّت أهوائنا، ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ، و أنت

خير الفاتحين، سيروا على بركة الله، ثم يورد و الله من اتبعه حياض الموت.

نصر، عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم قال: كان على إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب ثم يقول: الحمد لله على نعمه علينا و فضله العظيم سبحان الذي سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم يستقبل القبلة و يرفع يديه إلى الله ثم يقول: اللهم إليك نقلت الأقدام، و اتعبت الأبدان، و أفضت القلوب، و رفعت الأيدي، و شخصت الأبصار، ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين، سيروا على بركة الله، ثم يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله و الله أكبر يا الله يا أحد يا صمد يا رب محمّد بسم الله الرحمن الرحيم لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم إياك نعبد و إياك نستعين اللهم كف عنا بأس الظالمين فكان هذا شعاره بصفين رضى الله عنه.

أقول: ما نقلنا عن كتاب صفين لنصر منقول في البحار أيضا (ص ١٠١ ج ٢١، و ص ٦٢٨ ج ٨ من الطبع الكمباني).

و قال السيد علي بن طاوس قدس سره في مهج الدعوات (ص ١٣٨ طبع ايران ١٣٢٩ هـ) نقلا عن كتاب صفين لعبد العزيز الجلودى الأزدي البصرى المتوفى سنة ٣٣٢ هـ: كان على عليه السلام إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب و لما قعد على دابته قال: سبحان الذي سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله على نعمه علينا و فضله العظيم عندنا، ثم استقبل القبلة و رفع يديه و قال:

بسم الله الرحمن الرحيم لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد و إياك نستعين يا الله يا رحمن يا رحيم يا أحد يا صمد يا إله محمّد إليك نقلت الأقدام و أفضت القلوب، و شخصت الأبصار، و مدّت الأعناق، و طلبت الحوائج، و رفعت الأيدي، اللهم افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين، ثم قال:

لا إله إلا الله و الله أكبر، ثلاثا.

ص: ١٧١

«أفضت» بسكون الفاء من الإفضاء، أفضى فلان إلى فلان: وصل إليه، وحقيقته أنه صار في فضائه أى فى ساحته، و فى القرآن الكريم: «وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» (النساء - ٢٦). قال الشيخ الجليل أبو علي فى تفسير المجمع: الإفضاء إلى الشئ الوصول إليه بالملامسه و أصله من الفضاء و هو السعه.

و قال المرزوقى فى شرح الحماسه ٢٤٩ لعديل بن الفرخ العجلى:

فاوصيكما يا ابني نزار فتابعا وصيته مفضى النصح و الصدق و الود

قوله: - مفضى النصح - أى و اصل نصحہ إليكم، و صائر فى فضاء و سعه و المعنى انكشافه و خلوصه، و فى القرآن: «وَ قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ».

أفضى إلى فلان سره، أو بسرّه: أعلمه به.

و قال فى منتهى الأرب: الإفضاء راز را با كسى در میان آوردن.

و كلمه أفضت فى نسخه خطيه من النهج، و كذا فى بعض روايات كتاب صفين لنصر مشكوله بفتح الفاء و هى و هم و الصواب ما بيناه.

«شخصت الأبصار» أى ارتفعت أجفانها ناظره إلى عفوك و رحمتك و فى روايه من كتاب نصر: اللهم إليك رفعت الأبصار و فى روايه اخرى: و رفعت الأيدى و شخصت الأبصار، كما تقدّمت، و قد مرّ البحث عن معنى كلمه شخص فى شرح المختار الثالث من باب الكتب و الرسائل (ص ١١١ ج ١٧).

«و نقلت الأقدام» بالنون، و فى روايه من كتاب صفين (ص ٢٥٦ من الطبع الناصرى و قد ذكرناها فى شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب ص ٣٢٦ ج ١٥) ثقلت بالشاء المثلثه و لكنها محرّفه لأنها لا- تناسب اسلوب العبارة فى المقام على أنها لا تفيد معنى صحيحا، إلا أن يتكلف فى تأويلها غايه التكلف.

«انضيت الأبدان» أى هزلت، ناقص واوى، قال عارق الطائي الحماسه (٦١٥):

من مبلغ عمرو بن هند رساله إذا استحقتها العيس تنضى من البعد

أى إذا حملتها الابل العيس تهزل لبعد المسافه.

وقال ابن الأثير فى النهايه: فى الحديث أنّ المؤمن لينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بغيره أى يهزله و يجعله نضوا، و النضوا الدابّه التى أهزلتها الأسفار و أذهبت لحمها. و منه حديث علىّ عليه السّلام كلمات لور كبتتم فيهنّ المطىّ لأنضيتموهنّ، و حديث ابن عبد العزيز انضيتم الظهر أى هزلتموه.

«قد صرّح مكنون الشنان» قوله عليه السّلام: اللهمّ قد صرّح - إلى قوله:

مراجل الأضغان، ليس بمذكور فى النسخ الأربع التى رواها نصر فى صفين، و كذا فى النسخه التى رواها المفيد فى الجمل عن الواقدى.

ثمّ إنّ كلمه صرّح فى بعض النسخ مشكوله بضمّ الصاد و كسر الرّاء المشدّده و فى بعضها بفتح الصاد و ضمّ الرّاء المخفّفه، و فى نسخه مخطوطه عندنا قوبلت بنسخه الرضى بفتح الصاد و فتح الرّاء المشدّده و هذا هو الحقّ، يقال: صرّح الحقّ عن محضه أى كشف عن خالصه، مثل فى ظهور الأمر غبّ استتاره، و فى صحاح الجوهريّ: و فى المثل صرّح الحقّ عن محضه أى انكشف.

و فى أساس البلاغه للزمخشريّ: صرّحت الخمره: ذهب عنها الزّبد و صرّح النّهار ذهب سحابه و أضاءت شمسّه، قال الطّرمّاح فى صفه ذئب.

إذا امتلّ يعدو قلت ظلّ طخاءه ذرى الريح فى أعقاب يوم مصرّح

و فى الحماسه: قال شهل بن شيان الرّمانى (الحماسه ٢):

فلما صرّح الشرّ فأمسى و هو عريان

و لم يبق سوى العدوان دنّاهم كما دانوا

وقال المرزوقى فى الشرح: يقال: صرّح الشىء إذا كشف عنه و أظهره، و صرّح هو إذا انكشف، و مثله بين الشىء و بين هو أى تبين، و فى المثل «قد بين الصّبح لذى عينين» و فعل بمعنى تفعلّ واسع، يقال وجّه بمعنى توجّه، و قدّم بمعنى تقدّم، و نبه بمعنى تنبّه، و نكب بمعنى تنكب. انتهى

ما أوردنا من نقل كلامه.

و قرئ في النسخة التي عورضت على نسخة الرضوي مكنون و مكتوم معا، و معنى أحدهما قريب من الآخر أي المخفي و المستور و المغطى و نظائرها يقال: كن الشيء من باب نصر إذا ستره في كنه و أخفاه و غطاه، و اليكن و قاء كل شيء و ستره، و كتم الشيء من باب نصر أيضا أخفاه و الشنان: العداوة و البغضاء.

«جاشت مراحل الأضغان» جاشت أي غلت، و المراحل القدور جمع المرجل بمعنى القدر اسم آله على وزن مفعول، و الأضعان: الأحقاد جمع الضغن.

قال ابن الأثير في النهاية: يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما، و الفاتح الحاكم. و في تفسيرى المجمع و غرائب القرآن أن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن و قد جرى بينى و بينها كلام فقالت: انطلق افاتحك القاضي أي احاكمك إليه.

و في المفردات للراغب: فتح القضية فتاحا فصل الأمر فيها و أزال الاغلاق عنها قال تعالى: «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا» - إلخ و منه الفتح العليم، قال الشاعر: و إننى من فتاحتكم غنى. و قيل: الفتح بالضم و الفتح. انتهى.

و قد قال عليه السلام في الخطبة التي خطب بها الناس و رواها الكليني في الكافي (ص ١١ ج ١٤ من الوافي): اللهم فاحكم بيننا بالحق و أنت خير الحاكمين.

و كذا في خبر دعائم الإسلام الاتى ذكره.

الاعراب

«إليك» ظرف لغو متعلق بكل واحد من الأفعال الخمسة قدّم توسّعا للظرف و جاز أن يكون لقوله أفضت مفعول محذوف و التقدير اللهم إليك أفضت القلوب سرّها أو بسرّها، كما علم في بيان اللّغه.

«مكنون» أو «مكتوم» مرفوع فاعل لقوله صرح و قد دريت في بيان اللّغه

أن فَعَلَ بمعنى تَفَعَّلَ واسع في لغة العرب، و «مراجل» فاعل لقوله جاشت.

«غيبه» منصوبه على المفعوليّه لقوله نشكو. و كلّ واحد من كثره و تشتّت منصوب معطوف عليها.

المعنى

قد تضافرت روايات في أنّهم عليهم السّلام كثيرا ما كانوا يدعون بأدعيه إذا لقوا العدوّ محاربا، و كذا عند إرادته القتال كانوا يدعون بأدعيه، كما كانوا يوصون عساكرهم بكلمات من تقوى الله، و إماته الباطل، و إحياء معالم الدّين و الوفاء بالأمان، و دعوه الأعداء إلى الدّين قبل الشروع بالقتال، و عدم الابتداء بالقتال و تعاهد الصلاه و الحفظ عليها، و الخلوص في الجهاد، و عدم التعرض بالنساء، و حفظ أعراض الناس، و تعليم آداب الجهاد و الترغيب فيه و غيرها ممّا لا بدّ للمجاهد في سبيل الله من مراعاتها و المحافظه عليها.

قال ابن قتيبه الدينوريّ في كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ١٢٣ ج ١ طبع مصر): حدّثني محمّد بن عبيد قال: حدّثنا معاويه عن أبي إسحاق، عن أبي رجاء قال: كان النبيّ صلّى الله عليه و اله يقول إذا اشتدّت حلقه البلاء و كانت الضيقه: «تضيّقى تفرّجى» ثمّ يرفع يديه فيقول: بسم الله الرحمن الرّحيم لا حول و لا قوّه إلاّ بالله العليّ العظيم، اللهمّ إيّاك نعبد و إيّاك نستعين، اللهمّ كفّ عنا بأس الذين كفروا إنك أشدّ بأسا و أشدّ تنكيلا فما يخفض يديه المباركتين حتّى ينزل الله النصر.

قال: و حدّثني محمّد بن عبيد، عن معاويه، عن أبي إسحاق، عن موسى بن عقبه، عن سالم أبي نصر مولى عمرو بن عبيد الله و كان كاتباً له قال: كتب عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحروريّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه و اله في بعض أيّامه التي لقي فيها العدوّ انتظر حتّى مالت الشمس ثمّ قام في الناس فقال: لا تتمنّوا لقاء العدوّ و اسألوا الله العافيه فإذا لقيتموهم فاثبتوا و اصبروا و اعلموا أنّ الجنّه تحت ظلال السيوف ثمّ قال: اللهمّ منزل الكتاب و مجرى السحاب و هازم الأحزاب اهزمهم و انصرنا عليهم.

قال: وقال أبو النصر: وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال: اللهم أنت ربنا وربهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فاهزمهم وانصرنا عليهم.

وقال ابن هشام في السيرة: إن رسول الله صلى الله عليه واله لَمَّا اشرف على خيبر قال لأصحابه: قفوا ثم قال: اللهم رب السماوات وما أظللن - إلى آخر ما نقلنا عنه في شرح المختار الثاني من باب كتبه عليه السلام (ص ٥٠ ج ١٧) قال ابن هشام: وكان صلى الله عليه واله يقولها لكل قريه دخلها.

وقال المسعودي في مروج الذهب (ص ٨ ج ٢ طبع مصر) إن عليا عليه السلام لما خرج مع عسكره من مدينه الرسول إلى البصره فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاويه صلى أربع ركعات و عفر خديّه على التربه و قد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعوا: اللهم رب السماوات وما أظلت إلى آخر ما نقلنا عنه في (ص ٥٠ ج ١٧) أيضا، وقد بينا هناك أن كلامه هذا ليس بمذكور في النهج بما ذكرناه هناك فراجع.

و في الباب التاسع عشر من كتاب الجهاد من الجامع الكافي للكليني قدس سره عدّه من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد، عن ابن القدّاح، عن أبيه الميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد القتال قال هذه الدعوات: اللهم إنك أعلمت سبيلا من سبيلك جعلت فيه رضاك، و ندبت إليه أولياءك، و جعلته أشرف سبيلك عندك ثوبا، و أكرمها لديك مابا، و أحبها إليك مسلكا، ثم اشترت فيه من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنه يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليك حقا؛ فاجعلني ممن اشترى فيه منك نفسه ثم وفي لك ببيعه الذي بايعك عليه غير ناكث و لا ناقض عهدا و لا مبدلا تبديلا بل استجابا لمحببتك و تقربا به إليك فاجعله خاتمه عملي و صير فيه فناء عمري و ارزقني فيه لك به مشهدا توجب لي به منك الرضا، و تحطّ به عنّي الخطايا، و تجعلني في الأحياء المرزوقين بأيدي العداة و العصاة تحت لواء الحقّ و رايه

الهدى ماضيا على نصرتهم قدما غير مولّ دبرا، ولا محدث شكّا، اللهمّ و أعود بك عند ذلك من الجبن عند موارد الأهوال، و من الضعف عند مساورة الأبطال، و من الذنب المحبط للأعمال فأحجم من شكّ أو أمضى بغير يقين فيكون سعيي في تباب و عملي غير مقبول.

أقول: و كلامه هذا أيضا ليس بمذكور في النهج.

و في الباب السادس و الأربعين من كتاب الجهاد من مستدرک الوسائل: صاحب الدعائم في شرح الأخبار عن جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال: لمّا توافق الناس يوم الجمل خرج عليّ عليه السلام حتّى وقف بين الصّفين ثمّ رفع يده نحو السماء ثمّ قال: يا خير من أفضت إليه القلوب، و دعى بالألسن، يا حسن البلاء، يا جزيل العطاء احكم بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

و في كتاب صّفين لنصر (ص ١١٨ من الطبع الناصري): الأبيّض بن الأغرّ عن سعد بن طريف، عن الأصبغ قال: ما كان عليّ في قتال قطّ إلا نادى يا كهيعص.

ثمّ قال نصر: فحدّثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب أنّ عليّا خرج إليهم فاستقبلوه فقال: اللهم ربّ السقف المحفوظ المكفوف - إلى آخر ما نقلناه عن أبي جعفر الطبري في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٢٥٥ ج ١٥) و أتى به الرضّي في النهج و هو المختار ١٦٩ من باب الخطب و بين النسخ الثلاث اختلاف في الجملة.

و في مهج الدّعوات لسيد بن طاوس (ص ١٣٦ طبع ايران ١٣٢٩ هـ) أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام دعا في يوم الجمل - و يروى أنّه دعا بهذا الدّعاء يوم الجمل قبل واقعه: اللهمّ إني أحمدك و أنت للحمد أهل على حسن صنعك إليّ و تعطفك عليّ و على ما وصلتنى به من نورك و تداركتني به من رحمتك و أسبغت عليّ من نعمتك فقد اصطنعت عندي يا مولاي ما يحقّ لك به جهدي و شكري لحسن عفوكم و بلائكم القديم عندي، و تظاهر نعمائك عليّ، و تتابع أياديك لديّ، لم أبلغ إحراز حظّي

و لإصلاح (إصلاح - خ ل) نفسى؛ و لكنّيك يا مولاي بدأتني أولا باحسانك فهديتني لدينك، و عزفتني نفسك، ثبتني في امورى كلّها بالكفايه، و الصّنع لى، فرصت عني جهد البلاء، و منعت منى محذور الأشياء (القضاء - خ ل) فلست أذكر منك إلا جميلا، و لم أرمك إلا تفضيلا.

يا إلهى كم من بلاء و جهد صرفته عني و أريتني في غيرى، فكم (و كم - خ ل) من نعمه أقررت بها عيني، و كم من صنيعه شريفه لك عندي.

إلهى أنت اللذى تجيب عند (فى - خ ل) الاضطرار دعوتى، و أنت اللذى تنفس عند الغموم كربتى، و أنت اللذى تأخذ لى من الأعداء بظلامتى، فما وجدتك و لا- أجدك بعيدا منى حين اريدك، و لا منقبضا عني حين أسألك، و لا معرضا عني حين أدعوك.

فأنت إلهى أجد صنيعك عندي محمودا، و حسن بلائك عندي موجودا، و جميع أفعالك عندي جميلا، يحمدك لسانى و عقلى و جوارحى و جميع ما أقلت الأرض منى.

يا مولاي أسألك بنورك اللذى اشتقفته من عظمتك، و عظمتك التى اشتققتها من مشيتك، و أسألك باسمك اللذى علا أن تمنّ علىّ بواجب شكرى نعمتك.

ربّ ما أحرصنى على ما زهدتنى فيه و حشنتنى عليه إن لم تعني على دنيائى بزهد و على آخرتى بتقواى هلكت.

ربّ دعتنى دواعى الدّنيا من حرث النساء و البنين فأجبتها سريعا، و ركنت إليها طائعا، و دعتنى دواعى الاخره من الزهد و الاجتهاد فكبوت لها، و لم اسارع إليها مسارعتى إلى الحطام الهامد، و الهشيم البائد، و السراب الذاهب عن قليل.

ربّ خوفتنى و شوقتنى و احتجبت علىّ فما خفتك حقّ خوفك و أخاف أن أكون قد تثبّطت عن السعى لك، و تهاونت بشيء من احتجاجك (احتجاجك - خ ل).

اللهمّ فاجعل فى هذه الدّنيا سعيا لك و فى طاعتك، و املا قلبى خوفك، و حوّل تشييطى و تهاونى و تفريطى، و كلّما أخافه من نفسى فرقا منك، و صبرا على طاعتك، و عملا به يا ذا الجلال و الإكرام، و اجعل جنتى من الخطايا حصينه،

و حسناتي مضاعفه فانك تضاعف لمن تشاء.

اللهم اجعل درجاتي في الجنان رفيعة، و أعوذ بك ربّي من رفيع المطعم و المشرب، و أعوذ بك من شرّ ما أعلم و من شرّ ما لا أعلم، و أعوذ بك من الفواحش كلّها ما ظهر منها و ما بطن، و أعوذ بك ربّي أن أشتري الجهل بالعلم كما اشتري غيري أو السفه بالحلم، أو الجزع بالصبر، أو الضلالة بالهدى، أو الكفر بالإيمان، يا ربّ منّ عليّ بذلك فانك تتولّى (تولّى - خ ل) الصالحين و لا تضيع أجر المحسنين و الحمد لله ربّ العالمين.

أقول: و إنّما نقلنا الدّعاء بطوله لأنه من الأدعيه العاليه المضامين كما لا يخفى على المتأمل و لم يأت به الرضى في النهج، و كم من أدعيه له عليه السّلام و قد بلغت في الفصاحه و البلاغه درجه رفيعه و مرتبه منيعه غير مذكوره في النهج.

و في الباب ٤٦ من كتاب الجهاد من مستدرک الوسائل نقلا عن الجعفریات:

أخبرنا عبد الله بن محمّد قال: أخبرنا محمّد بن محمّد قال: حدّثني موسى بن إسماعيل قال:

حدثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و اله إذا لقي العدوّ عبّى الرجال و عبّى الخيل، و عبّى الإبل ثمّ يقول: اللهم أنت عصمتي و ناصري و مانعي اللهم بك أصول و بك اقاتل.

قال: و بهذا الإسناد عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال: لَمّا كان يوم خيبر بارزت مرحبا، فقلت ما كان رسول الله صلّى الله عليه و اله علمني أن أقوله: اللهم انصرني و لا تنصر عليّ، اللهم اغلب لي و لا تغلب عليّ، اللهم تولّني و لا تولّ عليّ، اللهم اجعلني لك ذاكرا لك شاكرا لك راهبا لك منيبا مطيعا أقتل أعداءك فقتلت مرحبا يومئذ و تركت سلبه و كنت أقتل و لا آخذ السلب.

قال: و بهذا الإسناد عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: أنّ رسول الله صلّى الله عليه و اله دعا يوم الأحزاب: اللهم منزل الكتاب منشئ السحاب واضع الميزان أهزم الأحزاب عنا و ذلّهم، و في نسخه: و زلزلهم.

وقال المفيد رحمه الله في الإرشاد: (ص ٢١٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) روى عن علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام أنه قال: لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين عليه السلام رفع يديه وقال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، وأنت رجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقه و عدّه، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد و تقلّ فيه الحيله و يخذل فيه الصديق و يشمت فيه العدو أنزلته بك و شكوته إليك رغبه منى إليك عمّن سواك ففرّجته عنى و كشفته فأنت وليّ كلّ نعمه و صاحب كلّ حسنه و منتهى كلّ رغبه.

و قد قال الشيخ قدس سرّه إنّ أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه قال:

حدّثني الحسين بن محمّد بن عامر، عن رجل، عن ابن أبي عمير، عن حفص البخترى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان من دعاء النبي صلّى الله عليه و اله يوم الأحزاب: اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب و أنت رجائي في كلّ شدة و أنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقه و عدّه كم من كرب يضعف عنه الفؤاد و تقلّ فيه الحيله و يخذل عنه القريب و يشمت به العدو و تعينني فيه الامور أنزلته بك و شكوته إليك راغبا إليك فيه عمّن سواك ففرّجته شكوته فكفيتنيه فأنت وليّ كلّ نعمه و صاحب كلّ حاجه و منتهى كلّ رغبه لك الحمد كثيرا و لك المنّ فاضلا، انتهى. فكلام سيد الشهداء في كربلاء مقتبس من رسول الله صلّى الله عليه و اله و هو عليه السلام تأسى به صلّى الله عليه و اله.

كما أنّ أبا عبد الله الصادق عليه السلام كان يدعو بهذا الدعاء متأثّيا بجده رسول الله صلّى الله عليه و اله و قد رواه السيد ابن طاوس رحمه الله في باب أدعيه الصادق عليه السلام من مهج الدعوات (ص ٢٦٩) و نظائر هذه الأدعيه و الأوراد و الأذكار عن أئمّتنا الطاهرين عليهم السلام إذا لقوا العدو كثيره و ما أتينا بها ههنا شرذمه و أنموذجه عن ما رويت عنهم عليهم السلام و نقل طائفه منها السيد ابن طاوس في مهج الدعوات و في الجوامع الروائيه كالبحار و غيرها المذكوره بإسنادها و سلسله رواتها صفحنا عن نقلها بأسرها لثلا يفضى إلى الإسهاب.

و من كان طالب الأمر السديد و سالك النهج الرشيد يجب له أن يدين الله بما أوضحه حماه الدين و يعبده على سيره حججه الهادين المهديين الذين لا يرى في فعلهم غي و لا في منطقتهم خطأ فإنهم الحكماء المؤيدون من عند الله و المؤدبون بتأديبه تعالى لا يرون في جميع أحوالهم سواء في السراء و الضراء و الشده و الرخاء و العافيه و البلاء إلا الله تعالى، و لا يرى منهم عمل إلا له تعالى فطوبى لمن اقتفى أثرهم و اقتدى بهديهم.

قوله عليه السلام: «إليك أفضت القلوب - إلخ» قد ذكرنا في أبحاثنا السالفه أن الجهاد عباده و أنه من أعظم العبادات بل أنه أشرف الأعمال بعد الإسلام كما هو نص ما قاله الأمير عليه السلام (باب ١٥ من كتاب الجهاد من الكافي ص ٣٣٧ من الطبع على الحجر). فلو كانت مشوبه بالرياء لم يتقبل الله و قال عز من قائل: «فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعباده ربّه أحدا».

ثم عند إقبال الجهاد يمتحن الرجال و يميز الخبيث من الطيب فمن استعد له فقد انقاد المولى و ذل له.

و لما كان بين النفس و البدن ارتباط تام، و اتصال كامل بحيث يتأثر كل واحد منهما عن الآخر كما قدّمنا البحث عنه في شرح المختار ٢٣٢ من باب الخطب (ص ٥٣ ج ١٥) و أنّ قوى البدن كلّها جنود للنفس فلا جرم ينقاد البدن للنفس و يحكى أحوالها الطاريه لها و إن كان سرّ الحكايه مستورا عنا فإننا نعلم علما يقينا أنّ الإنسان إذا تحير في أمر أو خجل يطرق رأسه، و إذا أدرك حقيقه و اطلع على مبهم معضل يحركه علوا و سفلا، و إذا أدركه كمه يحركه يمينا و شمالا، و إذا صدق أمرا يؤميه إلى قدّامه و إذا أنكره يؤميه إلى خلفه، و إذا خاف من شيء ينقبض البدن و تقف القوى عن أعمالها إن كان خوفا شديدا، أو يدبر و يفرّ إن كان خفيفا، و إذا غضب على غيره يتسدّل حاجباه و تنقبض ناصيته و تنبسط القوى و تبطش و تقوى على حدّ تخرج الحدقتان محمّرتين و يحمرّ البدن من جهه خروج الدّم إلى ظاهر البدن وقتئذ و إذا تعجّب من أمر يخرج شفته السفلى و يرفع حاجبيه و يخرج حدقتيه، و إذا تعشق أمرا عرضت له حاله اخرى و قد يستفاد من حركات

اليدين و الحاجبين و العينين و الشفتين رموز و امور لا تحصى و حالات البدن الحاكيه أحوال طاربه للروح لا تكاد تمكن أن تحرر و إذا تأملت في الأحوال المختلفه العارضه للمصلّي في صلاته تنكشف لك أسرار اخرى فأنه في تكبيره الإحرام يرفع يديه إلى حذاء شحمتي اذنه و يستقبل القبله ببطون يديه و في قنوته يرفع يديه على وجه آخر مع ذكر خاصّ و في ركوعه يمدّ عنقه مع ذكر خاصّ و يفرّج بين أصابعه و يملا بها ركبتيه، و في سجوده يضمّها و يجعل رأسه بين كفيّه و هكذا حالاته الاخرى في الصلاه لسنا الاين في مقام بيانها و نكتفي بذكر عدّه روايات رواها ثقه الإسلام الكليني رحمه الله في الكافي و نقلها الفيض رحمه الله في باب الإشارات في الدعاء من الوافي (ص ٢٢٢ ج ٥).

روى الكليني قدس سرّه باسناده عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

الرغبه أن تستقبل بطن كفيك إلى السماء، و الرهبه أن تجعل ظهر كفيك إلى السماء و قوله: و تبتّل إليه تبتيلاً قال: الدعاء باصبع واحده تشير بها و التضرّع تشير باصبعيك و تحرّكهما، و الابتهاال رفع اليدين و تمدّهما و ذلك عند الدّمعه ثم ادع.

و روى عن مروك بياع اللؤلؤ عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر الرغبه و أبرز باطن راحتيه إلى السماء و هكذا الرهبه و جعل ظهر كفيّه إلى السماء و هكذا التضرّع و حرّك أصابعه يمينا و شمالا و هكذا التبتّل و يرفع أصابعه مرّه و يضعها مرّه و هكذا الابتهاال و مدّ يديه (يده - خ ل) تلقاء وجهه إلى القبله و لا يبتهل حتى تجرى الدّمعه.

و روى بإسناده عن العلاء، عن محمّد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مرّبي رجل و أنا أدعو في صلاتي بيساري فقال: يا أبا عبد الله بيمينك فقلت: يا عبد الله إنّ لله تعالى حقاً على هذه كحقّه على هذه و قال: الرغبه تبسط يديك و تظهر باطنهما، و الرهبه تبسط يديك تظهر ظهرهما، و التضرّع تحرّك السبابه اليمنى يمينا و شمالا، و التبتّل تحرّك السبابه اليسرى ترفعها إلى السماء رسلا و تضعها، و الابتهاال تبسط يدك و ذراعك إلى السماء، و الابتهاال حين ترى أسباب البكاء.

و روى عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سألته عن الدعاء و رفع اليدين فقال: على أربعة أوجه، أمّا التّعوذ فتستقبل القبلة بباطن كفيك، و أمّا الدّعاء فى الرزق فتبسّط كفيك و تفضى بباطنهما إلى السماء، و أمّا التبتّل فيماؤك باصبعك السبابة، و أمّا الابتهاج فرفع يديك تجاوز بهما رأسك، و دعاء التضرّع أن تحرّك إصبعك السبابة ممّا يلي وجهك و هو دعاء الخيفه.

و روى عن الخزاز، عن محمّد قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله تعالى «فما استكانوا لرّبهم و ما يتضرّعون» قال: الاستكانه هى الخضوع و التضرّع رفع اليدين و التضرّع بهما.

و روى عن محمّد و زواره قالوا: قلنا لأبى عبد الله عليه السّلام: كيف المسأله إلى الله تعالى؟ قال: تبسط كفيك، قلنا: كيف الاستعاذه؟ قال: تفضى بكفيك، و التبتّل بالإيماء بالإصبع، و التضرّع تحريك الاصبع، و الابتهاج أن تمدّ يديك جميعا.

أقول: لمّا انجزّ كلامنا إلى هنا أقبلنا شهر رجب المرجّب من سنه ستّ و ثمانين و ثلاثمائة بعد الألف من الهجره على هاجرها ألف تحيّه و صلاه و سلام، و قد خلت من الشّهر تسع ليال و هذه ليله الثلثاء العاشره منه، و تذكّرت دعاء كلّ يوم من رجب المرجّب المأثور عن الصادق عليه السّلام رواه المجلسى رحمه الله فى المجلّد العشرين من البحار (ص ٣٤٢ من الطبع الكمبانى) قال:

و من الدّعوات كلّ يوم من رجب ما ذكره الطّرازى أيضا فقال: دعاء علّمه أبو عبد الله عليه السّلام محمّد السّجاد و هو محمّد بن ذكوان يعرف بالسّجاد قالوا: سجد و بكى فى سجوده حتّى عمى. روى أبو الحسن علىّ بن محمّد البرسى رضى الله عنه قال:

أخبرنا الحسين بن أحمد بن شيان قال: حدّثنا حمزه بن القاسم العلوىّ العبّاسى قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله بن عمران البرقى، عن محمّد بن علىّ الهمدانى قال:

أخبرنى محمّد بن سنان، عن محمّد السّجاد فى حديث طويل قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام جعلت فداك هذا رجب علّمنى فيه دعاء ينفعى الله به، قال: فقال أبو عبد الله عليه السّلام:

اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم و قل في كل يوم من رجب صباحا و مساء و في أعقاب صلواتك في يومك و ليلتك: «يا من أرجوه لكل خير، و آمن سخطه عند كل شر، يا من يعطى الكثير بالقليل، يا من يعطى من سأله، يا من يعطى من لم يسأله و من لم يعرفه تحننا منه و رحمه أعطى بمسألتى إياك جميع خير الدنيا و جميع خير الآخرة، و اصرف عني بمسألتى إياك جميع شر الدنيا و شر الآخرة فإنه غير منقوص ما أعطيت و زدنى من فضلك يا كريم» قال: ثم مد أبو عبد الله عليه السلام يده اليسرى فقبض على لحيته و دعا بهذا الدعاء و هو يلوذ بسبأته اليمنى ثم قال بعد ذلك: «يا ذا الجلال و الاكرام يا ذا المن و الطول حرم شيبتي على النار» و في حديث آخر ثم وضع يده على لحيته و لم يرفعها إلا و قد امتلى ظهر كفه دموعا. انتهى.

فإن في قوله: و هو يلوذ بسبأته اليمنى إشاره إلى التبتل و التضرع و الالتجاء بتحريكها ففي النهايه الأثيريه يقال: لاذ به يلوذ إذا التجأ إليه و انضم و استغاث. و قال الطريحي في المجمع: و قوله: و تلوذ بسبأتك أى تتضرع بسبأتك بتحريكها.

ثم إن الجهاد يستلزم المتاعب من نصب السفر، و حمل الأثقال و أوزار الحرب، و سهر الليالي لئلا يأتى العدو من مكان مخافه أو أمن و غيرها مما يقبل للمجاهدين على أنحاء شتى.

و هو عليه السلام أشار إلى الأول بقوله: إليك أفضت القلوب أى إن هذه العباده التى هى أشرف الأعمال خالصه لوجهك الكريم، أو أنها أفضت إليك بسرّها و إنما تشكو بثها و حزنها إليك و دخلت بفنائك و ساحتك و لا تعبد غيرك و لا تعرف إلا إياك و لا تفرح إلا بابك و قدم الظرف للحصر.

و إلى الثانى بقوله: و مدّت الأعناق و شخصت الأبصار لما دريت من أن قوى البدن جنود للقلب و أن البدن يحكى الحالات الطاربه عليه فإذا أخلصت القلوب و انقادت له و طارت و وصلت إليه تمدّ الأعناق تبعا للقلوب اظهارا للمدله

و العبوديّه و ترفع الأبصار إليها كذلك لا ترى غيرها و لا ترجو الرحمة و الفيض إلا من عنده.

و إلى الثالث بقوله: و نقلت الأقدام و انضيت الأبدان لأنّ متاعب السفر مستلزم للكلال و الهزال، و لا يخفى لطائف كلامه عليه السلام حيث جمع بين الافضاء و الانضاء، و كذا بين عدّه جوارح البدن.

قوله عليه السّلام: «اللّهمّ قد صرّح مكنون الشنان» بين عليه السّلام في كلامه هذا أنّ مقاتليه كانوا يعاندونه و يبغضونه إلا أنّهم كانوا لا يظهرون العداوه و البغضاء لعدم استطاعتهم بالإظهار إمّا لوجود النّبىّ صلّى الله عليه و اله و إمّا لفقدانهم اعوانا و لما ارتحل النّبىّ صلّى الله عليه و اله أو وجدوا أعوانا أظهر و هما و سيأتى قوله عليه السّلام في المختار السادس عشر في معانديه: فوالذّي فلق الحبّه و برىء النسمه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسروا الكفر فلما وجدوا أعوانا عليه أظهروه.

و قد تضافرت الاثار على أنّ شبل أسد الله أبا عبد الله الحسين عليه السّلام لما احتجّ في الطّفّ على شذاذ الأحزاب و نبذه الكتاب بما احتجّ إلى أن انهى كلامه لهم بقوله: فبم تستحلّون دمي؟ أجابوه بقولهم: بغضا لأبيك.

و إنّما استكنّوا في صدورهم عداوه أمير المؤمنين عليه السّلام لما رأوا منه في بدر و احد و غيرهما من المواطن و قد مضى في الكتاب العاشر قوله عليه السّلام لمعاويه: فأنا أبو حسن قاتل جدّك و خالك و أخيك شدخا يوم بدر - إلخ، و ناهيك في ذلك عمل يزيد برأس ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه و اله إبرازا للعداه المستجّنه في صدره حيث دعا بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين و جعل يتمثّل بأبيات عبد الله بن الزبيرى و أضاف بعض أشعاره إليها فقال:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا و استهلّوا فرحا ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

فقتلنا الضّعف من أشرافهم و عدلنا ميل بدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خير جاء و لا وحى نزل

لست من خندق إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل

وقيل: إنّه قالها بعد وقعه الحرّه بدليل قوله: جزع الخزرج فإنّ المراد من الخزرج الأنصار كانوا فى المدينه لأنّ الأنصار كانوا من قبيلتى الأوس و الخزرج و قد قتل الأنصار فى وقعه الحره، و أن الأبيات ليزيد نفسه قالها على وزن أبيات ابن الزبيرى، و لكنّه و هم و قد قال المبرّد فى الكامل (ص ٢٥٧ ج ٢ طبع مصر):

قال ابن الزبيرى فى يوم احد: ليت أشياخى - إلخ. و كذا قال ابن هشام فى السيره النبويه (ص ١٣٦ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) إنّ ابن الزبيرى قال فى يوم احد:

ليت أشياخى - إلخ، و قد أتى بسنّه عشر بيتا قالها ابن الزبيرى فى ذلك اليوم ثمّ بعده نقل خمس عشر بيتا قالها حسان بن ثابت الأنصارى ردّا على ابن الزبيرى و قد استشهد باحد من الانصار اثنا عشر رجلا كما قال ابن هشام فى السيره (ص ١٢٢ ج ٢) و لذا قال ابن الزبيرى: جزع الخزرج.

بيان: قوله: و عدلنا ميل بدر فاعتدل، يعنى أنّ أشياخهم الكافرين لمّا قتلوا فى بدر بأيدي المسلمين صار قتلهم سببا لاعوجاج أمرهم و شأنهم و ما زال كان معوجا حتّى أنّ من بقى منهم قتلوا جماعه من المسلمين فى احد فاستقام أمرهم أى اعتدل الميل و الاعوجاج.

و قال أبو على القالى فى الأمالى (ص ١٤٢ ج ١ طبع مصر ١٣٤٤ هـ):

قال يعقوب بن السيكيت: العرب تقول: لاقيمنّ ميلك و جنفك و دراك و صغاك و صدغك و فذلك و ضلعك كلّه بمعنى واحد، يقال: ضلع فلان مع فلان أى ميله، و قال غيره: فأما الضلع فخلقته تكون فى الإنسان، و قرأت على أبى بكر بن دريد لأبى كبير الهذليّ:

نضع السيوف على طوائف منهم فنقيم منهم ميل ما لم يعدل

الطوائف: التواحي: الأيدى و الأرجل و الرؤوس، و قوله: ميل ما لم يعدل، قال: ميله فضله و زيادته، و إنّما يريد أنّ هؤلاء القوم كانوا غزوهم فقتلوهم فكان ذلك القتل ميل على هؤلاء القوم، ثمّ إنّ هؤلاء القوم المقتولين

غزوهم بعد فقتلوهم فكأن قتلهم لهم قيام (إقامه - ظ) للميل، و هذا كقول ابن الزبيرى:

و أقمنا ميل بدر فاعتدل

يقولها فى يوم احد، يقول: اعتدل ميل بدر إذ قتلنا مثلهم يوم احد. انتهى.

أقول: ما أفاد القالى يرجع بالدقيق من النظر إلى المعنى الذى تبادر إليه ذهننا أولاً، ثم إن البيت قد نقل هكذا:

قد قتلنا القرم من ساداتهم و قتلناه ببدر فاعتدل

و لكن المصراع الثانى محرّف، و الصواب ما اخترناه و هو الذى أتى به ابن هشام فى السيره النبويه و القالى فى الأمالى.

قوله عليه السّلام: «و جاشت مراجل أضغانهم» شبه صدورهم بالقدور و بين أنّها أكنان الأضغان أى إنّ مطروفها الأحقان الكامنه الواغره فيها فى حياه رسول الله صلّى الله عليه و اله و قبل وجدان الأعوان و قد غلت الان بما تيسّر لهم ممّا هى كالثار الموقده المغليه لها.

قوله: عليه السّلام: «اللهم إنّنا نشكوا إليك غيبه نبينا و كثره عدوّنا و تشّتت أهوائنا» لما كان القوم لم يقدرُوا فى زمن رسول الله صلّى الله عليه و اله على إظهار الضغائن و إبراز السرائر و تشّتت الأهواء و بموته اصطلحوا على الشقاق و النفاق و المعاداه على كلمه الله العليا و حجّته على عباده و افتراق الكلمه شكى عليه السّلام بلسانه و لسان تابعيه إليه تعالى غيبه نبينه.

قوله عليه السّلام: «ربّنا افتح - إلخ» ثم انقطع إلى الله تعالى و التجأ إليه و استغاث منه فسأله عن نفسه و عن أتباعه أن يحكم بينه و تابعيه و بين أعدائهم بالحقّ و إن كان عالماً بأنّ الله سيفعله إلاّ أنّه استفتح استنصاراً من الله و رغبه منه إليه تعالى و إخباراً عن نفسه بأنّه على الطريقه المثلى و عن أعدائه بأنّهم على العمياء و أنّهم فريق حقّ عليهم الضلاله.

ثم إنه عليه السلام طلب من الله تعالى أن يفرق بينه وبين أعدائه و يبعدهم عنه و يفصل بينهما لما دريت من أن الفتح هو الفصل فإذا حكم بينهما بالفصل يميز الطيب من الخبيث و الحق من الباطل و عند ذلك يفتضح الباطل و يحل إلى دار البوار فكأن هذا القول دعاء عليهم و المراد أنه عليه السلام دعا عليهم أن ينزل الله عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين و على أنه عليه السلام و قومه محقّين، و لم يصرح في كلامه هذا أن أيهما على الحق و أي فريق على الباطل بل أبهم في ذلك لأنه أدل على المقصود و أشد في تبيكيت الخصم و أوفق بأسلوب المحاوره.

و هذا الكلام اقتباس من القرآن العظيم حكاه الله تعالى عن نبيه شعيب صلوات الله عليه مع قومه حيث قال عز من قائل: «قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَو لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (الأعراف ٨٨ و ٨٩).

و يعجبني في المقام نقل خطبه من عبد الله بن عباس رحمه الله فإنه أجاد بما أفاد و نطق بالحق و هدى إلى الرشاد و السداد و أوصى وصيه مفضي النصح و الصدق و الوداد نقلها نصر بن مزاحم في كتاب صفين (ص ١٦٤ من الطبع الناصري) قال نصر قال عمر حدثنى خالد بن عبد الواحد الجزرى قال: حدثنى من سمع عمرو بن العاص قبل الوقعه العظمى بصفين و هو يحرض أصحابه بصفين فقام محنيا على قوس فقال - و بعد ما نقل قول عمرو بن العاص قال: ثم قام عبد الله بن العباس خطيبا فقال: الحمد لله رب العالمين الذي دحى تحتنا سبعا و سمك فوقنا سبعا ثم خلق فيما بينهما خلقا، و أنزل لهم فيها رزقا، ثم جعل كل شيء يبلى و يفنى غير وجهه الحي القيوم الذي يحيى و يبقي، ثم إن الله بعث أنبياء و رسلا فجعلهم حججا على عباده عذرا و ندرا، لا يطاع إلا بعلمه و إذنه يمن بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها، و يعصى فيعفو و يغفر بحمله، لا يقدر قدره، و لا يبلغ شيء مكانه،

أحصى كل شيء عددا و أحاط بكل شيء علما.

ثم إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه و النبی المصطفى و قد ساقنا قدر الله إلى ما قد ترون حتى كان فيما اضطرب من حبل هذه الامه و انتشر من أمرها أن ابن آكله الأكباد قد وجد من طعام أهل الشام أعوانا على علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله و صهره و أول ذكر صلى معه بدری، قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه كل مشاهده التي فيها الفضل و معاويه و أبو سفیان مشرکان يعبدان الأصنام.

و اعلموا و الله العلیّ ملك الملك وحده فبان به و كان أهله لقد قاتل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه و اله و علي يقول: صدق الله و رسوله و معاويه و أبو سفیان يقولان: كذب الله و رسوله، فما معاويه في هذه بأبر و لا أتقى و لا أرشد و لا أصوب منه في تلکم، فعليکم بتقوى الله و الجدّ و الحزم و الصبر، و الله إنکم لعلی الحقّ، و إنّ القوم لعلی الباطل فلا يكوننّ أولى بالجدّ في باطلهم منکم في حقکم.

أما و الله إنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديکم أو بأيدي غيرکم، اللهم ربنا أعنا و لا تخذلنا و انصرنا على عدونا و لا تخل عنا و افتح بیننا و بین قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين، و السلام علیکم و رحمه الله و برکاته أقول قولي و أستغفر الله لی و لکم.

الترجمه

أمیر المؤمنین علیه السلام با دشمن کارزار کننده روبرو می شد می گفت: بار خدایا دلهای ما بسوی تو کوچ کرده و در کوی تو آرمیده است و گردنها در بندگی تو کشیده شده و چشمها بروی تو گشوده گشت و پاها بجانب تو رهسپار شده و بدنها در راه تو نزار گردیده است، بار خدایا دشمنان ما دشمنیهای دیرینه را آشکار کردند و سینه هایشان که آکنده از کینه بود چون دیک بجوش آمد، بار خدایا از نبودن پیغمبر خود و بسیاری دشمنان و پراکندگی و اختلاف اندیشه هایشان بتو شکایت آوریم

(که قوم از نبودن پیغمبر میدان گرفتند و در پی اظهار دشمنی نهفته و ابراز کینه نهانی بر آمدند.

مهر درخشنده چو پنهان شود شب پره بازی گر میدان شود)

پروردگار ما میان ما و این گروه بحق حکم بفرما (تا محق از مبطل برای همه آشکار شود) که تو بهترین حکم کنندگانی.

و کان يقول عليه الصلاه والسلام لاصحابه عند الحرب

اشاره

و هذا هو المختار السادس عشر من باب المختار من كتبه و رسائله عليه السلام لا تشتدّ عليكم فَرّه بعدها كَرّه، و لا جوله بعدها حمله. و أعطوا السّيوف حقوقها. و وَطَّنوا للجنوب مصارعها. و اذمروا أنفسكم على الطّعن الدّعسىّ، و الضّرب الطّلفيّ. و أميتوا الأصوات فإنّه أطرّد للفشل. و الذی فلق الحَبّه، و برأ النّسمه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلما وجدوا أعوانا عليه أظهره.

المصدر

قوله هذا على النضد المذكور ما وجدناه فيما حضرني من الكتب و الرسائل مع طول الفحص و كثره الطلب إلا أنّ المجلسي رحمه الله قد نقله في المجلد الثامن من البحار (ص ۶۲۶ من الطبع الكمباني) و في المجلد الحادي و العشرين (ص ۱۰۲ من ذلك الطبع) عن نهج البلاغه أيضا و لم يذكر مأخذا آخر.

ص: ۱۹۰

و كذا نقله المحدث النورى فى كتاب الجهاد من المستدرک عن النهج بلا ذكر سند آخر و فيه نقل - از مروا - بالزراى و لكنّه تصحيف من الناسخ (ص ٢٥٩ ج ٢) و كذلك فى الموضوع الثانى من البحار.

نعم قد وجد متفرقا فى أقواله الاخر المرويّه فى الجوامع الروائيه مما استتلوها عليك، و لا بعد أن يكون هذا القول ملتقطا منها لما قد تبهناك عليه غير مرّه من أنّ هذه عادته الرضىّ رضوان الله فى النهج فإنّ غرضه كان التقاط الفصيح و البليغ من كلامه و لعلّه نقله عن مأخذ لم يحضرنا و الله تعالى هو العالم، و لكنّ المتدرّب فى أساليب الكلام يعلم أنّ قوله عليه السّلام: «و الذى فلق الحبه - إلخ» خارج من اسلوب ما قبله و سيأتى روايه نصر فى كتاب صفيين المتضمّن هذا القول و يعلم أنّه فى روايه على حده و بالجملة لو لم نقل أنّ عبارات هذا المختار ملفقه من أحاديث شتى فكون ذيلها أعنى و الذى فلق إلى آخره التقط من روايه آت نقلها و لفق إلى ما قبله فمما لا ينبغى أن يرتاب فيه، فنقول:

قد رويت عنه عليه السّلام فى الجوامع الروائيه و المجاميع التى دوّنها القدماء فى امور متنوّعه و علوم متفنّنه، و كتب المغازى و الملاحم و التواريخ و السّير روايات متظافره و وصايا متكاثره بطرق عديده و اسناد كثيره فى آداب الحرب و رسومها و هى سنن كليّه لن تجد لها بمضىّ اللّيالى و الأيّام و انصرام الشهور و الأعوام تبديلا و لا تحويلا، اللهمّ إلّا فى آلات السلاح و أوزار الحرب و نذكر فى المقام ما وجدناها فى مظان ماخذها بالفحص و الطّلب و فيها توجد ما أتى بها الرضىّ ههنا على أنّ مصادر طائفه ممّا فى نهج البلاغه تعلم بنقلها طائفه من أقوالها التى حرّض بها الناس على الجهاد.

ففى الباب الخامس عشر من كتاب الجهاد من فروع الكافى لقدوه المحدثين الكلينيّ قدّس سرّه (ص ٤٣٩ من الرحلى المطبوع على الحجر) و فى الوافى (ص ٢٠ ج ٩): و فى كلام له آخر - يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله له - . و إذا لقيتم هؤلاء القوم غدا فلا تقاتلوهم حتّى يقاتلوكم فإذا بدأوكم فانهدوا إليهم، و عليكم

السِّكِينِهِ وَوَقَارِ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَأَ لِلسَّيْفِ عَنِ الْهَامِ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ، وَمَدَّوْا جِبَاهَ الْخِيُولِ وَوَجُوهَ الرِّجَالِ وَ أَقْلَوْا الْكَلَامَ فَإِنَّهُ أُطْرِدَ لِلْفِشْلِ وَ أَذْهَبَ بِالْوَهْلِ، وَ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْمُبَارَزَةِ وَ الْمَنَازِلَةِ وَ الْمَجَاوِلَةِ، وَ اثْبَتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ كَثِيرًا فَإِنَّ الْمَانِعَ لِلذَّمِّ عِنْدَ نَزْوِلِ الْحَقَائِقِ أَهْلُ الْحِفَاطِ الَّذِينَ يَحْفَوْنَ بِرَايَاتِهِمْ، وَ يَضْرِبُونَ حَافَتَيْهَا وَ أَمَامَهَا، وَ إِذَا حَمَلْتُمْ فَافْعَلُوا فِعْلَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَ عَلَيْكُمْ بِالتَّحَامِي فَإِنَّ الْحَرْبَ سَجَالٌ، لَا يَشْدُونَ عَلَيْكُمْ كَرَّهَهُ بَعْدَ فَرْزِهِ، وَ لَا حَمَلَهُ بَعْدَ جَوْلِهِ، وَ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَاقْبَلُوا مِنْهُ، فَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ فَإِنَّ بَعْدَ الصَّبْرِ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

أقول: روى قوله عليه السلام في هذه الرواية بلفظ: «أقلوا الكلام فإنه أطرد للفشل» و روى في كلامه المقدم ذكره من النهج بلفظ «أमितوا الأصوات فإنه أطرد للفشل».

و في روايه اخرى من الكافي أعنى حديث مالك بن أعين العدي أتينا به في مصادر الوصية الرابعة عشره من المختار من باب الكتب و الرسائل بلفظ «أमितوا الأصوات فإنه أطرد للفشل».

و في روايه نصر في صفين (ص ١٠٦ من الطبع الناصري) بصوره: «و غَضُّوا الْأَبْصَارَ وَ اخْفَضُوا الْأَصْوَاتَ وَ أَقْلَوْا الْكَلَامَ» وَ قَدْ نَقَلْنَا رَوَايَتَهُ كَامِلَةً فِي شَرْحِ الْمُخْتَارِ ٢٣٦ مِنْ بَابِ الْخُطْبِ (ج ١٥ ص ٢٢٢) وَ تَوَافَقَ رَوَايَةُ نَصْرِ رَوَايَةِ أَبِي جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ فِي التَّارِيخِ (ص ٧ ج ٤) وَ قَدْ مَضَى نَقْلَ رَوَايَتِهِ فِي شَرْحِ الْمُخْتَارِ ٢٣٦ مِنْ بَابِ الْخُطْبِ أَيْضًا (ج ١٥ ص ٢٣٨).

ثم إنه عليه السلام على روايه الكافي تبه أصحابه بقوله: «لا- يشدون عليكم كرهه بعد فرزه، و لا- حمله بعد جوله» على أن إدبار الخصم ربما لا يكون عن هزيمه و ذلك لأن الأعداء قد يولون الأدبار عن الحرب خدعه لكي يغتر المقاتلون

المقابلون لهم بادبارهم عنها فيحسبون أنهم هزموا فيذهبون في آثارهم متفرقين و بعد ما سلكوا مسافه كذلك يرجع إليهم الأعداء بغته و يحملون عليهم حمله يد واحده و رجل واحد فيهزمونهم.

و على روايه النهج وصيى عليه السلام أصحابه كذلك بقوله: «لا تشتدّ عليكم فزّه بعدها كزّه، و لا جولّه بعدها حمله» أى أنّكم إذا رأيتم المصلحه فى الفرار لجذب العدو إلى حيث تتمكنوا منه فلا يشق عليكم و لا تستصعبوه فإنّ الحرب خدعه.

أو يقال فى تفسير هاتين الجملتين أنّه عليه السلام نبّه أصحابه فى الاولى على أن يواظبوا أنفسهم من الأعداء و إن فزوا عن هزيمه واقعا، و ذلك لأنّ الأعداء ربّما يهزمون ثمّ يكرّون على الفئه الغالبه لما رأو أنّهم خرجوا من مكامنهم و انتشروا فى معسكرهم و اطمأنوا بالغلبه على فرارهم و خرجوا من أوزار الحرب و اشتغلوا بأنفسهم و غيرها ممّا لا يحصى كثره أحوالها و أطوارها.

و فى الثانيه حرّضهم بأنّكم إذا اتّفتت لكم الهزيمه من العدو و فررتم فلا تستحيوا من الكزّه عليهم ثانيا و لا تحسبوها عارا فإنّ هذه الكزّه يتدارك الفزّه و يناسب هذا التفسير الثانى قوله المروىّ فى المستدرک عن فرات بن إبراهيم الاتى نقله: عاودوا الكزّ و استحيوا الفزّ.

و فى الإرشاد للمفيد رحمه الله (ص ١٢١ طبع طهران ١٣٧٧ هـ): و من كلامه عليه السّلام حين دخل البصره و جمع أصحابه فحرّضهم على الجهاد فكان ممّا قال:

عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحه صدوركم بقتالهم فإنّهم نكثوا بيعتى، و أخرجوا ابن حنيف عاملى بعد الضّرب المبرّح، و العقوبه الشديده، و قتلوا السّيباجه، و مثّلوا حكيم بن جبله العبدى، و قتلوا رجالا صالحين، ثمّ تتبّعوا منهم من نجى يأخذونهم فى كلّ حائط و تحت كلّ رايه، ثمّ يأتون بهم فيضربون رقابهم صبيرا، مالهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون؟ انهدوا إليهم و كونوا أشدّاء عليهم، و القوهم صابرين محتسبين تعلمون أنّكم منازلوهم و مقاتلوهم و لقد و طّنتم أنفسكم على الطّعن الدّعسى، و الضّرب الطّلعفى، و مبارزه الأقران، و أىّ امرىء

منكم أحس من نفسه رباطه جاش عند اللقاء و رأى من أحد من إخوانه فشلا فليذب عن أخيه العذى فضل عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله.

أقول: إنه عليه السلام قال فى كلامه هذا: «و لقد و طنتم أنفسكم على الطعن الدعسى و الضرب الطلحفى» و هو يشابه قوله المقدم «و اذ مروا أنفسكم على الطعن الدعسى و الضرب الطلحفى إلاّ- أنّ المفيد روى الطلحفى بالحاء المهملة، و قد روى قوله عليه السلام فى الجمل (ص ١٦٢ من طبع النجف) و نسخه فى الجمل: «و قد و طنتم أنفسكم على الضرب و الطعن» من غير ذكر كلمتى الدعسى و الطلحفى، و قد مضى نقل نسخه الجمل هذه فى شرح المختار الثانى من كتبه و رسائله (ص ٥٢ ج ١٧).

و فى كتاب صفين لنصر (ص ١٢٠ من الطبع الناصرى) عن عمر بن سعد، عن عبد الرحمن بن عبد الرحمن، عن أبيه أنّ عليا أمير المؤمنين عليه السلام حرّض الناس فقال: إنّ الله عزّ و جلّ قد دلّكم على تجاره تنجيكم من العذاب، و تشفى بكم على الخير: إيمان بالله و رسوله، و جهاد فى سبيله، و جعل ثوابه مغفره الذنوب، و مساكن طيبه فى جنات عدن و رضوان من الله أكبر، فأخبركم بالعذى يحبّ فقال: إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفّا كأنّهم بنيان مرصوص فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، و قدّموا الدارع، و أخروا الحاسر، و عضّوا على الأضراس فإنّهم أنبا للسيوف عن الهام و أربط للجاش، و أسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات فإنّهم أطرده للفشل و أولى بالوقار، و التوافقى أطراف الرماح فإنّهم أمور للأسنة وراياتكم فلا تميلوها و لا تزيلوها و لا تجعلوها إلاّ فى أيدي شجعانكم المانعى الذمار و الصبر عند نزول الحقائق، أهل الحفاظ الذين يحفون براياتكم، و يكتفونها يضربون خلفها و أمامها و لا تضيعوها، أجزأ كلّ امرئ منكم رحمكم الله قرنه و واسى أخاه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك لائمه و يأتى به دنائه، و أنّى هذا و كيف يكون هكذا؟ هذا يقاتل اثنين، و هذا ممسك يده قد خلى قرنه إلى أخيه هاربا منه و قائما ينظر إليه من يفعل هذا يمقته الله فلا تعرّضوا لمقت الله فإنّما مردكم إلى الله قال الله لقوم:

«قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا»، و أيم الله لئن فررتم من سيف العاجله لا تسلمون من سيف الاخره، استعينوا بالصدق و الصبر فإنه بعد الصبر ينزل النصر.

و فيه أيضا (ص ١٣٠ من ذلك الطبع): عن عمر، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب أنّ عليا لَمَّا رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها و مضافها و كشف من بازائها حتّى ضاربوهم فى مواقفهم و مراكزهم فأقبل حتّى انتهى إليهم فقال: إني قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم، و تحرّزكم الجفاه الطّغاه و أعراب أهل الشام، و أنتم لهاميم العرب، و السّينام الأعظم، و عمّار الليل بتلاوه القرآن و أهل دعوه الحقّ إذا ضلّ الخاطئون فلو لا إقبالكم بعد إداركم، و كركم بعد انحيازكم و جب عليكم ما و جب على المولى يوم الزّحف دبره، و كنتم فيما أرى من الهالكين، و لقد هوّن علىّ بعض و جدى، و شفى بعض حاج نفسى أنّى رأيتمكم باخره حزموهم كما حازوكم و أزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم كالإبل المطروده اليهم فالان فاصبروا، انزلت عليكم السكينة و ثبتكم الله باليقين، و ليعلم المنهزم أنّه مسخط لربّه، و موبق نفسه، و فى الفرار موجدّه الله عليه، الدّل اللّازم، و فساد العيش، و أنّ الفارّ لا يزيد الفرار فى عمره، و لا يرضى ربّه فموت الرجل محقّا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها و الإقرار عليها.

أقول: الزّوايه الاولى قد ذكر طائفه منها العلامه ابن خلدون فى الفصل السابع و الثلاثين من الباب الثالث من المقدمه و قال: انظر وصيه علىّ رضى الله عنه و تحريضه لأصحابه يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب و لم يكن أحد أبصر بها منه قال فى كلام له: فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص - و فيه: و اخفتوا الأصوات فإنه أطرده للفشل و أولى بالوقار (ص ٢٧٥ طبع مصر).

و قد رواها أبو جعفرى الطّبرى فى تاريخه عن أبى مخنف (ص ١١ ج ٤) و لكن بين النسختين تفاوتات فى الجملة و أرى أنّ نسخه نصر أصحّ و أمتن و قد مضى

نقل نسخه الطبري في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٢٥٧ ج ١٥) وقد رواها المفيد في الإرشاد (ص ١٢٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و تخالف الاوليين في الجملة، و هي روايه مالك بن أعين المرويه في الباب الخامس عشر من جهاد الكافي (ص ٣٣٨ من الطبع الرحلى المطبوع على الحجر ١٣١٥ هـ) و قد أشرنا آنفا إلى نقله في مصادر المختار الرابع عشر من باب الكتب إلا أن بين روايتي الكافي و نصر اختلافًا كَمًا و كيفًا و قد أتى الكليني قدس سرّه بزياده فيها لم يأت بها نصر في صفين و هي من قوله: «و لا تمثّلوا بقتيل - إلى قوله: فيعير بها و عقبه من بعده».

و الروايه الثانيه مرويه في الكافي أيضا بعد الروايه الاولى و إن كان يوجد بينهما اختلاف أيضا: فعلى نسخه الكافي: قال عليه السلام: إني رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاه الطّغاه و أعراب أهل الشام و أنتم لهاميم العرب و السّينام الأعظم و عمّار الليل بتلاوه القرآن، و دعوه أهل الحق إذا ضلّ الخاطئون فلو لا إقبالكم بعد إدباركم، و كركم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المولّى يوم الزّحف دبره، و كنتم فيما أرى من الهالكين و لقد هوّن علىّ بعض و جدى، و شفّى بعض حاج صدرى إذ رأيتكم حزتموهم كما حازوكم فأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم و أنتم تضربونهم بالسيوف حتّى ركب أولهم آخرهم كالإبل المطروده الهيم الأند، فاصبروا نزلت عليكم السكينه، و ثبتكم الله باليقين، و ليعلم المنهزم بأنّه مسخّط ربّه، و موبق نفسه، إنّ فى الفرار موجده الله (موجدّه الله عليه - خ) و النذلّ اللازم، و العار الباقي، و أنّ. الفارّ لغير مزيد فى عمره، و لا محجور بينه و بين يومه، و لا يرضى ربّه، و لموت الرّجل محقّا قبل اتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبيس بها، و الإقرار عليها.

قوله: الهيم الان: فعلى نسخه صفين ظرف و النون مخفّفه، و على نسخه الكافي من الأئين و هي مثقله، و الفرق بين سائر العبائر ظاهر.

و روايه نصر الثانيه مذكوره فى جهاد البحار أيضا (ص ٩٩ ج ٢١ من الطبع الكمباني) قال: و قال: نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن

زيد بن وهب أنّ عليّاً - إلخ، فأسقط عمر بن سعد فى الطبع الناصرى.

ثمّ تجد روايه مالك بن أعين فى الكافى و التى نقلناها عن الكافى أولاً مشتركين فى جملة من الألفاظ و الجملة و العبارات كما أنّ نسختى نصر و الكافى منقولتان عن مالك بن أعين إلا أنّ الاولى منهما ذكرت أنّ مالك بن أعين روى عن زيد بن وهب، و الثانية أكتفت بذكر مالك.

و قد مضى كلامنا فى شرح المختار ٢٣٦ من الخطب (ص ٢٥٧ ج ١٥) أنّ نسخه تاريخ الطيرى أعنى الروايه الاولى من كتاب صفين لنصر المذكوره فى النهج و هو المختار ١٢٢ من باب الخطب أوّله: فقدّموا الدارع و أخروا الحاسر و عضّوا على الأضراس فإنّه أنبا للسيوف عن الهام - إلى آخره، و نزيدك ههنا بياناً فنقول: ذلك المختار المذكور ملتقط و ملقّق من عدّه روايات إحداها هى الروايه الاولى من كتاب صفين التى رواها ثقة الإسلام الكلينى فى الكافى، و أبو جعفر الطبرى فى التاريخ، و الشيخ الأجلّ المفيد فى الإرشاد كما مرّ آنفاً و هذه الروايه التقت و ذكرت فى صدر المختار ١٢٢ المذكور من أوّله إلى قوله عليه السّلام: لا تسلّموا من سيف الاخره.

و الثانية هى الروايه الثانيه من كتاب صفين لنصر التى رواها الكلينى فى الكافى أيضاً و هى قوله عليه السّلام: إننى رأيت جولتكم و انحيازكم - إلخ، و قد التقت منها قوله عليه السّلام: «و أنتم لهاميم العرب - إلى قوله: لا محجوز بينه و بين يومه» المذكور فى ذلك المختار.

الثالثه ما رواها نصر فى صفين أيضاً (ص ٢٠٧ من الطبع الناصرى) قال: حدّثنى رجل عن مالك الجهنى، عن زيد بن وهب أنّ عليّاً عليه السّلام مرّ على جماعه من أهل الشام بصقّين فيهم الوليد بن عقبه و هم يشتمونه و يقصبونه فأخبروه بذلك فوقف فى ناس من أصحابه فقال: انهدوا إليهم و عليكم السكينه و سيما الصّالحين و وقار الإسلام و الله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ و جلّ قوم قائدهم و مؤدّبهم معاويه، و ابن التّابغه، و أبو الأعور السّلمى و ابن أبى معيط شارب الخمر و المجلود حدّا فى

الإسلام و هم أولى يقومون فيقصبوننى و يشتموننى، و قبل اليوم ما قاتلونى و شتمونى و أنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام و هم يدعونى إلى عبادة الأصنام، فالحمد لله و لا إله إلا الله، و قديما ما عادانى الفاسقون، إن هذا لهو الخطب الجليل أن فساقا كانوا عندنا غير مرضيين، و على الإسلام و أهله متخوفين حتى خدعوا شطر هذه الامه فأشربوا قلوبهم حبّ الفتنة فاستمالوا أهوائهم بالإفك و البهتان، و قد نصبوا لنا الحرب، و جدّوا فى إطفاء نور الله و الله متمّ نوره و لو كره الكافرون، اللهمّ فانهم قد ردّوا الحق فافضض جمعهم، و شتت كلمتهم، أبسلهم بخطاياهم فانه لا يذل من واليت، و لا يعزّ من عاديت.

و قد أتى بذيلها المفيد قدّس سرّه فى الإرشاد (ص ١٢٦ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و يوجد اختلاف يسير بينهما.

الرّابعه روايه رواها نصر فى صفين أيضا بعد الرّوايه الثالثه عن نمير بن و عله عن عامر الشعبى أنّ علىّ بن أبى طالب عليه السّلام مرّ بأهل رايه فرآهم لا- يزولون عن موقفهم فحرّض النّاس على قتالهم و ذكر أنّهم غيّان فقال: إنّ هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم و ضرب يفلق الهام و يطيح العظام، و تسقط منه المعاصم و الأكفّ حتى تصدّع جباههم، و تنثر حواجبهم، على الصّدور و الأذقان، أين أهل الصبر و طلاب الخير؟ أين من يشرى وجهه لله عزّ و جلّ، فثابت إليه عصابه من المسلمين فدعا ابنه محمّدًا فقال له: امش نحو هذه الرّايه مشيا رويدا على هنيئتك حتى إذا أشرعت فى صدورهم الرّماح فامسك يدك حتى يأتيك أمرى و رأيى.

و قد أتى بشرط من هذه الروايه الشيخ الأجل المفيد فى الإرشاد (ص ١٢٧ و ١٢٨) من الطبع المقدم ذكره.

و قد التقط من هاتين الروايتين قوله عليه السّلام: «اللهمّ فإن ردّوا الحقّ - إلى قوله: و يندر السواعد و الأقدام» المذكور فى ذلك المختار.

الخامسه روايه رواها نصر فى صفين أيضا (ص ٢٨٣ من الطبع الناصرى)

عن عمر بن سعد، عن إسحاق بن يزيد، عن الشعبي أنّ علياً عليه السلام قال يوم صفين حين أقرّ الناس بالصلح: إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحقّ ولا- ليجيبوا إلى كلمه السوء حتّى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، و حتّى يرموا بالكتائب تقفوها الجلائب و حتّى يجزّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس حتّى يدعق الخيول فى نواحي أرضهم و بأحشاء مساربهم و مسارحهم، و حتّى تشنّ عليهم الغارات من كلّ فجّ، و حتّى تلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم و موتاهم فى سبيل الله إلاّ- جدّاً فى طاعه الله، و حرصاً على لقاء الله، و لقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و اله نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً و تسليماً، و مضياً على أمض الألم، و جدّاً على جهاد العدو، و الإستقلال بمبارزه الأقران، و لقد كان الرّجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما سقى صاحبه كأس المنون فمرّه لنا من عدوّنا، و مرّه لعدوّنا منّا، و لمّا رأنا الله صبّراً صدقاً أنزل الله بعدوّنا الكبت، و أنزل علينا النّصر، و لعمرى لو كنّا نأتى مثل الذى أتيتم ما قام الدّين و لا عزّ الإسلام، أيم الله لتجلبّتها دما فاحفظوا ما أقول لكم - يعنى الخوارج. انتهى.

و رواها الشيخ الأجل المفيد فى الإرشاد (ص ١٢٨ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و بين النسختين اختلاف يسير، و هى مرويه فى الكتاب المنسوب إلى سليم بن قيس الكوفى (ص ١١٨ من طبع النجف) و هى تخالف روايتى نصر و المفيد.

و قد التقط من هذه الرّوايه قوله: «حتّى يرموا بالمناسر - إلى قوله:

مساربهم و مسارحهم» المذكور فى ذيل ذلك المختار من النهج، و إنّما بقى من ذلك المختار قوله عليه السلام: «الرائح إلى الله كالظمان - إلى قوله: إلى ديارهم» فلم نجد مأخذه بعد و لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً، و العارف بأساليب الكلام المتدرب فيها يرى تليفه و انضمامه من أساليب شتى و إن كانت كلّها ممّا أفاضها المرتضى روحى له الفداء، و قد مرّ منّا الإشاره غير مرّه إلى أنّ غرض الرّضى

فى النهج كان التقاط الفصيح من كلامه و انتخاب بليغه، و يا ليت الرضى أتى فى النهج بجميع الروايات المتقدمه لأنها فوق كلام البشر و دون كلام الخالق و الكل فصيح بليغ.

و فى مستدرک الوسائل (الباب ٣٢ من كتاب الجهاد ص ٢٥٨ ج ٢) للمحدث النورى رحمه الله قال:

فراى بن إبراهيم الكوفى فى تفسيره عن إبراهيم بن بنان الخثعمى، عن جعفر بن محمد بن يحيى بن شمس، عن على بن أحمد بن الباهلى، عن ضرار بن الأزور أنّ رجلا من الخوارج سأل ابن عباس عن على بن أبى طالب عليه السلام فأعرض عنه ثم سألته فقال: لقد كان و الله على أمير المؤمنين عليه السلام يشبه القمر الزاهر، و الأسد الخادر - إلى أن قال: و قد رأيت يوم صفين و عليه عمامه بيضاء و كأن عينيه سراجان و هو يتوقف على شر ذمه شر ذمه يحضهم و يحثهم إلى أن انتهى إلى و أنا فى كنف من المسلمين فقال: معاشر الناس استشعروا الخشيه، و أميتوا الأصوات، و تجلببوا بالسكينه، و اكملوا الأمه، و قلقلوا السيوف فى الغمد قبل السلّه، و الحظوا الشرز، و اطعنوا الخرز، و نافجوا بالطبى، و صلوا السيوف بالحظا، و الزماح بالنبال، فإنكم بعين الله مع ابن عم نبيكم، عاودوا الكرز، و استحياوا الفرّ فإنّه عار باق فى الأعقاب، و نار يوم الحساب، فطيبوا عن أنفسكم نفسا، و اطوا عن الحياه كشحا و امشوا إلى الموت مشيا - إلى أن قال: ألا فسوّوا بين الركب، و عضّوا على النواجذ. و اضربوا القوابض (للقوانص - خ) بالصوارم، و اشرعوا الزماح بالجوانح شدّوا فإنّى شاذّ ما هم (ماحم - خ) لا ينصرون. الخبر.

و روى هذا الخبر أعنى خبر فراى بن إبراهيم فى تفسيره المجلسى فى الثامن من البحار (ص ٥١٨ من الطبع الكمبانى) بتمامه.

و أتى به الرضى فى المختار الرابع و الستين من باب الخطب من النهج أوله:

معاشر المسلمين استشعروا الخشيه و تجلببوا السكينه - إلخ.

و قد رواه المسعودى فى مروج الذهب (ص ٢٠ ج ٢ من طبع مصر ١٣٤٦ هـ)

و قد نقلنا نسخته فى شرح المختار ٢٣٦ (ص ٢٥٤ ج ١٥). و أتى به الخواجه نصير الدين الطوسى قدس سره فى الباب السابع و الثلاثين من أخلاق محتشمى.

و قال الجاحظ فى البيان و التبيين (ص ٢٨٥ ج ٢ طبع مصر ١٣٨٠هـ):

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ (يعنى يوم صفين) عضوا على النواجذ من الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام، انتهى، و لم ينقل من كلامه عليه السلام أكثر من ذلك كما هو دأبه فى ذلك الكتاب غالبا من التقاط بعض الجمل و ترك الأخرى.

و نقل ما أتى به الجاحظ ابن قتيبه الدينورى فى كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ١٣٣ ج ١ من طبع مصر) و قال أيضا (ص ١١٠ ج ١): ذكر ابن عباس عليا عليه السلام فقال: ما رأيت رئيسا يوزن به، لرأيته يوم صفين و كأن عينيه سراجا سليط و هو يحمس أصحابه إلى أن انتهى إلى و أنا فى كثف فقال: معشر المسلمين استشعروا الخشية، و عنوا الأصوات و تجلببوا السكينه، و أكملوا اللؤم و أخفوا الخون، و قلقلوا السيوف فى أعمادها قبل السيله، و الحظوا الشزر، و اطعنوا الثبر، و نافحوا بالظبا، و صلوا السيوف بالخطا، و الرماح بالنبل و امشوا إلى الموت مشيا سجحا، و عليكم بهذا السواد الأعظم، و الزواق المطنب فاضربوا ثبجه فإن الشيطان راكد فى كسره، نافح خصيه، مفترش ذراعيه، قد قدم للوثبه يدا، و آخر للنكوص رجلا.

و روى الكليني قدس سره فى آخر الباب الخامس عشر من جهاد الكافى (ص ٣٣٩ من الطبع على الحجر) بإسناده عن حريز، عن محمد بن مسلم، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه لأصحابه: إذا لقيتم عدوكم فى الحرب فأقلوا الكلام و اذكروا الله عز و جل و لا تولوهم الأدبار فتسخطوا الله تبارك و تعالى و تستوجبوا غضبه و إذا رأيتم من إخوانكم المجروح و من قد نكل به أو من قد طمع عدوكم فيه فقهه بأنفسكم.

و روى أبو جعفر الطبرى فى التاريخ (ص ٧ ج ٤) و نصر فى صفين (ص ١٠٦)

بإسنادهما إلى الحضرمي قال: سمعت علياً عليه السلام عرض في الناس في ثلاثه مواطن في يوم الجمل و يوم صفين و يوم نهران فقال: عباد الله اتقوا الله عزّ وجلّ و غصّوا الأبصار و اخفضوا الأصوات و أقلّوا الكلام - إلى آخر ما مضى في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٢٢٢ و ٢٣٨ ج ١٥).

فمن هذه الروايات دريت أنّه عليه السلام كان يأمر أصحابه باخفاء الصوت تاره بقوله: أميتوا الأصوات، و اخرى بقوله: أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل و مرّه بأنّه أطرد للفشل و أولى بالوقار، و اخرى بقوله: و عنوا الأصوات، و هو من التعنيه أى الحبس و الأسر، و دفعه بقوله: فعمّوا الأصوات كما في نسخه اخرى، و هو من التعميه بمعنى الإخفاء، و اخرى بقوله: اخفضوا الأصوات، و في نسخه: اخفتوا الأصوات كما علم من نقلها مصادر صدر هذا المختار الذي نحن بصدر الشرح عليه و إنّما بقي ذكر مأخذ قوله عليه السلام: «و الذي فلق الحبه» - إلخ فنقول:

رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين (ص ١١٠ و ١١١ من الطبع الناصري) عن أبي عبد الرحمن المسعودي قال: حدّثني يونس بن الأرقم بن عوف، عن شيخ من بكر بن وائل قال: كنّا مع عليّ عليه السلام بصفيين فرفع عمرو بن العاص شقّه قميصه سوداء في رأس رمح. فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله صلّى الله عليه و آله فلم يزلوا كذلك حتّى بلغ علياً، فقال عليّ: هل تدرّون ما أمر هذا اللواء؟ إنّ عدوّ الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقه فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: و ما فيها يا رسول الله؟ قال: فيها أن لا تقاتل به مسلماً، و لا تقربه من كافر، فأخذها فقد و الله قربه من المشركين و قاتل به اليوم المسلمين، و الذي فلق الحبه و برأ النسمة ما أسلموا و لكن استسلموا و أسروا الكفر فلما وجدوا أعوانا رجعوا إلى عداوتهم منّا إلّا أنّهم لم يدعوا الصلاه.

أقول: و قد روى نحو كلامه هذا من أبي اليقظان عمّار بن ياسر رحمه الله عليهما و الظاهر أنّه اقتبس من كلام إمامه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام و قد رواه نصر في صفين،

كما روى نحوه من ابنه محمّد ابن الحنفية رضوان الله عليه فدونك ما روى عنهما.

قال بعد نقل كلامه هذا: أخبرني عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت قال: لما كان قتال صفين قال رجل لعمار: يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله صلى الله عليه و اله: قاتلوا الناس حتى يسلموا فإذا أسلموا عصموا مني دماءهم و أموالهم؟ قال: بلى، و لكن و الله ما أسلموا و لكن استسلموا و أسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا.

نصر عن قطرب بن خليفة، عن منذر الثوري قال: قال عمار بن ياسر:

و الله ما أسلم القوم و لكن استسلموا و أسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا.

نصر، عبد العزيز قال حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني منذر العلوي قال:

قال محمّد ابن الحنفية لما أتاهم الله من أعلى الوادي و من أسفله و ملأ الأودية كتائب:

استسلموا حتى وجدوا أعوانا.

اللغة

اشتدّ عليه الأمر أى شقّ عليه و استصعبه، يقال: اشتدّ عليه المرض أى زاد و عظم، و هو تفتعل من الشدّ.

الفرّ: الفرار، فعله للمرّه، و الكرّه: الجوع، و الحمله فى الحرب.

«الجولة» مصدر، أى الدوران فى الحرب يقال: جال القوم جوله إذا انكشفوا ثمّ كرّوا و قال عبد الشارق بن عبد العزى الجهنى (الحماسه ١٥٢).

سمعنا دعوه عن ظهر غيب فجلنا جوله ثمّ ارعونا

و قال الشارح المرزوقى: يقول: قرع أسماعنا فى أثناء التهيؤ و التطلع دعوه تأدّت من مكان غائب عن عيوننا فدرنا دوره ثمّ رجعنا إلى أماكننا.

و فى منتهى الأرب جال فى الحرب جوله بالفتح من باب نصر: گرد برآمد.

«السيف» جمع السيف معروف، و هو مأخوذ من قولهم: ساف إذا هلك لأنه به يقع الهلك. قال القلقشندى فى صبح الأعشى (ص ١٣٩ ج ٢ طبع مصر):

السيف إن كان من حديد ذكر - و هو المعبر عنه بالفولاذ - قيل: سيف فولاذ.

و إن كان من حديد انثى - و هو المعبر عنه في زماننا بالحديد - قيل: سيف أنثى، فان كان متنه من حديد انثى وحداه من حديد ذكر كما في سيوف الفرنجه قيل: سيف مذكر، و يقال: إن الصاعقه إذا نزلت إلى الأرض وردت (بردت - ظ) صارت حديدا، و ربما حفر عليها و اخرجت فطبت سيوفا، فتجىء في غايه الحسن و المضاء.

ثم إن كان عريض الصيخ قيل له: صفيحه، و إن كان محدقا (مدققا - ظ) لطيفا قيل له: قضيب؛ فإن كان قصيرا قيل: أبتري؛ فإن كان قصره بحيث يحمل تحت الثياب و يشتمل عليه قيل: مشتمل - بالكسر -.

فإن كان له حد واحد و جانبه الاخر جاف قيل فيه: صمصامه: - و بهذا كان يوصف سيف عمرو بن معدى كرب فارس العرب، فإن كان فيه حوز مستطيله (مطمئنه - ظ) قيل فيه: فقارات - بذلك سمى سيف رسول الله صلى الله عليه و اله: ذا الفقار، يروى أنه كان فيه سبع عشره فقاره.

ثم تاره ينسب السيف إلى الموضع الذي طبع فيه، فيقال فيما طبع بالهند:

هندي و مهندي، و فيما طبع باليمن: يمان، و فيما طبع بالمشارف - و هي قرى من قرى العرب قريه من ريف العراق - قيل له: مشرفي؛ فإن كان من المعدن المسمى بقساس و هو معدن موصوف بوجوده الحديد قيل له: قساسي.

و تاره ينسب السيف إلى صاحبه كالسيف السريحي - نسبه إلى قين من قيون العرب اسمه: سريح معروف عندهم بحسن الصنعه.

و يوصف السيف بالحسام و هو القاطع أخذا من الحسم و هو القطع، و بالصارم و هو الذي لا ينبو عن الصريه.

«وطني» بالتون كما في النسخه الخطيه التي عندنا قوبلت على نسخه الرضي، و في نسخه الجامع الكافي و غيرها مما تلونها عليك، يقال: وطن البلد

توطينا أى اتّخذّه محلا- و مسكنا يقيم به، و وطن نفسه على الأمر و للأمر أى مهّدها لفعله و دلّ لها و حملها عليه، قال سيّار بن قصير الطائي (الحماسه ٣٠).

لو شهدت أمّ القديد طعاننا بمرعش خيل الأرمنيّ أرّنت

عشيّه أرمى جمعهم بلبانه و نفسى و قد و طنتها فاطمّات

و فى أساس البلاغه للزمخشري:

وطّنت نفسى على كذا فتوطّنت

. قال:

و لا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

و فى غير واحده من النسخ المطبوعه و الخطيه كتبت: و طّئوا بالهمزه من التوطئه أى التمهيد يقال و طّأ الأمر إذا مهّده.

و الجنوب جمع الجنب بالفتح فالسكون كفلس و فلوس يقال بالفارسيه: يهلو و قال الراغب فى المفردات: أصل الجنب الجارحه و جمعه جنوب قال الله عزّ و جلّ «فتكوى بها جباههم و جنوبهم» و قال تعالى: «تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ» و قال عزّ و جلّ: «قياماً و قعوداً و على جُنُوبِهِمْ» ثمّ يستعار فى الناحيه الّتى تليها كعادتهم فى استعاره سائر الجوارح لذلك نحو اليمين و الشمال كقول الشاعر: من عن يمينى مرّه و أمامى.

«المصارع» جمع المصرع، يقال: صرعه على الأرض صرعا من باب منع أى طرحه عليها، و المصرع مكان الصرع، و مصارع القوم حيث قتلوا.

«اذمروا» بالذال المعجمه اخت الدال المهمله، ذمره على الأمر بالتخفيف من باب نصر، و بالتشديد أيضا حصّه مع لوم ليجدّ فيه يقال: القائد يذمر أصحابه فى الحرب أى يسمعهم المكروه ليشحذهم، و رأيّتهم يتذامرون فى الحرب، و أقبل يتذمّر أى يلوم نفسه على التفريط فى فعله و هو ينشطها لئلاّ تفرط ثانيه، و فلان يتذمّم و يتذمّر و يرفع أذياه و يتشمرّ، و هو ذمر من الأذمار: شجاع، قاله فى الأساس و ذمرته أذمره ذمرا حثثه، ذمار اسم فعل للحضّ على الحرب و تذامر القوم أى حثّ بعضهم بعضا و ذلك فى الحرب.

«الدعسىّ» الدّعس بالفتح فالسكون: الدفع فى الأصل، ثمّ يستعمل فى

الطَّعَنُ وَ شَدَهُ الْوِطْأُ وَ الْجَمَاعُ قَالَهُ الْمَرْزُوقِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْحَمَاسَةِ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ (الْحَمَاسَةُ ١٥١):

إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمْلَهُ نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِيِّ وَ الرِّمَاحِ الدَّوَاعِسَا

وَ قَالَ قِتَادَةُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْحَنْفِيُّ (الْحَمَاسَةُ ٢٥٨):

وَ فِي النَّقْعِ سَاهِمُهُ الْوَجُوهُ عَوَابِسُ وَ بَهَنٌ مِنْ دَعَسِ الرِّمَاحِ كَلُومٍ

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي الصِّحَاحِ. الدَّعَسُ بِالْفَتْحِ: الْأَثْرُ، يُقَالُ: رَأَيْتَ طَرِيقًا دَعَسًا أَيْ كَثِيرَ الْأَثَارِ، وَ الْمَدْعَاسُ الطَّرِيقُ الَّذِي لَيْتَنَهُ الْمَارَّةُ وَ الدَّعَسُ: الطَّعَنُ وَ قَدْ يَكْنَى بِهِ عَنِ الْجَمَاعِ، وَ دَعَسَتِ الْوَعَاءُ: حَشَوْتَهُ، وَ الْمَدْعَسُ: الرِّمْحُ يَدْعَسُ بِهِ، وَ يُقَالُ: الْمَدْعَاسُ الصِّمُّ مِنَ الرِّمْحِ، انْتَهَى مَا أَرَدْنَا مِنْ نَقْلِ كَلَامِهِ، يُقَالُ:

بَيْنَهُمْ مَدَاعِسُهُ أَيْ مَطَاعِنُهُ بِالرِّمَاحِ، وَ فِي الْقَامُوسِ: الدَّعَسُ كَالْمَنْعِ: حَشَوِ الْوَعَاءُ.

وَ بِمَا ذَكَرْنَا عَلِمْتَ أَنَّ الطَّعْنَ بِمَعْنَى الضَّرْبِ بِالرِّمَاحِ فَإِنَّ الدَّعْسَ صِفَةً لِلطَّعْنِ وَ الدَّعَسُ وَ الدَّوَاعِسُ وَ الْمَدْعَسُ وَ الْمَدْعَاسُ قَدْ اسْتَعْمَلْتَ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ لِلرِّمَاحِ فَقَطْ، وَ قَدْ قَالَ الْأَشْرَفِيُّ فِي أَبِيَاتِ آتٍ نَقَلَهَا:

فَاصْبِرُوا لِلطَّعَانِ بِالْأَسْلِ السَّيْمِرِ وَ ضَرْبِ يَجْرِي بِهِ الْأَمْثَالُ وَ الْأَسْلُ بِالْتَحْرِيكِ فِي الْأَصْلِ نَبَاتٌ دَقِيقٌ الْأَغْصَانُ تَتَّخِذُ مِنْهُ الْغُرَابِيلُ وَ يُقَالُ لِلرِّمَاحِ الْأَسْلُ عَلَى التَّشْبِيهِ وَ الْمُسْتَدَقُّ اللَّسَانُ وَ الدَّرَاعُ الْأَسْلَةُ.

«الطَّلْحَفِيُّ» بِكسْرِ الطاء و فتح اللام و سكون الخاء المعجمه، قال الجوهري في مادة ط خ ف من الصِّحَاحِ: ضَرْبٌ طَلْحَفٌ بزيادة اللام مثال حَجْرٍ أَيْ شَدِيدٍ، وَ قَالَ الصَّفِيُّ يورِي فِي مَنْتَهَى الْأَرْبِ: ضَرْبٌ طَلْحَفٌ كَهَزِيرِ زِدْغِي سَخْتِ، لَامٌ زَائِدَةٌ اسْت.

وَ جَاءَتْ الطَّلْحَفِيُّ فِي غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنَ النِّسْخِ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَ لَكِنْ نَسَخْتَنَا الَّتِي قَوَّبَلْتَ عَلَى نَسْخِهِ الرُّضِيِّ مَضْبُوطَةً بِالْمَعْجَمَةِ وَ الْمَهْمَلَةُ كَالْمَعْجَمَةِ مَعْنَى يُقَالُ:

ضَرْبَتُهُ ضَرْبًا طَلْحِفًا وَ طَلْحَفًا وَ طَلْحَفًا وَ طَلْحَفًا أَيْ شَدِيدًا، وَ قَالُوا إِنَّ اللَّامَ فِي الْمَهْمَلَةِ أَصْلِيَّةٌ، وَ قَالَ فِي الْقَامُوسِ بَعْدَ ضَرْبِ اللَّغَاتِ فِي الطَّلْحَفِيِّ

المهملة: و اللام أصليته لذكرهم الطلحفي في باب فعلى مع حبركى و وهم الجوهري.

أقول: زياده اللام أول الكلمه و حشوها قليله جدًا و أمّا فى الاخر فقد ثبت فى الأعلام كزيدل و عبدل فى زيد و عبد و لكن عدم زيادتها أولاً و حشوا فمّا لم يثبت بل لها نظير و الجوهريّ ذهب إلى أنّ اللّام فى الطلحفي المعجمه زائده و لم يأت بالمهمله فى الصحاح و ذكر الصنفى پورى المعجمه فى مادّه ط خ ف و صرّح بأنّ اللّام زائده و المهمله فى ط ل ح ف و بين بأنّها أصليه، فاسناد الوهم إلى الجوهري و هم.

ثمّ إنّ المعجمه فى المعاجم الّتى عندنا مضبوطه على الوجه المقدّم ذكره إلّا- فى أقرب الموارد فأنّه قال فى طلخف بالخاء المعجمه: ضرب طلخيف بالخاء:

كالحاء فى لغاته.

«إماته الصوت»: إخفاؤه.

«الطرد»: الإبعاد، تقول طردته فاطرد أى أبعدته فابتعد.

«الفشل» بالتحريك: ضعف مع جبن مصدر من فشل الرجل من باب علم إذا جبن و ضعف و تراخى عند حرب أو شدّه. قال الفيوميّ فى مصباح المنير: فشل فشلا فهو فشل عن باب تعب و هو الجبان الضعيف القلب.

تقول: دعى إلى القتال ففشل أى جبن، و ذهبت قوته فهو فشل و فشيل و فشل و قال الطرمّاح مستهزءاً برجل:

فقد بزمام بظر امّك و احتفر بأير أيبك الفشل كراث عاسم

و هو من أبيات الحماسه (٦٢٨) و قد يروى فى البيت الفسل أيضا.

و عزم على كذا ثمّ فشل عنه أى نكل عنه و لم يمضه.

و فى القرآن الكريم: «و لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ» (آل عمران ١٤٧) «وَ أَطِيعُوا اللّهُ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ» (الأنفال - ٥٠).

«إِذْ يُرِيكُهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَ لوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ» (الأنفال - ٤٦).

«إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا» (آل عمران ١٢٣).

«فلق»: شق، وقال ابن الأثير في النهاية: فيه - يعنى فى الحديث «من أعتق نسمة أو فكَّ رقبته» النسمة: النفس و الروح أى من أعتق ذا روح، و كلّ دابته فيها روح فهى سمه و إنما يريد الناس و منه حديث على عليه السلام و الذى فلق الحبه و برأ النسمة أى خلق ذات الروح و كثيرا ما كان يقولها إذا اجتهد فى يمينه، انتهى.

الاعراب

النون المثقله من تشتدّ نون تأكيد، عليكم ظرف لغو متعلّق بالفعل، فزه فاعل الفعل، «بعدها كزه» خبر و مبتداء قدّم الخبر توسعا للظروف و الجملة صفه للفرّه، و لا جوله بعدها حملة عطف على فرّه بعدها كزه و الكلام فيها كالاولى، و مفعول و طنوا محذوف إن اخذ التوطين بمعنى التمهيد على وجه ستعرفه أى و طنوا أنفسكم، أو أن حرف التعريف فى الجنوب بدل من المضاف إليه كما سيعلم وجهه فى المعنى، على الطعن ظرف لغو متعلّق بقوله: اذ مروا، و ياء الدعسى للنسبه.

و قال بعض المتأخرين فى تعاليقه على النهج: الدعسى اسم من الدّعس أى الطعن الشّديد فإن عنى أن كلمه الدّعسى إحدى اللغات فى الدعس غير أنّها اسم للدّعس لا يساعده المعاجم اللغويه و الكتب الأدبيّه، و الدعسى على أى نحو كان صفه للطعن، و كذلك الطلخفى صفه للضرب فان كانت بالخاء المعجمه فالياء مشدّده للنسبه، و إن كانت بالخاء المهمله فهى مقصوره إحدى اللغات الخمس فيها، و الضمير فى انه راجع إلى المصدر أعنى الإماتة المستفاد من قوله: أميتوا كقوله تعالى: اعدلوا هو أقرب للتقوى، و لا- بأس بتذكير الضمير لمكان المصدر، و كلمه أطرده للتفضيل و المفضّل منه محذوف بقريته المقام أى أن أماتته الأصوات أطرده للفشل من اعلائها، «و الّذى» كلمه الواو للقسم متعلّقه محذوفاً وجوباً فإنّها لا تدخل إلا على مظهر و لا تتعلّق إلا محذوف. فلق الحبه صله للذى و برأ النسمة عطف عليها

«ما اسلموا» جواب للقسم، و كلمه ما نافية. لما علم للظرف و هو لوقوع الشىء لوقوع غيره و الشىء الأول فى المقام اظهارهم الكفر، و الثانى وجود الأعوان عليه

المعنى

قوله عليه السّلام: «لا تشتدّن عليكم فزّه بعدها كزّه و لا جوله بعدها حملة» قد علمت أنّها أنّه عليه السّلام قد كان يتبّه أصحابه على أن لا يغتروا بفرار الأعداء من المعارك فإنّ الفرار قد يكون عن حيله و خدعه فيولّون الأدبار لكى يفرجوا الذين يقاتلونهم و يغزّوهم و يغزّوهم باتباعهم آثارهم مهر عين و يخرجوهم من مكائدهم ظنّاً منهم بأنّهم انهزموا و ما كان فرارهم عن هزيمه و بعد ما أفرجوا برهه من الزّمان يعطفون و يقبلون عليهم و يحملونهم حملة رجل واحد فيهمزمونهم، كما كان هذا التنبيه هو المروى عن الكافى حيث أيقظ عليه السّلام أصحابه بقوله: «لا يشدّون عليكم كزّه بعد فزّه، و لا حملة بعد جوله».

و ههنا أرشدهم إلى أنّ الحرب خدعه، و فزّه و كزّه فإنّ علموا أنّ مقتضى الحال فى القتال يوجب أن يولّوهم الأدبار و يخيلوهم و يروهم بأنّهم منهزمون حتّى إذا أمكنتهم الفرصه من الحمله عليهم كزّوا عليهم دفعه واحده فلا يحسبوه عارا و لا يستحيوا منه، و لا يستصعب عليهم هذا النحو من الفرار الظاهرى الموجب للظفر على الخصم و انما الّذى ينبغى أن يستصعب و يشق على المجاهد و يستحيى منه هو أن تكون فزّه من غير كزّه، بل لا يجوز الفرار إذا كان العدو على الضّعف أو أقلّ.

و قد مضى قول ثامن الأئمّه علىّ بن موسى الرضا عليه السّلام فى شرح المختار ٢٣٥ من باب الخطب (ص ١٧٨ ج ١٥) فى الفرار عن الزحف حيث قال عليه السّلام: و حرّم الله الفرار من الزّحف لما فيه من الوهن فى الدّين، و الاستخفاف بالرسل صلوات الله و سلامه عليهم و الأئمّه العادله عليهم السّلام، و ترك نصرتهم على الأعداء و العقوبه لهم على انكار ما دعوا إليه من الاقرار بالربوبيّه، و اظهار العدل، و ترك الجور، و إماته الفساد لما فى ذلك من جرأه العدو على المسلمين و ما يكون فى ذلك من السّبى

و القتل و إبطال حق الله تعالى و غيره من الفساد. و كذا فى المقام غيره من النصوص المستفاضه المستفاد منها أن الفرار من الزحف من جمله الكبائر.

و بما قدّمنا علم وجه كون عباره النهج بعكس ما فى الكافى فى الكافى كانت الكره مقدّمه على الفرّه و الحمله على الجوله و ههنا كانت الكره متأخره من الفرّه، و الحمله من الجوله، و هناك أيقظهم بقوله: لا- يشدون عليكم، و ههنا وصّاهم بقوله: لا تشتدون عليكم.

و اعلم أن قوله عليه السلام: «لا تشتدون عليكم فرّه بعدها كره» قول فى تفسير قوله تعالى إلا متحرفا لقتال فى الأنفال حيث قال عزّ من قائل: «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار و من يؤلّهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله و مأواه جهنم و بسّ المصير» (آيه ١٧، ١٨).

و الزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرتّه كأنه يزحف أى يدبّ دبيبا، و الزحف أيضا الدنو قليلا قليلا كما قال الأزهرى: أصل الزحف هو أن يزحف الصبى على استه قبل أن يقوم، شبه بزحف الصبى مشى الطائفتين يتمشى كلّ فئه مشيا رويدا إلى الفئه الاخرى يتدانى للضراب، و زحفا منصوب فى موضع الحال للكفار.

و فى تفسير المجمع: التحرف: الزوال عن جهه الاستواء إلى جهه الحرف فالمعنى - و الله تعالى أعلم - إذا لقيتم الكفار للقتال و الحال أنهم كثير جمّ و أنتم قليل فلا- تولوهم الأدبار أى لا تجعلوا ظهوركم إليهم أى لا تفرّوا منهم فضلا عن أن تدانوهم فى العدد أو تساووهم، و من يؤلّهم يومئذ أى وقتئذ سواء كان نهارا أو ليلا فقد استحقّ و احتمل غضب الله و مأويه جهنم و بسّ المصير فالايه تدلّ على أن الفرار من الزحف من كبائر المعاصى.

و فى الكافى بإسناده عن عقيل الخزاعى: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الرعب و الخوف من جهاد المستحقّ للجهاد و المتوازين على الضلال، ضلال فى

الدِّينِ و سلب للدنيا مع الذلّ و الصغار، و فيه استیجاب النار بالفرار من الزحف عند حضره القتال يقول الله عزّ و جلّ: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ».

و استثنى جلّ و علا من حرمة الفرار حالتين إحداهما إذا كان المجاهد متحرّفا لقتال، فقال في الكشاف: و هو الكرّ بعد الفرّ يخيل عدوّه أنّه منهزم ثمّ يعطف عليه و هو باب من خدع الحرب و مكائدها.

و نحوه النيسابورى فى غرائب القرآن، و البيضاوى فى أنوار التنزيل حيث قال فى معناه: يريد الكرّ بعد الفرّ و تغرير العدوّ فأنه من مكائد الحرب.

و قال الطبرسى فى المجمع: و قيل معناه إلاّ منعظا مستطردا كأنه يطلب عوره يمكنه اصابتها فيتحرّف عن وجهه و يرى أنّه يفرّ ثمّ يكرّ و الحرب كرّ و فرّ.

و القول الاخر فى تفسير قوله تعالى: «إِلَّا- مُتَحَرِّفًا لِقِتَالِ» هو أنّ من ولى دبره يبغى موقفا أصلح للقتال من الموقف الأوّل فهو خارج عن حرمة الفرار من الزحف و الحقّ إنّه شامل على كلا القولين، أى إنّ الفارّ عن الزحف قد باء بغضب من الله إلاّ أن يدبر عن القتال و ينحرف عن مضيق إلى اتساع لتجول الخيل، أو من معاطش إلى مياه، أو كانت الشمس أو الريح فى وجهه فاستدبرها، أو كان يوهم باستدباره خصمه أنّه منهزم منه ليغريه باتّباعه فينفرد عن أشياعه فيكرّ عليه فيقتله و ما أشبه ذلك.

و ثانيتهما إذا كان متحرّزا إلى فئه، و التحيز طلب حيز يتمكّن فيه و المعنى أو كان منحازا و منتقلا- إلى جماعه اخرى من المسلمين أى غير الجماعه التى كان فيها و هم الذين يريدون قتال الأعداء و الجهاد فى سبيل الله فهو يريد أن يستعين بهم عليهم.

و عن ابن عباس أنّ الفرار من الزحف فى غير هاتين الصورتين من أكبر الكبائر كما فى الكشاف و غرائب القرآن.

و قد روى أهل السنّه عن أبى هريره عن النبىّ صلّى الله عليه و اله قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله صلّى الله عليه و اله و ما هنّ؟ قال: الشّرك بالله، و السحر، و قتل

النفس التي حرم الله إلا بالحق، و أكل الرِّبَا، و أكل مال اليتيم، و التَّوَلَّى يوم الزَّحْف، و قذف المحصنات الغافلات و المؤمنات.

و قد مرَّت الإشارة إلى أنّ مثل ذلك قد روى عن أهل بيت النبوة عليهم السَّلام بروايات متكاثرة متظافره و تقدّم نقل شرط ممّا أفاضه أبو الحسن الرضا عليه السَّلام في علل تحريم الكبائر و منها الفرار عن الزَّحف. كما تقدّم آنفا قول أمير المؤمنين عليّ عليه السَّلام عن الكافي و صفين لنصر: و ليعلم المنهزم أنّه مسخط لربه و موبق نفسه و في الفرار موجد الله عليه و الدّلّ اللازم - إلخ.

الحرب خدعه لا كلام في أنّ الخدعه في نفسها قبيحه تنفر الطباع عنها. روى الكليني في الكافي بإسناده عن هشام بن سالم رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: لو لا أنّ المكر و الخديعه في النار لكنت أمكر الناس (الوافي ص ١٥٦ ج ٣) و قد رفع قبجها في الحرب فإنّ الغرض الأسنى من الجهاد قمع اصول الفساد، و قطع فروعه و قد جوّز الشارع تعالى التوصل بالخدعه في حضره القتال إلى ذلك، و تنفذه الأحلام و تقبله الطباع لذلك.

قال العلامة قدس سرّه في آخر المقصد الثاني من جهاد المنتهى (ص ٩١٣ من الطبع الرحلى على الحجر ١٣٣٣ هـ): يجوز المخادعه في الحرب و يجوز للمبارز أن يخدع قرنه ليتوصل بذلك إلى قتله إجماعاً، روى الجمهور أن عمرو بن عبدود بارز عليّاً عليه السَّلام فقال: ما أحبّ قتلك يا ابن أخي، فقال عليّ عليه السَّلام: لكنتي أحبّ أن أقتلك فغضب عمرو و أقبل عليه، فقال عليّ عليه السَّلام: ما برزت لا - قاتل اثنين، فالتفت عمرو فوثب عليّ عليه السَّلام فضربه، فقال عمرو: خدعتني، فقال عليّ عليه السَّلام:

الحرب خدعه، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

و روى شيخ الطائفة قدس سرّه في باب أنّ الحرب خدعه من جهاد التهذيب بإسناده عن إسحاق بن عمّار، عن جعفر، عن أبيه عليهما السَّلام أنّ عليّاً عليه السَّلام كان يقول:

لأن يخطفني الطير أحبّ إليّ من أن أقول على رسول الله صلّى الله عليه و اله ما لم يقل، سمعت

رسول الله صَلَّى الله عليه و اله يقول يوم الخندق: الحرب خدعه، يقول: تكلموا بما أردتم، (الوافى ص ٢١ ج ٩).

و فيه بإسناده عن مصعبه بن صدقه قال: حدّثنى شيخ من ولد عدى بن حاتم عن أبيه، عن جدّه عدى بن حاتم و كان مع على عليه السّلام فى غروته أنّ عليّاً عليه السّلام قال يوم التقي هو و معاوية بصفتين فرفع بهم صوته يسمع أصحابه: و الله لأقتلن معاوية و أصحابه ثمّ قال فى آخر قوله: إن شاء الله خفض بها صوته فكانت منه قريباً فقلت: يا أمير المؤمنين إنك حلفت على ما قلت ثمّ استنيت فما أردت بذلك؟ فقال:

إنّ الحرب خدعه و أنا عند المؤمنين غير كذوب فأردت أن احرض أصحابي عليهم لكيلا يفشلوا و لكى يطمعوا فيهم فافهم فإنك تنتفع بها بعد اليوم إن شاء الله، و اعلم أنّ الله عزّ و جلّ قال لموسى حيث أرسله إلى فرعون: «فأتياه فقولا له قولاً لنا لعلّه يتذكّر أو يخشى» و قد علم أنّه لا يتذكّر و لا يخشى و لكن ليكون ذلك أحرص لموسى عليه السّلام على الدّهاب، (الوافى ص ٩٥ ج ٧ و ص ٢٢ ج ٩)، و رواه فى البحار عن تفسير العياشى (ص ٩٨ ج ٢١ من الطبع الكمباني).

و فى الباب السابع و الثلاثين من أخلاق محتشمى للخواجه الطوسى قدّس سرّه:

كان النّبى صَلَّى الله عليه و اله إذا أراد سفراً ورّى إلى غيره و قال: الحرب خدعه.

و فى مروج الذهب للمسعودى (ص ٦ ج ٢) قال ابن عباس لعلى عليه السّلام:

يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و اله يقول: الحرب خدعه؟ فقال على عليه السّلام: بلى. و سيأتى تمام كلامهما فى شرح الكتاب السابع عشر إن شاء الله تعالى.

و فى الجامع الصغير للسيوطى عن أبى هريره، عن النّبى صَلَّى الله عليه و اله: الحرب خدعه.

و روى الكلينيّ فى الكافي بإسناده عن صفوان، عن أبى مخلد (محمّد - خ) السّيراج، عن عيسى بن حسان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: كلّ كذب مسؤل عنه صاحبه يوماً إلّا فى ثلاثه: رجل كائد فى حربته فهو موضوع عنه، أو رجل

أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الإصلاح فيما بينهما، أو رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم لهم، (الوافي ص ١٥٨ ج ٣).

و في الكامل لأبي العباس المبرّد (ص ١٩٣ ج ٢ طبع مصر) ناقلاً عن المهلب قال: أنّه جاء عن رسول الله صلّى الله عليه و اله قوله: «كلّ كذب يكتب كذباً إلاّ ثلاثه:

الكذب في الصلح بين الرجلين، و كذب الرّجل لامرأته يعدها، و كذب الرّجل في الحرب يتوعّد و يتهدّد.

و قال: و جاء عنه صلّى الله عليه و اله إنّما أنت رجل فخذلّ عنّا فإنّما الحرب خدعه.

قال: و قال عليه السّلام في حرب الخندق لسعد بن عباد و سعد بن معاذ و هما سيّد الحيين الخزرج و الأوس: «أئتيا بنى قريظه فإن كانوا على العهد فأعلننا بذلك؛ و إن كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا لى لحنا أعرفه و لا تفتّنا في أعضاء المسلمين» فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله: عضل و القاره فقال رسول الله صلّى الله عليه و اله للمسلمين:

ابشروا فإنّ الأمر ما تحبون.

قال الأ-خفش: سألت المبرّد عن قولهما عضل و القاره فقال: هذان حيّان كانا في نهايه العداوه لرسول الله صلّى الله عليه و اله فأرادا أنّهم في الانحراف عنه و الغدر به كهاتين القبيلتين.

قال ابن إسحاق: لَمّا خرج رسول الله صلّى الله عليه و اله إلى بدر نزل قريبا منه فركب هو و رجل من أصحابه يتعرّفان أخبار قريش حتّى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، و عن محمّد و أصحابه، و ما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا اخبر كما حتّى تخبراني ممّن أنتما؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه و اله: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فأنه بلغني أنّ محمّدا و أصحابه خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا و كذا - للمكان الذي به رسول الله صلّى الله عليه و اله - و بلغني أنّ قريشا خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا و كذا - للمكان الذي فيه قريش - فلمّا فرغ من خبره قال: ممّن أنتما؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه و اله: نحن ماء تمّ انصرف عنه فجعل الشيخ

يقول: نحن من ماء! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا، نقله ابن هشام في السيره النبويه (ج ١ ص ٦١٦ من طبع مصر ١٣٧٥ هـ)، و ابن قتيبه الدينوري في باب الحيل في الحروب من كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ١٩٤ ج ١ طبع مصر ١٣٨٣ هـ).

و اعلم أنّ ما قدّمناه من جواز الخدعه في الحرب هو غير الغدر بهم أي قتالهم و قتلهم بغته بعد الأمان، و الغدر ترك الوفاء و نقض العهد، قال شيخ الطائفة قدّس سرّه في جهاد المبسوط: من أذمّ مشركا أو غير مشرك ثم خفّره و نقض ذمامه كان غادرا آثما.

و إنّما لا يجوز الغدر بهم لقوله تعالى: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» و لقوله صلّى الله عليه و اله:

«لا تغلوا و لا تمثلوا و لا تغدروا» و غيره من الأخبار الواردة في النهي عن الغدر بهم ففي خبر رواه الكليني قدّس سرّه في جامع الكافي بإسناده عن طلحه بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: سألته عن قريتين من أهل الحرب لكلّ واحد منهما ملك على حده اقتتلوا ثم اصطلحوا ثم إنّ أحد الملكين غدر بصاحبه فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا و لا يأمرؤا بالغدر و لا يقاتلوا مع الذين غدروا و لكنّهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم و لا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفّار. (جهاد الوسائل الباب ٢٠) و الروايات عن الرسول صلّى الله عليه و اله و عن أئمة الدّين في التحذير عن الغدر و كراهيته كثيره.

و قد نقل ابن قتيبه في كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ١١٧ ج ١ طبع مصر) قضيه معجبه في خدعه مستغربه، و سوء عاقبه الغدر و البغي تأبى نفسى إلاّ الإتيان بها، قال: و قرأت في كتاب سير العجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لّمّا ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطله ببلخ، فلمّا انتهى إلى بلاده اشتدّ رعب اخشنوار منه و حذره له، فناظر أصحابه و وزراءه في أمره.

فقال له رجل منهم: أعطنى موثقا و عهدا تظمئنّ إليه نفسى أن تكفينى أهلى

و ولدی و تحسن إلیهم و تخلفنی فیهم، ثم اقطع یدی و رجلی و القنی علی طریق فیروز حتی یمزبی هو و أصحابه فأکفیک
مئوتهم و شوکتهم و أورطهم مورطاً تكون فیہ هلکتهم.

فقال له اخشنوار: و ما الذى تنتفع به من سلامتنا و صلاح حالنا إذا أنت قد هلکت و لم تشرکنا فی ذلك؟ قال: إتی قد بلغت ما
كنت أحب أن أبلغه من الدنيا و أنا موقن بأن الموت لا بد منه و إن تأخر أياماً قلائل، فاحب أن أختم عمری بأفضل ما تختم به
الأعمار من النصيحة لإخوانی و النکایه فی عدوی فيشرف بذلك عقبی و اصیب سعاده و حظوه فیما أمامی.

ففعل به ذلك و أمر به فلماً مرّ به فیروز سأله عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به و أنه احتال حتى حمل إلى ذلك
الموضع ليدله على عورته و غزته، و قال: إتی أدلکک علی طریق هو أقرب من هذا الذى تريدون سلوکه و أخفى، فلا- يشعر
اخشنوار حتى تهجموا علیه فينتقم الله لى منه بکم، و ليس فى هذا الطريق من المكروه إلا- تفویز يومین ثم تفضون إلى کل ما
تحبون.

فقبل فیروز قوله بعد أن أشار علیه و زراؤه بالإتهام له و الحذر منه و بغير ذلك فخالفهم و سلك الطريق حتى انتهى بهم إلى
موضع من المفازة لا- صدر عنه ثم بین لهم أمره فتفرقوا فى المفازة يمينا و شمالاً يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم و لم
يخلص مع فیروز منهم إلا عدّه يسيره فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم و هم مستعدون لهم فواقعهم على تلك الحاله
و على ما بهم من الضرّ و الجهد فاستمکنوا منهم و أعظموا النکایه فیهم.

ثم رغب فیروز إلى اخشنوار و سأله أن يمنّ علیه و على من بقى من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله و ميثاقه ألا يغزوه أبدا
فيما يستقبل من عمره؛ و على أنه يحدّ فيما بينه و بين مملكته حدّاً لا تجاوزه جنوده، فرضى اخشنوار بذلك و خلّى سبيله و
انصرف إلى مملكته.

فمكث فيروز برهه من دهره كئيبا، ثم حمله الأنف على أن يعود لغزوه و دعا أصحابه إلى ذلك فردّوه عنه و قالوا: إنك قد عاهدته و نحن نتخوّف عليك عاقبه البغي و الغدر مع ما في ذلك من العار و سوء مقاله.

فقال لهم: إني شرطت له ألا أجوز الحجر الذي جعلته بيني و بينه فأنا أمر بالحجر ليحمل على عجله أمامنا.

فقالوا له: أيها الملك إن العهود و المواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا- تحمل على ما يسر المعطى لها و لكن على ما يعلن المعطى، و إنك إنما جعلت له عهد الله و ميثاقه على الأمر الذي عرفه لا على أمر لم يخطر بباله.

فأبى فيروز و مضى في غزاته حتى انتهى إلى الهياطلة و تصافّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيهم ليكلّمه، فخرج إليه.

فقال له اخشنوار: قد ظننت أنه لم يدعك إلى غزونا إلا الأنف ممّا أصابك و لعمرى لئن كنّا احتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمسنا ممّا أعظم منه، و ما ابتدأناك ببغي و لا ظلم و لا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا و عن حريمنا، و لقد كنت جديرا أن تكون مكافأنا بمنّا عليك و على من معك من نقض العهد و الميثاق الذي و كّدت على نفسك أعظم أنفا و أشدّ امتعاظا ممّا نالك ممّا فإنّا أطلقناكم و أنتم أسرى، و منّا عليكم و أنتم مشرفون على الهلكة، و حقنّا دماءكم و بنا قدره على سفكها، و إنّا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الزاغب إلينا فيه، و المرید لنا عليه؛ ففكر في ذلك، و ميل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشدّ عارا و أقبح سماعا: إن طلب رجل أمرا ينح له، و سلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغيته، و استمكن منه عدوّه على حال جهد و ضيعه منه و ممّن معه فمّن عليهم و أطلقهم على شرط شرطوه و أمر اصطلحوا عليه فاضطرّ لمكروه القضاء، و استحيا من النكث و الغدر؛ أم يقال (1) امرؤ نكث العهد و ختر الميثاق؟

ص: ٢١٧

١- (١) كان في الاصل: أن يقال، و الصواب: أم يقال كما صححناه في المتن لانه عدل ان طلب. منه.

مع أنّي قد ظننت أنّه يزيدك نجاحا ما تثق به من كثره جنودك و ما ترى من حسن عدّتهم و طاعتهم لك و ما أجدني أشكّ أنّهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شخصك بهم عارفون بأنّك قد حملتهم على غير الحقّ، و دعوتهم إلى ما يسخط الله فهم في حربنا غير مستبصرين، و نيّاتهم في مناصحتك اليوم مدخوله، فانظر ما قدر غناء من يقاتل على مثل هذه الحال؛ و ما عسى أن تبلغ نكايته في عدوّه إذا كان عارفا بأنّه إن ظفر فمع عار، و إن قتل فيألي النّار؟ فأنا اذكرك الله الّذي جعلته على نفسك كفيلا، و نعمتي عليك و على من معك(١) بعد يأسكم من الحياه و إشفائكم على الممات، و أدعوك إلى ما فيه حظك و رشدك من الوفاء بالعهد و الاقتداء بابائك الّذين مضوا على ذلك في كلّ ما أحبّوه أو كرهوه فأحمدوا عواقبه و حسن عليهم أثره.

و مع ذلك إنّك لست على ثقة من الظفر بنا، و البلوغ لنهمتك فينا و إنّما تلتمس منّا أمرا نلتمس منك مثله، و تناوىء عدوّا لعلّه يمنح النصر عليك فقد بالغت في الاحتجاج عليك، و تقدّمت الإعداد إليك، و نحن نستظهر بالله الّذي اعتزنا به و وثقنا بما جعلته لنا من عهده إذا استظهرت بكثرة جنودك و ازدهتك عدّه أصحابك، فدونك هذه النّصيحه فوالله ما كان أحد من نصحانك ببالح لك أكثر منها، و لا زائد لك عليها، و لا يحرمّ منك منفعتها مخرجها منّي فإنّه لا يزرى بالمنافع عند ذوى الرأى أن كانت من قبل الأعداء كما لا يحبّب المضارّ إليهم أن تكون على أيدي الأولياء.

و اعلم أنّه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مقاتلي ضعف أحسّه من نفسي، و لا قلّه من جنودى؛ و لكنّي أحببت أن أزداد بذلك حجّجه و استظهارا، و أزداد به من الله النّصر و المعونه استيجابا، و لا أوتر على العافيه و السلامه شيئا ما وجدت إليهما سبيلا.

ص: ٢١٨

١- (١) عطف على الله أى. اذكرك نعمتي عليك و على من معك. منه.

فأبى فيروز إلا- تعلقا بحجته فى الحجر الذى جعله حدًا بينه و بينه و قال: لست ممن يردعه عن الأمر يهّم به و عيّد، و لا يقتاده التهدّد و الترهيب، و لو كنت أرى ما أطلبك غدرا منى ما كان أحد أنظر و لا أشدّ اتقاء منى على نفسى فلا يغزّتك منّا الحال التى صادفتنا عليها فى المرّة الاولى من القلّه و الجهد و الضّعف.

قال اخشنوار: لا- يغزّتك ما تخدع به نفسك من حملك الحجر أمامك فإنّ الناس لو كانوا يعطون العهود على ما تصف من إسرار أمر و إعلان آخر إذا ما كان ينبغى لأحد أن يعتزّ بأمان، و لا يثق بعهد، و إذا لما قبل الناس شيئًا ممّا يعطونه من ذلك؛ و لكنّه وضع على العلانيه و على تيه من تعقد العهود و الشروط له.

فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه: لقد كان اخشنوار حسن المحاوره، و ما رأيت للفرس الذى كان تحته نظيرا فى الدوابّ فإنّه لم يزل قوائمه و لم يرفع حوافره عن موضعها و لا سهل و لا أحدث شيئًا يقطع به المحاوره فى طول ما توافقنا.

و قال اخشنوار لأصحابه: لقد واقفت فيروز كما علمتم و عليه السّلاح كلّه فلم يحرك رأسه، و لم ينزع رجله من ركابه، و لا حنا ظهره، و لا- التفت يمينا و لا شمالا و لقد توزّكت أنا مرارا، و تمطّيت على فرسى و تلفتّ إلى من خلفى، و مددت بصرى فى أمامى و هو منتصب ساكن على حاله، و لولا محاورته إياى لظننت أنّه لا يبصرنى.

و إنّما أرادا بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان فى أهل عسكريهما فيشغلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه.

فلما كان فى اليوم الثانى أخرج اخشنوار الصحيفه التى كتبها لهم فيروز فرفعها على رمح لينظر إليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره و بغيه و يخرجوا من متابعتة، فانتقض عسكر فيروز و اختلفوا و ما لبثوا إلا يسيرا حتّى انهزموا و قتل منهم خلق كثير و هلك فيروز، فقال اخشنوار: لقد صدق الذى قال: لا رادّ لما قدر، و لا أشدّ إحاله لمنافع الرأى من الهوى و اللجاج، و لا أضيع من نصيحه

يمنحها من لا- يوطن نفسه على قبولها و الصبر على مكروهاها، و لا أسرع عقوبه و لا أسوأ عاقبه من البغي و الغدر، و لا أجنب لعظيم العار و الفضوح من إفراط الفخر و الأنفه.

و قد مضى وجه آخر فى تفسير كلامه هذا فى ضمن بيان المصادر، و يحتمل الوجهين قوله عليه السّلام المنقول من الكافى و نصر و الطبرى و المفيد آنفا فى ذكر المصادر:

فلو لا- إقبالكم بعد إدباركم و كركم بعد انحيازكم و جب عليكم ما و جب على المولى يوم الزحف دبره و كنتم فيما أرى من الهالكين.

و الشارح البحرانى احتمل فى تفسير قوله عليه السّلام: «لا- تشتدّ عليكم فزه بعدها كزه» وجهاً آخر سوى الوجهين اللذين اخترناهما فقال:

و يحتمل أن يريد فلا تشتدّ عليكم فزه من عدوّكم بعدها كزه منه عليكم فإنّ تلك الكزه لما كانت عقيب الفزه لم تكن إلا عن قلوب مدخوله و نيات غير صحيحه و أنّما قدّم الفزه فى هذا الاحتمال لأنّ مقصوده تحقير تلك الكزه بذكر الفزه و كان ذكرها أهم فلذلك قدّمت و كذلك قوله: و لا جوله بعدها حملة. انتهى.

و أقول: قد علمت أنّ أمير المؤمنين عليّاً تاره يوصى عسكره و يوقظهم بأن لا يعزّنكم فرار الخصم فإنّه ربّما يكون من مكائد الحرب لأنّ الخصم ربّما يوليكم الدبر ليخيلكم أنّه منهزم ثمّ يعطف و يشدّ عليكم؛ كما رواه الكلينى فى الجامع الكافى عنه عليه السّلام حيث قال: و لا يشدّون عليكم كزه بعد فزه و لا حملة بعد جوله.

و تاره يوصيهم و يحثّهم إذا رأيت المصلحه فى أن تولّوهم الأدبار لكى توهموهم الانهزام حتّى إذا أمكنتهم الفرصه تكزّون عليهم فلا يشتدّ عليكم هذا النحو من الفرار الذى هو من مكائد الحرب أى لا تحسبوه عارا حتّى يستصعب عليكم هذا الفرار كما هو المروى فى النهج قال عليه السّلام: لا تشتدّ عليكم فزه بعدها كزه، و لذا كانت العبارتان متعاكستين، و قد علمت أنّ قوله فى النهج كان ناظرا إلى قوله

تعالى «إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ»، و الروايات كالايات يفسر بعضها بعضا، و روايه الكافي هذا و الروايه المتقدمه الحاويه قوله عليه السلام: فلو لا إقبالكم بعد إدباركم و كركم بعد انحيازكم - إلخ، و قوله تعالى إلّا متحرّفا لقتال تدلّ على أنّ معنى ما فى النهج هو الذى قدّمناه أولا، و كان للجملتان معنى صحيح آخر ذكرناه فى ضمن بيان المصادر و كان معنيهما متعاكسين أيضا، و لا يجرى هذا الاحتمال الثالث فى قوله المروى فى الكافي، و لو يفسر ما فى النهج به لوجب أن يقال لا تشتدّن عليكم كره بعد فزه.

على أنّ لأساليب الكلام معنى يتبادر إليه الذهن من غير تكلف و ما من كلام إلّا أمكن فيه تقدير وجوه من المعانى البعيده فيخرج حينئذ عن الفصاحه و الجوده و بالجمله إذا تأملت فيما قدّمنا و فى سيره أهل الحرب يظهر لك أنّ ما ينبغى أنّ تفسّر الجملتان هو المعنيان المختاران.

قوله عليه السلام: «و أعطوا السيوف حقوقها» لا يخفى عليك أنّ هذا الفصل من مختار كلامه عليه السلام يفيد ثلاثه مطالب: الأوّل أنّ الحرب خدعه فالفرار منها إذا كان موجبا لتغيير الخصم و هلاكه لا ينبغى أن يستصعب و يحسب عارا، الثانى أنّ على المجاهد أن يراعى امورا، الثالث أنّ هؤلاء المحاربين للإمام كانوا كافرين إلّا أنّهم أسروا كفرهم، أمّا الأوّل فقد مضى مفضلا، و أمّا الثالث فسيأتى بيانه، أمّا الثانى فقد ذكر أربعة منها: الأوّل أن يعطوا السيوف حقوقها هذا تحريض على الجّد فى القتال أى إذا ضربتم بها فاحكموا الضرب، و اضربوا ضربه منكروه و إعطاءها حقوقها كناية عن هذا النحو من الضرب، فجعل للسيف حقا و هو ما ينبغى أن يستفاد منه ثم أمرهم باعطاء حقّها فإذا لم يضربوا بها على ما كان الحرّى بها جدّا فكأنّهم خانوها، كما يقال أيضا: إنّ سيف فلان لم يخنه، أى إنّ لشده حدّته و جودته فعل ما أراد منه صاحبه كما قال نهشل بن حرّى النهشلى فى قصيده يرثى بها أخاه مالكا رحمه الله و قد قتل بصفين بحضره أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام قتله الفئه الباغيه:

أخ ما جد لم يخزنى يوم مشهد كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

و هوّن وجدى عن خليلي إننى إذا شئت لا قيت امرء مات صاحبه

قوله عليه السّلام: «و وطنوا للجنوب مصارعها» هذا هو الثانى من الامور أمرهم بها، الظاهر من كلامه عليه السّلام أنه حثهم و نشطهم على الإحكام فى الضرب، و إن شئت قلت: هذا تأكيد و تشديد فى الأمر الأوّل أى أدوا حقوق السيوف و اضربوا بها ضربه و احكموا الضرب إلى حدّ تطرحوا بها جنوب الأعداء على مصارعهم و تجعلوا مصارعهم أوطانا لهم أى بحيث لا يقدر الصّيرعى أن يقوموا من الأرض فكأنهم أخذوها أوطانا لهم أو مهّدوا مصارعهم لجنوبهم أى اجعلوها ممهده لسقوطهم عليها بضروبكم المنكره و المال واحد و إن كان الأوّل ألصق و أنسب بسياق الكلام إن لم يكن متعينا، هذا ما ينادى به اسلوب الكلام.

و قال الشارح البحرانى: و المعنى أن يوطنوا لجنوبهم مصارعها أى يتخذوا مصارع جنوبهم أوطانا لها و هو كناية عن الأمر بالعزم الجازم على القتل فى سبيل الله و الإقدام على أهوال الحرب إذا كان اتّخاذ المصارع أوطانا للجنوب مستلزما لذلك العزم و الإقدام.

و احتذى على مثاله المجلسى فى فتن البحار (ص ٦٢٦ ج ٨ من الطبع الكمباني) حيث قال: أى اجعلوا مصارع الجنوب و مساقطها وطننا لها أو وطننا لها أى استعدّوا للسقوط على الأرض و القتل كناية عن العزم على الحرب و عدم الاحتراز عن مفاستها. انتهى.

و هذا كما ترى لا يناسب تحريض العسكر على الجهاد و حثهم على القتال، أرأيت أن أمر أمير عسكره بالاستعداد للسقوط على الأرض لا- يوجب و هنهم؟ و لو سلّم أنّ فيه تشجيعا بالعزم الجازم على الإقدام على أهوال الحرب و القتال فى سبيل الله تعالى فسوق الكلام يأبى عن ذلك الحمل.

قوله عليه السّلام: «و اذمروا أنفسكم على الطعن الدّعى، و الضرب الطّلىخفى» هذا ثالث الامور أمرهم بها، حثهم عليه السلام أن يحضّوا و يوطنوا أنفسهم على الجّد

فى الطعن بالرّماح و الضرب بالسّيوف و يوبّخوها على الفشل و الضّعف، حتّى يتشّمروا للطعن بالرّماح على الأعداء بحيث يظهر أثره و يحشى به أجوافهم، و يتهيئوا لإيقاع الضرب الشديّد بالسّيوف عليهم.

ثمّ بالتأمّل الصحيح فى سياق هذه الامور الثلاثه يعلم أنّ مساقها واحد، و مفادها فارد، و الحقّ أن يقال أنّها ملتقطه من روايات شتى كما قد أتينا بها فى بيان مصادرها.

قوله عليه السّلام: «و أميتوا الأصوات فإنّه أطرّد للفشل» هذا رابع الامور أمرهم بها، أى اخفضوا الأصوات و عنّوها فإنّ اخفائها أولى بالوقار و أطرّد للفشل و أذهب بالوهل و إنّ شدّه الضوضاء فى الحرب أماره الخوف و الوجل.

و فى كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبه (ص ١٠٨ ج ١) أنّ قوما استشاروا أكثم بن صيفى فى حرب قوم أرادوهم و سألوه أن يوصيهم فقال: أقلّوا الخلاف على امرائكم، و اعلموا أنّ كثرة الصّياح من الفشل، و المرء يعجز لا محاله تثبتوا فإنّ أحزم الفريقين الرّكين، و ربّه عجله تعقب ريثا، و اتّزروا للحرب، و ادّرعوا اللّيل فأنه أخفى للويل، و لا جماعه لمن اختلف عليه.

و قال ابن قتيبه بعد نقل ما قاله أكنم: قال بعض الحكماء: قد جمع الله لنا أدب الحرب فى قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا رَسُولَهُ وَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَا صَبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الأنفال ٤٨-٤٩).

و قال: حدّثنى محمّد بن عبيد قال: حدّثنا معاويه بن عمرو، عن أبى إسحاق عن الأوزاعى قال: قال عتبه بن ربيعه يوم بدر لأصحابه: ألا ترونهم - يعنى أصحاب النّبى صلّى الله عليه و اله - جثيا على الرّكب كأنّهم خرس يتلمّظون تلمّظ الحيات، قال: و سمعتهم عائشه يكبرون يوم الجمل فقالت: لا تكثروا الصّياح فإنّ كثرة التّكبير عند اللّقاء من الفشل.

قوله عليه السّلام: «و الذى فلق الحبّه - إلخ» هذا هو المطلب الثالث الموعود بيانه

و فى بعض النسخ: فالذى بالفاء و هو من تصرفات النساخ أتوا بالفاء ليرتبط الذيل بالصدر و قد غفلوا أنّ. كلامه هذا ليس بمقاله فارده بل ملتقطه من عدّه مقالات مرويه عنه عليه السّلام.

و كان عليه السّلام كثيرا ما يحلف بقوله و الّذى فلق الحبّه و برأ النسمه إذا اجتهد فى يمينه و هذا ممّا لم يسمع من غيره أن يقسموا به و كان عليه السّلام متفرّدا بإنشائه و الحلف به.

و قد دريت أنّه عليه السّلام قال كلامه هذا فى صّفين لمّا رفع عمرو بن العاص شقّه قميصه سوداء فى رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله صلّى الله عليه و اله - إلى آخر ما نقلنا فى ذكر مصادر هذا الفصل عن كتاب صّفين لنصر بن مزاحم المنقرى و أشار عليه السّلام بقوله: «فأخذها فقد و الله قربه من المشركين و قاتل به اليوم المسلمين» إلى أنّ القوم كانوا كافرين.

ثمّ إنّ سياق الكلام يقتضى افراد الأفعال و الضمائر إلّا أنّه عدل من الأفراد إلى الجمع تنبيها على أنّ عمرو بن العاص و معاويه بن أبى سفيان و أشياعهما و أشباههما ما أسلموا واقعا بقلوبهم و لكن استسلموا أى أظهروا الإسلام بألسنتهم فى زمن رسول الله صلّى الله عليه و اله و انقادوه خوفا من السيف و كانوا قد أسروا كفرهم لأنهم لم يجدوا أعوانا عليه حتّى يظهره فلمّا وجدوهم أظهره و كان كلامه عليه السّلام المروى آنفا عن صّفين لنصر حيث قال: «و قد نصبوا لنا الحرب و جدّوا فى إطفاء نور الله و الله متمّ نوره و لو كره الكافرون» مشعرا بكفرهم كما لا يخفى.

و قد مرّ كلام ابن الحنفية المنقول عن كتاب صّفين لنصر فى ذكر المصادر أنّه قال: لمّا أتاهم الله من أعلى الوادى و من أسفله و ملأ الأودية كتائب استسلموا حتّى وجدوا أعوانا، و كذا كلام عمّار رضوان الله عليه، و سيأتى كلام الأمير عليه السّلام فى الكتاب التالى إلى معاويه: و لمّا أدخل الله العرب فى دينه أفواجا و أسلمت له هذه الأمّة طوعا و كرها كنتم ممّن دخل فى الدّين إمّا رغبة و إمّا رهبة - إلخ.

و راجع إلى باب ما ورد في كفر معاوية و عمرو بن العاص و أوليائهما من المجلد الثامن من البحار (ص ٥٦٠-٥٧١ من الطبع الكمباني).

و قال الفاضل الشارح المعتزلي: و هذا يدل على أنه عليه السلام جعل محاربتهم له كفرا. انتهى.

أقول: هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السلام صريح في أن القوم كانوا كافرين و لا يدل على أن من حاربه فهو كافر نعم إن محاربتهم له عليه السلام توجب كفرا و محاربيه كفره بالأدلة التي قدمناها في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٣٦٧-٣٧٩ ج ١٥) و في شرح المختار الثاني من باب الكتب و الرسائل (ص ٧٦-٨٠ ج ١٦).

و أرسل معاوية كتابا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام و ذلك كان لما دعى الناس من حيله عمرو بن العاص و روغانه إلى كتاب الله و كتب فيما كتب فيه: و اقطع لهذه الفتن فاتق الله فيما دعيت له و ارض بحكم القرآن إن كنت من أهله. و السلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين علي عليه السلام كتابا جوابا عن كتابه، و من جملته:

إنك قد دعوتني إلى حكم القرآن و لقد علمت أنك لست من أهل القرآن - إلخ.

و قد نقلهما نصر في كتاب صفين (ص ٢٦٧).

و روى نصر في صفين (ص ١٦٧) عن يحيى، عن علي بن حزور، عن الأصبح بن نباته قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوه واحده و الرسول واحد و الصلاه واحده و الحج واحد فبم نسئهم؟ قال: نسئهم بما سئاهم الله في كتابه، قال: ما كل ما في الكتاب أعلمه، قال: أما سمعت الله قال: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» - إلى قوله - «و لو شاء الله ما اقتتل الذين من بعديهم من بعدي ما جاءتهم البينات و لكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من كفر» فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله و بالكتاب و بالنبى و بالحق فنحن الذين آمنوا و هم الذين كفروا و شاء الله قتالهم فقاتلناهم هدى بسنة الله ربنا و إرادته.

أقول: ورواه نصر بن بن مزاحم في صفين عن الأصمغ ظاهره في أنّ الرجل سأل الأمير عليه السّلام عن القاسطين، وقد روى نحوه الشيخ الأجلّ المفيد في المجلس الثاني عشر من أماليه (ص ٥٩ طبع النجف) أنّ الرجل سأله عليه السّلام عن الناكثين حيث قال: حدّثنا أبو الحسن بلال المهلبى رحمه الله يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شعبان سنة ثلاث و خمسين و ثلاثمائه قال: حدّثنا محمّد بن الحسين بن حميد بن الرّبيع اللحى قال: حدّثنا سليمان بن الرّبيع النهديّ قال: حدّثنا نصر بن مزاحم المنقريّ قال: حدّثنا يحيى بن يحيى الأسلمى، عن عليّ بن الحرّور، عن الأصمغ بن نباته رحمه الله قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بالبصرة فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم - إلخ - على حدّوا الزّوايه الاولي من نصر في صفين.

و من الممكن أنّ السؤال وقع عن كلّ واحده من الطائفتين فقد سأله رجل عن الناكثين في البصره، و ذلك الرجل أو آخر سأله عن القاسطين، أو السؤال كان عن إحداهما فاشتبه الأمر على الزّاوى و أسند تاره إلى هؤلاء و تاره إلى هؤلاء أو يقال: إنّ ما في كتاب صفين مطلق مرسل فأنّه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، فهو يشمل الطائفتين و لمّا رأى نصر أنّ السؤال الذى كان من الرجل عن الناكثين جار في القاسطين أيضا فما سئل الأمير عليه السّلام في البصره أتى به في صفين لاتّحاد الحكم فيهما و الحقّ أنّ جواب الأمير عليه السّلام الرّجل جار في محاربيّ عليّ عليه السّلام سواء كانوا من الطوائف الثلاث الناكثين و القاسطين و المارقين أو غيرهم.

و في بشاره المصطفى لشيعة المرتضى (ص ٢٣٥ من طبع النجف): بإسناده عن الأصمغ بن نباته أنّه قال أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام في بعض خطبه: أيّها الناس اسمعوا قولى و اعقلوه - إلى أن قال: لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلّى الله عليه و اله أنّ الناكثين و القاسطين و المارقين ملعونون على لسان النّبىّ الأمّى «وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى».

أمیر علیه السلام در هنگام کارزار به لشکریانش تعلیم می داد که: گریختن و عقب نشینی که پس از بازگشت و حمله بر دشمن باشد بر شما سخت و ناگوار نباشد و از آن ننگ نداشته باشید - یا اگر از دشمن شکست خوردید و رو بگریز گذاشتید از برگشتن و جنگیدن و تدارک گذشته کردن شرم نکنید و آنرا دشوار میندازید، حق شمشیرها را بدهید، و پهلوی دشمنان را بر خاک هلاک جای دهید، و خودتان را بر نیزه زدنی که بدرون دشمن رسد و کارگر شود، و بشمشیر زدن سخت بر آنها وادار کنید و آماده سازید، و آوازه را بمیرانید و صدا بلند نکنید که ترس را بهتر و بیشتر راننده تر و دور کننده تر است، سوگند به آنکه دانه را شکافت و آدمی را آفرید این قوم منافق اسلام نیاوردند و از ترس و حفظ جان خود گردن نهادند و بظاهر دعوی اسلام کردند و کفر را در دل پنهان داشتند تا چون اکنون یاری کنندگان و پشتیبانان بر آن یافتند آشکارش کردند و پرچم مخالفت برافراشتند.

و من کتاب له علیه السلام الی معاویه جوابا عن کتاب منه الیه

اشاره

و هو المختار السابع عشر من باب الكتب و الرسائل و أما طلبك إلی الشام فإنی لم أكن لاعطیک الیوم ما منعتك أمس. و أما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلاّ حشاشات أنفس بقیة ألامن أكله الحق فإلی النار. و أما استوائنا فی الحرب و الرجال فلست بأمضی علی الشک منی

ص: ۲۲۷

على اليقين. و ليس أهل الشّام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الاخره. و أمّا قولك إنّنا بنو عبد مناف فكذلك نحن و لكن ليس أمّيّه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبي طالب، و لا المهاجر كالطّليق، و لا الصّيريح كاللّصيق، و لا المحقّق كالمبطل و لا المؤمن كالمدغل، و لبئس الخلف خلف يتّبع سلفا هوى في نار جهنّم. و في أيدينا بعد فضل النّبوه الّتي أدلّنا بها العزيز، و نعشنا بها الدّليل. و لمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجا، و أسلمت له هذه الأّمه طوعا و كرها كنتم ممّن دخل في الدّين إمّا رغبه و إمّا رهبه على حين فاز أهل السّبق بسبقهم، و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم. فلا تجعلنّ للشّيطان فيك نصيبا، و لا على نفسك سيّلا.

الماخذ

روى الكتّابين سليم بن قيس الكوفى المتوفى حدود سنه ٩٠ هـ كما فى الكتاب المنسوب إليه (١٧٤ من طبع النجف).

و نصر بن مزاحم المنقرى الكوفى المتوفى ٢١٢ هـ فى كتاب صفين (ص ٢٥٢ من الطبع الناصرى)

ص: ٢٢٨

و ابن قتيبه الدّينوري المتوفّى ٢٧٦ هـ في كتاب الإمامه و السياسه المعروف بتاريخ الخلفاء (ص ١١٧ و ١١٨ ج ١ من طبع مصر ١٣٧٧ هـ).

و عليّ بن الحسين بن عليّ المعروف بالمسعوديّ المتوفّى ٣٤٦ هـ في مروج الذهب (ص ٦٠ و ٦١ ج ٢ من طبع مصر ١٣٤٦ هـ).

و الشيخ الجليل أبو الفتح محمّد بن عليّ المعروف بالكراجكي المتوفّى ٤٤٩ هـ و قد كان عاصر الرّضى، في كتابه كنز الفوائد (ص ٢٠١ من الطبع الحجري في إيران ١٣٢٢ هـ).

و أتى المجلسيّ رحمه الله بروايه سليم بن قيس في ثامن البحار (ص ٥٢٠ من الطبع الكمباني)، و بروايه نصر في ص ٥٤٥ من ذلك المجلّد.

و لا- بدّ لنا من الإتيان ببعضها و الإشارة إلى اختلاف نسخها لأنّ معنى الكتاب الصحيح يتوقّف عليهما، و بذلك يعرف أيضا صحه نسخ، و تحريف اخرى، فدونك ما رواه نصر في صفّين عن عمر في إسناده قال: و كان من أهل الشّام بصفّين رجل يقال له الأصبغ بن ضرار الأزدي، و كان يكون طليعه و مسلحه لمعاويه، فندب عليّ له الأشتر فأخذه أسيرا من غير أن يقاتل، و كان عليّ ينهى عن قتل الأسير الكاف؛ فجاء به ليلا و شدّد وثاقه و ألقاه مع أضيافه ينتظر به الصّباح، و كان الأصبغ شاعرا مفوها، و نام أصحابه، فرفع صوته فأسمع الأشتر فقال:

ألا ليت هذا اللّيل اطبق سرمدا على النّاس لا يأتّيهم بنهار

يكون كذا حتّى القيامه إننى احاذر في الإصباح ضرمه نار

فيا ليل طبّق إنّ في اللّيل راحه و في الصبح قتلى أو فكاك اسارى

و لو كنت تحت الأرض ستّين واديا لما ردّ عنّى ما أخاف حذارى

فيا نفس مهلا إنّ للموت غايه فصبرا على ما ناب يا ابن ضرار

أ أخشى ولى في القوم رحم قريبه أبى الله أن أخشى و الأشتر جارى

و لو أنّه كان الأسير ببلده أطاع بها شمّرت ذيل إزارى

و لو كنت جار الأشعث الخير فكّنى و قلّ من الأمر المخوف فرارى

و جار سعيد أو عدى بن حاتم و جار شريح الخير قرّ قرارى

و جار المرادى العظيم و هانىء و زحر بن قيس ما كرهت نهارى

و لو أننى كنت الأسير لبعضهم دعوت رئيس القوم عند عثارى

اولئك قومی لا عدمت حياتهم و عفوهم عنى و ستر عوارى

فغدا به الأشر على على فقال: يا أمير المؤمنين هذا رجل من المسلحة لقيته بالأمس فوالله لو علمت أنّ قتله الحقّ قتلته؛ و قد بات عندنا الليله و حركنا فإن كان فيه القتل فاقتله و إن غضبنا فيه و إن كنت فيه بالخيار فهبه لنا، قال: هو لك يا مالك، فإذا أصبت أسيرا فلا- تقتله فإنّ أسير أهل القبلة لا يفاد، أولا يقتل، فرجع به الأشر إلى منزله و قال: لك ما أخذنا معك ليس لك عندنا غيره.

قال: و ذكروا أنّ عليا أظهر أنّه مصبح غدا معاويه و مناجزه فبلغ ذلك معاويه و فرغ أهل الشام لذلك و انكسروا لقوله، و كان معاويه بن الضحّاك بن سفيان صاحب رايه بنى سليم مع معاويه و كان مبغضا لمعاويه و كان يكتب بالأخبار إلى عبد الله بن الطفيل العامرى و يبعث بها إلى على عليه السلام فبعث إلى عبد الله بن الطفيل أنّى قائل شعرا أذعر به أهل الشام و اذعر (أرغم - خ) به معاويه، و كان معاويه لا يتهمه و كان له فضل و نجده و لسان فقال ليلا لسمع أصحابه:

ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدا علينا، و أنا لا نرى بعده غدا

و يا ليته إن جاءنا بصباحه وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعدا

حذار علىّ إنّ غير مخلف مدى الدهر مالبى الملبون موعدا

فأما فرارى فى البلاد فليس لى مقام و لو جاوزت جابلق مصعدا

كأنى به فى الناس كاشف رأسه على ظهر خوّار الرّحاله أجردا

يخوض غمار الموت فى مرحجته ينادون فى نقع العجاج محمدا

فوارس بدر و النضير و خيبر و احد يردون الصّفيح المهندا

و يوم حنين جالدوا عن نبيهم فريقا من الأحزاب حتّى تبدّدا

هنالك لا تلوى عجز على ابنها و إن أكثرت فى القول نفسى لك الفدا

فقل لابن حرب ما الذى أنت صانع أثبتت أم ندعوك فى الحرب قعددا؟

و ظننى بأن لا يصبر القوم موقفا نفقه و إن لم نجز فى الدهر للمدا

فلا رأى إلا تركنا الشام جهره و إن أبرق الفجفاج فيها و أرعدا

فلما سمع أهل الشام شعره أتوا به معاوية فهمم بقتله، ثم راقب فيه قومه و طرده عن الشام فلحق بمصر و ندم معاوية على تسييره
إيابه، و قال معاوية: و الله لقول السلمي (لشعر السلمي - خ) أشد على أهل الشام من لقاء علي ماله قاتله الله لو أصاب خلف
جابلق مصعدا نفذه - و جابلق مدينه بالمشرق و جابلص مدينه بالمغرب ليس بعد هما شىء.

و قال الأشتر حين قال علي عليه السلام: إننى مناجز القوم إذا أصبحت:

قد دنا الفضل فى الصباح و للسلم رجال و للحرب رجال

فرجال الحروب كل خدب مقحم لا تهده الأهوال

يضرب الفارس المدحج بالسيف إذا فل فى الوغا الأكفال

يا ابن هند شد الحيازيم للموت و لا يذهبن بك الامال

إن فى الصبح إن بقيت لأمرنا تفادى من حوله الأبطال

فيه عز العراق أو ظفر الشام بأهل العراق و الزلزال

فاصبروا للطعان بالأسل السمر و ضرب يجرى به الأمثال

إن تكونوا قتلتم النفر البيض و غالت اولئك الاجال

فلنا مثلهم و إن عظم الخطب قليل أمثالهم أبدال

يخضبون الوشيع طعنا إذا جرّت للموت بينهم أذيال

طلب الفوز فى معاد و فى ذا تستهان النفوس و الأموال

فلما انتهى إلى معاوية شعر الأشتر قال: شعر منكر من شاعر منكر رأس أهل العراق و عظيمهم و مسعر حربهم و أول الفتنة و
آخرها، و قد رأيت أن أكتب إلى علي كتابا أسأله الشام و هو الشىء الأول الذى ردنى عنه و القى فى نفسه الشك و الرقة.

فضحك عمرو بن العاص ثم قال: أين أنت يا معاوية من خدعه عليّ؟ فقال: ألسنا بنى عبد مناف؟ قال: بلى، ولكنّ لهم النبوه دونك و إن شئت أن تكتب فاكتب فكتب معاوية إلى عليّ مع رجل من السّيكاسك يقال له عبد الله بن عقبه و كان من ناقله أهل العراق فكتب:

أمّيا بعد فإني أظنّك أن لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت و علمنا لم يجنّها بعضنا على بعض، و إن كُنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به ما مضى و نصلح ما بقي، و قد كنت سألتك الشّام على أن لا تلزمني لك طاعه و لا بيعه فأبيت ذلك عليّ فأعطاني الله ما منعت؛ و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإني لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلّا ما تخاف، و قد و الله رقت الأجناد و ذهبت الرّجال، و نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يستدلّ به عزيز، و لا يسترقّ به حرّ و السّلام.

فلما انتهى كتاب معاوية إلى عليّ عليه السّلام قرأه ثم قال: العجب لمعاوية و كتابه ثم دعا عليّ عليه السّلام عبيد الله بن أبي رافع كاتبه فقال: اكتب إلى معاوية:

أمّيا بعد فقد جاني كتابك تذكر أنّك لو علمت و علمنا أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض، فإنا و إيّاك منها في غايه لم تبلغها (لم تبلغها - ظ)، و إنّي لو قتلت في ذات الله و حييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مره لم أرجع عن الشّدّه في ذات الله و الجهاد لأعداء الله.

و أمّا قولك: إنّه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى فإني ما نقضت عقلي، و لا ندمت على فعلي؛ فأما طلبك الشّام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس.

و أمّيا استواؤنا في الخوف و الرّجاء فإنّك لست بأمضى على الشّكّ منّي على اليقين، و ليس أهل الشّام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخره.

و أما قولك: إنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل فلعمري إنا بنو أب واحد و لكن ليس اميّه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبي طالب، و لا المهاجر كالتليق، و لا المحقّ كالمبطل، و في أيدينا فضل النبوه التي أذلنا بها العزيز، و أعزنا بها الدليل. و السلام.

نصر، عن عمر بن سعد، عن نمير بن و عله قال: فلما أتى معاويه كتاب عليّ عليه السلام كتبه عن عمرو بن العاص أياما ثم دعاه بعد ذلك فأقرأه الكتاب فشمت به عمرو و لم يكن أحد من قريش أشدّ تعظيما لعليّ عليه السلام من عمرو منذلقه و صفح عنه فقال عمرو بن العاص فيما كان أشار به على معاويه شعرا.

ألا لله درّك يا ابن هند و درّ الأمرين لك الشهود

أ تظم لا أبا لك في عليّ و قد قرع الحديد على الحديد

و ترجو أن تخبره بشكّك و ترجو أن يهابك بالوعيد

و قد كشف القناع و جرّ حربا يشيب لهو لها رأس الوليد

له جأواء مظلمه طحون فوارسها تلهّب كالاسود

يقول لها إذا دلفت إليه و قد ملّت طعان القوم عودي

فإن وردت فأولها و رودا و إن صدرت فليس بذى صدود

و ماهي من أبي حسن بنكر و ما هي من مسائك بالبعيد

و قلت له مقاله مستكين ضعيف الرّكن منقطع الوريد

دعنّ الشام حسبك يا ابن هند من السوءات و الرأى الزّهيد

و لو أعطاكها ما ازددت عزّا و لا لك لو أجابك من مزيد

و لم تكسر بذاك الرأى عودا لرّكته و لا ما دون عود

فلما بلغ معاويه قول عمرو دعاه فقال: يا عمرو إنني قد أعلم ما أردت بهذا قال: ما أردت؟ قال: أردت تفييل رأبي و إعظام عليّ و قد فضحك، فقال: أما تفييلي رأيك فقد كان، و أما إعظامي عليّا فإنّك باعظامه أشدّ معرفه منّي و لكنّك تطويه و أنا أنشره، و أما فضيحتي فلم يفتضح امرؤ لقي أبا حسن، و قد كان معاويه

شمت بعمر و حيث لقي من علي عليه السلام ما لقي فقال عمرو في شماته معاويه:

معاوى لا تشمت بفارس بهمه لقي فارسا لا تعتريه الفوارس

معاوى إن أبصرت في الخيل مقبلا أبا حسن يهوى دهتك الوسوس
و أيقنت أن الموت حقّ و أنه لنفسك إن لم تمض في الرّكض حابس

فإنك لو لاقيته كنت بومه اتيح لها صقر من الجوّ آنس

و ما ذا بقاء القوم بعد اختباطه و إنّ امرأ يلقى عليا لايس

دعاك فصمتّ دونه الاذن هاربا فنفسك قد ضاقت عليها الأمالس

و أيقنت أن الموت أقرب موعد و أنّ التي ناداك فيها الدّهارس

و تشمت بي أن نالني حدّ رمحه و عضضني ناب من الحرب ناهس

أبي الله إلاّ أنّه ليث غابه أبو أشبل تهدي إليه الفرائس

و إنّني امرؤ باق فلم يلف شلوه بمعترك تسفى عليه الرّوامس

فإن كنت في شكّ فأدهج عجاجه و إلاّ فتلك التّرهات البساس

و كتاب معاويه في نسخه الإمامه و السياسه يخالف ما في كتاب صفين في الجمله ففيه: لو علمت أن الحرب تبلغ و لم يأت بلفظه
«و علمنا» كما أتى بها في صفين.

و فيه: فلنا منها ما ندمّ به - و كان في صفين «مانندم به».

و فيه: و قد كنت سألتك ألاّ يلزمني - و كان في صفين «و قد كنت سألتك الشّام على أن لا تلزمني».

و فيه: و إنّني أدعوك إلى - و كان في صفين «و أنا أدعوك اليوم إلى» و فيه: فإنك لا ترجو من البقاء إلاّ ما أرجو، و لا تخاف
من الفناء إلاّ ما أخاف - و كان في صفين بعكس ذلك، و التأمل الصحيح يقضى بأن نسخه نصر كانت أمتن و أبلغ.

صوره كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام علي

ما في الامامه و السياسه

قال الدّينوري: فلمّا انتهى كتابه - يعني كتاب معاويه المقدم نقله - إلى

علّي عليه السّلام، دعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، فقال: اكتب: أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنّك لو علمت و علمنا أنّ الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض، و إنا و إيّاك في غايه لم نبلغها بعد، و أمّا طلبك إلى الشام فإني لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس، و أمّا استواؤنا في الخوف و الرّجاء فإنّك لست أمضى على الشكّ منّي على اليقين، و ليس أهل الشام بأحرص من أهل العراق على الآخره، و أمّا قولك: إنا بنو عبد مناف فكذلك و لكن ليس أميّه كهاشم، و لا حرب كعبد المطّلب و لا أبو سفيان كأبي طالب، و لا المهاجر كالطّليق، و لا المحقّ كالمبطل، و في أيدينا فضل النبوه التي قتلنا بها العزيز، و بعنابها الحرّ. و السّلام.

نسخه الكتابين على ما في كتاب سليم بن قيس

قال سليم: ثمّ إنّ عليّا عليه السّلام قام خطيبا فقال: أيّها الناس إنّّه قد بلغكم ما قد رأيتم و بعدوكم كمثل فلم يبق إلاّ آخر نفس و إنّ الامور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها و قد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغوا فيكم ما قد بلغوا و أنا غاد عليهم بالغداه إنّ شاء الله و محاكمهم إلى الله فبلغ ذلك معاويه ففرع فزعا شديدا و انكسر هو و جميع أصحابه و أهل الشام لذلك فدعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنّما هي الليله حتّى يغدوا علينا فما ترى؟ قال: أرى الرّجال قد قلّوا، و ما بقي فلا يقومون لرجاله و لست مثله و إنّما يقا تلک على أمر و أنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء و ليس يخاف أهل الشام عليّا إنّ ظفر بهم ما يخاف أهل العراق إنّ ظفرت بهم، و لكن ألق إليهم أمرا فإن ردّوه اختلفوا و إن قبلوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله و ارفع المصاحف على رءوس الرّماح فإن بالغ حاجتك فإني لم أزل أدّخرها لك.

فعرّفها معاويه و قال: صدقت و لكن قد رأيت رأيا أخدع به عليّا طلبى إليه الشام على الموادعه و هو الشىء الأول الذى ردّنى عنه.

فضحك عمرو و قال: أين أنت يا معاوية من خديعه عليّ؟ وإن شئت أن تكتب فاكتب.

قال: فكتب معاوية إلى عليّ عليه السّلام كتابا مع رجل من أهل السّكاسك يقال له عبد الله بن عقبه: أما بعد فأنتك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت و علمناه نحن لم يجنها بعضنا على بعض و إن كُنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي منها ما نرم به ما مضى و نصلح ما بقي، و قد كنت سألتك الشام على أن لا تلزمني لك طاعه و لا بيعه فأبيت ذلك فأعطاني الله ما منعت و أنا أدعوك إلى ما دعوتك إليه أمس فأنتك لا- ترجو من البقاء إلّا ما أرجوه و لا تخاف من الفناء إلّا ما أخاف، و قد و الله رقت الأكباد و ذهب الرّجال، و نحن بنو عبد مناف و ليس لبعضنا على بعض فضل يستدلّ به عزيز و لا يسترّق به ذليل. و السلام.

قال سليم: فلما قرأ عليّ عليه السّلام كتابه ضحك و قال: العجب من معاوية و خديعته لى فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال له: اكتب: أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنّك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا و بك إلى ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، و إنّنا و إيّاك يا معاوية على غايه منها لم نبلغها بعد، و أمّا طلبك الشام فأنّي لم أعطك اليوم ما منعتك أمس، و أمّا استواؤنا في الخوف و الرّجاء فأنتك لست بأمضى على الشك منى على اليقين و ليس أهل الشام أحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخره، و أمّا قولك: إنّنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض فكذلك نحن و لكن ليس امّيه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبي طالب، و لا الطليق كالمهاجر، و لا المنافق كالمؤمن، و لا المبطل كالمحق، في أيدينا فضل النبوه التي ملكنا بها العرب، و استعبدنا بها العجم و السلام.

و كتاب معاوية على نسخه المسعودي: «و إنّنا و إن كُنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا ما نردّ به ما مضى» «على أن لا تلزمني لك طاعه و أنا أدعوك اليوم» «و ذهبت الرّجال» «و يسترّق به حرّ، و السلام» و سائر العبارات يطابق نسخه سليم.

و كتاب أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام على نسخته «و أنا و إيّاك نلتمس منها غايه لم نبلغها بعد»، «و ليس أهل الشام على الدّنيا بأحرص» «و ليس أمّيّه» «و فى أيدينا فضل النبوه الّتى قتلنا بها العزيز و بعنا بها الحرّ و السّلام» و سائر عباراته يوافق نسخه سليم.

و نسخه كتاب الأمير عليه السّلام من الكراچكى فى الكنز تطابق نسخه المسعودى فى المروج، و أمّا نسخه كتاب معاويه فى الكنز: «فقد بقى لنا ما نرم به ما مضى» كما فى نسخه سليم «يستدلّ به عزّ و لا يسترّق به حد (حرّ - ظ) و السّلام» و البواقى توافق نسخه المسعودى.

أقول: و بعد اللّتيا و الّتى فلم نجد مع الجّد فى الطّلب و كثره الفحص و التّتبّع روايه تحوز جميع ما فى نسخه الرّضى فى النهج أو توافق لها متنا، أو تطابق أجوبتها ما أتى به معاويه فى كتابه و إن كان الاختلاف قليلا و لا نشكّ فى أنّ الرّضى نقل كلامه عليه السّلام من ماخذ قيمه كانت تحضره، غايه الأمر أن يكون مختار واحد ملّفقا من ملتقطات عباراته الشّتى.

نعم على ما نقله الفاضل البحرانى فى شرحه على النهج تطابق أجوبه كتابه عليه السّلام كتاب معاويه، قال: كتب إليه معاويه: أمّا بعد فإنّي أظنّك لو علمت أنّ الحرب يبلغ بنا و بك ما بلغت و علمنا لم يجنها بعض على بعض، و إنّنا و إنّنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نندم بها على ما مضى و نصلح به ما بقى، و قد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمنى لك طاعه و لا بيعه و أبيت ذلك عليّ فأعطاني الله ما منعت و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو و لا- أخاف من القتل إلّا ما تخاف و قد و الله رقت الأجناد و ذهبت الرجال و أكلت الحرب العرب إلّا حشاشات نفس بقيت، و إنّنا فى الحرب و الرّجال سواء و نحن بنو عبد مناف و ليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يستدلّ به عزيز و لا يسترّق به حرّ. و السّلام. فلمّا قرأ عليّ عليه السّلام كتابه تعجّب منه و من كتابه ثمّ دعا عبيد الله بن أبى رافع كاتبه و قال له اكتب إليه أمّا بعد فقد جاءنى كتابك تذكر - الفصل.

«طلبك إني» قال في أقرب الموارد: طلب إني: رغب، و قال الفاضل الشارح المعتزلي: يقال: طلبت إلى فلان كذا و التقدير طلبت كذا راغبا إلى فلان كما قال تعالى «في تسع آيات إلى فرعون» أي مرسلا، و في تعليقه نسخه خطيه عندنا فسّرت العبارة هكذا: أي طلبك الشام قاصدا إني بذلك، و سيأتي وجه آخر في بيان الإعراب.

«حشاشات» جمع حشاشه بالضمّ، الحشاش و الحشاشه بقيه الرّوح في المريض قال في الأساس: و ما بقي منه إلا حشاشه، قال ذو الرّمّه:

فلما رأين الليل و الشمس حيه حياه التي تقضى حشاشه نازع

و في الحماسه (٥٠٢):

فهل أنت إلا مستعير حشاشه لمهجه نفس آذنت بفراق

و قال المرزوقي في الشرح: الحشاشه هي روح القلب، و رمق من حياه النّفس و قد آذنت بالمفارقة، و المهجه: خالصة النفس.

و في منتهى الأرب: حشاش بالضمّ كغراب: بقيه جان در بيمار و جريح، حشاشه بالهاء كذلك.

«الطّليق» قال ابن الأثير في النهايه: و في حديث حنين: و خرج إليها و معه الطّلقاء، هم الذين خلى عنهم يوم فتح مكّه و أطلقهم و لم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول و هو الأسير إذا طلق سبيله، و منه حديث الطّلقاء من قريش و العتقاء من ثقيف كأنه ميّز قريشا بهذا الاسم حيث هو أحسن من العتقاء.

«الصّيريح»: الخالص من كلّ شيء، قال الفيومي في المصباح: صرح الشيء بالضمّ صراحه و صروحه: خالص من تعلقات غيره فهو صريح، و عربيّ صريح خالص النّسب و الجمع صرحاء، و كلّ خالص صريح، و منه قول صريح و هو الذي لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل.

و فى أقرب الموارد يقال: رجل صريح النسب أى خالصه.

«اللصيق» أصل اللصيق: الدعى فى قوم الملتصق بهم و ليس منهم من قولك لصق الشىء بغيره من باب تعب لصقا و لصوقا: لزق، و قال فى الأساس: و من المجاز:

فلان ملتصق و لصيق، دعى.

«المدغل» اسم فاعل من الإدغال، قال الجوهري فى الصحاح: الدغل بالتحريك: الفساد مثل الدخل، يقال: قد أدغل فى الأمر إذا أدخل فيه ما يخالفه و يفسده.

و فى النهاية الأثيرية: فيه - يعنى فى الحديث - اتخذوا دين الله دغلا أى يخدعون الناس، و أصل المدغل الشجر الملتف الذى يكمن أهل الفساد فيه، و قيل: هو من قولهم: أدغلت فى هذا الأمر إذا أدخلت فيه ما يخالفه و يفسده و منه حديث على عليه السلام ليس المؤمن بالمدغل هو اسم فاعل من أدغل.

«نعشنا» نعشه الله ينعشه من باب منع أى رفعه، قال الجوهري: لا يقال أنعشه الله، و سمي سرير المييت نعشا لارتفاعه و إذا لم يكن عليه مييت محمول فهو سرير، قاله ابن الأثير فى النهاية، و قال المرزوقى فى شرحه على الحماسة (٣٦٨):

النعش شبيه بالمحفه كان يحمل عليه الملك إذا مرض؛ ثم كثر حتى سمي النعش الذى فيه المييت نعشا.

«رغبه» بالفتح فالسكون مصدر من قولك رغب فيه من باب علم إذا أراد به بالحرص عليه و أحبه.

و «رهبه» كالرغبه أى الخوف مصدر رهب الرجل منه من باب علم إذا خاف منه.

الاعراب

«و أمّا طلبك إلى الشام» الواو عاطفه على ما سبق فى الكتاب من قوله:

و أمّا قولك إنه قد بقى من عقولنا - إلخ - كما دريت فى بيان الماخذ، و فى بعض

النسخ: فأما طلبك، بالفاء كما في نسخه نصر المقدم نقلها، و نسخه الرضى أصح، و ياء إلى مشدده مدغمه من ياء إلى الجارّه و ياء ضمير المتكلم المجرور و الشام منصوب مفعول للطلب.

و العبارة في بعض النسخ مشكوله بجرّ الشام و تخفيف إلى أي رغبتك إلى الشام و نحوه، و كأنّها و هم و نسخه الرضى و أكثر المتون ما اخترناها و هو أوفق بأسلوب الكلام، و أوثق في تأديه المعنى. و أوجز و أبلغ في الفحوى و المغزى.

و أمكن أن تكون كلمه إلى بمعنى من أي طلبك منى الشام نحو قول عمرو ابن أحمر الباهلى فى قصيده قالها بعد ما هرب من يزيد بن معاويه لما بلغ عنه شيء إليه.

تقول و قد عاليت بالكور فوقها أيسقى فلا يروى إلى بن أحمر؟

أي تقول الناقه و قد رفعت الرّحل و وضعته على ظهرها: أ يركبنى عمرو بن أحمر فلا- يملّ من ركوبى، و البيت فى جامع الشواهد.

«أكلت» الضمير يرجع إلى الحرب و هى تؤنث و تذكر.

«حشاشات» منصوب بالكسر لأنّ المستثنى متصل. «ألا» حرف تنبيه.

«فالى النار» خبر لقوله من الموصوله فى من أكله. و الفاء فى فالى لتضمّن من معنى الشرط، و قال ابن الحاجب فى البحث عن المبتدأ و الخبر من الكافيه:

و قد يتضمّن المبتدأ معنى الشرط فيصحّ دخول الفاء فى خبره و ذلك إمّا الاسم الموصول بفعل أو ظرف أو النكره الموصوفه بهما مثل الذى يأتينى أو الذى فى الدار فله درهم و مثل كلّ رجل يأتينى أو فى الدار فله درهم.

«ما منعتك» ما موصول اسمى مفعول ثان لأعطيك «منى على اليقين» الظرفان متعلّقان بأمضى، و من أهل العراق على الآخره متعلّقان بأحرص «اميه» غير منصرف للعلميه و التأنيث، و كذلك سفيان لمكان الألف و التّون الزائدتين كعثمان .

«لبئس» بئس من أفعال الدّم، الخلف فاعله و خلف مخصوص بالدّم و جمله يتبع سلفا، في محلّ الرّفْع صفه له لأنّه نكره، و جمله هوى في نار جهنّم في محلّ الرّفْع صفه لسلف لذلك.

في أيد خبر فضل النبوه قدّم توسعا للظرف و الواو للحال فالجمله حاله بعد مبنى على الضمّ حذف المضاف إليه بقرينه المقام كما سيعلم في المعنى، نعشنا عطف على قوله اذللنا.

«كنتم» جواب لَمّا، و أفرد دخل لظاهر من، على حين كقوله تعالى: «دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا» (القصص - ١٦) و قال الفاضل أبو البقاء يعيش بن عليّ بن يعيش في تفسير التبيان في إعراب القرآن: على حين غفله حال من المدينة و يجوز أن يكون حالا من الفاعل أى مختلّسا. انتهى، ففي المقام جاز أن يكون على حين حالا من ضمير كنتم أو من الدّين و إن كان الأوّل أنسب بسياق الكلام.

«طوعا» و «كرها» مصدران في موضع الحال و كذا رغبه و رهبه و ذو الحال في الصورة الاولى الامّه و في الثانيه من «و ذهب» عطف على فاز، أى على حين ذهب، و الباء في بفضلهم للتّعديّه أعنى صار فعل ذهب بها متعدّيا، و في باء التّعديّه معنى المصاحبه أيضا، و لذلك إذا تعدّى الفعل اللّازم بباب الافعال يفيد معنى، و إذا تعدّى بباء الجر يفيد معنى آخر يغاير الأوّل؛ مثلا إذا قلت اذهبت زيدا جعلت زيدا ذاهبا و ما ذهبت معه، و إذا قلت ذهبت بزید جعلته ذاهبا و أنت أيضا ذاهب معه لمكان الباء؛ فتبصّر من لطافه قوله عليه السّلام و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم.

و الأوّلون صفه للمهاجرين، و الباء في بسبقهم سببته.

«نصييا» مفعول لا تجعل، و للشيطان متعلق به و كذلك فيك قدّما عليه توسعا للظروف.

«و لا على نفسك سبيلا» معطوف على الشيطان فسبيلا مفعول الفعل و على نفسك متعلق به قدّم عليه للظرفيه.

هذا الكتاب كتب قبل ليلة الهرير كما هو الظاهر، قيل بيومين أو ثلاثة جواباً عن كتاب كتبه معاوية إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وإنما كتبه معاوية إليه بعد ما بلغه قول عليّ عليه السلام: لانا جزئهم مصبحاً، و تناقل الناس كلمته و فزع أهل الشام لذلك و انكسروا لقوله كما تقدّم الكلام فيه من نصر و غيره آنفاً.

و معاوية قد أظهر في كتابه الندامة و النفره على إنارته نار الحرب و إثارتة إيّاها و إقدامه على إقبالها، و اعترف بأنه أطاع نفسه في ذلك و أدبر عن فتيا العقل، و فيه اشعار بجزعه من الحرب و اضطرابه من القتال و عدم نجده في الحراب.

و أساء بأمر المؤمنين عليّ عليه السلام الظنّ و خرج عن صوب الصواب و طريق الأدب حيث خاطبه عليه السلام بقوله: فإني أظنّك - إلى قوله: لم يجنّها بعض على بعض و أشركه في أتباعه الهوى و خروجه عن الطريقه المثلى، بقوله: و إنا و إن كنا قد غلبنا على عقولنا.

و طلب منه عليه السلام ثانياً أن يترك له الشّام، و لا يطلب منه طاعه و لا يبيعه كما كان طلبه منه كذلك من قبل.

و شمخ بأنفه و أردد و أبرق فجعل نفسه عكم خليفه الله بقوله: فأنك لا ترجو من البقاء - إلخ.

و استعطفه و دعاه إلى الشّفقه على النّاس و الكفّ من البأس بقوله: و قد و الله رقت - إلخ.

و خوّفه باستواء الفريقين في الحرب و الرّجال بقوله: و إنا في الحرب - إلخ.

ثمّ تبصّب و أبدى القرابه منه بأنّ اميّه و هاشم صنوان من أصل واحد.

ثمّ تغطرس بأنّ بني عبد مناف ليس لبعضهم على بعض فضل، و استثنى من ذلك فقال: إلاّ فضل لا يستدلّ به عزيز و لا يسترقّ به حرّ، فأجاب عنها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بما ترى:

أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر: «أنك لو علمت و علمنا أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض» نقل كلام معاويه أولاً فأجابه بقوله:

فإنّا و إِيّاك منها في غايه لم نبلغها، و إني لو قتلت في ذات الله و حييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مرّه لم أرجع عن الشدّه في ذات الله و الجهاد لأعداء الله.

و ضمير منها يرجع إلى الحرب، و كلمه لم تبلغها جاءت في نسخه نصر بقاء الخطاب و في نسخه كنز الكراچكى بياء الغيبه و في سائر النسخ بنون المتكلم مع الغير، و الأخير أنسب بسياق الكلام، و المراد: أنا نلتمس و ننتظر من الحرب غايه لم نبلغها بعد، أي إني أعلم أنّ الحرب ستشبّ إلى حدّ يكون ما مضى منها دونه.

و كلامه هذا إذعار معاويه و إرغامه في قبال قوله ذلك، و تهديد و تخويف و ايعاد إيّاه بأنّ أمره سيؤول إلى أشدّ من ذلك و أنّ عاقبه و خيمه و أنّ عاقبه الذين أساءوا السوأى، و إنبائه بنفسه أي إني لعلي بصيره و بينه من ربّي و إني لعلي الطريق الواضح، ثم أكده بقوله: و إني لو قتلت في ذات الله و حييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مرّه لم أرجع عن الشدّه في ذات الله و الجهاد لأعداء الله، و أعلمه بذلك ثبات قدمه في الدين، و كونه على النهج القويم و الصّراط المستقيم، و عدم بأسه من القتال و القتل في سبيل الله و لو قتل و حيي سبعين مرّه، و عرّف في أثناء قوله معاويه و من سلكوا مسلكه و اتبعوا مأخذه بأنهم كافرون لأنهم أعداء الله.

و اعلم أنّ أولياء الله لكونهم على بينه من ربهم لا- يبألون وقعوا على الموت أو وقع الموت عليهم، و لا- يخافون من القتل في سبيل الله و لا- من القتال في سبيله، و يعلمون أنّهم لا يتربّصون بالأعداء إلاّ إحدى السوئين، و أنّ الأعداء لا يتربّصون بهم إلاّ إحدى الحسنين إمّا الفتح و إمّا الشّهاده كما قال الله تعالى خطاباً لرسوله صلّى الله عليه و اله: «قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاّ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ» (التوبه ٥٣).

و اقتفى أثره عليه السّلام فى قوله هذا: و إني لو قتلت فى ذات الله - إلخ، الذين استضاءوا من مشكاة وجوده، و اقتبسوا من نور علمه و ربّوا فى بيته و حجره، و احتذوا حذوه، و اتبعوا سبيله سلام الله عليهم أجمعين: فهذا هو عمّار بن ياسر فاستمع ما ذا يقول رضوان الله عليه: روى نصر فى صفين عن عمر قال: حدّثنى عبد الرحمن بن جندب، عن جندب بن عبد الله قال: قام عمّار بن ياسر بصفين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما فى كتاب الله إنّما قتله الصّالحون المنكرون للعدوان الامرون بالإحسان فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا لأحداثه، فقالوا: إنّ ما أحدث شيئا و ذلك لأنّه مكنهم من الدنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يباليون لو انهدت عليهم الجبال، و الله ما أظنهم يطلبون دمه إنّهم ليعلمون أنّه لظالم و لكنّ القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها و استمروها، و علموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيهم منها، و لم يكن للقوم سابقه فى الإسلام يستحقّون بها الطاعة و الولايه فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوما ليكونوا بذلك جباره و ملوكا، و تلك مكيده قد بلغوا بها ما ترون و لو لا هى ما بايعهم من النّاس رجلا، اللهم إنّ تنصرنا فطال ما نصرت، و إن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم، ثمّ مضى و مضى معه أصحابه فلمّا دنى من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعث دينك بمصر تبا لك و طال ما بغيت الإسلام عوجا ثمّ حمل عمّار و هو يقول:

صدق الله و هو للصدق أهل و تعالى ربّي و كان جليلا

ربّ عجل شهادة لى بقتل فى الذى قد احبّ قتلا جميلا

مقبلا غير مدبر إنّ للقتل على كلّ ميتة تفضيلا

إنّهم عند ربّهم فى جنان يشربون الرّحيق و السلسبيلا

من شراب الأبرار خالطه المسك و كأسا مزاجها زنجيلا

و الآيات الثلاثة الأخيره تشير إلى قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» (البقره - ١٥٢).

و قوله تعالى: «وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ» إلى قوله تعالى: «وَ اتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» (آل عمران ١٦٥-١٧٠).

و قوله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنْظَرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْهِقُونَ مِنْ رَحِيْقٍ مَحْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكَ وَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ» (المطففين ٢٤-٢٧).

و قوله تعالى: «وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» (هل أتى - ١٨ و ١٩).

قال نصر: ثم نادى عمّار عبيد الله بن عمر و ذلك قبل مقتله فقال: يا ابن عمر صرعتك الله بعت دينك بالدنيا من عدوّ الله و عدوّ الإسلام، قال: كلاً و لكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم، قال: كلاً أشهد على علمي فيك أنك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله و أنك إن لم تقتل اليوم فستموت غدا فانظر إذا أعطى الله العباد على نياتهم ما تبتك؟ ثم قال عمّار: اللهم إنك لتعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك أن أقذف بنفسى فى هذا البحر لفعلت، اللهم إنك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك أن أضع ظبه سيفى فى بطنى ثم انحنى عليها حتى يخرج من ظهري لفعلت، اللهم و إنّى أعلم ممّا أعلمتني أنّى لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، و لو أعلم اليوم عملاً أرضى لك منه لفعلته. (ص ١٦٥ من الطبع الناصرى).

و قد نقل قوله هذا أبو جعفر الطبرى فى تاريخه كما تقدّم فى شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٢٨٤ ج ١٥).

و تقدّمت طائفه من كلمات قيمه من أصحاب على عليه السلام فى شرح الكتاب

و لما جمع ريحانه رسول الله سيد الشهداء الحسين بن علي عليهم السلام أصحابه عند قرب المساء من يوم التاسوعاء و قال لهم: إني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حلّ ليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا فبعد ما قال أعوانه من إخوته و أبنائهم و بنى أخيه و بنى عقيل و ابني عبد الله بن جعفر ما قالوا، قام إليه مسلم بن عوسجه رضوان الله عليه فقال: أنحن نخلي عنك و بما نعتذر إلى الله في أداء حقك أما و الله حتى أطعن في صدورهم برمحي و أضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي و لو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقدفتحهم بالحجاره و الله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبه رسوله فيك، أما و الله لو قد علمت أنني اقتل ثم احرق ثم احیی ثم اذری يفعل ذلك بی سبعین مره ما فارتکتک حتى ألقى حمامی دونک و کیف لا أفعل ذلك و إنما هی قتلہ واحده ثم هی الکرامه التي لا انقضاء لها أبدا.

و قام زهير بن القين رحمه الله عليه فقال: و الله لو ددت أنني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل هكذا ألف مره و أن الله عز و جل يدفع بذلك القتل عن نفسك و عن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.

تو ممکن تهدیدم از کشتن که من تشنه زارم بخون خویشتن

عاشقان را هر زمانی مردنی است مردن عشاق خود یک نوع نیست

او دو صد جان دارد از نور هدی و آن دو صد را میکند هر دم فدا

هر یکی جان را ستاند ده بها از نبی خوان عشره أمثالها

آزمودم مرگ من در زند گيست چون رهم زين زندگی پايנד گيست

إن فی موتی حیاتی یافتی کم افارق موطنی حتی متی

فرقتی لو لم تکن فی ذا السکون لم یقل إنا إلیه راجعون

قال علیه السلام و أمّا قولک: «أنه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى» نقل کلام معاويه ثم أجابه بقوله: «فإنی ما نقضت عقلى و لا ندمت على فعلى»

و ذلك لأنه عليه السّلام كان مأمورا بقتاله من الله تعالى كما احتجّ عليه السّلام بذلك على معاويه في الكتاب السابع (ص ٢٢٣ ج ١٦) حيث قال معاويه: و إنّي احذرك الله أن تحبط عملك و سابقتك بشق هذه الامه و تفريق جماعتها، فأجابه الأمير عليه السّلام: فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذرنى ذلك، و لكنى وجدت الله تعالى يقول: «فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله» فنظرنا إلى الفئتين ما الفئه الباغيه؟ فوجدناها الفئه التي أنت فيها - إلخ.

على أنّ الحجج الإلهية كما أنهم معصومون من الذنوب كذلك معصومون من أن يفعلوا فعلا أو يتركوا ما يوجب ندامتهم به لأنهم ينظرون بنور الله و يحكمون بالعقل الناصع فإذا سكتوا فسكوتهم هو الصواب، و إذا نطقوا فنطقهم هو الصواب و إذا فعلوا ففعلهم هو الصواب و إذا تركوا و كفوا فتركهم هو الصواب ثم من لم يكن عالما بعواقب الامور يندم من فعله لأنه يفعل فعلا كان الصواب تركه أو يترك فعلا- كان الصواب فعله فاذا ظهر له خلافه يندم به فأين هذا ممن كان بنهايه قربه من الله و كمال الإتصال بجنابه و تمام الحضور إلى حضرته مصونا و معصوما عن جميع ما تنفر عنها الطباع و قد تقدّم البحث عن صفاتهم و عصمتهم في شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب و لذا قال عليه السّلام: فإني ما نقضت عقلي و لا ندمت على فعلى، و في بعض النسخ: فإني ما تنقّصت عقلي، أى ما أنسبه إلى النقصان.

قال عليه السّلام: «و أمّا طلبك إلى الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس» طلب معاويه من الأمير عليه السّلام الشام غير مّره كما اعترف به في كتابه المتقدّم إليه، و كان أتباعه أيضا يطلبون بأمره من الأمير عليه السّلام أن يخلى بينهم و بين الشام، و يخلّوا بينه و بين العراق و هما منهم أنّ خلفاء الله تعالى إنّما يقاتلون أعداء الله لاقتراف الديار و العقار و حطام الدنيا و قد روى نصر في صفين (ص ٢٥٥) أنّ رجلا- من أهل الشام ينادى بين الصفين: يا أبا حسن يا على ابرز إلى فخرج إليه على عليه السّلام حتى إذا اختلف أعناق دابّتهما بين الصفين؛ فقال: يا على إنّ لك قدما في الإسلام و هجره فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء

و تأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك؟ فقال له عليّ عليه السّلام: و ما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك فنخلى بينك و بين العراق و نرجع إلى شامنا فتحلى بيننا و بين شامنا.

فقال له عليّ عليه السّلام: لقد عرفت أنّما عرضت هذا نصيحه و شفقه، و لقد أهمني هذا الأمر و أسهرني و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلاّ القتال أو الكفر بما انزل على محمّد صلى الله عليه و اله إنّ الله تبارك و تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض و هم سكوت مذعنون لا- يأمرن بالمعروف و لا ينهون عن المنكر فوجدت القتال أهون عليّ من معالجه الأغلال في جهنّم، فرجع الشاميّ و هو يسترجع.

أقول: و قد مضى كلامنا في ذلك في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٣٢٢ ج ١٥)، و هذا من أبناء الدّنيا يقصر الهمة في الماء و الكلاء و يتمرغ في الأهواء و الأميال الشهوانية، و ذلك رجل إلهيّ و سفير ربّانيّ يرشد النّاس من عباره و جيزه إلى حقيقه أشرفت من صبح الأزل فيها بيان علّه قيام أولياء الله و نهضتهم في قبال أعدائه قائلًا: إنّ الله تبارك و تعالى لم يرض من أوليائه - إلخ.

و الحرّيّ بباغى الرّشد أن ينظر حقّ النّظر في قوله عليه السّلام فوجدت القتال أهون عليّ من معالجه الأغلال في جهنّم.

و لقد سبق معاويه في الطّلب المذكور مسيلمه المتّبيّ إلاّ أنّ هذا المفترى الكذّاب طلب من النبيّ و ذاك طلب من الوصيّ سنّه بسنّه؛ ففي السير النّبويّه لابن هشام (ص ٦٠٠ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ): و قد كان مسيلمه بن حبيب قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه و اله: من مسيلمه رسول الله، إلى محمّد رسول الله سلام عليك، أمّا بعد فأني قد أشركت في الأمر معك و إنّ لنا نصف الأرض و لقريش نصف الأرض و لكنّ قريشا قوم يعتدون.

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب.

قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: فحدّثني شيخ من أشجع عن سلمه بن نعيم

ابن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لِهَٰمَا حِينَ قَرَأَ كِتَابَهُ: فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟ قَالَا: نَقُولُ كَمَا قَالَ، فَمَا قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنَّ الرَّسُلَ لَا تَقْتُلُ لَضْرِبْتَ أَعْنَاقَكُمَا، ثُمَّ كَتَبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى مَسِيلِمَةَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مَسِيلِمَةَ الْكَذَّابِ: السَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَيْتَ الْهَدْيَ، أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَهَذِهِ الْمَشَابَهُةُ بَيْنَ مَسِيلِمَةَ وَبَيْنَ مَعَاوِيَةَ فِي النَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ شَبِيهَةٌ بِمَا وَقَعَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَهِيلِ بْنِ عَمْرٍو يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَبَيْنَ الْوَصِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَاوِيَةَ يَوْمَ صَفِّينَ وَذَلِكَ أَنَّ صَحِيفَةَ الصَّلْحِ لَمَّا كَتَبْتَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ «هَذَا مَا تَصَالِحُ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَسَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو» قَالَ سَهِيلٌ: لَا أَجِيبُكَ إِلَى كِتَابٍ تَسْمَى رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ لَوْ عَلِمْتَ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَقَاتِلْكَ إِنِّي إِذَا ظَلَمْتُكَ إِنَّمَا مَنَعْتُكَ أَنْ تَطُوفَ بَيْتَ اللَّهِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْتُبُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَجِيبُكَ.

وَلَمَّا كَتَبْتَ صَحِيفَةَ الصَّلْحِ يَوْمَ صَفِّينَ «هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ» قَالَ مَعَاوِيَةَ: بَشَسَ الرَّجُلُ أَنَا إِنَّمَا أَقَرَّرْتُ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ قَاتَلْتَهُ فَمَحَا كَلِمَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ مَرَّ تَفْصِيلُهُ فِي شَرْحِ الْمَخْتَارِ ٢٣٦ ص ٢٤٢ مِنْ ج ١٥ فَرَاغ.

وَالْعَجَبُ لِمَعَاوِيَةَ تَارَهُ يَحْرِضُ النَّاسَ وَيَأْتِبُهُمْ عَلَى قِتَالِ الْحَقِّ مَدَّعِيًا الطَّلْبَ بِدَمِ عَثْمَانَ، وَيَتَّخِذُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ الْعَاصِي الظَّالِمَ الْمَضْلَّ عَضْدَهُ وَجَعَلَ مَصْرًا طَعْمَهُ لَهُ؛ وَمَرَّهَ يَطْلُبُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الشَّامَ فَأَيْنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ؟ وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ كَانَ بِأَيِّ رَأْيٍ يَعِيشُ؟ بَلَى مَنْ كَانَ مَيِّتَ الْقَلْبِ وَأَعْمَاهُ حَبَّ الدُّنْيَا فَهُوَ يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْأَبَاطِيلِ وَالْأَضَالِيلِ وَالْأَهْوَاءِ الْمَرْدِيَةِ وَالْإِرَاءِ الرَّدِيَةِ، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»

ای عجب چون می نینند این سپاه عالمی پر آفتاب چاشتگاه

چشم باز و گوش باز و این ذکاحیرتم از چشم بندی خدا

دو سر انگشت بر دو چشم نه هیچ بینی از جهان انصاف ده

ور نه بینی این جهان معدوم نیست عیب جز ز انگشت نفس شوم نیست

توز چشم انگشت را بردار هین و آنگهانی هر چه می خواهی بین

نوح را گفتند امت کو ثواب؟ گفت او ز ان سوی و استغشوا ثياب

رو و سر در جامه ها پیچیده اند لا جرم با دیده و بی دیده اند

و قوله: أمس إشارة إلى طلبه من أمير المؤمنين علي عليه السلام حين بويع بالخلافه إقراره على إمره الشام، و نقل عن ابن عباس أنه قال له عليه السلام: و له شهرا و اعزله دهرا فإنه بعد أن يبائعك لا يقدر على أن يعدل في إمرته و لا بد أن يجور فتعزله بذلك، فقال عليه السلام: كلاً و ما كنت متخذ المضلّين عضداً.

و قال المسعودي في مروج الذهب (ص ۵ ج ۲) أتى المغيرة بن شعبه علياً فقال له: إن حق الطاعة النصيحة، و إن الرأي اليوم تحوز به ما في غد، و إن التصارع اليوم تضيق به ما في غد، اقرر معاوية على عمله، و اقرر ابن عامر على عمله، و اقرر العمال على أعمالهم حتى إذا أتتك طاعتهم و طاعة الجنود استبدلت أو تركت.

قال عليه السلام: حتى أنظر، فخرج من عنده و عاد إليه من الغد فقال: إنني أشرت عليك بالأمس برأى و تعقبتة و إنما الرأي أن تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غيره و يستقل أمرك، ثم خرج فتلقاه ابن عباس خارجاً و هو داخل فلما انتهى إلى علي عليه السلام قال: رأيت المغيرة خارجاً من عندك ففيم جاءك؟ قال: جاءني أمس بكيت و كيت، و جاءني اليوم بذيت و زيت، فقال: أما أمس فقد نصحك و أما اليوم فقد غشك.

قال: فما الرأي؟ قال: كان الرأي أن تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتي مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فإن العرب كانت لجائله مضطّره في إثرك لا تجد غيرك فأمرًا اليوم فإن بني أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شعبه من هذا الأمر و يشبهون فيك على الناس، و قال المغيرة: نصحته فلم يقبل فغششته

و ذكر انه قال و أما أنا فنصحته قبلها و لا أنصحها بعدها.

قال المسعودي: وجدت في وجه آخر من الروايات أن ابن عباس قال:

قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليا أدخل عليه فقيل لي عنده المغيرة بن شعبه فجلست بالباب ساعه فخرج المغيرة فسلم علي، و قال: متى قدمت؟ قلت: الساعة، و دخلت على علي و سلمت عليه، فقال: أين لقيت الزبير و طلحة؟ قلت: بالنواصف، قال: و من معهما؟ قلت: أبو سعيد بن الحرث بن هشام بن قتيبة من قريش فقال علي: أما إنهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، و الله يعلم أنهم قتله عثمان.

فقلت: أخبرني عن شأن المغيرة و لم خلا بك؟ قال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال: اخلني، ففعلت؛ فقال: إن النصح رخيص و أنت بقيه الناس و أنا لك ناصح و أنا اشير عليك أن لا ترد عمال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم باثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك و اطمأن أمرك عزلت من أحببت و أقررت من أحببت، فقلت له: و الله لا اداهن في ديني و لا اعطي الزبلاء في أمري.

قال: فإن كنت قد آبيت فانزع من شئت و اترك معاويه فإن له جرأه، و هو في أهل الشام مسموع، و لك حجه في إثباته؛ فقد كان عمر و لاه الشام كلها.

فقلت: لا و الله لا أستعمل معاويه يومين أبدا. فخرج من عندي على ما أشار به ثم عاد فقال: إنني أشرت عليك بما أشرت به و آبيت علي فنظرت في الأمر و إذا أنت مصيب لا ينبغي أن تأخذ أمرك بخدعه و لا يكون فيه دنسه.

قال ابن عباس: فقلت له: أما أول ما أشار عليك فقد نصحك و أما الآخر فقد غشك، و أنا اشير عليك أن تثبت معاويه فإن بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله.

قال: لا و الله لا أعطيه إلا السيف ثم تمثّل:

فما منه إن منها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غالها

فقال: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه و اله يقول: الحرب

خدعه؟ فقال عليّ عليه السّلام: بلى، قلت: أمّا والله إنّ أظعنى لأصدرنّ بهم بعد ورود، ولأتركنّهم ينظرون فى آثارهم الأمر و لا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك و لا إثم عليك.

فقال: يا ابن عباس لست من هتّياتك و هتّيات معاويه فى شىء يسير مالك عندى الطاعه و الله ولىّ التوفيق.

بيان: هتّيات جمع هتّيه على التصغير أصلها من ه ن ه، أو من ه ن و، قال ابن الأثير فى النهايه: و فى حديث ابن الأكوع قال له: ألا تسمعنا من هناتك؟ أى من كلماتك أو من أراجزك؛ و فى روايه من هتّياتك على التصغير؛ و فى اخرى من هتّياتك على قلب الياء هاء.

ثمّ أردف معاويه قوله: «و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس» بقوله:

«فإنّى لا- أرجو من البقاء إلا- ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلا ما تخاف» إشاره إلى أنّه مثل عليّ عليه السّلام فى الخوف من القتل و الرّجاء من البقاء يعنى أنّه لا يبالي من الموت، و لا يطمع فى الحياه بل يقاتل لإحياء حقّ أو إماته باطل.

و غرضه من هذا القول دفع ما يوهّم فى طلبه الشام و موادعته الحرب من حصول الجبن و الفزع له، أى لا- تظنّ من طلبى الشام إدخال الجبن فىّ فإنّى لا أخاف من الموت و القتل و لا أطمع فى الحياه بل أطلب الموادعه لحقن دماء النّاس.

أقول: و قد ظهر صدق قوله حينما قام عليّ عليه السّلام بين الصّيفين فى صفّين ثمّ نادى يا معاويه يكرّرها؛ فقال معاويه: أسألوه ما شأنه؟ قال: احبّ أن يظهر لى فاكلمه كلمه واحده فبرز معاويه و معه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو و قال لمعاويه: ويحك على م يقتل النّاس بينى و بينك و يضرب بعضهم بعضا؟ ابرز إلىّ فأينا قتل صاحبه فالأمر له.

فالتفت معاويه إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله فيما ههنا ابارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفك الرّجل، و اعلم أنّه إن نكلت عنه لم تزل سبه عليك و على عقبك ما بقى عربىّ.

فقال معاويه: يا عمرو بن العاص ليس مثلى يخذع عن نفسه و الله ما بارز ابن ابي طالب رجلا قط إلا سقى الأرض من دمه، ثم انصرف معاويه راجعا حتى انتهى إلى آخر الصفوف و عمرو معه.

هذا هو روايه نصر في صفين نقلناها بألفاظه (ص ١٤٠ من الطبع الناصري) و قد أتى بقريب منها المسعودي في مروج الذهب (ص ٢٥ ج ٢) و قد تقدّم نقله في شرح المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٣١٦ ج ١٥).

و نقل ابن قتيبه الدّينوريّ في باب أخبار الجبناء من كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص ١٦٩ ج ١ طبع مصر) عن المدائني قال: رأى عمرو بن العاص معاويه يوما يضحك، فقال له: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب أما و الله لقد وافقته منّا كريما و لو شاء أن يقتلك لقتلك.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما و الله إنني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك، و ربا سحرك، و بدا منك ما أكره ذكره لك؛ فمن نفسك فاضحك أودع. و نقله المسعودي في مروج الذهب مفضّلا (ص ٦٥ ج ٢).

و حينما قام رجل من أصحاب عليّ عليه السّلام و قال: و الله لأحملنّ معاويه حتى أقتله فأخذ فرسا فركبه ثمّ ضربه حتى إذا قام على سنايكة دفعه فلم ينهنه شيء عن الوقوف على رأس معاويه و دخل معاويه خباء فنزل الرّجل عن فرسه و دخل عليه فخرج معاويه من الخباء و طلع الرّجل في أثره فخرج معاويه حتى أحاط قومه بالرّجل فقتلوه، على التفصيل الذي ذكره نصر في صفين (ص ١٣٨).

و حينما حمل أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام و أصحابه على القاسطين حملة واحده فلم يبق لأهل الشام صفّ إلا أهدم حتى أفضى الأمر إلى معاويه و عليّ عليه السّلام يضرب بسيفه و لا يستقبل أحدا إلا ولى عنه فدعا معاويه فرسه لينجو عليه فلما وضع رجله في الرّكاب ليفرّ من الحرب أشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرّماح ففعلوا ما فعلوا، نقله الدّينوريّ في الإمامه و السياسة (ص ١٢٧ ج ١).

فإنه لو لم يكن صادقا في قوله: «فإني لا أخاف من الموت إلا ما تخاف ولا أرجو من البقاء إلا ما ترجو» لما أعرض عن المبارزة حين دعاه علي عليه السلام إلى البراز، ولم ينصرف راجعا حتى ينتهي إلى آخر الصفوف أولا، ولما أدبر عن الرجل و لم يدخل خباء مژه و لم يخرج منه اخرى ثانيا، و لما فر من الحرب و لم يدعو فرسه لينجو عليه ثالثا.

على أن صاحبه عمرو بن العاص كان عارفا بحاله و قد أمضى قوله ذلك حيث قال له في صفين: إن رجالك لا يقومون لرجاله (يعني رجال علي عليه السلام) و لست مثله هو يقاتلك على أمر و أنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء، رواه نصر في صفين (ص ٢٥٦) و سليم بن قيس كما تقدم نقله في ماخذ هذا الكتاب.

و إنما قال عليه السلام: لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس، لأن معاويه في أمس لم يكن لائقا بأخذ زمام الامور و إعطاء ذلك المقام لكونه على الباطل و هذه العله كانت باقيه في اليوم فلم يصلح لتوليه امور المسلمين بعد.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: أما قولك: «إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت» «ألا فمن أكله الحق فإلى النار» نقل كلام معاويه أولا ثم أجابه بقوله: ألا فمن - إلخ، و النسخ في عبارته الجواب مختلفه: ففي نسخه خطيه عتيقه من النهج عندنا: ألا فمن أكله الحق فالنار أولى به، و هي قريبه من نسخه الرضى التي اخترناها في المتن.

و في أكثر النسخ المطبوعه: ألا و من أكله الحق فإلى الجنة و من أكله الباطل فإلى النار.

أقول: الصواب ما اخترناها في المتن من النسخه التي عندنا قوبلت على نسخه الرضى رضوان الله عليه، و ما في تلك النسخه الخطيه يؤيدها فأنهما بمعنى فارد تقريبا.

و أما النسخ المطبوعه فيشبه أن تكون مصحفه عن أصلها، و لا يخلو حملها

على معنى صحيح من تكلف مثل أن يقال: من قتل في سبيل الحقّ و الذّبّ عنه فمصيره إلى الجنّه، و من هلك في سبيل الباطل و الدّفاع عنه فالى النّار.

أو يضمّر في الجملتين مضافان، و التقدير: ألا و من أكله أعداء الحقّ فالى الجنّه، و من أكله أعداء الباطل فالى النّار، و نحوهما.

و المعنى على نسخه الرّضى مستقيم لا- اعوجاج فيه لأنّ الأكل في فصيح الكلام العربى كثيرا ما يؤتى به لإفادته معنى الإفناء و الإزالة و الظهور على أمر أى من أفناه الحق و غلب عليه فمصيره إلى النار، و إنّما قال ذلك لأنّ أتباع الحق قد قتلوا في صفّين خلقا كثيرا من أحزاب معاويه فأشار عليه السّلام إلى أنّ مصيرهم إلى النّار و إن بلغ عددهم ما بلغ و لم يبق منهم إلاّ حشاشات أنفس، يقال: أكلت النار الحطب أى أفتته، و قال أوس بن حجر كما في ماده الك ل من الأساس:

و قد أكلت أظفاره الصخر كلّما تعنى عليه طول مرقى توصّلا

أى أكلت الصّخر أى أفنتت الحجارة أظفاره.

و قال الطّريحيّ في المجمع: أكلنا بنى فلان أى ظهرنا عليهم، و أصل الأكل للشىء الإفناء له ثمّ استعير لافتتاح البلاد و سلب الأموال.

و قال المرزوقى في شرح الحماسه عند قول خلف بن خليفه (الحماسه ٧٩٤):

لعمرى لنعم الحىّ يدعو صريخهم إذا الجار و المأكول أرهقه الأكل

و معنى أرهقه الأكل ضيق عليه و غشيه، و قد قيل: أكلت فلانا إذا غلبته و غلبته.

و قد جاءت بهذا المضمون من معنى الأكل أعنى الإفناء روايات عن أئمّتنا الطّاهرين عليهم السّلام ففي باب الحسد من اصول الجامع الكافى لثقه الإسلام الكلينيّ قدّس سرّه بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: إنّ الرّجل ليأتى بأى بادره فيكفر فإنّ (و إنّ - خ ل) الحسد ليأكل الإيمان كما يأكل النّار الحطب.

و روى بإسناده عن جرّاح المدائنى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ الحسد يأكل

الإيمان - إلخ، و أتى بهما الفيض قدس سره في الوافي (ص ١٤٨ ج ٣).

و قد مضى في المختار ٨٤ من باب الخطب عن الأمير عليه السلام: و لا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل - إلخ.

و في الجامع الصغير للسيوطي عن النبي صلى الله عليه و اله: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

و سيأتي من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام المجتبي قوله له و إياك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدّنيا إليها و تكالبهم عليها - إلى ان قال: فإنّما أهلها كلاب عاويه و سباع ضاربه يهرّ بعضها بعضا، و يأكل عزيزها ذليلها، و يقهر كبيرها صغيرها - إلخ.

قال عليه السلام: و أمّا استواؤنا في الحرب و الرّجال - إلى قوله: على الآخره، قد علمت من نسخ ماخذ الكتاب أنّها كانت متّفقه في قوله: «و أمّا استواؤنا في الخوف و الرّجاء» مكان قوله: «و أمّا استواؤنا في الحرب و الرّجال» إلّا ما نقلناه أخيرا من نسخه نقلها الشارح البحراني فإنّها كانت موافقه للمتن، و نسخه الرّضوي هي التي اخترناها في المتن و توافقتها نسختنا الخطيّه المذكوره.

و أظنّ أنّ العّدين نقلوا عبارته «و أمّا استواؤنا في الخوف و الرّجاء» نظروا بقول معاويه: «فإنّي لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلّا ما تخاف» و ظنّوا أنّ قول الأمير عليه السلام فلست بأمضى - إلخ، جواب عنه فحرّفوا الحرب و الرّجال بالخوف و الرّجاء، و قد غفلوا أنّ هذا الجواب لا يوافقّه، كما يشهد به التأمّل الصّحيح، و أنّ قول معاويه: «فإنّي لا أرجو - إلخ» إنّما هو تتمّه قوله: «و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك» لما قد عرفت آنفا، و قد أجابه الأمير عليه السلام بقوله: و أمّا طلبك إلى الشّام - إلخ.

و معناه أنّ معاويه خوّف الأمير عليه السّلام و هدّده باستواء الفريقين في الحرب و الرّجال و أوهم بذلك ثباته في الحرب و بقاءه عليها و عدم تزلزله و اضطرابه منها و من وقوع كثره القتلى في عسكره فأجابه الأمير عليه السّلام بأنّك إنّما على علم في عدم كونك على حقّ، و يقين في أنّك لست بمحقّ، و إنّما تقاتل و تحارب لاقتراف حطام الدّنيا و لست على يقين في وصولك إلى ما ترجو و تتمنّى بل، على شكّ و ترديد فيه، لأنّه أمكن أن تظهر علينا فتصل إلى أمانيك الدنيويّه، و أمكن أن تظهر عليكم فتعاق عنها و تحرم، و كذلك الكلام في أحزابك من أهل الشام.

و أمّا أنا فعلى بينه من ربّي، و يقين في أنّي على الصّراط المستقيم و ليس بعده إلا الضّلال و التّبّاب، و اقاتل و احارب على يقين في ديني و ليس لي إلا إحدى الحسنين إمّا الظفر عليكم فهو جهاد في سبيل الله، و إمّا القتل في سبيل الله فمصيره إلى الجنّه و رضوان الله و هكذا الكلام في أصحابي من أهل العراق.

ثمّ من المعلوم أنّ من يعمل فعلا على شكّ و ترديد فيه ليس بأمضى فيه ممّن يعمل على يقين، و من يفعل عملا لاقتراف الدّنيا و حصول الأمانى الفانيه الزائله ليس بأحرص فيه ممّن يفعله للتقرّب إلى الله تعالى، و الوصول إلى النعم الاخرويّه الدائمه و الحياه الباقيه و الدّرجات العاليه الأبدية الرّوحانيه، و أين هذا من ذاك و نعم ما قاله الأشتر رضوان الله عليه في أبياته السالفه آنفا:

طلب الفوز في المعاد و في ذا تستهان النفوس و الأموال

فظهر أنّ أهل الشكّ و التّرديد ليسوا في رتبه أهل اليقين و إن كانوا كثيرين عددا و قد قال عزّ و جلّ: «قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ» (المائد ١٠١) و قال تعالى: «كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتَنَّهُ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ» (البقره ٢٥٠) فما ادّعاه معاويه من استواء الفريقين في الحرب و الرّجال اختلاق محض فإنّ مثلهما كالأعمى و الأصمّ و البصير و السميع هل يستويان؟.

و أنّ تهديده عليّا أمير المؤمنين عليه السّلام بما نسجه من استوائهما في الحرب و الرّجال أوهن من بيت العنكبوت، بل الخوف به أولى و الفرع به أحرى.

قال عليه السّلام: و أمّيا قولك: «إنا بنو عبد مناف» فكذلك نحن و لكن ليس امّيه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب و لا أبو سفيان كأبي طالب، و سيأتي نحو كلامه هذا فى الكتاب الثامن و العشرين الذى كتبه الأمير عليه السّلام إلى معاويه جوابا:

منا النبى و منكم المكذب، و منا أسد الله و منكم أسد الأحلاف، و منا سيّدا شباب أهل الجنّه و منكم صبيه النار، و منا خير نساء العالمين و منكم حمّاله الحطب - إلخ.

افتخر معاويه بأئه من بنى عبد مناف، أو أراد بذلك الاستعفاف من أمير المؤمنين عليه السّلام، أو قصد الاستواء بقوله هذا تبخترا، حيث قال بعده: و ليس لبعضنا على بعض فضل، أو عنى بذلك أنّهما من بيت واحد فليس لبعضهم فضل على بعض أى أنّها فى الفضيله و الشرافه سواء فإن استحقّ هذا منصبا كان ذلك للاخر أيضا، و إن ادعى هذا مقاما كان ذلك للاخر أيضا، و مال الوجهين الأخيرين واحد و استفاده الوجه الثانى من الأوّلين من العبارة لا تخلو من تكلف.

و نقول أولا: إنّ معاويه و إن كان منتسبا إلى عبد مناف بحسب الظاهر لكنّ دتّيات اموره و رذيلات صفاته قد أخرجته من بيت الشرف حقيقه و كم من فعال خبيثه و أعمال غير صالحه أوجبت القطع عن بيت و رحم و فى القرآن الكريم قال:

«يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» (هود - ٥٠)، و لا يخفى عليك أنّ الورد و الشوك من أصل واحد و لكن أين هذا من ذاك.

و ثانيا إنّّه لما افتخر بانتسابه إلى عبد مناف و ادعى الاستواء بينه و بين الأمير عليه السّلام و أنكر فضل بعض على بعض من بيت عبد مناف أجابه الأمير عليه السّلام بقوله: إنا بنو أب واحد كما فى نسخه نصر فعلى هذه النسخه لم يمض الأمير عليه السّلام أنّ معاويه من بنى عبد مناف كما لا يخفى و فيه نكته لطيفه نشير إليها عن قريب، و على نسخه الرضى أجابه بقوله: فكذلك نحن أى نسبنا ينتهى إليه أيضا و لكنّ بين آبائى و آبائك تفاوتا فاحشا، كما أنّ بين صفاتى و صفاتك فرقا ظاهرا و مسافه كثيره، و تفصيله أنّ امّيه ليس كهاشم - إلخ، بدأ عليه السّلام بذكر الأوصاف الخارجه و الفضائل الطاربه عليه من جهه آبائه، و الرذائل العارضة على خصمه معاويه من

جهه أسلافه، ثم أتى بالأوصاف الداخله على أربعة أقسام الاتى شرحها إن شاء الله تعالى، فلا بدّ فى المقام من ذكر سلسلتى نسبهما إلى عبد مناف فنقول: على عليه السّلام كان ابن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، و معاويه كان ابن صخر أبى سفيان بن حرب بن اميّه بن عبد شمس بن عبد مناف.

و آباء أمير المؤمنين على عليه السّلام كانوا أهل بيت شرف فى قومهم، و كان كلّ واحد منهم أشرف و أفضل و أعلى من آباء معاويه بمراحل، أمّا أبو طالب عليه السّلام فإنّه كان زعيما حازما نبيا سياسا، و له فى دفع كيد الأعداء عن النبى و الذّب عنه صلّى الله عليه و اله على الإسلام و المسلمين حقّ عظيم، و جلاله شأنه و حسن إسلامه أشرف من الشارق و أبلج من الصّبح و قد ذكرنا طائفه من أشعاره السّاميه الدالّه على إسلامه، و حمايته عن الرسول صلّى الله عليه و اله و المسلمين، و نبذه من روايات جاءت فى فخامه أمره و علوّ قدره فى شرح المختار التاسع من باب الكتب و الرسائل (ص ٣٥١-٣٦٤) ج ١٧ و قال اليعقوبى فى التاريخ: و كفل رسول الله صلّى الله عليه و اله بعد وفاه عبد المطلب أبو طالب عمّه فكان خير كافل، و كان أبو طالب سيّدا شريفا مطاعا مهيبا مع إملاقه، قال على بن أبى طالب عليه السّلام: أبى ساد فقيرا، و ما ساد فقير قبله.

و أمّا عبد المطلب: ففى السيره النبويّه لابن هشام (ص ١٤٢ ج ١) أنّه ولى السّقيه و الرّفاده بعد عمّه المطلب فأقامها للنّاس و أقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، و شرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه و أحبّه قومه و عظم خطره فيهم، ثمّ ذكر الرّؤيا الّتى أريها عبد المطلب فى حفر زمزم، و نذره ذبح ولده و ما جرى فيهما، إلى أن قال:

ثمّ لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلّى الله عليه و اله أن هلك و أمّ رسول الله صلّى الله عليه و اله حامل به، فلما وضعت أمّه آمنه بنت وهب أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: أنّه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه فأته فانظر إليه و حدّثته بما رأت حين حملت به و ما قيل لها فيه و ما أمرت أن تسميه.

فيؤمنون أنّ عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبه فقام يدعو الله و يشكر له

ما أعطاه ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها و التمس لرسول الله صلى الله عليه و اله الرضعاء فاسترضع له امرأه من بنى سعد بن بكر يقال لها حلیمه ابنه أبى ذؤيب.

و كان رسول الله صلى الله عليه و اله مع أمه آمنه و جدّه عبد المطلب بن هاشم فى كلاءه الله و حفظه، ينبته الله نباتا حسنا، لما يريد به من كرامته فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه و اله ست سنين توفيت أمه آمنه بالأبواء بين مكّه و المدينة فكان رسول الله صلى الله عليه و اله مع جدّه عبد المطلب بن هاشم.

و كان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظلّ الكعبه فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتّى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا- له، فكان رسول الله صلى الله عليه و اله يأتى و هو غلام جفر حتّى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إنّ له لشأنا ثمّ يجلسه معه على الفراش و يمسح ظهره بيده و يسره ما يراه يصنع فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه و اله ثمانى سنين هلك عبد المطلب ابن هاشم فكان رسول الله صلى الله عليه و اله بعد عبد المطلب مع عمّه أبى طالب و كان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصى به عمّه أبى طالب و ذلك لأنّ عبد الله أبى رسول الله صلى الله عليه و اله و أبى طالب أخوان لأب و أمّ، أمهما: فاطمه بنت عمرو بن عائذ، و كان أبى طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه و اله بعد جدّه فكان إليه و معه.

بيان: السقايه اسقاء الحجيج الماء العذب، و الرّفاده خرج كانت قريش تخرجه فى كلّ موسم من أموالها فتدفعه إليه فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن له سعه و لا زاد.

و قال اليعقوبى فى التاريخ (ص ٧ ج ٢): و توفيت أمه صلى الله عليه و اله بنت وهب بالأبواء و كان عبد المطلب جدّ رسول الله صلى الله عليه و اله يكفله و عبد المطلب يومئذ سيّد قريش غير مدافع قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحدا، و سقاه زمزم و ذا الهرم(١)

ص: ٢٦٠

١- (١) ذو الهرم اسم بئر حفرها عبد المطلب بالطائف بعد ما حفر زمزم بمكه؛ كما فى تاريخ اليعقوبى أيضا ص ٢٠٦ ج ١ - منه.

و حكمته قريش في أموالها، و أطمع في المحلّ حتّى أطمع الطّير و الوحوش في الجبال قال أبو طالب:

و نطمع حتّى تأكل الطير فضلنا إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد

و رفض عباده الأصنام، و وخذ الله عزّ و جلّ، و وفى بالنذر، و سنّ سننا نزل القرآن بأكثرها و جاءت السنّه من رسول الله بها، و هى: الوفاء بالنذور، و مائه إبل في الدّيه، و ألاّ تنكح ذات محرم، و لا تؤتى البيوت من ظهورها، و قطع يد السارق، و النّهي عن قتل المؤدّه، و المباهله، و تحريم الخمر، و تحريم الزّنا و الحدّ عليه، و القرعه، و ألاّ يطوف أحد بالبيت عريان، و إضافه الضّيف، و ألاّ ينفقوا إذا حجّوا إلّا- من طيب أموالهم، و تعظيم الأشهر الحرم، و نفى ذوات الزّيات، فكانت قريش تقول: عبد المطّلب إبراهيم الثّاني.

و ذكر قريبا ممّا نقلنا عن اليعقوبى الحلبيّ في السيره ناقلا عن ابن الجوزى و زيني دحلان بهامشه (ص ٢١) أيضا، و قال دحلان: كان عبد المطّلب يأمر أولاده بترك الظلم و البغى و يحثّهم على مكارم الأخلاق و ينهاهم عن دنيا الامور و كان يقول: لن يخرج من الدّنيا ظلوم حتّى ينتقم الله منه و تصيبه عقوبه، إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام و لم تصبه عقوبه فقيل لعبد المطّلب في ذلك ففكر و قال:

و الله إن وراء هذه الدّار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه و يعاقب المسيء باساءته.

و أوصى عبد المطّلب إلى ابنه الزبير بالحكومه و أمر الكعبه، و إلى أبي طالب برسول الله صلّى الله عليه و اله و سقايه زمزم، و قال له: قد خلفت في أيديكم الشرف العظيم الّذى تطاون به رقاب النّاس، و قال لأبي طالب - و كان اسمه عبد مناف أى أنّه كان سمى جدّه الأعلى عبد مناف -:

اوصيك يا عبد مناف بعدى بمفرد بيد أبيه فرد

فارقه و هو ضجيع المهد فكنت كالآم له فى الوجد

تدنيه من أحشائها و الكبد فأنت من أرجى بنى عندى

لدفع ضيم أو لشدّ عقد

(١) و توفى عبد المطلب و لرسول الله صلى الله عليه و اله ثمانى سنين و لعبد المطلب مائه و عشرون سنه و قيل: مائه و أربعون سنه، و أعظمت قريش موته، و غسيل بالماء و السّيدر و كانت قريش أوّل من غسل الموتى بالسّيدر، و لفّ فى حلّتين من حلل اليمن قيمتهما ألف مثقال ذهب و طرح عليه المسك حتّى ستره، و حمل على أيدي الرّجال عدّه أياما إعظاما و إكراما و إكبارا لتغيبه فى التراب و روى عن رسول الله صلى الله عليه و اله أنّه قال: إنّ الله يبعث جدّى عبد المطلب أمّه واحده فى هيئه الأنبياء و زىّ الملوكة.

أقول: قوله رضوان الله عليه: «فارقه و هو ضجيع المهد» ينافى ما نقلنا آنفا من ابن هشام من أنّ عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه و اله مات و قد كانت أم رسول الله حاملا به، فقد تنوزع فى ذلك فمنهم من قال: أنّه مات قبل مولد النّبى صلى الله عليه و اله، و منهم من قال: أنّه مات بعد مولده بشهر و قيل: بشهرين، و منهم من قال: أنّه مات بعد مولده بسنه، و قيل: أنّه مات فى السنه الثانيه من مولده، و قيل: بل مات عبد الله و رسول الله ابن ثمان و عشرين شهرا.

و قال الطبرسى فى تفسير سوره و الضّحى من المجمع: كان النّبى صلى الله عليه و اله مات أبوه و هو ابن سنتين، و قال الكليني فى باب تاريخ مولد النّبى و وفاته صلى الله عليه و اله:

ص: ٢٤٢

١- (١) و اسند الى عبد المطلب هذان البيتان أيضا: وصيت من كنيته بطالب عبد مناف و هو ذو تجار بابن الحبيب الاكرم الاقاربابن الذى قد غاب غير آئب فهذه الوصيه و التى فى المتن تدلان على أن أبا طالب كان سمي جده عبد مناف و أن أبا طالب كان كنيه له، و فى السادس من البحار: أبو طالب اسمه عبد مناف و قيل اسمه عمران و يؤيد الاول وصيه عبد المطلب بقوله: اوصيك يا عبد مناف بعدى، و الثانى ما عن بعض النسخ فى زياره النّبى صلى الله عليه و آله من بعيد السلام على عمك عمران أبى طالب - منه.

و توفى أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله و هو ابن شهرين، و ظاهر الحديث الذى رواه الصدوق فى المجلس الخامس و الأربعين من أماليه (ص ١٥٨) عن ابن عباس أنه مات قبل مولده حيث قال: فلما مات عبد الله و ولدت آمنه رسول الله صلى الله عليه و اله أتيت - إلخ.

أكثر العلماء من الفريقين على أنّ عبد الله مات بعد مولد رسول الله صلى الله عليه و اله، و قال يعقوبى فى التاريخ: توفى عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه و اله - على ما روى جعفر بن محمد - بعد شهرين من مولده، قال: و قال بعضهم: إنه توفى قبل أن يولد و هذا غير صحيح لأن الإجماع على أنه توفى بعد مولده، انتهى، فقول الكلينى و من سلك مسلكه متخذ من الحديث المروى عن الإمام الصادق عليه السلام.

ثم إن ما نقل يعقوبى عن النبى صلى الله عليه و اله فى جدّه عبد المطلب توافقه عدّه روايات فى الكافى و أتى بها الفيض رحمه الله فى باب ما جاء فى عبد المطلب و أبى طالب رضى الله عنهما من الوافى (ص ١٥٨ ج ٢) فى الكافى بإسناده إلى زراره، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمه و وحده عليه سيماء الأنبياء و هيبه الملوك.

و فيه بإسناده عن مقرن، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن عبد المطلب أول من قال بالبدا يبعث يوم القيامة أمه و وحده عليه بهاء الملوك و سيماء الأنبياء، و غيرهما من روايات اخرى.

و ما نقل ابن هشام فى السيره من أنه يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة - إلخ، توافقه روايه فى الكافى بهذا المضمون نقلها الفيض فى ذلك الباب من الوافى أيضا: روى الكلينى بإسناده إلى رفاعه، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: كان عبد المطلب يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحد غيره و كان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنى منه فجاء رسول الله صلى الله عليه و اله و هو طفل يدرج حتى جلس على فخذه فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه، فقال له عبد المطلب: دع ابني فإن الملك قد أتاه، (الوافى ص ١٥٩ ج ٢).

و أمّيا هاشم: ففي السيره لابن هشام نقلا عن ابن إسحاق (ص ١٣٥ ج ١) ولى الرّفاده و السقايه - يعنى بعد أن توفّى أبوه عبد مناف - و ذلك أنّ عبد شمس كان رجلا سفارا، قلّما يقيم بمكّه و كان مقلاّ ذا ولد (كان لعبد مناف بنون خمس و هم: عبد شمس، و هاشم، و المطلب، و نوفل، و أبو عمرو عبيد) و كان هاشم موسرا، فكان - فيما يزعمون - إذا حضر الحاج قام في قريش فقال: «يا معشر قريش إنّكم جيران الله و أهل بيته؛ و إنّه يأتيكم في هذا الموسم زوّار الله و حجّاج بيته و هم ضيف الله، و أحقّ الضّيف بالكرامه ضيفه؛ فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيّامهم هذه التي لا بدّ لهم من الإقامه بها فإنّه و الله لو كان مالى يسع لذلك ما كلّفتموه» فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم، كلّ امرئ بقدر ما عنده فيصنع به للحجّاج طعاما حتّى يصدروا منها.

قال: و كان هاشم فيما يزعمون أوّل من سنّ الرّحلتين لقريش رحلتى الشتاء و الصيف، و أوّل من أطعم الثريد بمكّه، و إنّما كان اسمه عمرا، فما سمّى هاشما إلّا - بهشمه الخبز بمكّه لقومه، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب (قيل هو عبد الله بن الرّبعرى، و قيل هو مطرود بن كعب):

عمرو الّذى هشم الثريد لقومه قوم بمكّه مستنين عجاف

سنّت إليه الرّحلتان كلاهما سفر الشتاء و رحله الأصياف

المستنون: الّذين أصابتهم السنه، و هى الجوع و القحط و الجذب، و العجاف جمع عجف من العجف بمعنى الضعف و الهزال.

ثمّ توفّى هاشم بغزّه من أرض الشام تاجرا فولى السقايه و الرّفاده من بعده المطلب بن عبد مناف و كان أصغر من عبد شمس و هاشم و كان ذا شرف في قومه و فضل و كانت قريش إنّما تسمّيه الفيض لسماحته و فضله.

و ذكر أكثر ممّا نقلناه عن ابن هشام اليعقوبى فى التاريخ (ص ٢٠٢ ج ١) فراجع، قال: و يقال: إنّ هاشما و عبد شمس كانا توأمين فخرج هاشم و تلاه عبد شمس و عقبه ملتصق بعقبه فقطع بينهما بموسى فقيل: ليخرجن بين ولد هاذين من التقاطع

ما لم يكن بين أحد.

و أما بنو امية فالتاريخ اصدق شاهد على أنهم لم يكونوا إلا فى صدد إثارة فتنه، و إناره حرب، و أنّ شيمتهم كانت الخيلاء، و البخل، و النفاق، و أنّ دأبهم كان الإستيلاء على الناس و السلطان عليهم ظلما و جورا، و أنّ بينهم و بين بنى هاشم فى السّجايا الإنسانيه بونا بعيدا.

و إنّى كلّما طلبتهم فى كتب التواريخ و المغازى و السّير فما وجدتهم إلا أفضاظاً غلاظ القلوب و قساتها، و ما رأيت أمانتهم إلا أن تكونوا جبابره ملوكا.

و هذا هو أبو سفيان كان صحرا، و قد حارب رسول الله صلّى الله عليه و اله و كان سببا لإثارة وقعه بدر كما تقدّم عن اليعقوبى فى شرح المختار التاسع من باب الكتب (ص ٣٦٩ ج ١٧) فى السيره النبويه لابن هشام (ص ٦٧١ ج ١): قال ابن إسحاق: ثم قال الله عزّ و جلّ: «إنّ اللّذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله - إلى قوله: إلى جهنّم يحشرون» يعنى النفر اللّذين مشوا إلى أبى سفيان و إلى من كان له مال من قريش فى تلك التجاره فسألوهم أن يقوؤهم بها على حرب رسول الله صلّى الله عليه و آله ففعلوا.

و قال ابن الأثير فى اسد الغابه ناقلا عن أبى أحمد العسكرى: هو اللّذى قاد قريشا كلّها يوم احد و لم يقدمها قبل ذلك رجل واحد إلا يوم ذات نكيف قادها المطّلب.

و قال اليعقوبى فى التاريخ: كانت وقعه احد فى شوال بعد بدر بسنه، اجتمعت قريش و استعدّت لطلب ثارها يوم بدر و استعانت بالمال اللّذى قدّم به أبو سفيان و قالوا: لا تنفقوا منه شيئا إلا فى حرب محمّد إلى أن قال :-

و خرج المشركون و عدّتهم ثلاثه آلاف و رئيسهم أبو سفيان بن حرب، و خرج رسول الله صلّى الله عليه و اله و خرج المسلمون و عدّتهم ألف رجل حتّى صاروا إلى احد، و وافى المشركون فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل حمزه بن عبد المطّلب أسد الله و أسد رسوله رماه وحشى و مثلت به هند بنت عتبه (و هند كانت زوج أبى سفيان) و شقت عن كبده فأخذت منها قطعه فلاكتها و جدعت أنفه فجزع عليه رسول الله صلّى الله عليه و اله جزعا شديدا

و قال: لن أصاب بمثلك - إلخ.

و كان أبو سفيان يحرض قريشا على القتال، و قال ابن إسحاق: و قد قال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بنى عبد الدّار يحرضهم بذلك على القتال: يا بنى عبد الدّار إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم و إنّما يؤتى النّاس من قبل راياتهم إذا زالت زالو، فإنّما أن تكفونا لواءنا و إمّا أن تخلّوا بيننا و بينه فنكفيكموه فهّموا به و تواعدوه و قالوا: نحن نسلم إليك لواءنا، ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع! و ذلك أراد أبو سفيان.

و كانت زوجه هند و النسوة اللّاتي معها يحرضن الكفّار على القتال فإنّه لما التقى النّاس و دنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللّاتي معها و أخذن الدفوف يضربن بها خلف الرّجال و يحرضنهم فقالت هند فيما تقول:

ويها بنى عبد الدّار ويها حماه الأدبار

ضربا بكلّ بتار

و تمثّلت بأبيات قالتها هند بنت طارق بن بياضه الإياديه فى حرب الفرس لإياد:

إن تقبلوا نعاتق و نفرش التّمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

و كان أبو سفيان يشمت بالمسلمين بعد احد، كما قال ابن عبّاس و عكرمه لما اصيب المسلمين ما أصابهم يوم احد و صعد النّبىّ صلّى الله عليه و اله الجبل جاء أبو سفيان فقال: يا محمّد لنا يوم و لكم يوم، فقال صلّى الله عليه و اله: أجيبوه فقال المسلمون: لا سواء قتلتنا فى الجنّه و قتلكم فى النّار، فقال أبو سفيان: لنا عزى و لا عزى لكم؛ فقال النّبىّ صلّى الله عليه و اله: قولوا: الله مولانا و لا مولى لكم، فقال أبو سفيان: اعل هبل؛ فقال النّبىّ صلّى الله عليه و اله: قولوا: الله أعلى و أجل، و ذكر قريبا منه ابن هشام فى السيره (ص ٩٣ ج ٢).

و كان دأب معاويه و شيمته أيضا كذلك إلى أن أسلم بحسب الظاهر إمّا رغبه و إمّا رهبه فى يوم فتح مكّه و بعد ما أسلم ظاهرا قد سفك دماء المسلمين و أفرط فيه فقد

ص: ٢٦٦

قال المسعودي في مروج الذهب (ص ٦٦ ج ٢): وقد كان بسر بن أرطاه العامري (كان بسر منصوبا من قبل معاوية، على سفك الدماء) قتل بالمدينة و بين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعه و غيرهم، و كذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همدان، و قتل بصنعاء خلقا كثيرا من الأبناء؛ و لم يبلغه عن أحد أنه يماليء عليا أو يهواه إلا قتله.

و نقل ما اصيب منه المسلمون يطول به الكتاب و ينجرّ إلى الإسهاب، و نكتفى بنقل كتاب كتبه محمّد بن أبي بكر إلى معاوية ذكر فيه عليا و أباه، و معاوية و أباه بما تراه، قال المسعودي في مروج الذهب (ص ٥٩ ج ٢): لمّا صرف عليّ عليه السّلام قيس بن سعد بن عباده عن مصر و جّه مكانه محمّد بن أبي بكر فلما وصل إليها كتب إلى معاوية كتابا فيه:

من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر: أمّا بعد فإنّ الله بعظّمته و سلطانه خلق خلقه بلا عبث منه و لا ضعف في قوّته و لا حاجه به إلى خلقهم لكنّه خلقهم عبيدا و جعل منهم غويّا و رشيدا و شقيّا و سعيدا ثمّ اختار علي علم و اصطفى و انتخب منهم محمّدا صلّى الله عليه و اله فانتخبه لعلمه و اصطفاه لرسالته و ائتمنه على وحيه و بعثه رسولا و مبشّرا و نذيرا فكان أوّل من أجاب و أناب و آمن و صدق و أسلم و سلم أخوه و ابن عمّه عليّ بن أبي طالب صدّقه بالغيب المكتوم و آثره على كلّ حميم و وقاه بنفسه كلّ هول و حارب حربيه و سالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات اللّيل و النّهار و الخوف و الجوع و الخضوع حتّى برز سابقا لا نظير له فيمن اتّبعه و لا مقارب له في فعله و قد رأيتك تساميه و أنت أنت و هو هو أصدق النّاس نبيّه، و أفضل النّاس ذريّه، و خير النّاس زوجه و أفضل النّاس ابن عمّ أخوه الشّاري بنفسه يوم موته، و عمّه سيّد الشهداء يوم احد، و أبوه الدّابّ عن رسول الله صلّى الله عليه و اله و عن حوزته؛ و أنت اللّعين ابن اللّعين لم تزل أنت و أبوك تبغيان لرسول الله صلّى الله عليه و اله الغوائل، و تجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع، و تبدلان فيه المال، و تؤلّبان عليه القبائل؛ على ذلك مات أبوك و عليه خلفته؛ و الشهيد عليك من تدنى و يلجأ إليك من بقيه

الأحزاب و رؤساء النفاق؛ و الشاهد لعلّي مع فضله المبين القديم أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم، و أثنى عليهم من المهاجرين و الأنصار و هم معه كتائب و عصائب يرون الحقّ في أتباعه و الشقاء في خلافه؛ فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعليّ و هو وارث رسول الله صلّى الله عليه و اله و وصيّيه و أبو ولده، أوّل الناس له اتّباعا و أقربهم به عهدا، يخبره بسرّه و يطلعه على أمره، و أنت عدوّه و ابن عدوّه فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك، و ليمدّدك ابن العاص في غوايتك، فكأنّ أجلك قد انقضى و كيدك قد و هي، ثمّ يتبيّن لك لمن تكون العاقبه العليا، و اعلم أنّك أنّما تكايد ربّك الذي آمنك كيده و يئست من روحه فهو لك بالمرصاد و أنت منه في غرور و السلام على من اتّبع الهدى.

فأجابه معاويه في كتاب أرسله إليه بما خلاصته: فقد كُنّا و أبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب و حقّه لازما لنا مبرورا علينا فلما قبض الله نبيّه كان أبوك و فاروقه أوّل من ابتزّه حقّه، و خالفه على أمره على ذلك اتّفقا و اتّسقا، و لو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب و لسلمنا إليه و لكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله فعب أباك بما بدا لك أودع و السلام على من أناب.

و أتى بتفصيله المسعوديّ في مروج الذهب فراجع، فأين أبو سفيان الضّاري بدماء النبيّ صلّى الله عليه و اله و المسلمين، و أبو طالب الذي كان كافل الرّسول و حاميه و ذابّا عنه و عن المسلمين.

و أين زوجه هند آكله الأكباد، و امرأه أبي طالب فاطمه بنت أسد بن هاشم ربّت رسول الله صلّى الله عليه و اله، و قال اليعقوبي في التاريخ (ص ١٠ ج ٢) و يروى عن رسول الله صلّى الله عليه و اله لما توفيت (يعني فاطمه بنت أسد) و كانت مسلمه فاضله - أنّه قال: اليوم ماتت امّي، و كفّنها بقميصه، و نزل على قبرها، و اضطجع في لحدها؛ فقيل له يا رسول الله لقد اشتدّ جزعك على فاطمه؛ قال: إنّها كانت امّي إذا كانت لتجيع صبيانها و تشبّعني، و تشعثهم و تدهنني و كانت امّي.

و بنو هاشم هم الذين كان النبي من بيتهم و هو صَلَّى الله عليه و اله رَّبِّي في حجرهم و ما بعث الله نبيًا إلا في منعه من قومه ففي المقدمه السادسه من مقدمه ابن خلدون (ص ٩١ طبع مصر): إنَّ الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصاً فضَّلهم بخطابه و فطرهم على معرفته و جعلهم وسائل بينهم و بين عبادہ يعرّفونهم بمصالحهم و يحرضونهم على هدايتهم - ثم أخذ في بيان علامات هذا الصِّنف من البشر فقال: و من علاماتهم أيضا أن يكونوا ذوى حسب في قومهم، و في الصحيح ما بعث الله نبيًا إلا في منعه من قومه و في روايه اخرى في تروه من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين، و في مسئله هرقل لأبي سفيان كما هو في الصحيح قال: كيف هو فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو حسب؛ فقال هرقل: و الرّسل تبعث في أحساب قومها، و معناه أن تكون له عصبه و شوكة تمنعه عن أذى الكفّار حتّى يبلغ رساله ربّه و يتم مراد الله من إكمال دينه و ملّته.

و كلام ابن خلدون هذا قد عنون في الكتب الكلاميه أيضا، ثم إنَّ المهدى الموعود ظهوره و قيامه من أهل بيت النبي صَلَّى الله عليه و اله فهو من بنى هاشم كما أنّ آباءه الكرام البره عليهم السلام من ذلك البيت.

و قد قاتل أبو سفيان بن حرب الأموي رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و فعل ما فعل.

و ابنه معاويه قاتل خليفه الرسول عليّاً المرتضى، و قتل بالسمّ ريحانه الرسول الحسن المجتبى.

و زوجه هند كانت تحرض المشركين على قتال المسلمين و قتلهم و قد مثلت أسد الله و أسد رسوله حمزه و أكلت أكباد أوداء الله.

و ابن معاويه يزيد قتل سيّد شباب أهل الجنّه ريحانه رسول الله الحسين بن فاطمه و أصحابه أنصار الله بكر بلاء، و قال السيوطى في تاريخ الخلفاء (ص ٣٠٧ طبع مصر): و في قتله قصه فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون. انتهى.

و بعد قتله فعل بمدينه الرسول ما فعل فقد قال السيوطى في التاريخ المذكور

و فى سنه ثلاث و ستين بلغه (يعنى يزيد بن معاويه) أنّ أهل المدينه خرجوا عليه و خلعه فأرسل إليهم جيشا كثيفا و أمرهم بقتالهم ثمّ المسير إلى مكّه لقتال ابن الزبير فجاءوا و كانت وقعه الحرّه على باب طيبه، و ما أدراك ما وقعه الحرّه؟ ذكرها الحسن مرّه فقال: و الله ما كاد ينجو منهم أحد قتل فيها خلق من الصحابه رضى الله عنهم و من غيرهم، و نهبت المدينه و افتضّ فيها ألف عذراء فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون؛ قال:

قال صلّى الله عليه و اله: «من أخاف أهل المدينه أخافه الله، و عليه لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين» و كان سبب خلع أهل المدينه له أنّ يزيد أسرف فى المعاصى.

و قال عبد الله حنظله الغسيل: و الله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجاره من السماء إنّه رجل ينكح امّهات الأولاد و البنات، و الأخوات، و يشرب الخمر، و يدع الصلاه.

قال: قال الذهبى: و لما فعل يزيد بأهل المدينه ما فعل مع شرب الخمر و اتيانه المنكر اشتدّ عليه الناس و خرج عليه غير واحد و لم يبارك الله فى عمره و سار جيش الحره إلى مكّه لقتال ابن الزبير و أتوا مكّه فحاصروه و قاتلوه و رموه بالمنجنيق و احترقت من شراره نيرانهم أستار الكعبه و سقفها - إلى آخر ما نقل فراجع إلى الكتاب.

و الدجال الذى يقاتل المهديّ المنتظر عليه السّلام الهاشمىّ سفيانىّ أيضا فى معانى الأخبار للصدوق رحمه الله عن الصادق عليه السّلام: قال: إنا و آل أبى سفيان أهل بيتين تعادينا فى الله: قلنا صدق الله و قالوا كذب الله، قاتل أبو سفيان رسول الله صلّى الله عليه و اله و قاتل معاويه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و قاتل يزيد بن معاويه الحسين بن علىّ عليه السّلام و السفيانىّ يقاتل القائم، رواه المجلسى فى البحار (ج ٨ ص ٥٦٠ من الطبع الكمبانى).

و هذه أنموذجه من شيم بنى اميه، و تلك نبذه من خلال بنى هاشم و خلقهم العظيم.

ثمّ إنّ الفاضل الشارح المعتزلى قال: كان الترتيب يقتضى أن يجعل هاشما

بازاء عبد شمس لأنه أخوه في قعدد و كلاهما ولد عبد مناف لصلبه، و أن يكون اميّه بازاء عبد المطلب، و أن يكون حرب بازاء أبي طالب، و أن يكون أبو سفيان بازاء أمير المؤمنين عليه السلام لأن كل واحد من هؤلاء في قعدد صاحبه إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان في صفين بازاء معاويه اضطرّ إلى أن جعل هاشم بازاء اميّه بن عبد شمس. انتهى.

أقول: أولاً إنّ سلسلتى نسب أمير المؤمنين على عليه السلام و معاويه إلى عبد مناف ليستا متكافئتين حتى يجعل كل واحد من هذه السلسله في قعدد صاحبه من السلسله الاخرى فإنها في معاويه تجاوز حلقه فعلى عليه السلام ينتهي إلى عبد مناف بثلاثة آباء و معاويه ينتسب إليه ظاهراً بآباء أربعة.

و ثانياً إنّ الأمير عليه السلام جعل نفسه بازاء معاويه، و أباه أبا طالب بازاء أبيه أبي سفيان، و جدّه عبد المطلب بازاء جدّه حرب، و أبا جدّه هاشم بازاء أبي جدّه اميّه فلا يخفى حسن صنيعته عليه السلام.

و ثالثاً إنّ في صنيعته هذه اشاره لطيفه دقيقه إلى عدم انتهاء نسب الخصم إلى عبد مناف، أى عدم كونه من صميم قريش فتبصر.

و رابعاً إنّ الأمير عليه السلام كان في بيان فضل أولاد عبد مناف الذين كانوا آباء عليهم السلام شرافه و كرامه و مجددا على أولاده الذين كان معاويه ينتسب بهم إليه و ليس للتنظير مزيد اهتمام في المقام.

و خامساً إنّ في ما فعل الأمير عليه السلام من جعل اميّه بازاء هاشم، و حرب بازاء عبد المطلب، و أبي سفيان بازاء أبي طالب نكته تاريخيه أوجبت تنظير كل واحد من الثلاثة قبال صاحبه و قد غفل الشارح المذكور عنها و هي أنّ هاشما بعد أبيه عبد مناف لما ولى ما كان إليه من السبقايه و الرفاده و ساد قومه حسده اميّه ابن أخيه عبد شمس بن عبد مناف فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش و قالوا له: أتتشبه بهاشم؟ ثم دعا هاشما للمنافره فأبى هاشم ذلك لسنه و علوّ قدره فلم تدعه قريش؛ فقال هاشم لاميه: انا فركك على خمسين ناقه سود الحدق تنحر

بمكّه، و الجلاء عن مكّه عشر سنين، فرضى اميّه بذلك و جعللا بينهما الكاهن الخزاعى و كان بعسفان فخرج كلّ منهما فى نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم: و القمر الباهر، و الكوكب الزّاهر، و الغمام الماطر، و ما بالجوّ من طائر، و ما اهتدى بعلم مسافر، من منجد و غائر، لقد سبق هاشم اميّه إلى المفاخر فنصر هاشم على اميّه فعاد هاشم إلى مكّه و نحر الإبل و أطعم النَّاس و خرج اميّه إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أوّل عداوه وقعت بين هاشم و اميّه و توارث ذلك بنوهما.

فقد أشار علىّ عليه السّلام بقوله: «و لكن ليس اميّه كهاشم» إلى هذا التنظير، و قد نقلنا هذه النكته التاريخيه من انسان العيون فى سيره الأمين و المأمون المعروف بالسيره الحليّيه (ص ٥ ج ١ طبع مصر) و قد نقل قريبا منه أبو جعفر الطبرىّ فى التاريخ، و ابن الأثير فى الكامل.

و أمّا ما أوجبت التنظير بين عبد المطّلب و حرب فهى أنّ حربا كان نديم عبد المطّلب فى الجاهليه و كان فى جوار عبد المطّلب يهوديّ فأغلظ ذلك اليهودى القول على حرب فى سوق من أسواق تهامه فأغرى عليه حرب من قتله؛ فلتّيا علم عبد المطّلب بذلك ترك منادمه حرب و لم يفارقه حتّى أخذ منه مائه ناقة دفعها لابن عمّ اليهودى ثمّ نادم عبد الله بن جدعان التميمى.

هذا ما نقلنا عن السيره النبويّه لأحمد زينى دحلان (هامش السيره الحليّيه ص ٢٢ ج ١) و تفصيل ذلك ما أتى به أبو جعفر الطبرىّ فى التاريخ و ابن الأثير فى الكامل من أنّ عبد المطّلب كان له جار يهوديّ يقال له: اذينه يتّجر و له مال كثير فغاظ ذلك حرب بن اميّه، و كان نديم عبد المطّلب فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه و يأخذوا ماله فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدّار، و صخر بن عمرو بن كعب التميمى جدّ أبى بكر؛ و لم يعرف عبد المطّلب قاتله فلم يزل يبحث حتّى عرفهما و إذا هما قد استجارا بحرب بن اميّه، فأتى حربا و لامّه، و طلبهما منه فأخفاهما

فتغالظا فى القول حتّى تنافرا إلى النجاشى ملك الحبشه فأبى أن ینفر بينهما فجعلا- بينهما نفیل بن عبد العزى بن رباح، فقال
لحرب:

یا أبا عمرو أتنافر رجلا هو أطول منك قائمه، و أعظم منك هامه، و أوسم منك و سامه، و أقلّ منك ملامه، و أكثر منك ولدا،
و أجزل صفدا، و أطول منك مذودا؟ و إئى لأقول هذا و إئک لبعید الغضب، رفیع الصوت فى العرب، جلد المریره، جلیل
العشیره، و لکئک نافرت منفرا.

فغضب حرب و قال: إنّ من انتکاس الزّمان أن جعلت حکما؛ فترک عبد المطلب منادمه حرب، و نادم عبد الله بن جدعان و
أخذ من حرب مائه ناقة فدفعها إلى ابن عمّ اليهودى، و ارتجع ماله إلاّ شيئا هلك فغرمه من ماله.

ثمّ قال زینى دحلاذن: و یروى أنّ حربا كان لا يلتقى من أحد من رؤساء قریش أو غیرهم فى؟؟ عقبه؟؟ أو مضيق إلاّ تأخروا و
تقدّم هو، و لا يستطيع أحد أن يتقدّم علیه فالتقى حرب مع رجل من بنى تمیم فى عقبه فتقدّمه التمیمى، فقال حرب: أنا حرب بن
امیه فلم يلتفت إليه التمیمى و مرّ قبله فقال حرب: موعدک مکّه فبقى التمیمى دهرا ثمّ أراد دخول مکّه فقال: من یجیرنى من
حرب بن امیه؟ فقيل له: عبد المطلب بن هاشم فأتى التمیمى لیلا دار الزّبير بن عبد المطلب فدقّ الباب فقال الزّبير لأخيه الغيداق:
قد جاءنا رجل إمّا مستجیر أو طالب حاجه أو طالب قرى و قد أعطیناه ما أراد فخرج الزّبير فأنشد الرّجل:

لاقت حربا فى الثّیّه مقبلا و الصبح أبلج ضوءه للبارى

فدعا بصوت و اکتنى لیروعنى و دعا بدعوته یرید فخارى

فترکته کالکلب ینبح وحده و أتیت أهل معالم و فخار

لیثا هزبرا یرتجار بقربه رحب المنازل مکرما للجار

و لقد حلفت بمکّه و بززم و البيت ذى الأحجار و الأستار

إنّ الزّبير لما نعى من خوفه ما کبر الحجاج فى الأمصار

فقال الزبير للتميمي: تقدّم فإننا لا نتقدّم على من نجيره فتقدّم التميمي و دخل المسجد فرآه حرب فقام إليه فلطمه فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال: أجرني من الزبير فأكفأ عليه جفنه كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقى تحتها ساعه ثم قال له عبد المطلب: اخرج، فقال: كيف اخرج و سبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب؟ فألقى عليه عبد المطلب رداءه فخرج عليهم فعلموا أنه أجاره فتفرقوا.

و إلى هذه القصّة أشار ابن عباس رضی اللّٰه عنهما حين دخل على معاوية في أيام خلافته و عنده وفود العرب فذكره كلاما فيه افتخار و ذكر في كلامه حرب بن اميّه فقال له ابن عباس: فمن أكفأ عليه إناء و أجاره بردائه؟ فسكت معاوية.

و أمّا التنظير بين أبي طالب و أبي سفيان فظاهر ممّا قدّمنا سالفًا من حمايه أبي طالب رضوان اللّٰه عليه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اله و المسلمين و ذبّه عن الرّسول صلّى اللّٰه عليه و اله و حسن تدبيره في دفع كيد القوم عنه، و أنفا من إيذاء أبي سفيان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اله و المسلمين و بغيه لهم و تألييه عليهم القبائل و جهده في إطفاء نور اللّٰه و ولعه في سفك الدّماء.

ثمّ بما بيّنا من وجه التنظير علم أيضا أنّ بنى هاشم كانوا يؤمنون بالخائفين و يؤدّون الحقوق، و كان دارهم مأمّن الناس و أنّ بنى اميّه كانوا على خلافهم.

قال عليه السّلام: «و لا المهاجر كالطليق، و لا الصّريح كاللّصيق، و لا المحقّ كالمبطل، و لا المؤمن كالمدغل» بعد ما بين ما كانت طاريه عليهما من جهه آبائهما أخذ بذكر الصّيفات النفسانيه، فقال: و لا المهاجر كالطليق يعنى بالمهاجر نفسه و بالطليق معاويه و قد علمت في شرح المختار الزّابع و الثلاثين و المأتين من باب الخطب و هو قوله عليه السّلام: فجعلت أتبع مأخذ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اله - إلخ (ص ١٢٦ ج ١٥) أنّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اله لمّا فجأه من الكفّار ما أحوجه إلى الخروج من مكّه استخلف عليّا في ردّ الودائع إلى أربابها و قضاء ما كان عليه من دين لمستحقّيه و جمع بناته و نساء أهله و أزواجه و الهجره بهم إليه فقام علىّ عليه السّلام به أحسن القيام و بات على فراش رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و اله و وقاه بنفسه ثمّ ردّ كلّ وديعه إلى أهلها و أعطى كلّ ذى

حقَّ حقّه و حفظ بنات رسول الله و حرمة و هاجر بهم ماشيا على قدميه يحوطهم من الأعداء و يكلاهم من الخصماء و يرفق بهم فى المسير حتّى أوردهم عليه صلّى الله عليه و اله المدينة على أتمّ صيانه و حراسه و رفق و رأفه و حسن تدبير.

و كان معاويه و أبوه فى زمان مهاجره الرسول و الوصيّ عليهما السّلام مشركين و قد أسلما يوم فتح مكّه إمّا رغبة و إمّا رهبة و لما ظهر رسول الله صلّى الله عليه و اله على أهل مكّه قال لهم:

فاذهبوا و أنتم الطلقاء فمعاويه طليق بن طليق، و سيأتى ذكر فتحها عن قريب.

قوله عليه السّلام: «و لا الصّيريح كاللّصيق» يعنى بالصّريح نفسه و باللّصيق معاويه و قد علم فى بيان لغه الكتاب أن الصّريح بمعنى خالص النسب، و اللصيق بمعنى الدعىّ فى قوم، الملتصق بهم و ليس منهم.

قال الفاضل الشارح المعتزلى: إن قلت: ما معنى قوله: و لا الصّيريح كاللّصيق و هل كان فى نسب معاويه شبهه ليقول له هذا؟ قلت: كلاً إنّ لم يقصد ذلك و إنّما أراد الصّيريح بالإسلام و اللّصيق فى الإسلام فالصّريح فيه هو من أسلم اعتقاداً و إخلاصاً، و اللّصيق فيه من أسلم تحت السيف أو رغبة فى الدّنيا و قد صرّح بذلك فقال: كنتم ممّن دخل فى هذا الدّين إمّا رغبة و إمّا رهبة. انتهى.

أقول: لو كان شرح عبارته مبنياً على الرأى من دون دلالة سبكها و اسلوبها عليه، أو لم يكن له شاهد من خارج لجاز أن تفسّر على آراء كثيره قائله خارجه عن حيطة المراد قطعاً.

ثمّ يقال له: ما اقتضى عدولك عن ظاهر اللفظ و ارتكابك على هذا التكلّف؟ و لم لا يجوز أن يكون معاويه ملصقاً بقريش و مع ذلك كان ممّن دخل فى الدّين إمّا رغبة أو رهبة، حتّى لا تحمل العبارتان على معنى واحد؟ فإن قلت: إذا كان اللّصيق بهذا المعنى أى إنّ لم يكن من قريش فلم قال الأمير عليه السّلام: «و أمّا قولك إنّنا بنو عبد مناف فكذلك نحن» و لم يرده فى ادّعائه هذا بأنّه ليس من بنى عبد مناف، بل أمضاه و أثبته بقوله فكذلك نحن؟ قلت: أوّلاً إنّ عليه السّلام على نسخه نصر لم يمضه و لم يعترف بأنّ معاويه من

بنى عبد مناف بل قال: و أمّا قولك: «إنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل» «فلعمري إنا بنو أب واحد» و لا يخفى عليك أن الكافر و المسلم من أب واحد آدم عليه السلام.

و ثانيا هب أنه قال: فكذلك نحن، و لكن لا- ضير فى أن يكون كلامه هذا مبنياً على المماشاه و فرض التسليم أى سلّمنا أن نسبك ينتهى إلى عبد مناف و لكنّ بين آبائى و آبائك إلى عبد مناف فى الشرافه و الجلاله فرقا فاحشا ثم نفى نسبه إليه بقوله: و ليس الصريح كاللصيق، و هذا الدّأب فى المحاورات ليس بعزيز.

و قال سينا عماد الدّين الحسن بن على بن محمّد بن الحسن الطبري فى الفصل الأوّل من الباب الخامس و العشرين من كتابه كامل السقيفه المشتهر بالكامل البهائي (ص ١٦١ ج ٢ طبع دار العلم قم) و كذا قال صاحب إلزام النواصب: إن بنى اميّه ليسوا بصحيحى النسب إلى عبد مناف، و نقل قولهما المجلسى فى المجلّد الثامن من البحار (ص ٣٨٣ من الطبع الكمبانى) قال:

قال صاحب الكامل البهائي: إن اميّه كان غلاما روميا لعبد الشمس فلما ألفاه كيسا فطنا أعتقه و تبنّاه فقيل اميّه بن عبد الشمس كما كانوا يقولون قبل نزول الايه: زيد بن محمّد، و لذا روى عن الصادقين عليهما السّلام فى قوله تعالى: «الم غَلَبَتِ الرُّومُ» أنّهم بنو اميّه، و من هنا يظهر نسب عثمان و معاويه و حسبهما و أنّهما لا يصلحان للخلافه لقوله صلّى الله عليه و اله: الأئمّه من قريش.

و قال مؤلّف كتاب إلزام النواصب: اميّه لم يكن من صلب عبد الشمس و إنّما هو من الرّوم فاستلحقه عبد الشمس فنسب إليه فبنو اميّه ليسوا من صميم قريش و إنّما هم يلحقون بهم و يصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام إن بنى اميّه لصاق و ليسوا صحيحى النسب إلى عبد مناف و لم يستطع معاويه انكار ذلك. انتهى.

أقول: قوله قبل نزول الايه اشاره إلى قوله تعالى فى سوره الأحزاب:

«فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كُهَا» - إلى قوله عزّ و جلّ: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ

«

و روايه الصادقين قد رواها الشيخ الجليل أبو الفتح الكراجكى معاصر الشريف الرضى فى كنز الفوائد، و قد روى عن غيرهما من أئمتنا عليهم السلام أيضا أتى بها المجلسى فى ثامن البحار (ص ٣٧٩) روى الكراجكى قدس سره عن محمد بن العباس، عن ابن عقده، عن الحسن بن القاسم، عن على بن إبراهيم بن المعلّى، عن فضيل بن إسحاق، عن يعقوب بن شعيب، عن عمران بن ميثم، عن عبايه، عن على عليه السلام قال:

قوله عزّ و جلّ: «الم غلبت الروم» هي فينا و في بنى اميه.

و روى عن محمد بن العباس، عن الحسن بن محمد بن جمهور العمى، عن أبيه، عن جعفر بن بشير، عن ابن مسكان، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سألته عن تفسير «الم غلبت الروم» قال: هم بنو اميه و إنّما أنزلها الله الم غلبت الروم بنو اميه فى أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله عند قيام القائم.

و اعلم أنّ الرويتين تشيران إلى بطن من بطون الـايه و ليس المراد من قوله أنّما أنزلها الم غلبت الروم بنو اميه و قوله يفرح المؤمنون بنصر الله عند قيام القائم أنّ الـايه نزلت هكذا أوّلا ثم حرّفت و صحّفت؛ و ذلك لما علمت من شرحنا على المختار الأوّل من باب الكتب و الرسائل أنّ القرآن الّذى فى أيدي الناس اليوم هو جميع ما أنزله الله تعالى على رسوله و ما تطرق إليه زياده و نقصان فراجع إلى ص ٢٤٩-٢٩٥ من المجلّد السادس عشر.

قال عليه السلام: «و لا المحقّ كالمبطل» أى ليس ذاك كهذا، و يعنى بالمحقّ نفسه و بالمبطل معاويه، و كذا قوله عليه السلام: «و لا المؤمن كالمدغل» أنّما يعنى بالمؤمن نفسه و بالمدغل معاويه.

فالأمير عليه السلام بدأ بذكر فضائله و ردائل خصمه من آبائهما أوّلا و أدرج الخصم فى سلك قريش على سبيل المماشاه، ثم أتى بأوصاف أربعه كماله كانت له عليه السلام، و ذكر مع كلّ واحده منها ضدّها الّذى كان لخصمه معاويه.

و أفاد الشارح البحرانى بأنّه عليه السلام ذكر الفرق بينهما من وجوه خمسه بدأ

فيها بالامور الخارجيه أولا من كمالاته و فضائله و رذائل خصمه متدرجا منها إلى الأقرب فالأقرب فالأول شرفه من جهه الالباء المتفرعين على عبد مناف بعد أن سلم الاشتراك بينهما في كونهما من بنى عبد مناف.

الثانى شرفه من جهه هجرته مع الرسول صلى الله عليه و اله و حسنه خصمه من جهه كونه طليقا و ابن طليق و هذه فضيله و إن كانت خارجيه إلا أنها تستلزم فضيله نفسانيه و هى حسن الإسلام و التيه الصادقه الحقه و كذلك ما ذكر من رذيله خصمه بدنيه عرضت له إلا أن هذه الفضيله و الرذيله أقرب من الاعتبارين الأولين لكونهما حقيقتين بالالباء و هميتين بالأبناء دون هاتين.

الثالث شرفه من جهه صراحه النسب و حسنه خصمه من جهه كونه دعيا و هذان الاعتباران أقرب مما قبلهما لكونهما اعتبارين لازمين لهما دون الأولين.

الرابع شرفه من جهه كونه محققا فيما يقوله و يعتقده و رذيله خصمه من جهه كونه مبطلا و هذان الاعتباران أقرب لكونهما من الكمالات و الرذائل الذاتيه دون ما قبلها.

الخامس شرفه من جهه كونه مؤمنا، و المؤمن الحق هو المستكمل للكمالات الدينيه النفسانيه و حسنه خصمه من جهه كونه مدغلا أى خبيث الباطن مشتملا على النفاق و الرذائل الموبقه و ظاهر أن هذين الاعتبارين أقرب الكمالات و الرذائل إلى العبد، و إنما بدأ بذكر الكمالات و الرذائل الخارجيه لكونهما مشتمله عند الخصم و أظهر له و للخلق من الامور الداخليه.

قال عليه السلام: «و لبس الخلف خلف يتبع سلفا هوى فى نار جهنم» اسلوب الكلام ينادى بأعلى صوته أن جملة يتبع صفه للخلف، و هو فى نار جهنم للسلف و الإتيان بالفعل المضارع فى الاولى، و الماضى فى الثانيه أصدق شاهد لما قلنا فأخبر عليه السلام بأن سلف معاويه و منهم أبو سفيان هوى بكفره و شركه فى نار جهنم.

على أن السلف إذا كان على سوى الصراط فنعم الخلف خلف يتبعه فلا يعاب على خلف بهذا الاتباع و لا يذم به بل يمدح ففى هذا الكلام ذم للخلف و السلف معا.

فيما حَقَّقنا دريت و هن ما جنح إليه الفاضل أحمد زكى صفوت في جمهره رسائل العرب (ص ٤٨٠ ج ١) من أنه عليه السلام لا يعيب على معاويه بأن سلفه كانوا كفارا بل بكونه متبعا لهم فقد نهج في معاداه على نهج أجداده في معاداه أجداد على.

قال عليه السلام: «و في أيدينا بعد فضل النبوه التي أذللنا بها العزيز و نعشنا بها الدليل» هذا ردّ على قول معاويه: «ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستدلّ به عزيز و لا يسترقّ به حرّ» معناه: و الحال أنّ لنا فضلا آخر عليكم بعد الفضائل المتقدّمه و هو فضل النبوه، و لَمّا استثنى معاويه بقوله إلاّ فضل لا يستدلّ به - إلخ أجابه الأمير عليه السلام تبكيته له و إفحاما و ردّا لادّعائه الباطل بقوله: التي أذللنا بها العزيز كأبي سفيان و أبي لهب و أضرابهما، و رفعنا بها الدليل كأكثر الصحابه و التابعين كانوا خاملى الذكر و لَمّا آمنوا رفع الله لهم ذكرهم.

بل كان لابائه أعنى بنى هاشم فضل و شرف و مجد كانوا أعوانا للمظلوم و إن كان خاملا ذليلا، و خصماء للظالم و إن كان عزيزا نبيها، و كانوا يؤدّون كلّ ذى حقّ حقّه و يذلّون العزيز الظالم و ينعشون المظلوم الدليل.

و في قوله عليه السلام: و في أيدينا بعد فضل النبوه اشاره إلى أنه ربّى في بيت النبوه و اقتبس من مشكاه الرّساله، و أنّ نور النبوه كان في بنى هاشم ينتقل عن واحد منهم بعد واحد حتّى انتقل إلى عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلّى الله عليه و اله و أنّ بنى هاشم كانوا ببركه هذا الثور يذلّون العزيز و يرفعون الدليل، و كان لهم به شرف و فضل لم يكن لغيرهم، و أنّ من كان من بيت النبوى صلّى الله عليه و اله و أهله إنّما كان شأنه اعانه المظلوم و إغاثته، و قمع الظلم و دفع الظالم، و الله أعلم حيث يجعل رسالته، و لا يخفى عليك أنّ هذا الفضل لا يعادله شيء.

قوله عليه السلام «و لما أدخل الله العرب - إلخ» بعد ما عرّف عليه السلام نفسه و آباءه بأنّهم من بيت النبوه و لهم فضل النبوه و كانوا حماه الناس و رعاهم عقبه بذكر رذيله للخصم بأنّه و أباه و أتباعهما - كما أتى بلفظه الجمع حيث قال كنتم - ممّن دخلوا في دين الله لا عن اخلاص بل كانوا متمرّدين عاصين كارهين إلاّ أنّهم لَمّا

رأوا أنّ دين الله استولى على الناس و أظهره الله تعالى على الدّين كلّ لم يجدوا مخلصا و محيصا إلا أن يستسلموا إمّا رغبة إلى زخارف الدّنيا، و إمّا رهبة من سيوف المسلمين و قد مضى فى ذلك كلام عمّار و ابن الحنفية فى المختار السابق عند قوله عليه السّلام:

«و الذى فلق الحبّه و برىء النّسمه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلما وجدوا عليه أعوانا أظهروه» فراجع.

على أنّهم إنّما أسلموا ظاهرا بعد ما فاز أهل السبق بسبقهم و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم، و إنّما الفضل للمتقدّم لأنّه إمام فى فعله و داع إلى الخير و للسّابق إلى الاسلام و دعوه الناس إلى الله فضيله على غيره لا تنكر.

و قوله عليه السّلام: «و لما أدخل الله العرب فى دينه أفواجا» اشاره إلى سورة النصر.

و قوله عليه السّلام: «على حين فاز أهل السبق بسبقهم و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم» اشاره إلى قوله تعالى: «و السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبه ١٠٠).

قوله عليه السّلام: فلا- تجعل للشيطان - إلخ معناه كما أفاده الفاضل الشارح المعتزلى: لا تستلزم من أفعالك ما يدوم به كون الشيطان ضاربا فيك بنصيب لأنّه ما كتب إليه هذه الرّساله إلا بعد أن صار للشيطان فيه أوفر نصيب و إنّما المراد نهيه عن دوام ذلك و استمراره.

فى صفين لنصر بن مزاحم (ص ١١٠ من الطبع الناصرى) أنّ عمّارا جعل يقول (يعنى يوم صفين): يا أهل الإسلام أ تريدون أن تنظروا إلى من عادى الله و رسوله و جاهدهما و بغى على المسلمين و ظاهر المشركين فلما أراد الله أن يظهر دينه و ينصر رسوله أتى النّبىّ صلّى الله عليه و اله فأسلم و هو و الله فيما يرى راهب غير راغب و قبض الله رسوله صلّى الله عليه و اله و إنّنا لنعرفه بعداوه المسلم و موّدّه المجرم، ألا و إنّ معاويه فالعنوه لعنه الله، و قاتلوه فأنّه ممّن يطفأ نور الله و يظاهر أعداء الله.

لَمَّا صالِح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قريشا عام الحديبيه كان في أشراطهم أَنَّهُ من أَحَبَّ أن يدخل في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله دخل فيه فدخلت خزاعه في عقد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله و كنانه في عقد قريش فأعانت قريش كنانه فأرسلوا مواليتهم فوثبوا على خزاعه فقتلوا فيهم فجاءت خزاعه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله فشكوا إليه ذلك و كان ذلك مَمِّيا حاج فتح مكة فأحلَّ اللهُ لِنَبِيِّهِ قطع المَدَّة التي بينه و بينهم و قد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله قال للناس كأنتكم بأبي سفيان قد جاء ليشدَّ العقد و يزيد في المَدَّة و سيلقى بديل بن ورقاه فلحقوا أبا سفيان بعسفان و قد بعثته قريش إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله ليشدَّ العقد و يزيد في المَدَّة فلَمَّا لقي أبو سفيان بديلا قال: من أين أقبلت يا بديل؟ و ظنَّ أَنَّهُ أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله قال: سرت في هذا الساحل و في بطن هذا الوادي قال: ما أتيت محمدا؟ قال: لا؛ فلما راح بديل إلى مكة فقال أبو سفيان: لئن كان جاء من المدينة لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته و أخذ من بعرها ففتته فرأى فيه النوى فقال: احلف بالله تعالى لقد جاء بديل محمدا.

ثمَّ خرج أبو سفيان حتَّى قدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله فدخل على ابنته أمِّ حبيبه فلَمَّا ذهب ليجلس على فراش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله طوته عنه؛ فقال: يا بَنِيَّ ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت أمِّ حبيبه: بل هو فراش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله و أنت رجل مشرك نجس و لم احبَّ أن تجلس على فراش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله. قال: و اللهُ لقد أصابك يا بَنِيَّ بعدى شر.

ثمَّ خرج حتَّى أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله فكلمه فقال: يا محمدا حقن دم قومك و أجر بين قريش و زدنا في المَدَّة.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله: أغدرتم يا أبا سفيان؟ قال: لا، قال: فنحن على ما كنَّا عليه.

فخرج أبو سفيان فلقى أبا بكر فقال: أجر بين قريش.

قال: ويحك و أحد يجير على رسول الله صَلَّى الله عليه و اله؟ ما أنا بفاعل.

ثم لقي عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك.

فقال عمر: أ أنا أشفع لكم إلى رسول الله فو الله لو لم أجد إلا الدّرّ لجاهدتكم به.

ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب عليه السّلام و عنده فاطمه بنت رسول الله سلام الله عليها و عندها حسن بن علي غلام يدبّ بين يديها، فقال: يا علي إنك أمّس القوم بي رحما، و إنّي قد جئت في حاجه فلا أرجعنّ كما جئت خائبا فاشفع لي إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و اله.

فقال: ويحك يا أبا سفيان! و الله لقد عزم رسول الله صَلَّى الله عليه و اله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه.

فالتفت إلى فاطمه عليها السّلام فقال: يا بنت محمّد هل لك أن تأمرى بتيك هذا فيجير بين النّاس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: و الله ما بلغ بنّي ذاك أن يجير بين النّاس، و ما يجير أحد على رسول الله صَلَّى الله عليه و اله.

و في مجمع الطبرسيّ: دخل أبو سفيان بعد ما خرج من عند ابنته أمّ حبيبه على فاطمه عليها السّلام فقال: يا بنت سيّد العرب تجيرين بين قريش و يزيدين في المده فتكونين أكرم سيده في النّاس؟ فقالت: جوارى جوار رسول الله صَلَّى الله عليه و اله.

أ تأمرين (فقال: أ تأمرين - ظ) ابنيك أن يجيرا بين النّاس؟ قالت: و الله ما بلغ ابناى أن يجيرا بين النّاس و ما يجير على رسول الله صَلَّى الله عليه و اله أحد.

فقال: يا أبا الحسن إنّي أرى الامور قد اشتدّت على فانصحنى.

قال: و الله ما أعلم شيئا يغنى عنك شيئا و لكنك سيّد بنى كنانه فقم فأجر بين النّاس ثمّ الحق بأرضك.

قال: أو ترى ذلك مغنيا عنّي شيئا؟

قال: لا والله ما أظنه ولكني لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إنني قد أجزت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمّداً فكلّمته فوالله ما ردّ عليّ شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطّاب فوجدته أدنى العدو، ثم جئت عليّاً فوجدته ألين القوم وقد أشار عليّ بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت؛ قالوا: فهل أجاز ذلك محمّداً؟ قال: لا؛ قالوا: ويلك! أما والله إن زاد عليّ بن أبي طالب عليّ أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت، قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

ثمّ عزم رسول الله صلّى الله عليه و اله على غزو مكّه و قال: اللهمّ أعم الأخبار عنهم - يعني قريشا - فكتب حاطب بن أبي بلتعنه مع ساره مولاه أبي لهب إلى قريش بخبر رسول الله صلّى الله عليه و اله و ما اعترم عليه فنزل جبرئيل فأخبره بما فعل حاطب فوجه بعليّ بن أبي طالب و الزبير و قال خذ الكتاب منها فلحقها و قد كانت تنكبت الطريق فوجد الكتاب في مشعرها، و قيل في فرجها فأتيا به إلى رسول الله صلّى الله عليه و اله فأسرّ إلى كلّ رئيس منهم بما أراد و أمره أن يلقاه بموضع سمّاه و أن يكتّم ما قال له فأسرّ إلى خزاعي بن عبد نهم أن يلقاه بمزينة بالروحاء، و إلى عبد الله بن مالك أن يلقاه بغفار بالسقيا، و إلى قدامه بن ثمامه أن يلقاه ببني سليم بقديد، و إلى الصعب بن جثامه أن يلقاه ببني - ليث بالكديد.

و خرج رسول الله صلّى الله عليه و اله يوم الجمعة حين صلّى صلاه العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثمان، و قيل لعشر مضين من رمضان، و استخلف على المدينة أبا لبابه ابن عبد المنذر و لقيته القبائل في المواضع التي سمّاه لهم و أمر الناس فأفطروا، و سمّى الذين لم يفطروا العصاه و دعا بماء فشربه و تلقاه العباس بن عبد المطلب في بعض

الطريق فلمّا صار بمَرّ الظهران خرج أبو سفيان بن حرب يتجسس الأخبار و معه حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء و هو يقول لحكيم ما هذه النيران؟ فقال خزاعه أحمرتها الحرب، فقال خزاعه: أقل و أذل و سمع صوته العباس فناده يا أبا حنظله (يعنى به أبا سفيان) فأجابه فقال له: يا أبا الفضل ما هذا الجمع؟ قال: هذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَارْدَفَهُ عَلَى بَغْلَتِهِ وَ لَحِقَهُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَ لَا عَقْدٍ فَسَبَقَهُ الْعَبَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ جَاءَ لِيَسْلَمَ طَائِعًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قُلْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَ جَعَلَ يَمْتَنِعُ مِنْ أَنْ يَقُولَ وَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَصَاحَ بِهِ الْعَبَّاسُ فَقَالَ.

و فى نقل آخر أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَهُ: يَا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبى أنت و أمى ما أوصلك و أكرمك و أرحمك و أحلمك و الله لقد ظننت أن لو كان معي إله لأغنى يوم بدر و يوم احد فقال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟ فقال: بأبى أنت و أمى أما هذه فإنّ فى النفس منها شيئاً، قال العباس: فقلت له ويحك اشهد بشهادة الحق قبل أن يضرب عنقك فتشهد كما فى السير لابن هشام (ص ٤٠٣ ج ٢).

ثمّ سأل العباس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ قَالَ: إِنَّهُ يَحِبُّ الشَّرْفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ دَخَلَ دَارَكَ يَا أبا سفيان فهو آمن.

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها، قال عباس: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هُوَ؟ فَأَقُولُ: سَلِيمٌ، فَيَقُولُ: مَالِي وَ لَسَلِيمٌ، ثُمَّ تَمَرَّ الْقَبِيلَةَ فَيَقُولُ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هُوَ؟ فَأَقُولُ: مَزِينٌ، فَيَقُولُ: مَالِي وَ لَمَزِينٌ، حَتَّى نَفَدَتِ الْقَبَائِلُ مَا تَمَرَّ بِهِ قَبِيلُهُ إِلَّا يَسْأَلُنِي عَنْهَا فَإِذَا أَخْبَرْتَهُ بِهِمْ قَالَ: مَالِي وَ لِبْنِي فَلَانَ حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كَتَبَتِهِ الْخُضْرَاءُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فِي الْحَدِيدِ

لا يرى منهم إلا الحدق فقال: سبحان الله من هؤلاء يا أبا الفضل - يعنى به العباس -؟ قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه و اله فى المهاجرين و الأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل و لا طاقه، و الله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداه عظيما، قال: قلت:

ويحك يا أبا سفيان إنه ليس بملك إنما هي النبوه، قال: فنعم إذن.

و مضى أبو سفيان مسرعا حتى دخل مكة فأخبرهم الخبر و قال هو اصطلام إن لم تسلموا و قد جعل أن من دخل دارى فهو آمن، فوثبوا عليه و قالوا: ما يسع دارك؟ فقال: و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن.

و فتح الله على نبيه و كفاه القتال و دخل مكة و دخل أصحابه من أربعه مواضع و أحلها الله له ساعه من نهار.

ثم قام رسول الله صلى الله عليه و اله فخطب فحرمها، و أجارت أم هانى بنت أبى طالب حموين لها: الحارث بن هشام، و عبد الله بن أبى ربيعه فأراد على عليه السلام قتلهما؛ فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: يا على قد أجرنا من أجارت أم هانى، و آمنهم جميعا إلا خمسه نفر أمر بقتالهم و لو كانوا متعلقين بأستار الكعبه، و أربع نسوه.

و هم: عبد الله بن عبد العزى بن خطل من بنى تيم الأكرم بن غالب، و كان رسول الله صلى الله عليه و اله و وجهه مع رجل من الأنصار فشد على الأنصارى فقتله و قال: لا طاعه لك و لا لمحمد.

و عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى و كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه و اله فصار إلى مكة فقال: أنا أقول كما يقول محمد و الله ما محمد نبى و لقد كان يقول لى اكتب «عزيز حكيم» فأكتب «لطيف خير» و لو كان نبيا لعلم فاواه عثمان و كان أخاه من الرضاع و أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه و اله فجعل يكلمه فيه و رسول الله صلى الله عليه و اله ساكت ثم قال: هلا قتلتموه؟ فقالوا: انتظرنا أن تومئ؛ فقال: إن الأنبياء لا تقتل بالإيماء.

و مقيس بن صبابه أحد بنى ليث بن كنانه و كان أخوه قتل فأخذ الدية من قاتله ثم شد عليه فقتله.

و الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصى كان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه و اله بمكّه و يتناوله بالقول القبيح.

و النسوه: ساره مولاه بنى عبد المطلب و كانت تذكر رسول الله صلى الله عليه و اله بالقبيح.

و هند بنت عتبه، و قريبه و فرتا (كذا) جاريتا ابن خطل كانتا تغنيان فى هجاء رسول الله صلى الله عليه و اله.

و أسلمت قريش طوعا و كرها، و أخذ رسول الله صلى الله عليه و اله مفتاح البيت من عثمان ابن أبى طلحه و فتح الباب بيده و ستره ثم دخل البيت فصلّى فيه ركعتين ثم خرج فأخذ بعضادتي الباب فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنجز وعده و نصر عبده و غلب الأحزاب وحده فله الحمد و الملك لا شريك له.

ثم قال: ما تظنون و ما أنتم قائلون؟ قال سهيل: نظنّ خيرا و نقول خيرا أخ كريم و ابن عمّ كريم و قد ظفرت، قال: فإنّى أقول لكم كما قال أخى يوسف «لا تثريب عليكم اليوم».

ثم قال: ألا كلّ دم و مال و مأثره فى الجاهليّه فإنّه موضوع تحت قدميّ هاتين إلا سدانه الكعبه و سقايه الحاجّ فإنّهما مردودان إلى أهليهما، ألا و إنّ مكّه محرّمه بحرمه الله لم تحلّ لأحد من قبلى و لا تحلّ لأحد من بعدى و إنّما حلّت لى ساعه ثم أغلقت فهى محرّمه إلى يوم القيامة لا يختلى خلاها، و لا يعضد شجرها، و لا ينفر صيدها، و لا تحلّ لقطتها إلا لمنشد، ألا إنّ فى القتل شبه العمد الدّيه مغلّظه، و الولد للفراش و للعاهر الحجر.

ثم قال: ألا- لبئس جيران النبى كنتم لقد كذبتهم و طردتم و أخرجتم و آذيتهم ثم ما رضيتهم حتى جئتمونى فى بلادى تقاتلوننى فاذهبوا فإنتم الطلقاء فخرج القوم فكأثما انشروا من القبور.

و دخل مكّه بغير احرام و أمر بلالا- أن يصعد على الكعبه فأذن فعظم ذلك على قريش و قال عكرمه بن أبى جهل و خالد بن أسيد: إنّ ابن رباح ينهق على الكعبه. و تكلم قوم معهما فارسل إليهم رسول الله صلى الله عليه و اله فقالوا: قد قلنا فنستغفر الله

فقال: ما أدري ما أقول لكم و لكن تحضر الصلاة فمن صَلَّى فسبيل ذلك و إلا قدّمته فضربت عنقه.

و أمر بكلّ ما فى الكعبه من صوره فمحيّت و غسلت بالماء، و نادى منادى رسول الله صَلَّى الله عليه و اله من كان فى بيته صنم فليكسره فكسروا الأصنام.

و دعا رسول الله صَلَّى الله عليه و اله بالنساء فبايعنه و نزلت عليه سوره إذا جاء نصر الله و الفتح فقال: نعتت إلى نفسى.

و اعلم أنّه قد مضى بحثنا الكلامى عن عمل عبد الله بن سعد بن أبى سرح و طرح بعض روايات و ردت فيه فراجع إلى شرح المختار الأوّل من باب الكتب و الرسائل (ص ٢١٠-٢١٣ ج ١٦).

و كذا قد تقدّم وجه دلالة سوره النصر على رحله رسول الله صَلَّى الله عليه و اله فى شرح المختار ٢٣٣ من باب الخطب (ص ٧٩ ج ١٥).

و قيل لأهل مكّه الطّلقاء لقوله صَلَّى الله عليه و اله لهم: فاذهبوا و أنتم الطّلقاء، و لذا قالت عقيله بنى هاشم الصّدّيقه الصغرى زينب بنت فاطمه بنت رسول الله صَلَّى الله عليه و اله فى احتجاجها على يزيد بن معاويه: أمن العدل يا ابن الطّلقاء تخديرك حرائرك و إماءك و سوقك بنات رسول الله سبايا؟ و عن ابن مسعود قال: دخل النّبى صَلَّى الله عليه و اله يوم الفتح و حول البيت ثلاثمائه و ستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول: جاء الحقّ و ما يبدىء الباطل و ما يعيد، جاء الحقّ و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا.

و عن ابن عبّاس قال: لمّا قدم النّبى صَلَّى الله عليه و اله إلى مكّه أبى أن يدخل البيت و فيه الالهه فأمر بها فاخرجت صوره إبراهيم و إسماعيل عليهما السّلام و فى أيديهما الأزام؛ فقال صَلَّى الله عليه و اله: قاتلهم الله أما و الله لقد علموا أنّهما لم يستقسما بها قطّ، و جاء ابن الزّبيرى إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و أسلم و قال:

يا رسول المليك إنّ لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أبارى الشيطان فى سنن الغىّ و من مال ميله مثبور

آمن اللحم و العظام لرَبِّي ثمَّ قلبى الشهيد أنت النذير

إننى عنك زاجر ثمَّ حيا من لؤى و كلهم مغرور

و ابن الزبيرى هذا هو الذى تقدّم الكلام فيه فى شرح المختار الخامس عشر من باب الكتب و الرسائل.

طائفه من احتجاجات و محاضرات وقعت بين معاويه و غيره يناسب نقلها

المقام و تفيد زياده تبصر فى آل أبى سفيان.

لما استتمت البيعه لمعاويه من أهل الكوفه صعد المنبر فخطب الناس، و ذكر أمير المؤمنين عليًا عليه السلام، و نال منه و نال من الحسن عليه السلام ما نال؛ و كان الحسن و الحسين عليهما السلام حاضرين فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه فأخذ بيده الحسن عليه السلام و أجلسه ثمّ قام فقال: أيها الذاكر عليًا أنا الحسن و أبى عليّ، و أنت معاويه و أبوك صخر، و امى فاطمه و امك هند، و جدّى رسول الله و جدّك حرب، و جدّتى خديجه و جدّتك فتيله فلعن الله أحملنا ذكرا و الأمتنا حسبا و شرّنا قدما و أقدمنا كفرا و نفاقا. فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين.

و كذلك يقول مؤلّف الكتاب نجم الدّين الحسن الطبريّ الاملىّ: آمين آمين، و يرحم الله عبدا قال آمينا، و نقل القصّه الشيخ الأجلّ المفيد رحمه الله فى الإرشاد (ص ١٧٣ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و من ذلك أنّه اجتمع عند معاويه عمرو بن العاص، و الوليد بن عقبه، و عقبه ابن أبى سفيان، و المغيرة بن شعبه؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين ابعث لنا إلى الحسن ابن عليّ، فقال لهم: فيم؟ فقالوا: كى نوبّخه و تعرفه أنّ أباه قتل عثمان، فقال لهم: إنكم لا تنتصفون منه و لا تقولون شيئا إلّا كذبكم الناس، و لا يقول لكم شيئا ببلاغته إلّا صدّقه الناس، فقالوا: أرسل إليه فإننا سنكفيك أمره، فأرسل إليه معاويه، فلمّا حضر قال: يا حسن إننى لم أرسل إليك و لكن هؤلاء أرسلوا إليك فاسمع

مقاتلهم و أحب و لا تحرمنى فقال الحسن عليه السلام فليتكلموا و نسمع.

فقام عمرو بن العاص فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: هل تعلم يا حسن أن أباك أول من أثار الفتنة، و طلب الملك؟ فكيف رأيت صنع الله به؟.

ثم قام الوليد بن عقبه بن أبي معيط فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا بني هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصيهر كان يفضلكم و يقربكم؛ ثم بغيتم عليه فقتلتموه؛ و لقد أردنا يا حسن قتل أبيك فأنقذنا الله منه، و لو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله ذنب.

ثم قام عقبه فقال: تعلم يا حسن أن أباك بغى على عثمان فقتله حسدا على الملك و الدنيا فسلبها؟ و لقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى.

ثم قام المغيرة بن شعبه فكان كلامه كله سباً لعلي و تعظيماً لعثمان.

فقام الحسن عليه السلام فحمد الله تعالى و أثنى عليه و قال: بك أبدأ يا معاوية لم يشتمني هؤلاء و لكن أنت تشتمني بغضا و عداوة و خلافاً لجدي صلى الله عليه و اله ثم التفت إلى الناس و قال: انشدكم الله، أ تعلمون أن الرجل الذي شتمه هؤلاء كان أول من آمن بالله، و صلى للقبليتين، و أنت يا معاوية يومئذ كافر تشرك بالله، و كان معه لواء النبي صلى الله عليه و اله يوم بدر و مع معاوية و أبيه لواء المشركين؟ ثم قال: انشدكم الله و الإسلام أ تعلمون أن معاوية كان يكتب الرسائل لجدي صلى الله عليه و اله فأرسل إليه يوماً فرجع الرسول و قال: هو يأكل فرد الرسول إليه ثلاث مرّات كل ذلك و هو يقول هو يأكل فقال النبي صلى الله عليه و اله و اله: لا أشبع الله بطنه؛ أما تعرف ذلك في بطنك يا معاوية؟ ثم قال: و انشدكم الله أ تعلمون أن معاوية كان يقود بأبيه على جمل و أخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: لعن الله الجمل و قائده و راكبه و سائقه؟ هذا كله لك يا معاوية.

و أمّا أنت يا عمرو: فتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك الأهمم حسبا و شرهم منصبا، ثم قمت وسط قريش فقلت: إني شاني محمّد فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه و اله

«إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» ثُمَّ هَجَّوْتِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِثَلَاثِينَ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

إِنِّي لَا أَحْسِنُ الشَّعْرَ وَ لَكِنِ الْعَنُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِكُلِّ بَيْتٍ لَعْنَهُ ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِمَا عَلِمْتُ وَ عَمَلْتُ فَأَكْذَبَكَ اللَّهُ وَرَدَّكَ خَائِبًا فَأَنْتَ عَدُوٌّ بَنِي هَاشِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ الْإِسْلَامِ فَلَمْ نَلْمَكَ عَلَى بَغْضِكَ.

وَ أُمِّيَا أَنْتَ يَا ابْنَ أَبِي مَعِيْطٍ فَكَيْفَ أَلْوَمُّكَ عَلَى سَبِّكَ لِعَلِيِّ وَ قَدْ جَلَّدَ ظَهْرَكَ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ سَوْطًا، وَ قَتَلَ أَبَاكَ صَبْرًا بِأَمْرِ جَدِّي وَ قَتَلَهُ جَدِّي بِأَمْرِ رَبِّي، وَ لَمَّا قَدَّمَهُ لِلْقَتْلِ قَالَ: مَنْ لِلصَّبِيِّ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: لَهُمُ النَّارُ، فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا النَّارُ وَ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عِنْدَ عَلِيِّ غَيْرَ السَّيْفِ وَ السَّوْطِ.

وَ أَمَّا أَنْتَ يَا عَقْبَهُ فَكَيْفَ تَعْدُ أَحَدًا بِالْقَتْلِ؟ لَمْ لَا قَتَلْتَ الَّذِي وَجَدْتَهُ فِي فِرَاشِكَ مَضَاجِعًا لَزَوْجَتِكَ ثُمَّ أَمْسَكَتَهَا بَعْدَ أَنْ بَغْتِ.

وَ أَمَّا أَنْتَ يَا أَعْوَرَ ثَقِيفٍ فَفِي أَيِّ ثَلَاثٍ تَسَبَّ عَلِيًّا: أَمَّا بَعْدَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ أَمَّا فِي حَكْمِ جَائِرٍ؟ أَمَّا فِي رَغْبِهِ فِي الدُّنْيَا؟ فَانْ قَلْتَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَبْتَ الْكُذْبَكَ النَّاسِ، وَ إِنْ زَعَمْتَ أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عَثْمَانَ فَقَدْ كَذَبْتَ وَ أَكْذَبَكَ النَّاسِ، وَ أُمِّيَا وَ عَيْدِكَ فَإِنَّمَا مِثْلُكَ كَمِثْلِ بَعْوَضِهِ وَ قَفَّتْ عَلَى نَخْلِهِ فَقَالَتْ لَهَا: اسْتَمْسِكِي فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُطِيرَ؛ فَقَالَتْ لَهَا النَّخْلَةُ: مَا عَلِمْتُ بِوَقُوفِكَ فَكَيْفَ يَشُقُّ عَلِيٌّ طَيْرَانِكَ؟ وَ أَنْتَ فَمَا شَعَرْنَا بَعْدَ وَتِكَ فَكَيْفَ يَشُقُّ عَلَيْنَا سَبِّكَ؟ ثُمَّ نَفَضَ ثِيَابَهُ وَ قَامَ.

فَقَالَ لَهُمْ مَعَاوِيَةَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَنْتَصِفُونَ مِنْهُ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَظْلَمَ عَلِيٌّ الْبَيْتَ حَتَّى قَامَ فَلَيْسَ لَكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ خَيْرٌ. وَ قَدْ نَقَلَهَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَلِيٍّ الْقَادِرِيُّ الْحَنْفِيُّ فِي ثَمَرَاتِ الْأَوْرَاقِ فِي الْمَحَاضِرَاتِ (هَامِشُ الْمُسْتَطْرَفِ ص ٥٥ ج ١ طَبْعُ مِصْرَ).

وَ الْمُرَادُ مِنَ الْأَلَامِ الشَّانِيَّةِ الْأَبْتَرُ هُوَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَ كَانَ عَمْرُو بْنُ عَالِيٍّ الَّذِي بَيْنَهُ الْمَجْتَبَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَ رَوَاهُ «لَا أَشْبَحُ اللَّهَ بِطَنِهِ» مَنْقَبُهُ جَلِيلُهُ لِمَعَاوِيَةَ قَدْ اصْطَلَحَتْ نَقْلُهُ الْإِثَارَ بِنَقْلِهَا مِنْهُمْ ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ، وَ ابْنَ الْأَثِيرِ فِي اسْدِ الْغَابَةِ عَنِ مَسْنَدِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ وَ غَيْرِهِ، وَ مَا أَنْكَرُوا ثُبُوتَهَا لَهُ.

وقد روى الصّيدوق رحمه الله في باب السبعة من كتابه الخصال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: المؤمن يأكل في معاء واحده و الكافر يأكل في سبعة أمعاء، و روى السيوطى فى الجامع الصغير عنه صَلَّى الله عليه و اله: المؤمن يشرب فى معى واحد و الكافر يشرب فى سبعة أمعاء.

«المعى» يذكر و يؤنث فالعباره فى الروايتين صحيحه، و سيأتى كلام صعصعه له:

اتسع بطن من لا يشبع، و دعا عليه من لا يجمع.

و الكلام فى حديث اللّعن كالزّوايه المتقدّمه فى المنقبه المذكوره، و قد مضى نقل روايات اخرى فى سائر مناقبه أيضا عن كتاب صفّين لنصر بن مزاحم فى شرح المختار ٢٣٦ (ص ٣٧٠-٣٧٤ ج ١٥) منها عن البراء بن عاذب قال: أقبل أبو سفيان و معه معاويه، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و اله: اللهمّ العن التابع و المتبوع.

و روى الصّيدوق رحمه الله فى باب السبع من الخصال عن أبى الطفيل عامر بن واثله أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و اله لعن أبا سفيان فى سبعة مواطن. فراجع.

و من ذلك أنّ شريك بن الأعور دخل على معاويه و هو يختال فى مشيته، فقال له معاويه: و الله إنّك لشريك و ليس لله من شريك، و إنّك ابن الأعور و الصّيحح خير من الأعور، و إنّك لدميم و الوسيم خير من الدميم؛ فبم سوّدك [سدت] قومك؟ فقال له شريك: و الله إنّك لمعاويه و ما معاويه إلّا كلبه عوت فاستعوت فسمّيت معاويه، و إنّك ابن حرب و السّيلم خير من الحرب، و إنّك ابن صخر و السّهل خير من الصّخر، و إنّك ابن امّيه و ما امّيه إلّا أمه صغرت فسمّيت امّيه فكيف صرت أمير المؤمنين؟ فقال له معاويه: أقسمت عليك إلّا ما خرجت عنى.

نقلها فى ثمرات الأوراق أيضا (هامش المستطرف ص ٥٩ ج ١) و نقلها الأبشيهى فى المستطرف (ص ٥٧ ج ١).

و فى تاريخ الخلفاء (ص ١٩٩) للسيوطى و فى المستطرف للأبشيهى (ص ٥٨ ج ١):

أخرج عن الفضل بن سويد قال: وفد جاريه بن قدامه السعدى على معاويه فقال

له معاويه: أنت الساعى مع عليّ بن أبي طالب، و الموقد النار فى شعلك تجوس قري عربيه تسفك دماءهم؟ قال جاريه: يا معاويه دع عنك عليّ فما أبغضنا عليّ منذ أحيبناه، و لا غششناه منذ صحبناه.

قال: ويحك يا جاريه! ما كان أهونك على أهلك إذا سمّوك جاريه! قال:

أنت يا معاويه كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاويه و هى الانثى من الكلاب، قال: اسكت لا أم لك، قال: أم لى ولدتنى؛ أما و الله إنّ القلوب التى أبغضناك بها لبين جوانحنا، و قوائم السيوف التى لقيناك بها بصقّين فى أيدينا، قال: إنك لتهدّدى؟ قال: إنك لم تملكنا قسره و لم تفتحنا عنوه، و لكن أعطيتنا عهدا و موثيق فان وفيت لنا وفينا و إن ترغّب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالا مدادا، و أدرعا شدادا، و أسنّه حدادا، فإن بسطت إلينا فترا من غدر زلفنا إليك بباع من ختر؛ قال معاويه: لا أكثر الله فى الناس أمثالك يا جاريه؛ فقال له: قل معروفًا فإنّ شرّ الدّعاء محيط أهله.

و أخرج ابن عساكر عن عبد الملك بن عمير قال: قدم جاريه بن قدامه السعدى على معاويه فقال: من أنت؟ قال: جاريه بن قدامه، قال: و ما عسيت أن تكون؟ هل أنت إلاّ نحله؟ قال: لا تقل، فقد شبّهتنى بها حاميه اللّسع حلوه البصاق؛ و الله ما معاويه إلاّ كلبه تعاوى الكلاب، و ما أمّيه إلاّ تصغير أمه، (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩٩).

و دخل عدىّ بن حاتم الطائى على معاويه فقال له معاويه: ما فعلت الطرفات - يعنى أولاده -؟ قال: قتلوا مع عليّ، قال: ما أنصفك على قتل أولادك و بقاء أولاده، فقال عدىّ: ما أنصفك على [ما أنصفت عليّ] إذ قتل و بقيت بعده؛ فقال معاويه:

أما إنّه قد بقى قطره من دم عثمان ما يمحوها إلاّ دم شريف من أشرف اليمن.

فقال عدىّ: و الله إنّ قلوبنا التى أبغضناك بها لفى صدورنا، و إنّ أسيافنا التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا، و لئن أدنيت إلينا من الغدر فترا لندنينّ إليك من

الشَّرَّ شَبْرًا وَإِنَّ حَزَّ الْحَلْقُومِ وَحَشْرَجَهُ الْحِيزُومَ لِأَهْوَنِ عَلَيْنَا مِنْ أَنْ نَسْمَعَ الْمَسَاءَ فِي عَلِيٍّ فَسَلَّمَ السَّيْفَ لِبَاعِثِ السَّيْفِ.

فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكتبوها و أقبل على عدِّي محادثا له كأنه ما خاطبه بشيء، ذكره المسعودي في مروج الذهب (ص ٥٤ ج ٢).

و خطب معاوية يوما فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» فعلام تلومونني إذا قصرت في عطاياكم؟ فقال له الأحنف: و إنا و الله لا نلومك على ما في خزائن الله و لكن على ما أنزله الله من خزائنه فجعلته في خزائنك حلت بيننا و بينه، نقله في المستطرف (ص ٥٨ ج ١).

و دخل عقيل على معاوية و قد كفَّ بصره فأجلسه معه على سريريه ثم قال له:

أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم، فقال له عقيل: و أنتم معشر بني امية تصابون في بصائركم. أتى به في المستطرف (ص ٥٨ ج ١).

و قال معاوية يوما: أيها الناس إِنَّ اللَّهَ حبا قريشا بثلاث: فقال لنييه: «و أنذر عشيرتك الأقربين» و نحن عشيرته الأقربون، و قال تعالى: «وَإِنَّهُ لَدِكُّرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ» و نحن قومه، و قال تعالى: «لِيَايَلَيْهِمْ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ» و نحن قريش.

فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

«وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَ هُوَ الْحَقُّ» و أنتم قومه، و قال تعالى: «وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» و أنتم قومه، و قال تعالى: «وَ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» و أنتم قومه ثلاثه بثلاثه. ذكره في المستطرف (ص ٥٨ ج ١).

و من ذلك أَنَّ معاوية حجَّ سنه ٤٤ و لمَّا صار إلى المدينة أتاه جماعه من بني هاشم و كلموه في امورهم فقال: أ ما ترضون يا بني هاشم أن نقرَّ عليكم دماءكم و قد قتلتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون فو الله لأنتم أحلّ دما من كذا و كذا و أعظم في القول.

فقال له ابن عباس: كلما قلت لنا يا معاوية من شرِّ بين دفتيك و أنت و الله أولى بذلك منا، أنت قتلت عثمان ثم قمت تغمص على الناس أنك تطلب بدمه

فانكسر معاويه، فقال ابن عباس و الله ما رأيتك صدقت إلا فزعت و انكسرت، قال فضحك معاويه، و قال: و الله ما أحب أنكم لم تكونوا كلمتموني.

ثم كلمه الأنصار فأغظ لهم في القول و قال لهم: ما فعلت نواضحكم؟ قالوا أفئيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك و جدك و خالك، و لكننا نفعل ما أوصانا به رسول الله صلى الله عليه و آله؛ قال: ما أوصاكم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر؛ قال: فاصبروا ثم ادلج معاويه إلى الشام و لم يقض لهم حاجه.

ذكره اليعقوبي في التاريخ (ص ١٩٨ ج ٢) ثم قال اليعقوبي: و أخرج معاويه المنابر إلى المصلّى في العيدين و خطب الخطبه قبل الصلاه و ذلك أن الناس كانوا إذا صلّوا انصرفوا لئلا يسمعوا لعن على عليه السلام فقدّم معاويه الخطبه قبل الصلاه و وهب فدكا لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله صلى الله عليه و اله.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٢٠١): و ابن عبد البرّ في الاستيعاب عن عبد الله بن محمّد بن عقيل: قدم معاويه المدينه فلقية أبو قتاده الأنصاري، فقال معاويه: تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار، قال: لم يكن لنا دوابّ فقال: فأين التواضح؟ قال: عقربناها في طلبك و طلب أبيك يوم بدر، قال: نعم يا أبا قتاده! ثم قال أبو قتاده: إن رسول الله صلى الله عليه و اله قال لنا: أنكم سترون بعدى أثره، فقال معاويه: فما أمركم عند ذلك؟ قال: أمرنا بالصبر، قال: فاصبروا حتى تلقوه، فبلغ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ذلك فقال:

ألا أبلغ معاويه بن حرب أمير المؤمنين نبا كلامي

فإننا صابرون و منظروكم إلى يوم التغابن و الخصام

و في نسخه الاستيعاب: ثنا كلامي، و في بعضها عنى كلامي.

و من ذلك أنه لم يكن أحد أحبّ إلى معاويه أن يلقاه من أبي الطفيل عامر ابن وائله الصحابي الكناني و كان فارس أهل صفين و شاعرهم، و كان من أخصّ الناس بعليّ عليه السلام، فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاويه فأخبر معاويه

بقدمه، فأرسل إليه، فأتاه وهو شيخ كبير، فلما دخل عليه، قال له معاوية: أنت أبو الطفيل عامر بن واثله؟ قال: نعم، قال معاوية: أ كنت ممن قتل عثمان؟ قال:

لا؛ ولكن ممن شهدته فلم ينصره، قال: ولم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار، فقال معاوية: أما والله إن نصرته كانت عليهم و عليك حقًا واجبا، و فرضا لازما فقال أبو الطفيل: فما منعك إذ تربّصت به ريب المنون أن لا تنصره و معك أهل الشام؟ فقال معاوية: أما طلبي بدمه نصره له؟ فضحك أبو الطفيل و قال: بلى و لكنك و عثمان كما قال عبيد بن الأبرص.

لا ألفتك بعد الموت تندبني و في حياتي ما زودتني زادا

فدخل مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص، و عبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر إليهم معاوية، ثم قال: أ تعرفون هذا الشيخ؟ قالوا: لا؛ فقال معاوية:

هذا خليل علي بن أبي طالب، و فارس صفّين، و شاعر أهل العراق، هذا أبو الطفيل، قال سعيد بن العاص: قد عرفناه فما يمنعك منه؟ و شتمه القوم - فزجرهم معاوية، قال: مهلا- فربّ يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعا، ثم قال: أ تعرف هؤلاء يا أبا الطفيل؟ قال: ما أنكرهم من سوء، و لا أعرفهم بخير، و أنشد:

فإن تكن العداوه قد أكتت فشرّ عداوه المرء السباب

فقال معاوية: يا أبا الطفيل ما أبقى لك الدهر من حبّ عليّ؟ قال: حبّ أمّ موسى و أشكو إلى الله التقصير. (و في مروج الذهب: قال معاوية له: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أمّ موسى على موسى و أشكو إلى الله التقصير) فضحك معاوية، قال: و لكن و الله هؤلاء العذّين حولك لو سألوا عنيّ ما قالوا هذا فقال مروان: أجل و الله لا نقول الباطل، (الامامه و السياسة للدينوريّ ص ١٩٢ ج ١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٠، مروج الذهب للمسعوديّ ص ٦٢ ج ٢) و ذكره أبو الفرج في الأغاني على التفصيل فراجع (ص ١٥٩ ج ١٣ من طبع ساسي).

و دخل علي معاوية ضرار بن الخطّاب فقال له: كيف حزنك علي أبي الحسن؟

قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها، نقله المسعودى فى مروج الذهب (ص ٦٢ ج ٢).

و أخرج العسكرى فى كتاب الأوائل عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال:

قدم معاوية مكه أو المدينه فأتى المسجد فقعده فى حلقه فيها ابن عمرو ابن عتياس و عبد الرحمن بن أبى بكر فأقبلوا عليه و أعرض عنه ابن عباس فقال معاوية: و أنا أحقّ بهذا الأمر من هذا المعرض و ابن عمّه، فقال ابن عباس: و لم؟ ألتقدم فى الإسلام، أم سابقه مع رسول الله صلّى الله عليه و اله، أو قرابه منه؟ قال: لا و لكننى ابن عمّ المقتول، قال: فهذا أحقّ به - يريد ابن أبى بكر - قال: إنّ أباه مات موتاً، قال: فهذا أحقّ به - يريد ابن عمر - قال: إنّ أباه قتله كافر، قال: فذاك أدحض لحجتك إن كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٠١).

و أخرج ابن عساكر عن الأوزاعى قال: دخل خريم بن فاتك على معاوية و مئزره مشمّر - و كان حسن الساقين - فقال معاوية: لو كانت هاتان الساقان لإمره! فقال خريم: فى مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين (تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤).

و أخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمّد، عن أبيه أنّ عقيلاً دخل على معاوية فقال معاوية: و هذا عقيل و عمّه أبو لهب، فقال عقيل: هذا معاوية و عمته حمّاله الحطّاب (تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤).

و أخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال أنّ عقيل بن أبى طالب سأل عليّاً عليه السلام فقال: إننى محتاج و إننى فقير فأعطني، فقال: اصبر حتّى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم فألحّ عليه، فقال لرجل: خذ بيده و انطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل: دق هذه الأقفال، و خذ ما فى هذه الحوانيت، قال: تريد أن تتخذنى سارقاً؟ قال: و أنت تريد أن تتخذنى سارقاً؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيها دونهم، قال: لا تبنّ معاوية، قال: أنت و ذاك؛ فأتى معاوية فسأله و أعطاه مائه ألف، ثمّ قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به علىّ و ما أوليتك فصعد فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: أيها الناس إننى أخبركم أنّى أردت عليّاً على دينه فاختر دينه، و أنّى أردت معاوية على دينه فاخترنى على دينه. (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٠٤)

و من ذلك أنه وفد على معاوية عقيل بن أبي طالب منتجعاً و زائراً، فرحبَ به معاوية و سرَّ بوروده لاختياره إياه على أخيه -
يعنى أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام - و أوسعه حلماً و احتمالاً؛ فقال له: يا أبا يزيد - يعنى عقيلاً - كيف تركت عليّاً؟ فقال:
تركته على ما يحبّ الله و رسوله، و ألفيتك على ما يكره الله و رسوله، فقال له معاوية: لو لا - إنك زائر منتجع جنابنا لرددت
عليك أبا يزيد جواباً تألم منه.

ثمّ أحبّ معاوية أن يقطع كلامه مخافه أن يأتى بشيء يخفضه، فوثب عن مجلسه و أمر له أن ينزل و حمل إليه مالا عظيماً، فلمّا
كان من غد جلس و أرسل إليه فأتاه فقال له: يا أبا يزيد كيف تركت عليّاً أخاك؟ قال: تركته خيراً لنفسه منك و أنت خير لى
منه، فقال له معاوية: أنت و الله كما قال الشاعر:

و إذا عددت فخار آل محرق فالمجد منهم فى بنى عتاب

فمحلّ المجد من بنى هاشم منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيّر ك الأيام و اللّيالى، فقال عقيل:

اصبر لحرب أنت جانيها لا بدّ أن تصلى بحاميها

و أنت و الله يا ابن أبى سفيان كما قال الآخر:

و إذا هوازن أقبلت بفخارها يوماً فخرتهم بال مجاشع

بالحاملين على الموالى عزمهم و الضاربين الهام يوم القارع

و لكن أنت يا معاوية إذا افتخرت بنو اميّة فيمن تفخر؟ فقال معاوية: عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت فأنى لم أجلس لهذا و
إنما أردت أن أسألك عن أصحاب عليّ فإنك ذو معرفه بهم، فقال عقيل: سل عما بدا لك، فقال: ميّز لى أصحاب عليّ و ابدأ
بال صوحان فإنهم مخاريق الكلام، قال: أمّا صعصعه فعظيم الشأن، غضب اللسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، و يفتق ما
رتق، قليل النظير.

و أما زيد و عبد الله فأنهما نهران جاريان يصبّ فيهما الخلجان، و يغاث بهما البلدان، رجلا جدّ لا لعب معه، و أما بنو صوحان فكما قال الشاعر:

إذا نزل العدو فأنّ عندي اسودا تخلص الأسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعه فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، ذكر الله أكبر و به يستفتح المستفتحون، و أنتم مفاتيح الدنيا و الاخره، أما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدوّ الله و عدوّه فحمدت الله على ذلك و سألته أن يفيء بك إلى الدرجه العليا، و القضيب الأحمر، و العمود الأسود، فإنّه عمود من فارقه فارق الدين الأزهر، و لئن نزعت بك نفسك إلى معاويه طلبا لماله إنك لذو علم بجميع خصاله فاحذر أن تعلق بك ناره فيصلك عن الحجّه فإنّ الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم، فما كان من فضل أو احسان فبكم وصل إلينا، فأجلّ الله أقداركم و حمى أخطاركم، و كتب آثاركم، فإنّ أقداركم مرضيته، و أخطاركم محمّيه و آثاركم بدرّيه، و أنتم سلّم الله إلى خلقه، و وسيلته إلى طرقه، أيد عليّه، و وجوه جليّه، و أنتم كما قال الشاعر:

فما كان من خبر أتوه فإنّما توارثه آباء آبائهم قبل

و هل ينبت الخطى إلا و شيجه و تغرس إلا في منابتها النخل؟

نقله المسعودي في مروج الذهب (ص ٧٥ ج ٢).

وحدث أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، عن محمّد بن حميد الرازي، عن أبي مجاهد عن محمّد بن إسحاق بن أبي نجیح قال: لمّا حجّ معاويه طاف بالبيت و معه سعد فلما فرغ انصرف معاويه إلى دار الندوه فأجلسه معه على سريره، و وقع معاويه في عليّ و شرع في سبّه فزحف سعد ثمّ قال: أجلسني معك على سريرك ثمّ شرعت في سبّ عليّ! و الله لأن تكون فيّ خصله واحده من خصال كانت لعلّي أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

و الله لأن أكون صهر الرسول صلّى الله عليه و اله لي من الولد ما لعلّي أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

و الله لأن يكون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما قاله لي ما قاله يوم خيبر: «لأعطينَ الرايةَ غدا رجلا يحبُّ اللهَ ورسولهَ وحبُّ اللهِ ورسوله ليس بفِرار يفتح اللهُ على يديه» أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

و الله لأن يكون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما قال لي ما قال له في غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس و أيم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت و نهض.

نقله المسعودي في مروج الذهب (ص ٦١ ج ٢) ثم قال المسعودي: و وجدت في وجه آخر من الروايات و ذلك في كتاب علي بن محمّد بن سليمان النوفلي في الأخبار عن ابن عائشه و غيره أنّ سعدا لما قال هذه المقالة لمعاويه و نهض ليقوم شرط له معاويه و قال له: اقعد حتّى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندى قطّ الأم منك الان فهلاّ نصرته و لم قعدت عن بيعته؟ فإنّي لو سمعت من النبيّ مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما لعليّ ما عشت، فقال سعد: و الله إنّني لأحقّ بموضعك منك، فقال معاويه: يأبى عليك بنو عذره - و كان سعد فيما يقال لرجل من بني عذره - قال النوفلي: و في ذلك يقول السيّد الحميريّ:

سائل قريشا بها إن كنت ذا عمه من كان أثبتها في الدّين أوتادا

من كان أقدمها سلما و أكثرها علما و أطهرها أهلا و أولادا

من وّحد الله إذ كانت مكذّبه تدعو مع الله أوثانا و أندادا

من كان يقدم في الهيجاء ان نكلوا عنها و إن بخلوا في أزمه جادا

من كان أعدلها حكما و أقسطها حلما و أصدقها وعدا و إيعادا

إن يصدقك فلم يعدوا أبا حسن إن أنت لم تلق للأبرار حسادا

إن أنت لم تلق من تيم أخا صلف و من عدّي لحقّ الله جحادا

أو من بني عامر أو من بني أسد رهط العبيد ذوى جهل و أوغادا

أو رهط سعد و سعد كان قد علموا عن مستقيم صراط الله صدادا

قوم تداعوا زنيما ثم سادهم لو لا خمول بنى زهر لما سادا

و قال معاويه لعقيل: إن فيكم شبقا يا بنى هاشم، فقال له عقيل: منّا فى الرّجال و منكم فى النساء، نقله القاضى نور الله الشهيد فى المجلس الثالث من مجالس المؤمنين.

و من ذلك ما جرى بين معاويه و بين قيس بن سعد بن عباده حين كان عاملا- على مصر فكتب إليه معاويه: أمّا بعد فإنك يهودى ابن يهودى و إن ظفر أحبّ الفريقين إليك عزلك و استبدل بك، و إن ظفر أبغضهما إليك نكل بك و قتلك؛ و قد كان أبوك أو ترقوسه و رمى عرضه فأكثر الجدّ و أخطأ القصد فخذله قومه و أدركه يومه ثم مات بحوران طريدا.

فكتب إليه قيس بن سعد: أمّا بعد فإنما أنت و ثنى ابن و ثنى دخلت فى الإسلام كرها، و خرجت منه طوعا لم يقدم إيمانك و لم يحدث نفاقك و قد كان أبى أو ترقوسه و رمى عرضه فشغب به من لم يبلغ عقبه و لا شق غباره، و نحن أنصار الدين الذى منه خرجت و أعداء الدين الذى فيه دخلت، نقله المسعودى فى مروج الذهب (ص ٦٢ ج ٢).

و دخل قيس بن سعد بعد وفاه على و وقوع الصلح فى جماعه من الأنصار على معاويه فقال لهم معاويه: يا معشر الأنصار بم تطلبون ما قبلى؟ فوالله لقد كنتم قليلا- معى، كثيرا على، و لفلتم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى فى أسنتكم و هجوتمنى فى أسلافي بأشدّ من وقع الأسنّه حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله قلمت ارع وصيه رسول الله صلى الله عليه و اله هيهات يابى الحقيير الغدره.

فقال قيس: نطلب ما قبلك بالاسلام الكافى به الله لا بما نمت به إليك الأحزاب و أمّا عداوتنا لك فلو شئت كفتها عنك، و أمّا هجاؤنا إياك فقول يزول باطله و يثبت حقه، و أمّا استقامه الأمر فعلى كره كان منّا، و أمّا فلنا حدك يوم صفين فانا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعه، و أمّا وصيه رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده، و أمّا قولك يابى الحقيير الغدره فليس دون الله يد تحجزك منّا يا معاويه، فقال

معاويه: دعوه (١) ارفعوا حوائجكم.

نقله المسعودى فى مروج الذهب (ص ٦٣ ج ٢) ثم قال: وقد كان قيس بن سعد من الزهد و الدّيانه و الميل إلى علىّ بالموضع العظيم.

لما قدم معاويه الكوفه صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أما بعد ذلكم فإنّه لم تختلف امه بعد نبيّها إلاّ غلب باطلها حقّها إلاّ ما كان من هذه الامّه فإنّ حقّها غلب باطلها. ثم نزل و أحضر النّاس لبيعته و كان الرّجل يحضر فيقول: و الله يا معاويه إنّي لا بايعك و إنّي لكاره لك فيقول: بايع فإنّ الله قد جعل فى المكروه خيرا كثيرا؛ و يأتي الاخر فيقول: أعوذ بالله من نفسك، و أتاه قيس بن سعد بن عباده فقال: بايع قيس، قال: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاويه؟ فقال له: مه رحمك الله، فقال: لقد حرصت أن افرق بين روحك و جسدك قبل ذلك فأبى الله يا ابن أبى سفيان إلاّ ما أحبّ، قال: فلا يردّ أمر الله، فأقبل قيس على النّاس بوجهه فقال: «يا معشر النّاس لقد اعتضتم الشرّ من الخير، و استبدلتم الدّلّ من العزّ، و الكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولايه أمير المؤمنين و سيّد المسلمين و ابن عمّ رسول ربّ العالمين، و قد وليكم الطّليق ابن الطّليق، يسومكم الخسف، و يسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم أم طبع الله على قلوبكم و أنتم لا تعقلون» فجثا معاويه على ركبتيه ثم أخذ بيده و قال: أقسمت عليك ثم صفق على كفّه و نادى النّاس: بايع قيس؛ فقال: كذبتم و الله ما بايعت و لم يبايع لمعاويه أحد إلاّ أخذ عليه الإيمان فكان أوّل من استخلف على بيعته.

و دخل إليه سعد بن مالك فقال: السّلام عليك أيها الملك. فغضب معاويه فقال: ألا قلت السّلام عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاك إن كنّا أمرناك، إنّما أنت منتر، (نقلهما اليعقوبى فى التاريخ ص ١٩٢ ج ٢).

حدث أبو الهيثم قال: حدثنى أبو البشر محمّد بن بشر الفزارى عن إبراهيم بن عقيل البصرى قال: قال معاويه يوما و عنده صعصعه و كان قدم عليه بكتاب علىّ و عنده

ص: ٣٠١

١- (١) كان الاصل: يموه، و انما صححناه على القياس. منه.

وجوه الناس: الأرض لله و أنا خليفه الله فما آخذ من مال الله فهو لى و ما تركته منه كان جائزاً لى، فقال صعصعه:

تمنيك نفسك ما لا يكون جهلاً معاوى لا تأثم

فقال معاويه: يا صعصعه تعلّمت الكلام قال: العلم بالتعلّم و من لا يعلم يجهل، قال معاويه: ما أحوجك إلى أن اذيقك و بال أمرك! قال: ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذى لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها، قال معاويه: و من يحول بينى و بينك؟ قال:

الذى يحول بين المرء و قلبه، قال معاويه: اتّسع بطنك للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير: قال: اتّسع بطن من لا يشبع و دعا عليه من لا يجمع، نقله المسعودى فى مروج الذهب (ص ٧٩ ج ٢).

و دخل صعصعه بن صوحان على معاويه فقال له: يا ابن صوحان أنت ذو معرفه بالعرب و بحالها فأخبرنى عن أهل البصره و إيتاك و الحمل على قوم لقوم فأجابه و أخبره عنهم، ثم قال: فأخبرنى عن أهل الكوفه؛ قال: قبه الاسلام و ذروه الكلام - إلى أن قال: غير أنّ لهم ثباتاً فى الدّين و تمسكاً بعروه اليقين يتبعون الأئمّه الأبرار و يخلعون الفسقه الفجّار؛ فقال معاويه من البرره و الفسقه؟ فقال: يا ابن أبى سفيان ترك الخداع من كشف القناع، علىّ و أصحابه من الأئمّه الأبرار و أنت و أصحابك من اولئك، ثم أحبّ معاويه أن يمضى صعصعه فى كلامه بعد أن بان فيه الغضب فقال:

أخبرنى عن القبه الحمراء فى ديار مضر فأخبره عنها ثم استخبره عن ديار ربيعه، و عن مضر فأخبره عنهما ثم أمسك معاويه فقال له صعصعه: سل يا معاويه و إلاّ أخبرتك بما تحيد عنه؛ قال: و ما ذاك يا ابن صوحان؟ قال: أهل الشام، قال: فأخبرنى عنهم قال: أطوع الناس لمخلوق، و أعصاهم للخالق، عصاه الجبار، و خلفه الأشرار، فعليهم الدّمار، و لهم سوء الدار، فقال معاويه: و الله يا ابن صوحان إنك لحامل مديتك منذ أزمان إلاّ أنّ حلم أبى سفيان يرّد عنك، فقال صعصعه: بل أمر الله و قدرته إنّ أمر الله كان قدراً مقدوراً.

نقله المسعودى فى مروج الذهب مفصّلاً و ما أتينا به ههنا ملتقط منه.

و من ذلك أنّ معاويه حبس صعصعه بن صوحان العبدى، و عبد الله بن الكواء اليشكرى و رجالا من أصحاب عليّ عليه السّلام مع رجال من قريش فدخل عليهم معاويه يوما فقال: نشدتكم بالله إلّا ما قلتم حقّا و صدقا أيّ الخلفاء رأيتموني؟ فبعد ما تكلم ابن الكواء فى مساوى معاويه قال صعصعه: تكلمت يا ابن أبى سفيان فأبلغت و لم تقصر عمّا أردت و ليس الأمر على ما ذكرت أنّى يكون الخليفه من ملك النّاس قهرا، و دانهم كبرا، و استولى بأسباب الباطل كذبا و مكرًا؟ أما و الله مالك فى يوم بدر مضرب و لا مرمى و ما كنت فيه إلّا كما قال القائل «لا حلى و لا سبرى» و لقد كنت أنت و أبوك فى العير و النفير ممّن أجب على رسول الله صلّى الله عليه و اله و إنّما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلّى الله عليه و اله فأنتى تصلح الخلافه لطلق؟ فقال معاويه: لو لا أنّى أرجع إلى قول أبى طالب حيث يقول:

قابلت جهلهم حلما و مغفره و العفو عن قدره ضرب من الكرم

لقتلتكم. (مروج الذهب ص ٧٨ ج ٢).

دخل صعصعه على معاويه أوّل ما دخل عليه و قد كان يبلغ معاويه عنه فسأله عن نسبه فبيّن له نسبه، ثمّ قال له معاويه: أمّا و الله لقد كان يسوءنى أن أراك أسيرا! قال: و أنا و الله لقد كان يسوءنى أن أراك أميرا، نقلهما القالى فى الأمالى و القصّه طويله عذبه غير مملّه (ص ٢٢٧ ج ٢) و قريب منها ما نقله المسعودى فى مروج الذهب (ص ٧٦ ج ٢) و لصعصعه بن صوحان أخبار حسان و كلام فى نهايه البلاغه و الفصاحه و الإيضاح عن المعانى على إيجاز و اختصار و قد جرى بينه و بين معاويه كلام كثير فى غير موطن تكلم فيها بقبائح أعمال معاويه و خبث سريره و سوء روّيته و قد أتى الشيخ الأجلّ الطبرسى فى كتاب الاحتجاج طائفه من احتجاجات الإمامين سيّدى شباب أهل الجنّه و ريحانتي الرّسول الحسن و الحسين عليهما السّلام، و غيرهما من كبار الصحابه و التابعين على معاويه بن أبى سفيان، و ما تكلم القوم بها معاويه من مساوى أفعاله أكثر من أن تحصى و إنّما نقلنا نبذه منها فإنّ القليل ينبىء عن الكثير.

و فيما نقلناها مواقع للتدبّر و الاستبصار فى أمر معاويه و أشياعه و أتباعه كيف

لعبوا بالقرآن، و رفعوا رايه البغى و الطغيان فاتخذوا دين الله دغلا، و مال الله دولا، و عباده خولا و الصالحين حربا، و الفاسقين حزبا، و قد قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء إنه أخرج السلفى فى الطيوريات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال:

سألت عن عليّ عليه السّلام و معاويه، فقال: اعلم أنّ عليّا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيبا فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه و قاتله فأطروه كيادا منهم له.

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا و يذرون طيبا من القول و يأخذون خبيثا فبعدا للمفتريين و سحقا للممترين ربّ نعوذ بك من أمانى الأنفس و شرورها.

اشاره: قد احتجّ صعصعه على معاويه بأنّ الطّليق لا يصلح للخلافه، و هذا حقّ و صعصعه رضوان الله عليه قد استنار من ضياء القرآن، و اقتبس من مشكاه النبوه و الولايه و ذلك لأنّ الطّلقاء كانوا مشركين قبل الإسلام و عبدوا الأصنام و قد قال عزّ من قائل: «إِنَّ الشُّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان - ١٤) و قال الله تعالى: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (البقره - ١١٩) و الخلافه عهد الله تعالى فلا يناله الطّلقاء، و تقدّم بحثنا عن ذلك فى شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب فراجع (ص ٤٩-٥٩ ج ١٦).

الترجمه

نصر بن مزاحم منقرى كوفى در كتاب صفين و ديگر ارباب تاريخ آورده اند كه أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام روزى در صفين اظهار داشت كه فردا بانبوه لشكرم فرمان كارزار دهم و به مقاتلت اقدام نمايم تا كار را يكسره کرده مردم را از جنگ و جوش رهائى داده أمر را بخاتمت رسانم چون اين خبر بمعاويه رسيد و در شاميان كه پيروان او بودند پراکنده شد همگى سخت مضطرب شدند و فزعى تمام در آنها در گرفت.

و از آن سوى معاويه بن ضحاک نیز آبياتى چند بسرود كه بر فزعثان افزود

معاویه در این خیال افتاد و در خاطر نهاد که نامه ای بامیر علیه السلام نویسد و از حضرتش بحیلت و خدیعت و مکر درخواست کند که ایالت شام را - که پیش از اینهم از وی خواسته بود - بدو واگذار کند و وی را از بیعت معاف بدارد، باشد که از این درخواست دو دلی در علی روی دهد و رقتی بی اساس بوی دست دهد که در دام فریب معاویه افتاده، دست از کارزار بردارد.

سپس مکنون خاطرش را به عمرو عاص مکشوف داشت عمرو از بلاهت وی بر عقلش بخندید و گفت: ای معاویه تو کجا تا توانی علی را فریب دهی؟ معاویه گفت: مگر من و او هر دو از دودمان عبد مناف نیستیم؟ گفت: آری ولی ایشان را رتبت و فضیلت نبوت است و تو را نیست - یعنی امیر علیه السلام از مشکاه نبوت اقتباس معارف حقّه الهیه کرده است و هیچگاه اهل نبوت و وحی گول مردم نخورند، چه در تمام صفات انسانیّت از دیگران بهتر و برترند و در هوش و زیرکی سرور و سر آمد و بالاتر از همه هستند - و با این همه اگر خواهی نامه ای بنویسی بنویس (تا صدق گفتارم بر تو روشن آید).

معاویه نامه ای نوشت و عبد الله بن عقبه را که از قبیله سکاسک بود با نامه بسوی امیر علیه السلام گسیل داشت مضمون نامه اش این که: اَمَا بعد اگر ما و شما می دانستیم که جنگ کار را بدین غایت و خونریزی را بدین نهایت می رساند هیچگاه بان اقدام نمی کردیم و لکن نفوس هر دو ما بر عقول ما غلبه کرد - یعنی بخواهش نفسانی و از روی هوا و هوس آتش جنگ بر افروختیم و بفرمان خرد ساز جنگ نکردیم - و اکنون وقت آن هست که از گذشته پشیمان شویم و در پی اصلاح آینده بر آییم.

و پیش از این از شما خواستیم که ایالت شام را بمن واگذار و از بیعت و طاعت معافم دار ولی شما از خواسته من سرباز زدید و نپذیرفتید و آنچه را که از من باز داشتید خداوند بمن عطا فرمود، و اکنون نیز همان خواسته پیش را خواهانم که تو از بقا نخواهی مگر آنچه را که من خواهم، و از فنا نمی ترسی مگر آنچه که من می ترسم سوگند بخدا که لشکریان نابود شدند و مردان جنگی از بین رفتند، و عرب طعمه

جنگ گردید و نیم جانی بیش نمانده، و ما و شما در جنگ و مردان جنگی برابریم و هر دو از دودمان عبد مناف و یکی از ما بر دیگری برتری ندارد و اگر هم دارد نباید بدان ارجمندی را خوار و آزادی را بنده گرداند. و السلام.

چون عبد الله بن عقبه نامه را بأمیر علیه السلام رسانید و حضرت آن را بگشود و قرائت فرمود بخندید و گفت: شگفتم می آید از معاویه و نامه او و خدیعت و مکرری که خواهد با من بکار برد، پس کاتبش عبید الله بن اُبی رافع را پیش خواند و فرمود پاسخ نامه اش بنویس:

أُمّیا بعد «این که گفته ای اگر می دانستیم کار جنگ بدین حدّ خواهد رسید هیچیک بان تن در نمی دادیم» همانا که این جنگ را نهایت و سرانجامی است که که هنوز بدان نرسیده ایم، و اگر من در راه ذات حق هفتاد بار کشته و زنده شوم از سخت گیری و کوشش در راه خدا و جهاد با دشمنان خدا بر نخواهم گشت.

و أمّیا آنکه گفته ای «هوای ما بر خرد ما چیره شد و اینک وقت آنست که از کرده پیش نادم و در راه اصلاح آینده باشیم» همانا که من از دائره فرمان خرد پای بدر نهادم و از کرده خود پشیمان نیستم.

أما این که «شام را از من طلب کرده ای» همانا که من کسی نیستم که امروز بدهم بتو آنچه را که دیروز تو را از آن بازداشتم - چه در دیروز استحقاق آن نداشت و امروز هم بر آن حال باقی است -.

أُمّیا این که گفته ای «جنگ عرب را خورده و در چنگش نیم جانی بیش نمانده» آگاه باش هر که را حق در ربود و خورده و سترده است رخت بدوزخ کشد.

أما آنکه گفته ای «در جنگ و سپاه جنگی یکسانیم» درست نیست چه تو به شک و تردید در کار خود استوارتر و گذرانده تر از من که به علم و یقینم نیستی، و مردم شام در اکتساب دنیا حریص تر از مردم عراق در کسب آخرت نیستند.

أما این که گفتی «ما فرزندان عبد منافیم» آری همه ما فرزندان یک پدریم ولی امیه پدر جدّ تو بمنزلت هاشم پدر جدّ من نیست، و حرب جدّ تو به مرتبت

عبد المطلب جدّ من نیست، و أبو سفیان پدر تو به پایهٔ أبو طالب پدر من نیست - چه بنی هاشم خانواده ای نجیب و دلسوز و مهربان و یکتاپرست بودند و در شرافت و اصالت سر آمد عرب و همواره ملجأ و مأمن مردم، علاوه این که حاملین نور نبوت و صدفهای درّ ولایت بودند، أمّا بنی امیّه جز خونخواری و بیدادگری و نخوت و حبّ شهوت و دنیا پرستی نمی دانستند -.

و مهاجر مانند طلیق نیست - مهاجر امیر علیه السّلام که از مکه بمدینه هجرت فرمود چنانکه شرح آن بطور اجمال در شرح خطبه ۲۳۴ گفته شد ص ۱۲۶-۱۶۷ ج ۱۵، و طلیق یعنی آزاد شده و رها شده از قید اسارت چون معاویه و پدرش و از این روی معاویه را طلیق ابن طلیق گویند -.

و نه خالص پاکیزه نسب مانند بسته و چسبیده بقومی است - چون بنی امیّه از قریش نیستند چون امیّه رومی بود و آزاد شدهٔ عبد شمس بن عبد مناف و عرب او را بقاعدهٔ نسبت و محاورت ابن عبد الشمس گفتند، این ابن یعنی پسر خوانده نه پسر حقیقی لذا حضرت امیر علیه السّلام امضاء نکرده که معاویه از عبد مناف است بلکه در جوابش فرمود: إنّنا بنو أب واحد چنانکه نصر در کتاب صفین روایت کرده بود.

و نه صاحب حق مانند طرف دار باطل است، و نه مؤمن مثل منافق مفسد ناپاک است، و چه بد فرزندی است فرزندی که گذشتگانش را که اهل جهنّمند تقلید و پیروی کند و راه آنان را پیش بگیرد - یعنی معاویه که گذشتگانش از کفر و شرک و نفاق در آتش دوزخند و او راه آنان را پیش گرفت -.

و حال آنکه بعد از این همه فضائل، در دست ما فضل نبوت است - که هیچ فضیلتی با آن برابری نمی کند - که بدان گردنکشان را خوار، و بیچارگان را بلند گردانیدیم.

و چون خداوند عرب را دسته دسته بدینش در آورد و این امت برخی برضا و رغبت و برخی به بی میلی و کراهت اسلام آوردند، شما از کسانی بودید که یا بجهت طمع بدنیا و یا از ترس شمشیر داخل در دین شدید؛ علاوه آنهم در وقتی که سابقان

به سبقتشان در دین رستگار شدند، و هجرت کنندگانی که پیش از این بودند فضل و بزرگی را برده بودند پس برای شیطان در خود بهره ای و بر خویشان راهی قرار مده. و السلام.

و من کتاب له علیه السلام الی عبد الله بن عباس و هو عامله علی البصره

اشاره

و هو المختار الثامن عشر من باب كتبه و رسائله علیه السلام اعلم أن البصره مهبط إبليس، و مغرس الفتن؛ فحادث أهلها بالإحسان إليهم، و احلل عقده الخوف عن قلوبهم؛ و قد بلغني تنمرک لبني تميم، و غلظتك عليهم، و إن بني تميم لم يرغب لهم نجم إلا - طلع لهم آخر، و إنهم لم يسبقوا بوغم في جاهليته و لا - إسلام، و إن لهم بنا رحما ماسه و قرابه خاصه، نحن مأجورون على صلتها، و مأزورون على قطيعتها، فاربع أبا العباس - رحمك الله - فيما جرى على يدك و لسانك من خير و شر، فإننا شريكان في ذلك، و كن عند صالح ظني بك، و لا يفيلن رأبي فيك، و السلام.

المصدر

روی آن ابن عباس کان قد أضرب بنی تميم حين ولی البصره من قبل

ص: ۳۰۸

علّي عليه السّلام لما عرفهم به من العداوه يوم الجمل لأنهم كانوا من شيعه طلحه و الزبير و عائشه فتنكر عليهم و سمّاهم شيعه الجمل و أنصار عسكر(١) و حزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعه علي عليه السّلام من بني تميم منهم جاريه بن قدامه(٢) فكتب بذلك إلى علي عليه السّلام يشكو ابن عبّاس فكتب عليه السّلام إلى ابن عبّاس: «أما بعد فإن خير الناس عند الله أعملهم بطاعته فيما له و عليه، و أقولهم بالحقّ و إن كان مرّاً ألاماً- و إنّه بالحقّ قامت السماوات و الأرض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلاً، و ليكن حملك واحداً، و طريقتك مستقيمه و اعلم أنّ البصره مهبط إبليس - إلخ.

أقول: هكذا قال العالم الشارح البحراني قدّس سرّه في شرحه على النهج، و نقل عنه المحدث الجليل المجلسي رضوان الله عليه في ثامن البحار (ص ٦٣٤ من الطبع الكمباني) و أتى به الفاضل الهادي كاشف الغطا رحمه الله عليه في مستدرک نهج البلاغه، و مداركه، و لكن روى أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي المتوفى (٢١٢ هـ ق) في كتابه صفين (ص ٥٧ من الطبع الناصري) أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كتب إلى عبد الله بن عامر:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر أما بعد فإن خير الناس عند الله عزّ و جلّ أقومهم لله بالطّاعه فيما له و عليه، و أقولهم بالحقّ و لو كان مرّاً، فإنّ الحقّ به قامت السماوات و الأرض و لتكن سريرتك

ص: ٣٠٩

١- (١) كان عسكر اسم جمل عائشه.

٢- (٢) قد حرف في شروح نهج البلاغه و تراجمه العرييه و الفارسيه جاريه بن قدامه بحارته بن قدامه، فراجع الى التقريب و الاصابه لابن حجر، و الطبقات الكبرى لابن سعد (ص ٥٦ ج ٧ من طبع بيروت)، و روى الكشي في رجاله أن أمير المؤمنين عليه السّلام وجهه الى أهل نجران عند ارتدادهم عن الاسلام، و قال أبو علي في منتهى المقال: و وجد علي كتاب الشيخ رحمه الله هكذا: قال محمد بن ادريس هذا (يعني حارته بن قدامه بالحاء و الثاء) اغفال واقع في التصنيف و انما هو جاريه بالجيم و هو جاريه بن قدامه السعدي التميمي أحد خواص علي عليه السّلام صاحب السرايا و الالويه و الميل يوم صفين و كان ينبغي أن يكون في باب الجيم بغير شك - منه.

كعلائيتك، و ليكن حكمك واحدا، و طريقتك مستقيمه، فإن البصره مهبط الشيطان فلا تفتح على يد أحد منهم بابا لا نطبق سده نحن و لا أنت و السلام.

اللغة

(مهبط) بكسر الباء كمجلس: موضع الهبوط: يقال: هبط هبوطا من باب ضرب أى انحدر و نزل؛ قال عزّ من قائل: «وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» (البقره - ٣٦)، (و مغرس) كمجلس أيضا موضع الغرس، يقال: غرس الشجر غرسا من ذلك الباب أيضا أى أثبتة فى الأرض، و يبنى اسما الزّمان و المكان من الثلاثى الصّحيح المجرد على وزن مفعّل بكسر العين إذا كانت عين مضارعه مكسوره، و على مفعّل بفتح العين إذا كانت عين المضارع مضمومه أو مفتوحه إلا إحدى عشره لفظه أتت بكسر العين مع أنّ مضارعها مضموم؛ فالضّابطه قائله بأنّ المهبط و المغرس على وزن مفعّل بالكسر، ففتح العين فيهما كما اختاره الشيخ محمّد عبده ليس بصحيح، و نسختنا التى قوبلت على نسخه الرضى مشكوله بالكسر فيهما.

(حادث أهلها بالاحسان إليهم) أى تعاهدهم تعدهم به، قال ابن الأثير فى النهايه فى حديث الحسن: حادثوا هذه القلوب بذكر الله [فإنّها سريعه الدثور] أى اجلوها به و اغسلوا الدرن عنها و تعاهدوها بذلك كما يحادث السيف بالصقال، ففى المقام أمره الأمير عليه السّلام أن يجلو قلوب أهلها و يغسل درن الأحقان و الصّغائن و رين الوسوس الموديه الموديه عنها بصقال الاحسان و ماء البرّ. (تنمرك) النمر سبع معروف أصغر من الأسد و أخبث و أجراً منه و هو منقط الجلد نقطا سودا و بيضا سمى به للنمر التى فيه و منه النمره بفتح النون و كسر الميم و هى كساء فيه خطوط بيض و سود تلبسه الأعراب؛ و فى البيان و التبيين (ص ٦٨ ج ٢) أنّ عمر بن الخطّاب سأل عمرو بن معديكرب عن سعد، قال: كيف أميركم؟ قال: خير أمير، نبطى فى حوته، عربى فى نمرته، أسد فى تامورته، يعدل فى القضيّه، و يقسم بالسويّه، و ينفر فى الشّريّه، و ينقل إلينا حقنا كما تنقل الدّره؛ فقال عمر: لشّد ما تقارضتما الثناء.

والتنمر: التشبه بالنمر إما في لبس ثوب من النمره ونحوها يشبه جلده، وإما في التخلق بأخلاقه، و يفيد كلا الوجهين قول عمرو بن معديكرب:

قوم إذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا و قدًا

(١) وهذا البيت من أبيات له مذكوره في الحماسه (الحماسه ٣٤) يريد بالحديد حلقا الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين، و بالحديد قدًا اليلب و هو شبه درع كان يتخذ من القدّ أي إنهم إذا لبسوا الحديد الدروع و اليلب تشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب فيكون حلقا و قدًا كل واحد منهما بدلا عن الحديد و يجوز أن يريد بتنمروا أنهم تلونوا بألوان النمر لطول ثباتهم و ملازمتهم الحديد، و على هذا الوجه يصحّ أن يكون انتصاب حلقا و قدًا على التميز، و يروى حلقا و قدًا أي انهم تشبهوا بالنمر في أخلاقهم و خلقهم فيكون انتصابهما على التميز أيضا، هذا ما ذكره المرزوقي في شرح الحماسه؛ و قال الجوهري في الصحاح في معنى البيت:

أي تشبهوا بالنمر لاختلاف ألوان القدّ و الحديد و لم يذكر الروايه الثانيه.

ص: ٣١١

١- (١) صدر القصيده على ما في الحماسه: ليس الجمال بمثر فاعلم و ان رديت بردا ان الجمال معادنو مناقب أورثن مجدا اعددت للحدثان سابعه و عدا علدنى و قال الثعالبي في يتيمة الدهر (ص ٢٣٣ ج ٣): لما حصل الصاحب بن عباد في رقعه جرجان على الفيل الذى كان فى عسكر خراسان أمر من بحضورته من الشعراء أن يصفوه فى تشبيبه قصيده على وزن قافيه قول عمرو بن معديكرب: اعددت للحدثان، البيت فأتى بثلاث قصائد حسان معروفه بالفيليات لابي القاسم عبد الصمد بن بابك، و أبى الحسن الجوهري، و أبى محمد الخازن، و بعض أبيات الجوهري مذكور فى باب البلاغ و البراهمه من كتاب كليله و دمنه المترجم بالفارسى لنصر الله المنشى، كما قد اشرنا اليه من تعليقتنا عليه (ص ٤٧٣ طبع طهران ١٣٨٢ هـ ق).

و نقل الجوهرى عن الاصمعى قال: تنمر له أى تنكر له و تعير و أوعده لأن النمر لا تلقاه أبدا إلا غضبان.

و فى كثر اللغه: تنمر - مانند پلنگ خشمناك شدن، و لبس فلان لفلان جلد النمر إذا تنكر له و أظهر الحقد و الغضب و قيل: كانت ملوك العرب إذا جلست لقتل انسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله، و نقل الجاحظ فى البيان و التبيين عن أبى الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراسانى صاحب التفسير قال: سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط فقال: «يا أهل العراق، يا أهل السبق و السباق، و مكارم الأخلاق، إن أهل الشام فى أفواههم لقمه دسمه، زببت لها الأشداق، و قاموا لها على ساق، و هم غير تاركها لكم بالمرء و الجدال؛ فالبسوا لهم جلود النمر».

(و غم) الوغم بالفتح فالسكون: الحرب و القتال و التره و الذحل الثقيل و الحقد الثابت فى الصدر، قال ابن الأثير المتوفى «٦٠٦ هـ ق» فى و غم من النهايه: و فى حديث على عليه السلام: «إن بنى تميم لم يسبقوا بوغم فى جاهليه و لا - اسلام» الوغم: التره، و جمعها أوغام، و وغم عليه بالكسر أى حقد و توغم إذا اغتاظ. انتهى.

(رحما) قال الراغب فى المفردات: الرحم رحم المرأه و منه استعير الرحم للقرايه لكونهم خارجين من رحم واحده يقال: رحم و رحم، قال تعالى:

«وَ أَقْرَبَ رُحْمًا»، انتهى، و فى الأساس للزمخشري: وقعت النطفه فى الرحم «هو الذى يصوركم فى الأرحام» و هى منبت الولد و وعاءه فى البطن و بينهما رحم و رحم قال الهذلى:

و لم يك فظا قاطعا لقرايه و لكن وصولا للقرايه ذا رحم

«و أقرب رحما» و هى علاقته القرايه و سببها.

(مأزورون) من الوزر فأصله موزورون بالواو إلا أنه عليه السلام قال:

مأزورون طلبا للمطابقه بين مأجورين و مأزورين، و نحوه قوله عليه السلام لأشعث بن قيس إن صبرت جرى عليك القدر و أنت مأجور و إن جزعت جرى عليك القدر و أنت مأزور و سيأتى فى الحكمة ٢٩١.

(اربع) بالباء الموحده قال الجوهرى: ربع الرجل يربع - من باب منع -

إذا وقف و تحبّس و منه قولهم اربع على نفسك و اربع على ظلعك أى ارفق بنفسك و كفّ، و فى نسخه مخطوطه من النهج جاءت الكلمه بالتاء المثناه (ارتع) و كأنها مصحفه.

(لا- يفيلن) فال رأى يفيل فياله و فيوله من باب ضرب أخطأ و ضعف، و فيل رأىه تفييلا: قبحه و ضعّفه و خطّاه، و رجل فائل الرأى و فيل الرأى أى ضعيفه، قال أبو الفرج محمّد بن الحسين الكاتب:

و أعلم أنّى فائل الرأى مخطئى و لكن قضاء لا اطيع غلابه(١)

الاعراب

«فحادث» الفاء فصيحته.

«و إنّ بنى تميم» الواو هنا و او الحال و لذا يجب أن تكسر أنّ فى المقام لأنّ وقوع أنّ بعد واو الحال من المواضع التسعه التى يجب كسرها كما تقرّر فى النحو فراجع إلى شرح صدر الدّين السيد على خان الكبير على الصّحاح فى النحو للشيخ البهائى العاملى قدّس سرّهما، و هذا نحو قوله تعالى: «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ» (الأنفال - ٦) و قال أبو البقاء يعيش ابن علىّ فى تفسيره التبيان فى إعراب القرآن: الواو هنا - يعنى فى قوله تعالى و إنّ فريقا: للحال، و فى تفسير الجلالين، و النيسابورى، و البيضاوى قوله تعالى:

«وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ» فى موضع الحال أى كما أخرجك فى حال كراحتهم.

«و إنّهم» و إنّ لهم» معطوفان على قوله و إنّ بنى تميم، «لم يسبقوا» على صيغه المجهول «ماسّه» صفه لقوله رحما لأنّها مؤنّته، «فاربع» الفاء فصيحته و التقدير إذا كان حال البصره و شأن بنى تميم كذا فاربع، «أبا العباس» منصوب بالنداء و هو كنيه لابن عيّاس، «رحمك الله» جمله معترضه، «فيما جرى» متعلّق بقوله اربع «من خير و شرّ» بيان لما، «فانا شريكان» تعليل لقوله اربع «و كن» عطف على

ص: ٣١٣

١- (١) صححنا البيت فى باب الاسد و الثور من كتاب كليله و دمنه (ص ١٥٤ طبع طهران ١٣٨٢ هـ).

اربع، «و السلام» خبره محذوف أى و السلام عليك، أو و السلام على من أتبع الهدى، و نحوهما.

المعنى

كان ابن عباس عامل البصره و خليفه أمير المؤمنين على عليه السلام فيها بعد وقعه الجمل فإنه عليه السلام لما أراد الخروج من البصره بعد أن وضعت الحرب أوزارها استعمله و استخلفه عليها، و قد مضى تفصيل ذلك فى شرحنا على المختار الثانى من كتبه عليه السلام (ص ٩٥ ج ١٧)، و كان عامله عليها قبله عثمان بن حنيف.

و البصره أحدثها المسلمون و مصرّوها أيام عمر بن الخطاب، تفصيل ذلك مذکور فى كتاب أحسن التقاسيم فى معرفه الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى (ص ١١٧ طبع ليدن)، و أتى بأكثر منه تفصيلا و شرحا البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان (ص ٣٤١-٣٧٠ طبع مصر ١٣٥٠ هـ ق).

و هذا الكتاب بعض ما كتبه عليه السلام إلى ابن عباس و سيأتى نقله على صورته الكامله.

قوله عليه السلام: (اعلم أنّ البصره مهبط إبليس، و مغرس الفتن) قد ذمّ عليه السلام البصره و أهلها من قبل هذا الكتاب أيضا حين أراد الخروج من البصره بعد الجمل و قد أشرنا إلى الروايات الوارده فيه فى شرحنا على المختار الثانى من كتبه (ص ٨٦ - ٨٩ ج ١٧)، و قوله عليه السلام أنّها مهبط إبليس يحتمل وجوها:

منها أن تكون فيه اشاره إلى قوله تعالى لإبليس: «فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» (الأعراف - ١٤) و قوله تعالى:

«قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» (الأعراف - ٢٥)، بأنّ إبليس لما اخرج من الجنه و هبط إلى الأرض كانت أرض البصره مهبطه و لكنّ الإنصاف أنّ الكلام يأبى عن هذا الوجه، و كلمه مهبط لا تدلّ عليه لأنها أعمّ من ذلك و قد قال تعالى لقوم موسى عليه السلام: «اهْبِطُوا مِصْرًا» (البقره - ٦٠) و فى الأساس للزمخشري: هبط من بلد إلى بلد، فالمهبط يأتى بمعنى موضع الورد و النزول و لا يعتبر فيه الانحدار من عال إلى سافل مطلقا، نعم إنّ الهبوط إذا استعمل

فى الانسان و إبليس فففة نوع استخفاف بخلاف الإنزال فإِنَّ الله تعالى ذكر الانزال فى الأشياء التى تبه على شرفها كانزال الملائكة و القرآن و المطر و غير ذلك، و الهبط ذكر حىث تبه على الغصّ نحو: «وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ»، «فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا»، «اهْبِطُوا مِصْرًا»؛ أفاده الراغب فى المفردات.

و منها أن تكون فىه اشاره إلى أنّ البصره قريه بعيده عن العلماء و القراء و لم تكن مدينه فاضله و إلاّ لم تكن مهبطه و ذلك لأنّ العلماء حصون كحصون سور المدينه لها.

و منها أن تكون فىه اشاره إلى أنّ البصره موطن و محلّ له بأن تكون لها خواصّ أوجبت له أن يتخذها موطناً له، و قد مضى فى شرح المختار الثانى من باب الكتب قول الأمير عليه السّلام فيها: «الحمد لله العدى أخرجنى من أخبث البلاد و أحسنها تراباً، و أسرعها خراباً، و أقربها من الماء، و أبعداها من السماء، بها مغيض الماء و بها تسعه أعشار الشرّ، و هى مسكن الجنّ - إلخ» (ص ٨٨ ج ١٧) و كان إبليس من الجنّ كما مضى البحث عن ذلك فى شرح المختار الثامن من باب الكتب (ص ٢٨٦ - ٢٩٥ ج ١٧) و لما كان إبليس و قبيله و جنوده اتخذوها موطناً لهم فهى مهبطهم و مغرس الفتنة.

و منها أن تكون فىه اشاره إلى أنّها مهبط قوم تعلق إبليس بهم فغرسوا اصول الفتنة فى أراضى قلوبهم، و بذروا حبوب آراء رديّه فىها حتّى أثمرت ما أثمرت فففيه اشاره إلى هبوط جند المرأه و أتباع البهيمه فىها، و إذا تأملت فيما جرى على أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام منذ خلافته الظاهريه إلى شهادته كلّها مولده من هبوط القوم فى البصره فإنّه أثار فتنة الجمل، و هى ولّدت وقعه صفين، و هى ولّدت وقعه نهروان، و هى ولّدت أمر شهادته عليه السّلام فهم غرسوا بهبوطهم فىها شجره خبيثه أثمرت هذه الثمار السوء فكانت البصره لذلك مهبط إبليس و مغرس الفتنة.

قوله عليه السّلام (فحادث أهلها - إلى قوله: عن قلوبهم) الفاء فصيحته كما مرّ أى إذا كانت البصره حالها كذا فحادث أهلها - إلخ و من الفاء هذه، و من قوله

و احلل عقده الخوف عن قلوبهم يستفاد أنّ أهل البصره لم يكونوا بعد آمنين، بل كانوا خائفين، و كانوا يتربصون بهم ريب المنون، بل يستفاد من قوله أنّها مهبط إبليس و مغرس الفتن، و من تفريع حادث أهلها عليه ذلك أيضا فاسلوب الكلام يدلّ على اضطراب أوضاعها و احتمال اثاره فتنه فيها، و اقبال وقائع هائله على أهلها و لذلك أمر الأمير عليه السّلام ابن عباس بالإحسان إليهم و إزاله الخوف عنهم لئلاّ تحدث فتنه.

ثمّ إنّ قوله هذا فى البصره ذمّ على أهلها أيضا فأنّه يدلّ على اتّباعهم إبليس بخروجهم عن حكمه سلطان العقل، و على أنّهم أهل شقاق و نفاق، و على أنّ فيهم أهل التفتين و حزب الشيطان.

قوله عليه السّلام (و إنّ بنى تميم لم يغب لهم نجم إلاّ طلع لهم آخر) النجم كثيرا ما يراد به فى لغة العرب سيّد القوم و مقتداهم و المشهور من النّاس من حيث إنّهم يقتدون و يهتدون به و قال حسّان بن ثابت فى قصيده يذكر فيها عدّه أصحاب اللّواء يوم احد:

تسعه تحمل اللّواء و طارت فى رعاى من القنا مخزوم

إلى أن قال:

لم تطق حملة العواتق منهم إنّما يحمل اللّواء النّجوم

أى إنّما يحمله الأشراف المشاهير من النّاس، و القصيده مذكوره فى السيره النبويه لابن هشام (ص ١٤٩ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ)، و أتى الجاحظ فى البيان و التبين أبياتا منها (ص ٣٢٥ ج ٢ طبع مصر ١٣٨٠ هـ)، و فى ديوان الحسان، و لما استعار كلمه النجم لهذا المعنى رشح بمناسبه ظاهر اللفظ بقوله لم يغب و طلع، و المعنى كيف يجوز لنا التّمّر لهم و الغلظه عليهم و الحال أنّ لهم هذه الخصال الثلاث:

أحدها أنّه لم يمت منهم سيّد إلاّ قام لهم آخر منهم مقامه، و كأنّما يريد عليه السّلام أنّ لهم سيّدا مطاعا و أميرا خيرا مدبرا يجمع شمل امورهم و يلتمّ شعث آرائهم و أهوائهم، و ينقذهم من المهالك، و يمنعهم عن الهوىّ فيما يوجب شينهم، و هذا

ص: ٣١٤

التدبير و الاتحاد و الاقتداء بقدوه كذا كان لهم في كل دوره فلا ينبغي التّمّر على قوم هذا شأنهم.

و الثّاني أنّهم لم يسبقوا بوغم في جاهليه و لا إسلام يعني بهذه الجملة أنّهم كانوا أهل بأس و قوّه و شجاعه و حميّه في الجاهليه و الإسلام و يناسبه معنى التميم لغه فإنّه بمعنى الشديد كما في نهايه الأرب في معرفه أنساب العرب للقلقشندى، فلا ينبغي التّمّر و الغلظه على طائفه بلغوا في البأس و القوّه هذه المرتبه أمّا معناها المطابقتى فالأولى أن يحمل الوغم على الحقد و الغيظ لأنّه يناسب المقام و اسلوب الكلام و ذلك لأنّ ابن عيّاس - كما دريت - إنّما تنكّر عليهم باتباعهم الناكثين و يسميهم حزب الشيطان و شيعة الجمل و أنصار عسكر لذلك و أوجب عملهم هذا حقدًا في صدر ابن عباس و كأنّه كان يسميهم بها تشفيًا من غيظه، و يتنكّر عليهم انتقامًا منهم بفعالهم المنكر فنهاه الأمير عليه السّلام عن ذلك و عرّف له بنى تميم بأنّهم لم يسبقوا بوغم في جاهليّه و لا- إسلام، أى لم يسبقهم أحد كان له حقد و غيظ عليهم فيتنكّر و يغلظ عليهم تشفيًا منهم و نكايه فيهم لقوّتهم و قهرهم، هذا هو الوجه الذى ينبغي أن يختار في معنا هذه الجملة في المقام.

و أمكن أن يفسّر بوجوه اخرى: منها أن يقال: لم يسبقهم أحد بحقد لهم عليه لأنّهم لعلّو همتهم و شرافه نفوسهم لا يهتمون بأذى غيرهم و إسائه عليهم و لذلك لم يكن في قلوبهم ضغن و عداوه على أحد.

و منها أن يفسّر الوغم بالتره فقال الجوهريّ في الصحاح: الموتور العدى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه تقول منه و تره يتره و ترا و تره، و كذلك و تره حقّه أى نقصه و قوله تعالى: «وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالُكُمْ» أى لن يتنقصكم فى أعمالكم كما تقول دخلت البيت و أنت تريد دخلت فى البيت، انتهى؛ فالمعنى أنّ بنى تميم لم يهدر لهم دم، و لم ينقص أحد حقّهم.

و منها أن يفسّر الوغم بالحرب و القتال كقول شقيق بن سليك الأسدى يقول معتذرا إلى أبى أنس الضحّاك بن قيس بن خالد الشيبانى الفهرى (الحماسه ٢٤١):

أتانى عن أبى أنس وعيد فسَلَّ لغيظه الضحَّاك جسمى

و لم أعص الأمير و لم اربه و لم أسبق أبا أنس بوغم

و قول شقيق يشابه قول أبى دلامه زناد بن الجون شهد مع روح بن حاتم المهلبى الحرب فقال له روح: تقدّم و قاتل فقال أبو دلامه:

إنى أعوذ بروح أن يقدمنى إلى البراز(١) فتخزى بى بنو أسد

إن البراز إلى الأقران أعلمه مما يفترق بين الروح و الجسد

إلى آخر الأبيات المذكوره فى الأغانى (ص ١١٩ ج ٩ طبع ساسى فى أخبار أبى دلامه) و فى عيون الأخبار (ص ١٦٤ ج ١) و فى شرح المرزوقى على الحماسه (ص ٧٧٨ ج ٢).

الثالث أن لهم بنا - أى بنى هاشم - رحما ماسه و قرابه خاصه لأن نسب كل واحد من بنى هاشم و بنى تميم ينتهى إلى إلیاس بن مضر: لأن هاشما هو ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن إلیاس بن مضر، كما فى السيره النبويه لابن هشام؛ و تميما هو ابن مر بن اد بن طابخه بن إلیاس بن مضر، كما فى نهايه الأرب فى معرفه العرب للقلقشندى.

و يمكن أن تكون فيه إشاره إلى مصاهره كانت بين الأمير عليه السلام و بين بنى تميم فإن إحدى زوجاته كانت لیلی بنت مسعود الحنظليه من بنى تميم و ولدت له عبيد الله و أبا بكر كما فى تاريخ اليعقوبى (ص ١٨٩ ج ٢).

ثم إنه عليه السلام أكد مراعاة حق الرحم بقوله: نحن ماجورون على صلتها و مأزورون على قطيعتها، و قد قال عز من قائل: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء - ٢)، و قال تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ» (محمد - ٢٥).

قوله عليه السلام: (فارب-إلخ) قد تقدّم فى الإعراب أن الفاء فصيححه متفرّعه على جميع ما تقدّم من هذا الكتاب أى إذا كانت البصره مهبط إبليس و مغرس الفتن

ص: ٣١٨

و كانت منزله بنى تميم كذا فقف و تثبت و ارفق فيما يجرى على لسانك و يدك من خير و شرّ و نافع و ضارّ، و لا تعجل به، أمره أن يدارى مع الرّعيه فى أقواله و أفعاله فإنّ ما يجرى على اللسان و اليد كناية عنهما، و سمى ابن عبّاس بكنيته أبى العبّاس تكريما له و العرب يقصد بها التعظيم و بعض النفوس تأنّف أن تخاطب باسمها.

قوله عليه السّلام: (فإنّا شريكان فى ذلك) عللّ التّثبت بقوله هذا، أى اربع و تثبت فيما يجرى على يدك و لسانك لأنّنا شريكان فى ذلك أى أنا و أنت شريكان فى ما جرى على يدك و لسانك، و إنّما كان الأمير عليه السّلام شريكه فيه لأنّه كان سببا بعيدا فيما جرى على يد ابن عبّاس و لسانه و هو كان نائبا عنه و سببا قريبا فى أفعاله و أقواله و كلّ ما صنع بالرّعيه فإنما هو باتّكائه عليه عليه السّلام و إلّا لما كان له مكنه و قدره على ذلك.

ثمّ إنّ قوله هذا يهدينا إلى حقيقه اخرى و هى أنّ الفرد الانسانى لّمّا كان بمنزله عضو من هيكل اجتماعه و لم يكن تعيشه مرتبطا لشخصه خاصّه بل يؤثّر أثرا من سنخ فعله و قوله فى الاجتماع فكلّ ما صدر عن يده و لسانه و له بقاء فى الاجتماع و يعمل به غيره و لو بعد مماته فهو شريك العامل فى ذلك الأثر الصادر منه قال عزّ من قائل: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى » (النجم ٤١-٤٣).

و قال تعالى: «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» (الصافات ٧٨-٧٩).

و فى البحار (ص ١٨١ من الجزء الثانى من ج ١٥) نقلا عن ثواب الأعمال للصدوق رحمه الله بإسناده عن ميمون القدّاح عن أبى جعفر عليه السّلام قال: أيّما عبد من عباد الله سنّ سنّه هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من اجورهم شىء، و أيّما عبد من عباد الله سنّ سنّه ضلاله كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شىء.

و قد عقد المجلسي بابا في ذلك روى فيه عدّه روايات عن أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين قريبه بهذا المضمون كلها تشير إلى هذه الحقيقه.

و قد روى في المجلد السابع عشر (ص ۱۸۸) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

لا يتكلّم أحد بكلمه هدى فيؤخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها، و لا يتكلّم بكلمه ضلاله فيؤخذ بها إلا كان عليه مثل وزر من أخذ بها.

قوله عليه السلام (و كن عند صالح ظنّي بك) أي كن مراقبا لنفسك في ما يجرى على يدك و لسانك بحيث إنك ترى نفسك حاضره عند صالح ظنّي بك فانظر فيما تفعل و تقول هل هو مرضي عندى أم لا فإذا رأيت رضاي فيه فافعل.

قوله عليه السلام: (و لا يفيلن رأبي فيك) لما استعمله الأمير عليه السلام على البصره، و استصلحه لذلك و كان ابن عباس ممن يثق الأمير عليه السلام به و إلا لما كان يستخلفه على البصره تبّهه على أن لا يعمل ما يوجب سلب وثوقه به و ضعف رأيه فيه.

الترجمه

این نامه ایست که ولّی الله الأعظم امیر المؤمنین علی علیه السلام به عبد الله بن عباس که عامل و حاکم آن حضرت بر أهل بصره بود فرستاد.

در روایت آمده که ابن عباس در بصره بر بنی تمیم درشتی و بدخوئی میکرد و آنان را پیروان جمل و یاران عسکر - که نام شتر عائشه بود - و حزب شیطان می نامید از آن روی که بنی تمیم در جنگ جمل از طرفداران و أتباع طلحه و زبیر و عائشه بودند.

این رفتار ابن عباس بر گروهی از بنی تمیم که از شیعیان امیر علیه السلام بودند و از جمله آنان جاریه بن قدامه بود گران آمد نامه ای بامیر نوشته و از دست ابن عباس شکایت کردند، امیر علیه السلام این نامه را به ابن عباس نوشت:

أما بعد بهترین مردم در نزد خدا آن کسی است که بطاعت او - خواه در آنچه آنکه به سود او است و خواه در آنچه که بزیان او است - عمل کننده تر باشد، و به گفتار حق اگر چه برای او ناگوار و تلخ باشد گویاتر؛ آگاه باش که آسمانها و زمین بحق و عدل برای بندگان برپا است، پس مطابق اندیشه ات کردار داشته باش، و با همه یکسان باش، و راه راست پیش گیر، و بدانکه بصره فرودگاه شیطان و جای نشانیدن درخت فتنه است پس اهل آن را وعده باحسان و نیکی ده - یعنی با آنان احسان و نیکی کن و به بخشش و دستگیری آنانرا دلشاد دار - و گره بیم از دلشان بگشا.

بمن خبر رسید که با بنی تمیم پلنگ خوئی و درشتی روا می داری با این که بنی تمیم کسانی هستند که ستاره ای از ایشان غروب نکرد مگر این که دیگری از ایشان طلوع کرد - یعنی آنان همیشه دارای بزرگی پیشوا و از اهل شرف و کرامت بودند - و کسی بر ایشان چه در زمان جاهلیت و چه در زمان اسلام سبقت نگرفته که به کینه توزی و خشم گرفتن و دشمنی بر آنان سخت گیرد و درشتی کند (یعنی آنان مردم شجاعت و حمیت و قوت و نبرد بودند)، و ایشان را با ما رحامتی پیوسته و خویشی خاصی است (جدّ اعلای بنی هاشم و بنی تمیم الیاس بن مضر است - و دیگر این که امیر علیه السّلام با بنی تمیم رحامت بمصاهرت داشت) که به صله رحم پاداش خوب یابیم و به قطع آن کیفر بد؛ پس ای ابو العباس - خدا رحمت کند - در نیک و بدی که از دست و زبانت جاری می شود آهستگی کن و تائی و رفق پیشه گیر و هموار باش و با رعیت مدارا کن که من و تو در نیک و بد تو شریکیم (زیرا ابن عباس عامل آن حضرت بود و آنچه میکرد با تّکاء و اعتماد و پشت گرمی باو بود، و امیر علیه السّلام سبب بعید در کارهای او است چنانکه ابن عباس سبب قریب و هر دو در آنها شریک) و باش در نزد گمان شایسته من بتو، و باید رأی من در باره تو سست نگردد، و السلام.

اشاره

و هو المختار التاسع عشر من باب كتبه و رسائله أمّا بعد فإنّ دهاقين أهل بلدك شكوا منك قسوه و غلظه و احتقارا و جفوه؛ فنظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، و لا أن يقصوا و يجفوا لعهدهم؛ فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشده، و داول لهم بين القسوه و الرأفه، و امزج لهم بين التقريب و الادناء، و الابعاد و الاقصاء إن شاء الله.

المصدر

قال اليعقوبى فى تاريخه (ص ١٧٩ ج ٢ طبع النجف): كتب علىّ عليه السلام إلى عمر بن أبى سلمه الأرحبى: أمّا بعد فإنّ دهاقين عملك شكوا غلظه و نظرت فى أمرهم فما رأيت خيرا فلتكن منزلتك بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشده فى غير ظلم و لا نقص، فإن هم أجبونا صاغرين فخذ مالک عندهم و هم صاغرون، و لا تتخذ من دون الله وليا فقد قال الله عزّ و جلّ: «لا تتخذوا اليهودَ و النصارى أولياء»، و قال تبارك و تعالى: «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» و فرّعهم بخراجهم و قاتل من ورائهم، و إياك و دماءهم و السلام. انتهى.

الظاهر أنّهما كتاب واحد نقل الرضى طائفه منه فى النهج على ما هو أبه من التقاط الفصيح من كلامه عليه السلام و رفض ما عداه، و نقل اليعقوبى طائفه اخرى منه فى تاريخه، إلا أنّ صدره روى بروايتين مختلفتين فى الجملة، و يؤيده ما فى

شرح الفاضل البحراني من أنّ المنقول أنّ هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا فإنّ الأمير عليه السّلام أمره على فارس و على البحرين كما في الاستيعاب و اسد الغابه فهذا الكتاب إنّما كتبه إليه لما كان عامله على فارس لأنّهم كانوا مجوسا يعبدون النّار، و هذا القول لا- ينافي قول الأمير عليه السّلام: و قال جلّ و عزّ في أهل الكتاب - إلخ؛ لأنّهم كانوا أهل كتاب لما مرّ في ذلك خبر مروى عنه عليه السّلام من كتاب التوحيد للصدوق قدّس سرّه حيث قال الأشعث بن قيس للأمير عليه السّلام: يا أمير المؤمنين كيف يؤخذ من المجوس الجزية و لم ينزل عليهم كتاب و لم يبعث إليهم نبيّ؟ قال: بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتابا و بعث إليهم رسولا - إلخ؛ فراجع إلى شرحنا على المختار الثامن من باب الكتب و الرسائل (ص ٣١٢ ج ١٧).

ثمّ إنّ العامل المذكور قد عرّف في الكتب الرجاليه بأبي حفص عمر بن أبي سلمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ربيب رسول الله صلّى الله عليه و اله أمه امّ سلمه هند المخزوميه زوج النبيّ صلّى الله عليه و اله و شهد مع عليّ عليه السّلام الجمل و استعمله على البحرين و على فارس و توفّي بالمدينه أيّام عبد الملك ابن مروان سنه ثلاث و ثمانين كما في الاستيعاب و الإصابه و اسد الغابه، و قد يأتي كتاب آخر من أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام إليه المعنون بقول الرّضى و من كتاب له عليه السّلام إلى عمر بن أبي سلمه المخزومي و كان عامله على البحرين - إلخ، و هو الكتاب الثاني و الأربعون، و لا تنافي ظاهرا بين قولهم بكونه مخزوميا و بين قول يعقوبى بكونه أرحبيا لأنّه يمكن أن يكون من المخزومي ثمّ أحد أرحب بن دعام من همدان، و لم يذكر في الكتب الرجاليه عمر بن أبي سلمه غيره إلّا عمر بن أبي سلمه ابن عبد الرّحمن بن عوف الزّهري قاضى المدينه و لكن لم يقل أحد بأنّ الأمير عليه السّلام أمره على بلد أو قريه أو طائفه؛ على أنّه قتل بالشام سنه اثنتين و ثلاثين مع بنى اميه كما في التقريب لابن حجر و قد كانت أماره أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام من سنه خمس و ثلاثين.

وقد ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى (ص ١٧١ ج ٦ طبع بيروت) عمرو بن سلمه بن عميره الهمداني الأرحبي وقال: أنه روى عن عليّ عليه السّلام و عبد الله و كان شريفاً، و لكن الأمير عليه السّلام لم يستعمله، ثمّ ابن هو و عمر بن أبي سلمه فالظنّ القويّ المتأخّم بالعلم بالفحص و الطلب حاصل لنا بأنّ عمر بن أبي سلمه الأرحبيّ هو عمر بن أبي سلمه المخزومي و الكتابان واحد. و الله هو العالم.

ثمّ قد عثرنا في هذه الأيام و الأوان على كتابين أحدهما مترجم بمستدرك نهج البلاغه و مداركه لمؤلفه العالم المتضلعّ: الهادي كاشف الغطاء، و الثاني بجمهره رسائل العرب لجامعها الفاضل المتتبع: أحمد زكي صفوت، أمّا الأوّل فقد خصّص للنهج خاصّه و قد أتى بمدارك كثير من خطب النهج و رسائله و حكمه، و أمّا الثاني فموضوعه عامّ إلاّ أنّه ذكر فيه كتباً و رسائل كثيره للأمير المؤمنين عليّ عليه السّلام مع الإشارة إلى ماخذه و مصادره غالباً من غير النهج أيضاً؛ و لعمرى إنهما قد بذلا الجهد في تأليفهما و أجادوا و أفادوا، إنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً و لكن مصدر هذا الكتاب للأمير المؤمنين عليه السّلام إلى بعض عمّاله، و الذي قبله إلى عبد الله بن عباس ليس بمذكور فيهما.

و ليعلم أنّا - لله الحمد - قد وّفّقنا بالعثور على كثير من مصادر ما في النهج، و خطب و رسائل و حكم للأمير عليه السّلام بطرق عديده و أسانيد كثيره من الجوامع الروائية التي ألّفها قبل الرضى علماؤنا الأقدمون، و هي تزيد على ما في الكتابين المذكورين بأضعاف مضاعفه.

اللغة

(دهاقين) بفتح الدال جمع دهقان بكسرهما، فارسي معرّب أصله دهگان مخفّف ديهگان ففي برهان قاطع: دهگان با كاف پارسی بر وزن و معنی دهقان است که زراعت کننده و مزارع باشد و دهقان معرّب آنست، و مردم تاریخی و تاریخ دان را نیز گفته اند. انتهى. و كثيرا ما يستعمل في الفارسيّه على صورتها

دهقان سالخورده چه خوش گفت با پسر كای نور چشم من بجز از كشته ندروی

و فی البیان و التبیین للجاحظ (ص ۳۴۵ ج ۳) قال فتی طیب من ولد یقطین:

ربّ عقار باذرنجیّه اصطدتها من بیت دهقان

قال ابن الأثیر فی النهایه: فی حدیث حدیفه انه استسقی ماء فأتاه دهقان بماء فی إناء من فضّه، الدهقان بكسر الدال و ضمّها: رئیس القریه، و مقدم النساء، و أصحاب الزراعه؛ و هو معرّب و نونه أصلیه كقولهم تدهقن الرجل و له دهقنه موضع كذا؛ و قیل: النون زائده و هو من الدهق الامتلاء و منه حدیث علیّ علیه السّلام أهداها إلیّ دهقان. انتهى.

أقول: قوله الدهقان بكسر الدال و ضمّها مبنی علی أصلهم فی التعریب: عجمی فالعب به ما شئت، و إلا فأصله بكسر الدال، و تفسیره برئیس القریه مبنی علی أصل الكلمه فانها مركبه من ده و كان و أحد معانی كان فی الفارسیه: الأمير و الرئیس و الملك و قد تطلق علی الملك الظالم.

و قال الفیومی فی المصباح: الدهقان معرب: يطلق علی رئیس القریه و علی التاجر و علی من له مال و عقار، و داله مكسوره؛ و فی لغه تضمّ و الجمع دهاقین و دهقن الرّجل و تدهقن كثر ماله. انتهى.

(قسوه) قسا قلبه يقسو من باب نصر قسوه: صلب و غلظ فهو قاس و قسى فالقسوه: غلظ القلب، قال الراغب فی المفردات: أصله من حجر قاس، و المقاساه معالجه ذلك، قال تعالى: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ» -... «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» و قال تعالى: «وَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ» -... «وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً» و قرئ قسيه أى ليست قلوبهم بخالصة من قولهم درهم قسى و هو جنس من الفضة المغشوشه فيه قساوه أى صلابه، قال الشاعر: صاح القسيات فى أيدي الصياريف.

(الغلظه) بتثليث الغين: الخشونه و ضدّ الرّقه، قال الراغب: أصله أن يستعمل فى الأجسام لكن قد يستعار للمعاني كالكبير و الكثير، قال تعالى: «وَ لِيَجِدُوا»

«فِيكُمْ غَلْظَةٌ» و قال: «ثُمَّ نَضَطَّرْهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ» و قال: «فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ».

(جفوه) تقول: جفوته أجفوه جفوه و جفاء أى فعلت به ما ساء و يقال على المجاز: أصابته جفوه الزمان و جفاوته كما فى الأساس و الجفاء خلاف البرّ كما فى الصحاح، و الجفوه: ضدّ المواصلة و الموانسة كما فى الأقرب.

(يدنوا) من الإدناء، يقال: أدنى الشىء إذا قرّبه إليه كثيرا، و منه قولهم: دخلت على الأمير فرحب بى و أدنى مجلسى.

(يقصوا) من الإقصاء خلاف الإيدناء أى الإبعاد، يقال: أقصاه عنه إقصاء أى أبعدته عنه كثيرا.

(يجفوا) من قولك جفوت الرجل أجفوه جفاء أى أعرضت عنه أو طردته فهو مجفوّ.

(جلبابا) قال فى فتن البحار (ص ٦٣٣ ج ٨): الجلباب: الإزار، و الرداء أو الملحفة، أو المقنعه. انتهى، و قال الفيومى فى المصباح: الجلباب ثوب أوسع من الخمار و دون الرداء، و قال ابن الأعرابى: الجلباب إزار، و قال ابن فارس:

الجلباب ما يغطى به من ثوب و غيره، و الجمع جلابيب، و تجلببت المرأة لبست الجلباب، انتهى ما فى المصباح، قال الجوهريّ فى الصحاح: الجلباب: الملحفة، قالت امرأه من هذيل ترثى قتيلا:

تمشى النّسور إليه و هى لاهيه مشى العذارى عليهنّ الجلابيب

و المصدر الجلبية و لم تدغم لأنّها ملحفة، و فى منتهى الأرب فى لغة العرب:

جلباب كسرداب و سنّار: پيراهن و چادر زنان، و معجر یا چادری که زنان لباس خود را بدان از بالا بپوشند جلابيب جمع.

(تشوبه) أى تخلطه، يقال: شاب الشىء يشوبه شوبا و شيابا من باب نصر أى خلطه، و فى المثل هو يشوب و يروب يضرب لمن يخلط فى القول و العمل.

(طرف) بالتحريك طائفه من الشىء و قطعه منه، قال تعالى: «لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» (آل عمران - ١٢٤) قال فى الكشاف:

ليهلك طائفه منهم بالقتل و الأسر و هو ما كان من يوم بدر من قتل سبعين و أسر سبعين من رؤساء قريش و صناديدهم.

(داول) امر من المداولة، فى القرآن الكريم: «وَتَلْمِكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» (آل عمران - ١٢٤) قال البيضاوى أى نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تاره و لهؤلاء اخرى كقوله:

فيوما علينا و يوما لنا و يوما نساء و يوما نسرّ

و المداولة كالمعاوره يقال: داوت الشىء بينهم فتداولوه، انتهى، دالت الأيام أى دارت، و الله يداولها بين الناس أى يديلها، و الإداله الإدارة، الماشى يداول بين قدميه أى يراوح بينهما، و فى البحار: المداولة: المناوبه.

(الرأفه): الرحمه، قال تعالى: «لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ» (النور - ٣) (امزج) امر من مزج الشىء بالشىء مزجا و مزاجا إذا خلطه به، و الادناء أشدّ قربا من التقريب، و الإقصاء أكثر بعدا من الإبعاد.

الاعراب

(فلم أرهم) أر، فعل للمتكلم وحده مجزوم بلم أصله أرأى من رأى يرى أى لکنّ الهمزه هذه لا تستعمل فى غير الماضى و يقال: يرى فالتكلم وحده أرى و إذا اسقطت لامه بالجازمه صار أر، قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» و الأمر منه: ر، رياء، رواء، رى، رياء، رين؛ و قد يستعمل غير الماضى على الأصل، و الماضى على غير الأصل للضرورة كقوله: و من يتملى العيش يرى و يسمع، و قول آخر: صاح هل ريت أو سمعت براع.

(أهلا-) مفعول ثان لقوله لم أر، (لأنّ) الجار متعلق بالأهل، (لشركهم) اللام للتعليل، و كذا لعهدهم، و الأفعال الثلاثه منصوبه بحذف النون بأن، (فالبس)

الفاء فصيحته أى إذا كان أمرهم على هذا المنوال من الشرك و العهد فالبس - إلخ جملة (تشويه...) صفه لقوله جلبابا، (داول) معطوف على البس و كذلك امزج.

(إن شاء الله) متعلق بكل واحد من أفعال الأمر الثلاثة.

المعنى

تقدّم فى المصدر أنّ عمر بن أبى سلمه كان أميرا على فارس من قبل أمير المؤمنين عليه السّلام و كان أهل فارس يومئذ مشركين؛ و شكّا أكابرهم و أرباب أملاكهم إلى أمير المؤمنين عليه السّلام غلظته و خشونته عليهم و احتقاره و استصغاره إيّاهم فكتب عليه السّلام إليه أن يسلك معهم مسلكا متوسطا بأن تكون منزلته معهم بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدّه فلا يدينهم كلّ الدنوّ لأنّهم ليسوا لذلك أهلا- لكونهم مشركين و لا- يبعدهم كلّ الإبعاد و لا يجفّوهم لكونهم معاهدين، فإنّ معاملتهم بذلك النهج يمنعهم عن التمرد و الطغيان عن المعاهده و الذمّه، و يحفظ عظمه الدّين و صولته و قوّته فى أعينهم، و يوجب تأليف قلوبهم و مراعاة شرائط المعاهده فى حقّهم و عدم خلل فى انتظام امورهم.

و جعل عليه السّلام الاتّصاف بهذا النهج الوسط جلبابا على التجسيم و التشبيه تصويرا له كقوله تعالى: «فَأذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ» (النحل - ١١٤).

و كلامه هذا وزان ما قاله لمعقل بن قيس فى الكتاب الثانى عشر: فقف من أصحابك وسطا و لا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم من يهاب البأس، و وزان قوله: الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنط النّاس من رحمه الله و لم يؤيسهم من روح الله و لم يؤمنهم من مكر الله.

ثمّ قيّد أوامره بالمشيّه إمّا تحريضا له إلى العمل المطابق لأوامره، كأنّه قال أرجو منك أن تفعل بما أشرنا عليك؛ و إمّا تنبيها له على أنّ ما أشرنا عليك من المماشاه معهم و معاملتهم بذلك النحو أنّما يجب أن يكون على وجه يرضاه الله و يشاءه، كأنّه عليه السّلام يقوله: إني و إن كنت أمرتك بها و لكنّك تعاشرهم و تعيش

فيهم و ترى أحوالهم و أفعالهم فعليك بعمل معهم يحبّه الله و يرضاه و إمّا طلبا من الله تعالى المدد و التوفيق له بعمل ما أمره بها.

الترجمه

این نامه ایست که امیر المؤمنین علی علیه السّلام به عمر بن اَبی سلمه که از جانب آن حضرت حاکم فارس بود نوشته است - و آن کتاب نوزدهم از باب کتب و رسائل نهج البلاغه است:

أما بعد دهقانان شهر تو از درشتی و سنگ دلی و خوار داشتن و بدی تو شکایت کرده اند پس در باره شان نگریستم و اندیشه کردم نه آنانرا شایسته نزدیک گردانیدن دیدم زیرا که مشرکند. و نه سزاوار دور گردانیدن و طرد کردن از آن روی که با ایشان عهد بستیم و در ذمه ما هستند و چون امرشان بدین منوال است پس بپوش برایشان جامه نرمی که پود آن پاره ای از درشتی باشد و روزگار را برایشان میان سخت دلی و مهربانی بگردان، و بیامیز با ایشان میان نزدیک گردانیدن و بنهایت نزدیکی رساندن، و میان دور ساختن و بغایت دور ساختن اگر خدا بخواهد (یعنی با این همه چون تو نزدیکی و با آنها حشر داری و کارشان را از نزدیک می نگری آن چنان با آنها رفتار کن که خدا بخواهد و مرضی او باشد).

ص: ۳۲۹

اشاره

و هو خليفه عامله عبد الله بن العباس على البصره (و عبد الله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها و على كور الاهواز و فارس و كرمان - نسخه).

و هو المختار العشرون من باب الكتب و الرسائل:

و إني أقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدنّ عليك شدّه تدعك قليل الوفّر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر، و السلام.

المصدر

أتى بالكتاب ابن واضح الأخبارى الكاتب المعروف باليعقوبى فى تاريخه (ص ١٨٠ ج ٢ طبع النجف ١٣٥٨ هـ ق)، قال: كتب - يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام - إلى زياد و كان عامله على فارس: أمّا بعد فإنّ رسولى أخبرنى بعجب، زعم أنّك قلت له فيما بينك و بينه إنّ الأكراد هاجت بك فكسرت عليك كثيرا من الخراج و قلت له: لا تعلم بذلك أمير المؤمنين؛ يا زياد و اقسم بالله إنّك لكاذب و لئن لم تبعث بخراجك لأشدنّ عليك شدّه تدعك قليل الوفّر، ثقيل الظهر؛ إلا أن تكون لما كسرت من الخراج محتملا، انتهى.

و الظاهر أنّهما كتاب واحد روى على نسختين، و إن أمكن أن يكون كلّ واحد منهما كتابا على حiale.

(خنت) مشتق من الخيانة بمعنى نقيض الأمانة، يقال: خانته في كذا يخونه خونا و خيانه و خانته و مخانه من باب نصر: إذا اوتمن فلم ينصح، قال الراغب في المفردات: الخيانة و النفاق واحد إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد و الأمانة، و النفاق يقال اعتبارا بالدين ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، و نقيض الخيانة: الأمانة، يقال: خنت فلانا و خنت أمانه فلان و على ذلك قوله: «لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم».

(فيء) و قد تقدّم معناه و الفرق بينه و بين الغنيمه و الأنفال على التفصيل في شرح المختار ٢٣٠ من باب الخطب (ج ١٥ ص ٢٣).

(لأشدنّ عليك) شدّ على العدو شدّا و شدّه و شدودا من بابى نصر و ضرب أى حمل عليه؛ يقال: شدّوا عليهم شدّه صادقه. (تدعك) أى تتركك.

(الوفر) بالفتح فالسكون: المال الكثير الواسع، و الغنى، و اليسار؛ قال مالك بن الحارث الاشرى النخعي رضوان الله عليه (الحماسه ٢٥):

بقيت و فرى و انحرفت عن العلا و لقيت أضيافى بوجه عبوس

و قال آخر (البيان و التبيين ص ٣٥٩ ج ٢):

رأيت الناس لما قلّ مالى و أكثرت الغرامه و دعونى

فلما أن غنيت و تاب و فرى إذاهم - لا أبا لك - راجعونى

(الظهر) خلاف البطن، و هو من الحيوان اعلاه و من الإنسان من لادن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز، و من الأرض ظاهرها يجمع على أظهر و ظهور و ظهران.

(ضئيل) فى النهايه لابن الأثير: فى حديث إسرائيل (١) و إنّه ليتضاءل من خشيه الله، و فى روايه لعظمه الله أى يتصاغر تواضعا له، و يقال: تضاءل الشئ إذا

ص: ٣٣١

١- (١) قال الطريحي فى المجمع: فى حديث جبرائيل - إلخ، منه.

تقبض و انضمم بعضه إلى بعض فهو ضئيل أى نحيف دقيق حقير، و قال الطريحي فى مجمع البحرين: و مثله حديث وصفه تعالى: هو إله يتضاءل له المتكبرون(١)، و ضؤل الشيء بالهمز و زان قرب فهو ضئيل كقريب: صغير الجسم قليل اللحم، انتهى.

قال جواس الكلبي (الحماسه ٤٣٢):

و كنت إذا أشرفت فى رأس رامة تضاءلت إن الخائف المتضاءل

يقول: إنك حينئذ متى أشرفت فى رأس هذه الهضبه تخاشعت و تذلت لاستشعارك الخوف الشديد و استظهارك بالإتقاء من أعدائك البليغ؛ و الخائف هذا دأبه و عادته قاله المزروقي فى الشرح.

الاعراب

(لإين) اللام للإيدان و تسمى اللام المؤذنه و الموطئه أيضا و هى تؤذن من أول الأمر بأن الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط سواء كان ذلك القسم مذكورا كما نحن فيه أو مقدرًا كقوله تعالى: «و إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم» (المائدة - ٧٨) فقوله تعالى «ليمسن» جواب قسم محذوف و سد مسد جواب الشرط العدى هو «و إن لم ينتهوا».

و كقوله تعالى: «ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتكم لخرجن معكم و لا نطيع فيكم أحدا أبداً و إن قوتلتهم لننصيرنكم و الله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم و لئن قوتلوا لا ينصرونهم و لئن نصيروهم ليقولن الأذبار ثم لا ينصرون» (الحشر - ١٤) فاللام فى لئن الأربعة للقسم و فى ليولن جواب القسم و استغنى به عن جواب الشرط فى المواضع الخمسه.

ص: ٣٣٢

١- (١) فى خطبه العيدين لامير المؤمنين على عليه السلام كما رواه الصدوق فى الفقيه و أتى به الفيض فى الوافى (ص ١٩٦ ج ٥): و هو اله لها و قاهر يذل له المتعززون و يتضاءل له المتكبرون - إلخ، منه.

(لَأَشَدُّنَّ) اللّام لام جواب القسم نحو قوله تعالى فى سورة يوسف:

«تَاللّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا»، و فى سورة الأنبياء: «وَتَاللّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ» و كلامه عليه السّلام كان وزان قوله تعالى: «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَزْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ» (يس - ١٩) و هذا الجواب للقسم سدّ مسد جواب الشرط الذى هو: لئن بلغنى فاستغنى به عن جواب الشرط.

و حرف إن فى لإن من أداه الشرط، و جملة بلغنى فعل الشرط، أنك خنت - إلخ - مأوّل بالمصدر فاعل بلغنى، شيئا مفعول به لقوله خنت، صغيرا و كبيرا صفتان له، جملة (تدعك) صفة للمصدر و يرجع ضمير الفعل إليه و كلّ واحد من قليل الوفرة و أخويه حال للضمير المنصوب فى تدعك، خبر السّلام محذوف أى و السلام على من اتّبع الهدى، أو السلام لأهله ككتبه اللاتيه.

المعنى

زياد بن أبيه هو زياد بن أبى سفيان صخر بن حرب بن اميّه، و يقال زياد بن أبيه و زياد بن امّه و زياد بن سميّه، و امّه سميّه هى جاربه الحارث بن كلده و كان يطؤها بملك اليمين كما فى الاستيعاب لابن عبد البرّ، و اسد الغابه لابن الأثير، و الاصابه لابن حجر.

كان يكتى أبا المغيره، ليست له صحبه و لا روايه و كان رجلا عاقلا فى دنياه، داهيه خطيبا له قدر و جلاله عند أهل الدّنيا، كما فى الاستيعاب و روى بإسناده عن أبى صالح عن ابن عبّاس قال: بعث عمر بن الخطّاب زيادا فى اصلاح فساد وقع باليمن فرجع من وجهه، و خطب خطبه لم يسمع النّاس مثلها فقال عمرو بن العاصى: أما و الله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه؛ فقال أبو سفيان: و الله إننى لأعرف الذى وضعه فى رحم امّه، فقال له علىّ بن أبى طالب: و من هو يا أبا سفيان؟ قال:

أنا إلخ -.

ص: ٣٣٣

و قال: قال الشاعر:

زياد لست أدري من أبوه ولكن الحمار أبو زياد

و قال ابن النديم فى أوّل الفن الأوّل من مقاله الثالثه من الفهرست (ص ١٣١ طبع مصر): قال محمّد بن إسحاق: قرأت بخطّ أبى الحسن ابن الكوفى أوّل من ألّف فى المثالب كتابا زياد بن أبيه فإنّه لما ظفر عليه و على نسبه عمل ذلك و دفعه إلى ولده و قال: استظهروا به على العرب فإنّهم يكفون عنكم انتهى كلامه.

و قد روى أنّ أوّل من دعاه ابن أبيه عائشه حين سئلت لمن يدعى و سيأتى إن شاء الله تعالى تمام الكلام فى ذلك فى شرح المختار ٤٤ من باب الكتب المعنون بقول الرضى و من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه و قد بلغه أنّ معاويه كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه.

ثمّ إنّ ما جعلناه بين الهالين فى عنوان الكتاب ليس بمذكور فى نسخه الرضى و كأنّه هامشه الحقت بالمتن.

و قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ: أمر علىّ عليه السلام ابن عبّاس على البصره و ولى زيادا الخراج و بيت المال، و أمر ابن عبّاس أن يسمع منه - إلى آخر ما تقدّم فى شرح المختار الثانى من باب الكتب و الرسائل (ص ٩٦ ج ١٧).

و قال ابن قتيبه فى الإمامه و السياسه (ص ٨٥ ج ١): ذكروا أنّ عليّا لما صار من البصره بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبد الله بن عبّاس - و قال له: اوصيك بتقوى الله - إلى أن قال: فلم يلبث علىّ عليه السلام حين قدم الكوفه و أراد المسير إلى الشام أن أنضمّ إليه ابن عبّاس، و استعمل على البصره زياد بن أبى سفيان.

و حاصل الفصل أنّ الامير عليه السلام لما اطّلع على أنّ زيادا خان بيت المال و فىء المسلمين كما فى تاريخ يعقوبى هدّده و رغبه بأنّه إن لم يبعث إليه ما خان ليحملنّ عليه حملة صادقه تدعه قليل المال بطرده عن المناصب، أو بأخذه ماله من يده تقاضا، و تدعه ثقيل الظهر بأعمال شاقّه و امور مزمنه مفضحه لا يقدر بها على

ص: ٣٣٤

القيام و الارتقاء إلى معالى الامور و كأنّ من هذا القبيل قول سعد بن أبى وقاص فى جواب معاويه:

فإنّ الشّرّ أصغره كثير و إنّ الظهر تثقله الدّماء

أو يفقره على حدّ يصعب عليه مؤنه عياله فإنّ كون ثقل الظهر كناية عن نحو هذا المعنى غير عزيز فى محاوراتهم، و منه حديث أمير المؤمنين عليه السّلام: من أراد البقاء و لا بقاء فليباكر بالغداء، و ليجود الحذاء، و ليخفف الرّداء، و ليقلّ من مجامعه النساء؛ قيل: و ما خفّه الرّداء؟ قال: قلّه الدين، و لكنّ إرادته هذا الوجه من كلامه هذا لا يخلو من بعد فتأمل.

أو تدعه ثقیل الظهر بأوزاره و آثامه أى على أنّه لا مال له ينتفع به، كانت عليه تبعاته و ذنوبه فهو فى الدّنيا و الاخره من الخاسرين.

و تدعه ضئيل الأمر أى حقيراً خامل الذکر، دنى المرتبه، لا منزله و لا قدر له عند النّاس؛ لأنّه إنّما كان له شأن و نباهه بتولّيه معالى الامور من قبل الأمير عليه السّلام فإذا عزله عن منصبه مع كونه قليل المال و معروفا بالخيانة فلا قدر له عندهم، بل لا يساوى فردا خامل الذکر لاشتهاره بالخيانة و عزله عن منصبه بخيانتة.

الترجمه

این نامه ایست که امیر المؤمنین علیّ علیه السّلام به زیاد بن أبیه نوشت در حالی که از طرف عبد الله بن عبّاس عامل امیر المؤمنین علیه السّلام بر بصره حکومت داشت:

و من سوگند راست بخدا یاد میکنم که اگر بمن خبر رسد تو از غنیمت مسلمانان چیزی خرد یا بزرگ خیانت کرده ای چنان بر تو سخت بگیرم که کم مال و گران پشت و ناچیز بمانی، و السلام.

إشاره

و هو المختار الحادى و العشرون من باب الكتب و الرسائل فدع الاسراف مقتصدا، و اذكر فى اليوم غدا، و أمسك من المال بقدر ضرورتك، و قدم الفضل ليوم حاجتك. أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين و أنت عنده من المتكبرين؟ و تطمع و أنت متمرغ فى النعيم تمنعه الضعيف و الأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدقين؟ و إنما المرأ مجزى بما أسلف، و قادم على ما قدم. و السلام.

المصدر

هذا الكتاب بعض ما كتبه الأمير عليه السلام إلى زياد بن أبيه و نقله كاملا الفاضل الشارح المعتزلى فى شرح المختار ٤٤ من باب الكتب و الرسائل من الجزء السادس عشر من شرحه و هو المختار المعنون بقول الرضى: و من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه و قد بلغه أن معاويه كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه.

قال: كان على عليه السلام أخرج إليه - يعنى إلى زياد - سعدا مولاه يحثه على حمل مال البصره إلى الكوفه، و كان بين سعد و زياد ملاحاه و منازعه؛ و عاد سعد و شكاه إلى على عليه السلام و عابه فكتب على عليه السلام إليه:

أما بعد فإنَّ سعدا ذكر أنك شتمته ظلما، وهددته وجهته تجبرا و تكبرا، فما دعاك إلى التكبر؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه و اله: «الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه»، وقد أخبرني أنك تكثر من الألوان المختلفه فى الطعام فى اليوم الواحد و تدهن كل يوم، فما عليك لو صمت لله أياما، و تصدقت ببعض ما عندك محتسبا، و أكلت طعامك مرارا قفارا؟ فإن ذلك شعار الصالحين؛ أفتطمع و أنت متمرغ فى النعيم تستأثر به على الجار، و المسكين، و الضعيف، و الفقير، و الأرملة و اليتيم أن يحسب لك أجر المتصدقين؟ و أخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار و تعمل عمل الخاطئين فإن كنت تفعل ذلك ففسدك ظلمت، و عملك أحبطت فتب إلى ربك يصلح لك عملك؛ و اقتصد فى أمرك و قدم إلى ربك (١) الفضل ليوم حاجتك و ادهن غبا فإننى سمعت رسول الله صلى الله عليه و اله يقول: «ادهنوا غبا و لا تدهنوا رقما».

فكتب إليه زياد: أما بعد يا أمير المؤمنين فإنَّ سعدا قدم على فأساء القول و العمل فانتهرته و زجرته و كان أهلا لأكثر من ذلك، و أما ما ذكرت من الإسراف و اتخاذ الألوان من الطعام و النعم، فإن كان صادقا فأثابه الله ثواب الصالحين، و إن كان كاذبا فوقاه الله أشد عقوبه الكاذبين، و أما قوله: إني أصف العدل و اخالفه إلى غيره، فإننى إذن من الأخسرين؛ فخذ يا أمير المؤمنين بمقال قلته (٢) فى مقام قمته: «الدعوى بلا بينه كالسهم بلا نصل» فإن أتاك بشاهدى عدل، و إلا تبين لك كذبه و ظلمه.

أقول: قد تعرض الفاضل الشارح بأن ما فى النهج بعض هذا الكتاب، و لا يخفى عليك أنه لا يتضمن ما فى النهج على صورته و ألفاظه، و أن بين النسختين تفاوتا ظاهرا و نحن لم نظفر به فى الماخذ التى حضرتنا، و الظاهر أنهما كتاب واحد، بل ما فى النهج بعض ذلك الكتاب إلا أنهما روي على روايتين كما أن الرضى نقل فى غير موضع فى النهج كلاما له عليه السلام على روايتين.

ص: ٣٣٧

١- (١) فى الطبع الرحلى: و قدم ربك.

٢- (٢) فى الطبع المذكور: بمقاله قلته.

(الاسراف) السرف: ضدّ القصد، وقال الراغب: السرف تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان و إن كان ذلك في الانفاق أشهر، قال تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا...» - «وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا»، ويقال: تاره اعتباراً بالقدر، و تاره بالكيفيّة؛ و لهذا قال سفيان: ما أنفقت في غير طاعه الله فهو سرف و إن كان قليلاً، قال الله تعالى: «وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»... - «وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» أي المتجاوزين الحدّ في امورهم، و سمى قوم لوط مسرفين من حيث إنهم تعدّوا في وضع البذر في الحرث المخصوص له المعنى بقوله تعالى: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ»، و قوله في القصص «فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ» فسرفه أن يقتل غير قاتله إمّا بالعدول عنه إلى من هو أشرف منه أو بتجاوز قتل القاتل إلى غيره حسبما كانت الجاهليّة تفعله.

قال السيّد نعمه الله الجزائري في فروق اللغات: الإسراف و التبذير: قيل التبذير إنفاق المال فيما لا ينبغي، و الإسراف صرفه زياده على ما ينبغي، و بعباره اخرى الإسراف تجاوز الحدّ في صرف المال و التبذير اتلافه في غير موضعه فهو أعظم من الإسراف و لذا قال تعالى: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» قيل: و ليس الإسراف متعلّقاً بالمال فقط بل بكلّ شيء و وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترى أنّ الله وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال: «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» و وصف فرعون بالإسراف بقوله: «إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ» أقول: و يفهم من بعض الأخبار أنّ الإسراف على ضربين: حرام و مكروه فالأول مثل إتلاف مال و نحوه فيما هو فوق المتعارف، و الثاني إتلاف شيء ذي نفع بلا غرض و منه إهراق ما بقي من شرب ماء الفرات و نحوها خارج الماء و قد روى ذلك عن عليّ عليه السّلام. انتهى قوله.

فتحصّل أنّ الإسراف تجاوز الحدّ في كلّ ما يفعلها الإنسان من أفعاله سواء

كان متعلقه مالا- أو غير مال، و التبذير إتلافه و تضييعه فى غير موضعه و إذا لم يكن على سبيل الإتلاف و الإفساد بأن يكون صرفه على الإصلاح لا يسمّى تبذيرا.

(مقتصدا) القصد و الاقتصاد واسطه الامور، قال سالم بن وابصه (الحماسه ٢٤٤):

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إنَّ التخلُّق يأتي دونه الخلق

قال المرزوقى فى الشرح: القصد: واسطه الامور، فما تعدّاه سرف و ما انحطّ عنه قصور، و لذلك قيل لمن ليس بجسيم و لا ضئيل، و ليس بقصير و لا طويل:

هو قصد و مقتصد، و قال فى شرح الحماسه ٩: القصد ما لا سرف فيه، و لذلك قيل: اقتصد فى كذا، و طريق قاصد إذا كان على حدّ الإستواء، و من كلامهم: ضلّ عن قصد الطريق، كما قيل: ضلّ عن سواء السبيل قال الراجز الحصين بكير الربعى:

إنى إذا حار الجبان الهدره ركبت من قصد الطريق منجره

قال ابن الأثير فى النهايه: فى الحديث ما عال مقتصد و لا يعيل أى ما افتقر من لا يسرف فى الإنفاق و لا يقتر، انتهى و قال الأمير عليه السلام لهمام فى الخطبه ١٩١ من النهج فى وصف المتقين: منطقتهم الصواب، و ملبسهم الإقتصاد.

(متمرغ) فى الصحاح: مَرَّغته فى التراب تمرىغا فتمرغ أى مَعَكَته و تَمَعَكَ، قال ابن الأثير فى النهايه: التمرغ: التقلّب فى التراب، و منه حديث عمّار: «أجنبنا فى سفر و ليس عندنا ماء فتمرغنا فى التراب» ظنّ أنّ الجنب يحتاج أن يوصل التراب إلى جميع جسده كالماء.

قال الزمخشريّ فى الأساس: مرغ دابته فتمرغ و هذا مراغ الدوابّ و مراغتها و متمرغها، و مرغته تمرىغا إذا أشبعت رأسه و جسده دهنا، و تمرغ بالدهن و من المجاز فلان يتمرغ فى النعيم؛ يتقلّب فيه.

(الأرمله) قال الجوهريّ فى الصحاح: الأرملة: المرأة التى لا زوج لها، و قد أرملت المرأة إذا مات عنها زوجها قال الشاعر - و هو جرير -:

هذى الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجه هذا الأرملة الذكر

قال ابن السكيت: الأرامل: المساكين من نساء ورجال، قال ويقال لهم وإن لم يكن فيهم نساء، ويقال: قد جاءت أرملة من نساء ورجال محتاجين، قال ويقال للرجال المحتاجين الضعفاء: أرملة وإن لم يكن فيهم نساء، انتهى ما في الصحاح.

وقال المرزوقي في شرح الحماسة (٥٧٧) عند قول زياد بن حمل:

ترى الأرامل والهالك تتبعه يستن منه عليهم وابل رذم

الأرامل: جمع الأرملة والأرملة لأنه يقع على الذكر والانثى وهم الذين قد انقطع زادهم وضاعت الأحوال بهم.

وقال عند قول كعب بن زهير (الحماسة ٣٤٨):

ألا لهف الأرامل واليتامى ولهف الباقيات على ابني

الأرامل: جمع أرملة، وهذه الصفة يشترك فيها المؤنث والمذكر، واشتقاقه من أرملة القوم إذا نفدت نفقاتهم، وحقيقته صاروا من الفقر في الزملا، كما يقال أترب الرجل، والشهادة في اشتراك الرجل والمرأة في هذه الصفة قول جرير: هذى الأرامل - البيت.

وقال الزمخشري في الأساس: أرملة: افتقر وفنى زاده وهو من الرملة كادقع من الدقعاء، ومنه الأرملة والأرامل، قال: وفي كتاب العين: ولا- يقال شيخ أرملة إلا أن يشاء شاعر في تمليح كلامه كقول جرير: هذى الأرامل - البيت. وأرملة المرأة ورملة من زوجها ولا يكون إلا مع الحاجة.

ثم في نسخ خطيه عندنا قد ضبط قوله عليه السلام هكذا: (أترجو أن يؤتيك الله) و: (مجزى بما سلف) ولكن ما اخترناه في المتن مطابق لنسخه الرضوي رضوان الله عليه.

(مقتصدا) حال لضمير دع، (غدا) مفعول لقوله اذكر، قوله أن يعطيك مأول منصوب مفعول لقوله ترجو، (و أنت) الواو حالیه و الجملة حال لضمير ترجو، (و تطمع) عطف على قوله ترجو، و الجملة استفهامیه على سبيل الانكار كالمعطوف عليها (و أنت) الواو حالیه و الجملة حال لضمير تطمع، قوله (أن يوجب) مأول منصوب مفعول لقوله تطمع اخر عن الحال بعكس الاولى، و ضمير الفعل يرجع إلى الله.

المعنى

لما أخبر سعد أمير المؤمنين علياً عليه السلام بأن زياد بن أبيه يكثر من الألوان المختلفه فى الطعام فى اليوم الواحد و تدهن كل يوم - إلى آخر ما رواه يعقوبى كما مرّ آنفاً - أمره أن يترك رذيله الإسراف، و يتّصف بفضيله الاقتصاد الذى هو واسطه الامور.

و أقول: إنّ لكلّ شىء حدّاً هو بمنزله قاعدته فإذا كان على قاعدته فله ثبات و قرار، و إذا جاوز عن حدّه إمّا إلى الإفراط و إمّا إلى التفريط فلا بدّ له من أن يسقط منكوسا و منكوبا و قد قال الأمير عليه السلام: اليمين و الشمال مضلّه و الوسطى هى الجادّه.

و كما أنّ الله الحكيم خلق كلّ واحد من قاطبه الأشياء على قدر لائق به لو عدل عنه لا ختلّ نظام العالم كذلك جعل لكلّ ما يتعلّق بأفعال بنى آدم و امور صالح الانسانيه حدّاً لو خرج الاجتماع الانسانى عنه لا ختلّ نظامه و هو من الهالكين و ذلك الحدّ المتعلّق بهذا النوع هو ما يحتويه الذكر الحكيم و قد قال عزّ من قائل:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ»، و ذلك الحدّ هو الوسط و القسط و العدل و الحقّ كما قال تعالى: «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقره - 139) و قال: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ

«وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وقال أمير المؤمنين عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِالْحَقِّ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

و من تفحص في ما أتى به خاتم الأنبياء درى أنّ الله تعالى كتب على الناس الإقتصاد في مطلق الامور حتّى في العبادات ففي القرآن الكريم: «لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا» (الأسرا - ٣٢).

و قد روى الصّدوق قدّس سرّه في الفقيه (ص ١٢ ج ١٣ من الوافي):

بإسناده عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السّلام قال: قال عليّ عليه السّلام: الحيف في الوصيّه من الكبائر.

و روى عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام: أنّ رجلا من الأنصار توفّي و له صبيه صغار و له ستّه من الرقيق فأعتقهم عند موته و ليس له مال غيرهم فأتى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَخبر فقال: ما صنعتم بصاحبكم؟ قالوا دفنناه، قال: لو علمت ما دفنناه مع أهل الإسلام ترك ولده يتكفّفون النَّاس؟ و في باب الإقتصاد في العباده من الوافي (ص ٦٩ ج ٣) نقلا عن الكافي بإسناده عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغَلُوا فِيهِ بَرْقًا، و لا تَكْرَهُوا عِبَادَةَ اللَّهِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ فَتَكُونُوا كَالرَّاكِبِ الْمَتَبْتِ الَّذِي لَا سَفْرًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى.

ثمّ إنّّه عليه السّلام أتى بالحال أعنى مقتصدا إشارة إلى أنّ زيادا كما يجب عليه الإعراض عن الإسراف الذي هو إفراط كذلك يجب عليه أيضا الإمساك الذي هو تفريط، بل يجب عليه بعد ترك الاسراف الإقتصاد الذي هو وسط الإفراط و التفريط.

قوله عليه السّلام: (و اذكر في اليوم غدا) تبّه بأن لا تلهيه الامال و لا تشغله المشاغل في الدّنيا عن التّأهب و التزوّد لغده و كنى بالغد عن بعد حياته في هذه الدار من البرزخ و يوم البعث، كما أراد باليوم هذه الدّنيا.

قوله عليه السّلام: (و امسك - إلى قوله: ليوم حاجتك) روى اليعقوبى فى تاريخه (ص ٢٠٢ ج ٢): أنّ رجلا قال للحسن بن عليّ عليهما السّلام: إنّى أخاف الموت؛ قال. ذاك أنّك أخرت مالك و لو قدّمته لسرّك أن تلحق به.

قوله عليه السّلام: (أ ترحو - إلخ) استفهام على سبيل الإنكار أى كيف ترحو أن يعطيك الله ذلك الأجر و الحال أنت عنده كذلك، و كيف تطمع أن يوجب الله لك ذلك الثواب و الحال أنت تتقلّب و تتمعّك فى النعيم تمنعه الضعيف و الأرملة، و هذا تحريض له على التواضع و شركة الضعيف و الأرملة فى عيشه و تنعمه.

قوله عليه السّلام: (و إنّما المرء - إلخ) بين الانسان و عمله خيرا كان أو شرّا ارتباط خاصّ لا يرجع إلّا إليه و لا يجزى إلّا به و لا يقدم إلّا إليه و نعم ما قيل بالفارسيه:

نيك و بد هر چه كنى بهر تو خوانى سازند جز تو بر خوان بد و نيك تو مهمانى نيست

قال الشارح المعتزلى فى المقام: قلت قبح الله زيادا كافأ إناعام عليّ عليه السّلام و إحسانه إليه و اصطناعه له بما لا حاجة إلى شرحه من أعماله القبيحه بشيعته و محبّيه و الإسراف فى لعنه، و تهجين أفعاله، و المبالغه فى ذلك بما قد كان معاويه يرضى باليسير منه و لم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاويه كلاً بل يفعله بطبعه و يعاديه بباطنه و ظاهره و أبى الله إلّا أن يرجع إلى امّه و يصحّح نسبه و كلّ إناء ينضح بما فيه، ثمّ جاء ابنه بعده فختم تلك الأعمال السيئه بما ختم و إلى الله ترجع الامور. انتهى.

و سيأتى كلامنا أيضا فى قاتلى حجج الله و معانديهم فى شرح المختار ٤٤ من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

الترجمه

اين نیز نامه ايست كه أمير عليه السلام به زياد بن أبيه نوشت:

پس ترك اسراف گوى و ميانه رو باش، و در امروز ياد فردا كن و از مال بقدر ضرورت زندگى نگه دار و زيادى را براى روز نيازت پيش فرست آيا،

ص: ٣٤٣

امید داری که خدا بتو پاداش فروتنان دهد با این که نزد او از خود بینانی، و آیا آزمندی که برایت ثواب صدقه دهندگان واجب گرداند با این که در نعمت غلطیده ای و آنرا از ناتوان و بیچارگان و بیوه زنان باز می داری، و همانا که مرد به آن چه کرده است پاداش یابد، و بسوی آنچه پیش فرستاده است روی آورد. و السلام.

و من کتاب له علیه السلام الی ابن عباس

اشاره

و کان یقول عبد الله:

ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه و اله كانتفاعي بهذا الكلام.

و هذا هو المختار الثاني و العشرون من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله:

أمّا بعد فإنّ المرأ، يسره درك ما لم يكن ليفوته، و يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه؛ فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، و ليكن أسفك على ما فاتك منها. و ما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا، و ما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا، و ليكن همك فيما بعد الموت.

المصدر

رواه مسندا أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقري المتوفى ٢١٢ هـ في كتاب صفين (ص ٥٨ من الطبع الناصري) قال: و في حديث عمر بن سعد قال: و كتب علي عليه السلام

ص: ٣٤٤

إلى عمّاله فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس أمّا بعد فإنّ الإنسان قد يسرّه ما لم يكن ليفوته و يسوّؤه فوت ما لم يكن ليدركه و إن جهد؛ فليكن سرورك فيما قدّمت من حكم أو منطق أو سيره، و ليكن أسفك على ما فرّطت لله فيه من ذلك، و دع ما فاتك من الدّنيا فلا تكثر به حزنا، و ما أصابك فيها فلا تبغ به سرورا؛ و ليكن همّك فيما بعد الموت، و السّلام.

و نقله اليعقوبى المتوفى حدود ٣٠٠ من الهجرة فى تاريخه (ص ١٨١ ج ٢) و قال:

كتب أبو الأسود الدئلى - و كان خليفه عبد الله بن عباس بالبصره - إلى عامله على عليه السّلام يعلمه أنّ عبد الله أخذ من بيت المال عشره آلاف درهم فكتب إليه يأمره بردها فامتنع فكتب يقسم له بالله لتردّها فلما ردّها عبد الله بن عباس أو ردّها أكثرها كتب إليه على عليه السّلام: أمّا بعد فإنّ المرأ يسرّه درك ما لم يكن ليفوته، و يسوّؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما أتاك من الدّنيا فلا تكثر به فرحا، و ما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعا و اجعل همّك لما بعد الموت، و السّلام.

قال اليعقوبى: فكان ابن عباس يقول: ما اتّعتت بكلام قطّ اتّعاظى بكلام أمير المؤمنين عليه السّلام. انتهى.

و رواه ثقه الإسلام الكلينى المتوفى ٣٢٩ ه فى الروضه من الكافى (ص ٢١٩ الطبع الحجرى ١٣٠١ ه) و هو حديث ٣٢٧ منها، قال: عدّه من أصحابنا، عن سهل ابن زياد، عن على بن أسباط رفعه قال: كتب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى ابن عباس أمّا بعد فقد يسرّ المرأ ما لم يكن ليفوته، و يحزنه ما لم يكن ليصيبه أبدا و إن جهد؛ فليكن سرورك بما قدّمت من عمل صالح أو حكم أو قول، و ليكن أسفك فيما فرّطت فيه من ذلك و دع ما فاتك من الدّنيا فلا تكثر عليه حزنا و ما أصابك منها فلا تنعم به سرورا و ليكن همّك فيما بعد الموت، و السّلام.

و أتى الفيض بروايه الكلينى فى الوافى (ص ٦٣ ج ١٤) فى باب مواظ أمير المؤمنين عليه السّلام، و المجلسى فى مرآه العقول (ص ٣٥٤ ج ٤ من المطبوع على الحجر).

و رواه علي بن شعبه المتوفى ٣٣٢ هـ فى تحف العقول (ص ٤٦ الطبع الحجرى ١٢٩٧ هـ و ص ١٩٧ من الطبع المترجم بالفارسى فى طهران ١٣٨٤ هـ) و ما رواه قريب من النهج و يخالفه قوله: فليكن سرورك بما نلته من آخرتك و ليكن أسفك على ما فات منها، و ما نلته من الدنيا و لا تكثرن به فرحا، و ما فاتك منها و لا تأسفن عليه حزنا، و ليكن همك فيما بعد الموت، انتهى.

و رواه أبو علي إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى المتوفى ٣٥٦ هـ فى الأمالى (ص ٩٤ ج ٢ طبع مصر) المعنون بقوله: كتاب علي بن أبي طالب إلى ابن عباس رضى الله عنهما بموعظه من أحسن المواعظ، و حدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدثنا العكلى عن أبيه قال: بلغنى عن ابن عباس أنه قال: كتب إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه بموعظه ما سررت بموعظه سرورى بها! أما بعد، فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما نالك من دنياك فلا تكثر به فرحا، و ما فاتك منها فلا تتبعه أسفا، فليكن سرورك بما قدمت، و أسفك على ما خلفت، و همك فيما بعد الموت.

و نقله القاضى أبو بكر الباقلانى المتوفى ٤٠٣ هـ فى كتاب اعجاز القرآن (هامش الاتقان للسيوطى ج ١ ص ١٩٥ طبع مصر ١٣١٨ هـ) قال: كتب علي إلى عبد الله بن عباس و هو بالبصرة: أما بعد فإن المرء يسر بدرك ما لم يكن ليحرمه و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطلق، و ليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك و انظر ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه جزعا، و ما نلته فلا تنعم به فرحا و ليكن همك لما بعد الموت.

و نقله العلامة الشيخ بهاء الدين العاملى فى المجلد الثالث من الكشكول (ص ٢٨٤ طبع نجم الدوله، و ص ٥٦٢ من طبع قم) قال: قال ابن عباس ما أتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه و اله بمثل كتاب كتبه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: أما بعد فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته، و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا، و لا بما فاتك منها ترحا؛ و لا تكن ممن يرجو الآخرة

بغير عمل، و يرجو التَّوبه بطول الأمل، فكان و قد، و السَّلام.

و رواه سبط ابن الجوزى فى التذكرة (ص ٨٩ من الطبع الرَّحلى الناصرى ١٢٨٥ هـ) قال: «فصل» فى ذكر قصه جرت له عليه السَّلام مع عبد الله بن عباس رضى الله عنه: أخبرنا أبو الحسن بن النجار المقرئ قال: حدَّثنا محمَّد بن أبى منصور قال:

حدَّثنا أحمد بن على بن سوار قال: حدَّثنا أحمد بن عبد الواحد بن محمَّد الحريرى قال: حدَّثنا أحمد بن محمَّد الجندى قال: حدَّثنا أبو حامد محمَّد بن هارون الخضرى قال: حدَّثنا إبراهيم بن سعد الجوهرى قال: حدَّثنا المأمون عبد الله بن هارون عن أبيه هارون، عن أبيه محمَّد المهدي، عن أبيه أبى جعفر المنصور، عن أبيه محمَّد بن على، عن أبيه على بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه و اله كانتفاعى بكلام به أمير المؤمنين كتب إلى:

سلام عليك أما بعد فإنَّ المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه و يسره درك ما لم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك و ليكن أسفك على ما فاتك منها و ما فاتك من الدُّنيا فلا تأسفنَّ عليه و ليكن همك فيما بعد الموت، و السَّلام.

قال السبط: و قد روى السدى هذا عن أشياخه و قال عقيبه: كان الشيطان قد نزع بين ابن عباس و بين على عليه السَّلام مدَّة ثم عاد إلى موالاته - إلخ. انتهى.

و قد نقله الرضى رضوان الله عليه فى أواخر هذا الباب بروايه اخرى و هو المختار السادس و الستون منه، قال: و من كتاب كتبه عليه السَّلام إلى عبد الله بن العباس رحمه الله و قد مضى هذا الكتاب فيما تقدَّم بخلاف هذه الروايه: أما بعد فإنَّ العبد يفرح بالشىء الذى لم يكن ليفوته، و يحزن على الشىء الذى لم يكن ليصيبه، فلا يكن أفضل ما نلت فى نفسك من دنياك بلوغ لذه أو شفاء غيظ و لكن إطفاء باطل أو إحياء حق، و ليكن سرورك بما قدّمت، و أسفك على ما خلّفت و همك فيما بعد الموت.

و قد نقل المجلسى رحمه الله روايتى النهج فى المجلد الثامن من البحار

(ص ٦٣٣ و ٦٣٤ من الطبع الكمباني)، و سيأتي ذكر القصه التي أشار إليها يعقوبي و سبط ابن الجوزي في شرح المختارين ٤٠ و ٤١ من هذا الباب، الأوّل منهما معنون بقول الرضى و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله: أمّا بعد فقد بلغنى عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخّطت ربّك - إلخ، و الثاني و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله:

أمّا بعد فإنّي كنت أشركتك - إلخ، و إنّما نقلت النسخ التي وجدتها بحذفها لما رأيت من الاختلاف فيها، و من أنّ ذكر مواقع الاختلاف كان أطول من نقلها.

اللغة

(درک) بالتحريك و يسكن أيضا: اللحاق و الوصول إلى الشيء بعد طلبه، قال الزمخشريّ في الأساس: و «اللهم أعنّي على درك الحاجه» أي على إدراكها و قال ابن الأثير في النهاية: في الحديث «أعوذ بك من درك الشقاء» الدرک:

اللاحق و الوصول إلى الشيء و أدركته إدراكا و دركا، و منه الحديث: لو قال إن شاء الله لم يحنث و كان دركا له في حاجته.

و قال الفثومي في المصباح: الدرک بفتحتين و سکون الراء لغه من أدركت الشيء و أدركته إذا طلبته فلحقته.

(نلت) من النيل يقال: نال من عدوّه ينال و ينيل من بابي ضرب و علم نيلا و نالا و ناله بلغ منه مقصوده و منه قيل: نال من امرأته ما أراد و نال من مطلوبه المراد و يتعدّى بالهمزه إلى اثنين فيقال: أنلته مطلوبه فناله و المطلوب منيل، و الرّجل نائل.

(فلا تأس عليه) أي لا تحزن، يقال: أسى عليه أسى من باب علم أي حزن فهو آس و أسيان و هي آسيه و أسيانه، و أسى لفلان أي حزن له.

(ترحا) على روايه الشيخ في الكشكول، بفتحتين: ضدّ الفرح.

الضمير في لم يكن في الموضعين يرجع إلى ما وكذا ضمير الفعلين يفوت و يدرك، و الضمير المنصوب فيهما يرجع إلى المرء بقربنه قوله ما فاتك، و أمكن أن يرجع ضمير الأفعال إلى المرء، و الضميران المنصوبان إلى ما.

المعنى

قد شرحه العالم الجليل المولى محمّد صالح المازندراني في شرحه على روضه الكافي بقوله: يعنى أنّ المرأ يكون من هذه الحاله و هى أنّه تسرّه إصابه ما ينفعه، و يحزنه فواته، و ما ينفع على قسمين: أحدهما ما ينفع فى الآخره، و ثانيهما ما ينفع فى الدّنيا؛ و العاقل اللّيب ينبغى أن يسرّ بإصابه الأوّل، و يحزن بفواته و إليه أشار بقوله: فليكن سرورك بما قدّمت من عمل صالح أو حكم بالعدل أو قول بالحقّ و ليكن أسفك و حزنك فيما فرّطت فيه من ذلك فإنّ هذا السرور أبدىّ و هذا الحزن مع كونه ندامه و عباده موجب للزيادة و التدارك، و أن لا يحزن بفوات الثانى و لا يسرّ باصابتة و إليه أشار بقوله: و دع ما فاتك من الدّنيا فلا تكثر عليه حزنا و ما أصابك منها فلا تنعم به سرورا كما يسرّ و ينعم أهل الدّنيا يقال: نعم العود كفرح إذا اخضرّ و نصر، ثمّ أمر بما هو كالسبب بجميع ذلك بقوله: و ليكن همك فيما بعد الموت و السلام لأنّ التذكير بهادم اللّذات و التخويف بذكره تنفير عن محبّه الدّنيا و الحزن بفواتها و ترغيب فى محبّه الآخره و العمل لها و الحزن بفواتها. انتهى.

و أقول: هذا الكتاب مقتبس من قول الله عزّ و جلّ: «ما أصاب من مُصِيبَةٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ» (التغابن - ١٢)، و قوله تعالى: «ما أصاب من مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» (الحديد - ٢٤)، نعم

كُلُّ مَا أَفَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَ أَهْلُ بَيْتِهِ إِنَّمَا هُوَ مُقْتَبَسٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَ مَا رَوَى عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ لِبَطْنِ الْآيَاتِ وَ حَقَائِقِهَا الْمَسْتَوْرَهُ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَ أَصْلُ الْجَمِيعِ الْقُرْآنُ وَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ الْمَرْوِيُّ عَنْهُمْ إِلَيْهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» (النحل - ٩٢) وَ فِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ خَنِيْسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ إِلَّا وَ لَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ لَكِنْ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُ الرِّجَالِ، (الوافي ص ٦١ ج ١).

وَ فِيهِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ أَبِي الْجَارُودِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا حَدَّثْتُمْ بِشَيْءٍ فَاسْأَلُونِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ نَهَى عَنِ الْقَيْلِ وَ الْقَالِ وَ فِسَادِ الْمَالِ وَ كَثْرَةِ السُّؤَالِ فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَيْنَ هَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» وَ قَالَ: «وَ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا»، وَ قَالَ: «لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ» (الوافي ص ٦١ ج ١).

وَ حَاصِلُ الْفَصْلِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشَارَ فِيهِ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَ فَرَعَ عَلَيْهَا أَمْرَيْنِ، وَ الْحَقِيقَةُ: أَنَّ مَا يِنَالُهُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَفُوتُهُ فَإِنَّمَا كَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ الْمُحْتَمِ الْمَقْطُوعِ أَنْ يِنَالَهُ أَوْ يَحْرِمَهُ فَلَا يَصِحُّ الْفَرَحُ وَ الْجَزَعُ بِمَا كَانَ حَصُولُهُ وَ فَوَاتِهِ كَذَلِكَ، وَ قَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا يَأْتِي فِي الْحِكْمَةِ ٤٣٩: الزَّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» وَ مِنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَ لَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزَّهْدَ بِطَرَفِيهِ.

وَ نَحْوَهُ مَا رَوَاهُ ثِقَةُ الْإِسْلَامِ الْكَلِينِي فِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ، عَنِ زُرَّارَةَ، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ: لَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ (أَحَدٌ - خ ل) طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطئه، وَ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِهِ، (الوافي ص ٥٤ ج ٣).

وَ بِإِسْنَادِهِ عَنِ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَا يَجِدُ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ

ليخطئه و أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه و أن الضارّ النافع هو الله تعالى (الوافى ص ٥٤ ج ٣).

و روى بإسناده عن الثمالي، عن سعيد بن قيس الهمداني قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحرّكت فرسى فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت:

يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس إنه ليس من عبد إلاّ - و له من الله تعالى و آقيه معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر فإذا نزل القضاء خلياً بينه و بين كلّ شيء (الوافى ص ٥٤ ج ٣).

و روى نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفين (ص ١٢٨ من الطبع الناصري) عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي إسحاق قال: خرج عليّ يوم صفين و في يده عنزه فمرّ على سعيد بن قيس فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد و أنت قرب عدوك؟ فقال له عليّ عليه السلام: إنه ليس من أحد إلاّ عليه من الله حفظه يحفظونه من أن يتردّي في قلب أو يخزّ عليه حائط أو تصيبه آفه فإذا جاء القدر خلّوا بينه و بينه.

و قال ابن قتيبة الدينوري في الإمامه و السياسه (ص ١٦٢ ج ١) في مقتل أمير المؤمنين عليه السلام جاء رجل من مراد إلى عليّ عليه السلام فقال له يا أمير المؤمنين احترس فإنّ هنا قوما يريدون قتلك، فقال: إنّ لكلّ إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خليا.

و هذه الأخبار في الحفظه مأخوذه من قول الله عزّ و جلّ: «لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» (الرعد - ١٣) و قوله تعالى: «إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» (الانفطار ١١-١٣)، و قوله عزّ من قائل: «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُزِيلُ عَلَيْكُمْ حَفْظَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفْرَتُونَ» (الأنعام - ٦٢).

و المرويّ أيضاً عن الباقر عليه السلام في قوله: له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله: من أمر الله يقول بأمر الله من أن يقع في ركبي، أو يقع عليه

حائط أو يصيبه شيء حتى إذا جاء القدر خلوا بينه وبينه إلى المقادير و هما ملكان يحفظانه بالليل و ملكان بالنهار يتعاقبانه.

و المؤمن العارف بسرّ القدر لا يفرح بما ناله و لا يحزن على ما فاته لعلمه بأنّ قضاء الله و قدره فى نظام العالم أوجبا وقوع الأوّل و فوت الثانى فلم يكن الأوّل ليفوته و لا- الثانى ليدركه و قد قال صلى الله عليه و اله: جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم الدين فالحزن على فوات شيء محتوم عليه أن يفوته، و الفرح بحصول شيء مقطوع الحصول لما ذا؟ و للعارف قلب مطمئن لا يرى إلاّ الله و لا يرجو إلاّ إياه و لا يخاف إلاّ منه، و لا يحسد و لا يعادى أحدا و لا يحزن و لا يبطر، و قد ورد فى الخبر كما فى تفسير النيسابورى فى سورة الحديد: من عرف سرّ الله فى القدر هانت عليه المصائب، و نعم ما فى تفسير المجمع من أنّ فى قوله تعالى: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» إشاره إلى أربعة أشياء: الأوّل حسن الخلق لأنّ من استوى عنده وجود الدّنيا و عدمها لا يحسد و لا يعادى و لا يشاحّ فإنّ هذه من أسباب سوء الخلق و هى من نتائج حبّ الدّنيا، و ثانيها استحقاق الدّنيا و أهلها إذا لم يفرح بوجودها و لم يحزن لعدمها، و ثالثها تعظيم الآخره لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب، و رابعها الافتخار بالله دون أسباب الدّنيا.

قال: و يروى أنّ عليّ بن الحسين عليهما السّلام جاءه رجل فقال له: ما الزّهد؟ قال:

الزّهد عشره أجزاء: فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، و أعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، و أعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا؛ و أنّ الزهد كلّ فى آيه من كتاب الله: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» قال: و قيل لبزرجمهر: مالك أيّها الحكيم لا تأسف على ما فاتك و لا تفرح بما هو آت؟ فقال: إنّ الفات لا يتلافى بالعبره، و الاتى لا يستدام بالجره.

و عن عبد الله بن مسعود قال: لئن الحسن جمره أحرقت ما أحرقت و أبقت ما أبقت أحبّ

إلّى من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن ليته كان. انتهى.

و نعم ما قيل:

لا تطل الحزن على فائت فقلّما يجدى عليك الحزن

سيان محزون على ما مضى و مظهر حزنا لما لم يكن

و المروى عن الإمام الصّادق عليه السّلام: يا ابن آدم ما لك تأسو على مفقود لا يرده إليك الفوت، و مالك تفرح بموجود لا يتركه فى يدك الموت.

و التّفريح الأوّل أنّ ما ينبغى أن يسرّ المرء به هو ما ناله من الحقائق الّتى تفيده فى ما بعد موته و ينبغى له أن يأسف على فوتها، و الثّانى أنّ ما ناله من الدّنيا و ما فاته منها هو ما لا قدر له أن يفرح به أو يجزع عليه، ثمّ أكّد الأوّل بقوله و ليكن همّك فيما بعد الموت.

قال الفاضل الشارح المعتزلى فى المقام: و لقائل أن يقول: هب أنّ الامور كلّها بقضاء و قدر فلم لا ينبغى للإنسان أن يفرح بالنفع و إن وقع بالقدر، و يساء بفوته أو بالضرر و إن وقع بقدر؟ أليس العريان يساء بقدم الشتاء و إن كان لا بدّ من قدومه، و المحموم غبا يساء بتجدّد نوبه الحمّى و إن كان لا بدّ من تجددّها؟ فليس سبب الاختيار فى الأفعال ممّا يوجب أن يسرّ الإنسان و لا يساء بشيء منها.

قال: و الجواب ينبغى أن يحمل هذا الكلام على أنّ الإنسان ينبغى أن لا يعتقد فى الرزق أنّه أتاه بسعيه و حركته فيفرح معجبا بنفسه معتقدا أنّ ذلك الرزق ثمره حركته و اجتهاده، و كذلك ينبغى أن لا يساء بفوات ما يفوته من المنافع لاثما نفسه فى ذلك ناسبا لها إلى التقصير و فساد الحيله و الاجتهاد لأنّ الرزق هو من الله تعالى لا أثر للحركة فيه و إن وقع عندها و على هذا التأويل ينبغى أن يحمل قوله تعالى: ما أصاب من مصيبه - إلخ، انتهى كلامه.

و أقول: الظاهر أنّ المراد من الأسى و الفرح المنهيين ما بلغ حدّ الجزع و البطر و الاختيال المنسيه عن ذكر الله بقريته قوله تعالى فى ذيل الايه: «و الله لا يحبّ كلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ». لا ما لا يملك رده و لا يستطاع دفعه من الأسى و الفرح

لا- يخلو منهما بشر على الغريزه و الفطره تكويننا، نظير ما رواه الكليني في الكافي و الصيّدوق في الفقيه: لَمَّا مات إبراهيم ابن رسول الله صَلَّى الله عليه و اله هملت عين رسول الله بالدموع ثم قال النبي صَلَّى الله عليه و اله: تدمع العين و يحزن القلب (يحزن القلب و تدمع العين - كما في الفقيه) و لا نقول ما يسخط الرب (ص ٨٨ ج ١٣ من الوافي).

ثم إنّ الأسي و الفرح في كلامه عليه السّلام و في قوله عزّ و جلّ يعّمان حصول الرزق و فوته و غيره ممّا لم يكن برزق فلا وجه لاختصاصهما بالرزق فقط، اللهمّ إلا أن يقال: إنّ الشارح المذكور أراد من الرزق أعمّ ممّا تربّى به الحيوان من الأغذية و الأشربه كما هو مذهب الاعتزال و الشارح منهم فإنّ الرزق عند المعتزله هو كلّما صحّ انتفاع الحيوان به بالتغذّي أو غيره كما أشار إليه العلامة الشيخ البهائي في شرح الحديث الثالث عشر من كتابه الأربعين.

و ليعلم أنّ ما مضى من القول بأنّ قضاء الله و قدره أوجبا ما أوجبا و أنّ ما أصاب المرأ لم يكن ليخطئه، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه و نظائرها لا تنافي ما ورد في القرآن و الأخبار من الحثّ على الدّعاء و الطلب إلى الله تعالى و إلاّ لما أمرنا الله تعالى و رسوله و أهل البيت بالسؤال و الدّعاء و قد قال عزّ من قائل: «ما يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ» (آخر الفرقان)، و قال: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِبُونَ عَنِّ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (المؤمن، الغافر - ٦٠) و قال تعالى: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعِيدٍ إِصْلَاحُهَا وَ ادْعُوهُ خَوْفًا وَ طَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ» (الأعراف - ٥٥ و ٥٦)، و قال تعالى: «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» (البقره - ١٨٤).

و قال رسول الله صَلَّى الله عليه و اله: ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم و يدرّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تدعون ربّكم بالليل و النهار فإنّ سلاح المؤمن الدّعاء.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدعاء ترس المؤمن و متى تكثر قرع الباب يفتح لك.

و قال الصادق عليه السلام: الدعاء أنفذ من السنان الحديد.

و قال الكاظم عليه السلام: إن الدعاء يرد ما قدر و ما لم يقدر، قلت (أى قال الراوى) ما قدر فقد عرفته فما لم يقدر؟ قال عليه السلام حتى لا يكون.

و قال عليه السلام: عليكم بالدعاء فإن الدعاء و الطلب إلى الله. تعالى يردّ البلاء و قد قدر و قضى فلم يبق إلا إمضاؤه فإذا دعى الله و سئل صرفه صرفه.

و روى زراره عن أبى جعفر عليه السلام قال: ألا أدلكم على شىء لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه و اله؟ قلت: بلى، قال: الدعاء يردّ القضاء و قد أبرم إبراهيم و ضم أصابعه.

و عن سيد العابدين عليه السلام: إن الدعاء و البلاء ليتوافقان إلى يوم القيامة إن الدعاء ليردّ البلاء و قد أبرم إبراهيم.

و عنه عليه السلام: الدعاء يدفع البلاء النازل و ما لم ينزل.

و قد أتى بهذه الروايات الفقيه الحبر المحقق أحمد بن فهد الحللى قدس سره فى أول كتاب عدّه الداعى و نجاح الساعى و الروايات فى ذلك كثيره جدًا و الكتب المؤلّفه فيه غير عزيزه، نعم إن القضاء ينقسم إلى قضاء ثابت محتوم لا يتغير و قضاء متغير و ما نحن فيه من الثانى فإياك أن تظنّ أنّ الدعاء ينافى القول بالقضاء فإنّه «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (الرعد - ٤١)، و فى ضمن هذه الايه روايات دقيقه و مطالب أنيقه لعلنا نبحت عنها فى شروحنا الاتيه فى فصل نعقد فى ذلك إن شاء الله تعالى. و قد قدّمنا نبذه من البحث عن استجاباه الدعاء فى شرحنا على المختار ٢٣٦ من باب الخطب (ص ٣٥٩-٣٦٢ ج ١٥) فراجع.

الترجمه

این نامه ایست که امیر علیه السلام به عبد الله عباس نوشت و او می گفت که من بعد از گفتار رسول خدا به هیچ گفتاری چون این کلام امیر بهره نبردم:

ص: ٣٥٥

أَمَّا بعد براستی مرد را رسیدن چیزی باو که نمی بایستی از او فوت شود شاد میکند، و فوت چیزی که نمی بایستی آن را بدست آورد اندوهگین می سازد، پس باید شادی تو به آن چه باشد که برای آخرت اندوختی، و اندوه تو بفوت چنان چیزی، و آنچه که از دنیا عایدت شده بسیار بان شادمانی مکن، و آنچه که از آن از تو فوت شد بی تابی مکن، و باید همت برای بعد از مرگ مصروف باشد.

و من کلام له علیه الصلاه و السلام قبیل موته لما ضربه

اشاره

ابن ملجم لعنه الله علی سبیل الوصیه

و هو المختار الثالث و العشرون من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله:

وصیتی لكم أن لا تشرکوا بالله شیئا، و محمد صلی الله علیه و اله فلا تضيّعوا سنته. أقيموا هذين العمودين. و خلاکم ذمّ - أنا بالأمس صاحبکم، و اليوم عبره لكم، و غدا مفارقکم، إن أبق فأنا وليّ دمی، و إن أفن فالفناء میعادی، و إن أعف فالعفو لی قربه و هو لكم حسبه فاعفوا «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ». و الله ما فجأنی من الموت وارد کرهته، و لا طالع أنکرته؛ و ما كنت إلا كقارب ورد، و طالب وجد، «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ».

ص: ۳۵۶

قال الرّضىّ رضوان الله عليه: أقول: وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدّم من الخطب إلا أنّ فيه ههنا زيادة أوجبت تكريره، انتهى.

أقول: و العبارة في بعض نسخ النهج في المقام هكذا: «أقيموا هذين العمودين و أوقدوا هذين المصباحين» كما أنّها في نسخه الكافي كذلك، و في بعض نسخ النهج: «و هو لكم حسنه» كما أنّها مطابق لنسخ الكافي أيضا، و لكن ما في المتن في كلا الموضوعين مطابق لنسخه الرضىّ.

المصدر

كلامه هذا قد روى في الجوامع الروائية و غيرها على صور مختلفه و وجوه كثيره و قد مضى بعضه فيما تقدّم من الخطبه ١٤٧ أوّلها: أيّها النّاس كلّ امرئ لاق ما يفترّ منه في فراره، و الأجل مساق النفس، و الهرب منه موافاته - إلخ، و هي في شرح الخوئي رحمه الله أعنى منهاج البراعة جعلت الخطبه ١٤٩ فراجع إلى ص ١١١ من المجلّد التاسع منه، و هذه الخطبه مرويه في الجامع الكافي لثقه الإسلام الكلينيّ قدّس سرّه، و نقلها الفيض رضوان الله عليه في باب الإشاره و النصّ على الحسن بن عليّ عليهما السّلام (ص ٨٠ ج ٢)، و تجدها في مرآه العقول في ص ٢٢٢ من المجلّد الأوّل منه، و قد أتى بها الشارح الخوئي في شرح الخطبه المتقدّمه من النهج ص ١٢٧ ج ٩ من المنهاج فلا حاجة إلى تكريرها.

و قال المسعوديّ في مروج الذهب (ص ٤٨ ج ٢): و قد ذكر جماعه من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السّلام أنّ عليّا عليه السّلام قال في صبيحه الليله التي ضربه فيها عبد الرّحمن بن ملجم بعد حمد الله و الثناء عليه و الصلاه على رسوله الله صلّى الله عليه و اله: كلّ امرئ ملاقيه ما يفترّ منه و الأجل تساق النفس إليه، و الهرب منه موافاته، و كم اطردت الأيام أتحينها(١)

ص: ٣٥٧

١- (١) كذا في مروج الذهب، و في الكافي و الخطبه ١٤٧ من النهج الماضيه: كم اطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الامر. منه.

عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عزّ وجلّ إلا إخفاءه هيئات علم مكنون، أمّا وصيتي فلا تشركوها به شيئاً، و محمد لا تضيّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، حمل كل امرئ منكم مجهوده، و خفف عن الحمله (١) ربّ رحيم و دين قويم و إمام عليم؛ كُنّا في أعصار ودى رياح تحت ظلّ غمامه اضمحل راكدها فحطها من الأرض (٢) حيا و بقى من بعدى خيرها و استكنه بعد حركه كاظمه بعد نطق لبعضكم هدوئي و خفوت أطرافى إنّه أوعظ لكم من نطق البليغ، و دعتم و داع امرئ مرصد لتلاق و غدا ترون و يكشف عن ساق عليكم السلام إلى يوم المرام كنت بالأمس صاحبكم، و اليوم عظه لكم، غدا أفارقكم إن افق فأنا وليّ دمي، و إن أمت فالقيامه ميعادى و العفو أقرب للتقوى «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، انتهى ما فى المروج.

و سنأتى بطائفة من وصاياهم عليه السلام مع بيان مصادرها و ماخذها، و بيان ما فيها من غريب الحديث إن شاء الله تعالى فى شرح المختار السابع و السبعين المعنون بقول الرضى: و من وصيته عليه السلام للحسن و الحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله:

أوصيكما بتقوى الله و أن لا تبغيا الدنيا و إن بغتكما - إلخ، و لم نظفر بعد فى جامع روائى على روايه شامله على قوله عليه السلام: و الله ما فجأنى من الموت - إلخ، و إن كان الرضى فى نقله ثقة ثبتا و كفى بالنهج سنداً أن مثل الرضى أسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام و لا إخال أن من كان عارفا بمقامه الشامخ و جلاله قدره علما و عملا أن يتفوه بنسبه الوضع و الاختلاق إليه.

و لا يخفى أن الماخذ التى كانت للرضى لم يصل إلينا إلا نبذه منها، و بعد نقول إننا لم نظفر عليه و عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود و لعل الله يحدث

ص: ٣٥٨

-
- ١- (١) كذا فى مروج الذهب، و فى الكافى و الخطبه المتقدمه، و خفف عن الجهله. منه
 - ٢- (٢) كذا فى المروج و فى الكافى و الخطبه المذكوره: فانا كنا فى أفياء أغصان و ذرى رياح و تحت ظل غمامه اضمحل فى الجو متلفها، و عفى فى الارض مخطها، و بين ما فى نسخه المسعودى و ما فى النهج و الكافى يوجد اختلاف كثير، منه.

بعد ذلك أمرا و يوقفنا بالظفر عليه فنذكره في شرح وصيته الاتيه لابنيه عليهم السلام.

على أن ابن الأثير في لغة قرب من النهايه قال: القارب: الذي يطلب الماء و منه حديث علي عليه السلام: و ما كنت إلا كقارب و رد، و طالب وجد.

المعنى

قوله عليه السلام: (و هو لكم حسبه) و من كلامه عليه السلام كما أتى به أبو عثمان الجاحظ في البيان و التبيين (ص ٧٤ ج ٤ طبع مصر) و سنذكره إن شاء الله تعالى بتمامه في شرح المختار ١٩١ في باب المختار من حكمه عليه السلام: إنما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا، و هو قوله عليه السلام: فاستقبل المصيبة بالحسبه تستخلف بها نعمي، و الحسبه بكسر الحاء إذا كانت عند المكروهات هي البدار إلى طلب الأجر و تحصيله بالتسليم و الصبر، اسم من الاحتساب، قال الجوهري في الصحاح:

احتسب بكذا أجرا عند الله و الاسم الحسبه بالكسر و هي الأجر و الجمع الحسب، انتهى.

و قال ابن الأثير في النهايه: و فيه (يعنى في الحديث) من صام رمضان إيمانا و احتسابا أى طلبا لوجه الله و ثوابه، و الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد؛ و إنما قيل لمن ينوى بعمله وجه الله أحتسبه لأن له حينئذ أن يعتد عمله فجعل في حال مباشره الفعل كأنه معتد به، و الحسبه اسم من الاحتساب كالعده من الاعتداد، و الاحتساب في الأعمال الصالحات و عند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر و تحصيله بالتسليم و الصبر أو باستماع أنواع البرّ و القيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثواب المرجو منها، و منه حديث عمر: أيها الناس احتسبوا أعمالكم فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله و أجر حسبته، و منه الحديث من مات له ولد فاحتسبه أى احتسب الأجر بصيره على مصيبته يقال: احتسب فلان ابنأله إذا مات كبيرا و افترطه إذا مات صغيرا و معناه اعتد مصيبته في جملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها.

ولا يخفى على البصير بأساليب الكلام، و العارف بمواقع اللغه أنّ لكلمه الحسيه بالباء فى المقام شأننا ليس للحسنه بالنون، و التشابه بين الكلمتين أوجب تصحيف الاولى بالثانيه، و لم يتعرّض أحد من شراح النهج و الكافى لهذه الدقيقه و إنّما كانت نسخهم حسنه بالنون.

قوله عليه السلام: (إن أبق فأنا وليّ دمي) كانت العبارة على نسخه المسعودى فى مروج الذهب: «إن أبق فأنا وليّ دمي» و كلمه أبق مشتقه من الإفاقه أصله من ف و ق، قال ابن الأثير فى النهاية: أفاق إذا رجع إلى ما كان قد شغل عنه و عاد إلى نفسه و منه إفاقه المريض و المجنون و المغشى عليه و النائم.

قوله عليه السلام: (و إن أفن فالفناء ميعادى) و ذلك لأنّ كلّ نفس ذائقة الموت، و كلّ من عليها فان و لا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال و الإكرام، و أنّ الموت ضرورى أمره و الوجه فيه هو كما أفاده المحقق الطوسى قدّس سرّه قال: إنّ السبب الموجب للموت فى جميع الحيوانات هو أنّ البدل الذى تورده الغاذه و إن كان كافيا فى قيامه بدلا عمّا يتحلّل فاضلا عن الكفايه بحسب الكميّه لكنّه غير كاف بحسب الكيفيه، و بيان ذلك أنّ الرطوبه الغريزيّه الأصليّه إنّما تخمّرت و نضجت فى أوعيه الغذاء أولا، ثمّ فى أوعيه المنى ثانيا، ثمّ فى الأرحام ثلثا؛ و الّذى تورده الغاذه لم يتخمّر و لم ينضج إلا فى الأول دون الأخيرين فلم يكمل امتزاجها، و لم يصل إلى مرتبه المبدل عنها فلم يقيم مقامها كما يجب بل صارت قوتها أنقص من قوه الاولى و كان كمن يفقد زيت سراج فأورد بدله ماء فما دامت الكيفيه الاولى الأصليّه غالبه فى الممتزج على الثانيه المكتسبه كانت الحراره الغريزيّه آخذة فى زياده الاشتغال مورده على الممتزج أكثر ممّا يتحلّل فينمو الممتزج، ثمّ إذا صارت مكسوره السوره بظهور الكيفيه الثانيه و قفت الحراره الغريزيّه و ما قدرت على أن يورد أكثر ممّا يتحلّل و إذا غلبت الثانيه انحطّ الممتزج و هرم و ضعفت الحراره إلى أن يبقى له أثر صالح الكيفيه الاولى فيقع الموت ضروره، و ظهر من ذلك أنّ الرطوبه الغريزيّه الأصليّه من أوّل تكوّنها

آخذه في النقصان بحسب الكيفيه، و ذلك هو السبب الموجب لفساد الممتزج لا غير فحصل المرام و ذلك ما أردنا بيانه. انتهى.

و قيل بالفارسيه:

جان قصد رحيل كرد و گفتم كه مرو گفتم چه كنم خانه فرو می آید

و قال الشيخ العارف السعدي:

چار طبع مخالف سرکش چند روزی بوند با هم خوش

چون یکی زین چهار شد غالب جان شیرین بر آید از قالب

قوله عليه السّلام: (و الله ما فجئني من الموت - إلخ) و ذلك لأنّ أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و إنّما يكره الموت من تعلق بالدنيا و نسي حظّه الأوفر في العقبى و أمّا أولياء الله فهم في الدنيا كمن ليس منها كما قاله عليه السّلام في بعض الخطب الماضيه؛ و لو لا- الأجل المذی كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفه عين شوقا إلى الثواب و خوفا عن العقاب كما ألقاه عليه السّلام على همّام، و قد أخذ من مآدبته الشيخ الرئيس في قوله في النمط التاسع من الاشارات في مقامات العارفين فكأنّهم و هم في جلايب من أبدانهم قد نضوها و تجرّدوا عنها إلى عالم القدس.

و قال الشيخ العارف السعدي:

از هر چه می رود سخن دوست خوشتر است پیغام آشنا سخن روح پرور است

هرگز وجود حاضر و غائب شنیده ای من در میان جمع و دلم جای دیگر است

ابنای روزگار بصحرا روند و باغ صحرا و باغ زنده دلان کوی دلبر است

ثمّ عقب عليه السّلام كلامه بقوله: «و ما عند الله خيرٌ للأبرار» و كأنّه بيان العله في عدم خوفه من الموت و هذا اقتباس من قول الله عزّ و جلّ «لكن الذين اتقوا ربّهم لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلًا من عند الله و ما عند الله خيرٌ للأبرار» (آل عمران- ١٩٩) فقد أشار عليه السّلام إلى أنّه من الأبرار و أنّ الايه شامله عليه، و قد وصف الله الأبرار في عدّه مواضع من القرآن الكريم:

«رَبَّنَا فَاعْفُوْا لَنَا ذُنُوبَنَا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَ تَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» (آل عمران - ١٩٣) «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» (هل أتى - ٦)، «إِنَّ»

«الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ» (الانفطار - ۱۴)، «كَلَّا- إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسِيقُونَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا» (المطففين).

فمن كان من الأبرار بل قدوتهم و إمامهم و كانت له بعد ارتحاله من سجن الدنيا تلك المقامات المنيعه الخالده و الدرجات الرفيعه الدائمه فكيف لا يكون مع الموت كقارب ورد و طالب وجد، و حق له أن يقول:

مرگ اگر مرد است گو نزد من آی تا در آغوشش بگیرم تنگ تنگ

من از او ملکی ستانم جاودان او زمن دلقی بگیرد رنگ رنگ

و نعم ما نظمه العارف الرومی فی المثنوی:

چون بلال از ضعف شد همچون هلال رنگ مرگ افتاد بر روی بلال

جفت او دیدش بگفتا وا حرب پس بلالش گفت نی نی وا طرب

تا کنون اندر حرب بودم ز زیست تو چه دانی مرگ چه عیشست و چیست

این همی گفت و رخس در عین گفت نرگس و گلبرگ و لاله می شکفت

تاب رو و چشم پر أنوار او می گواهی داد بر گفتار او

گفت جفتش الفراق ای خوش خصال گفت نی نی الوصالست الوصال

گفت جفت امشب غریبی می روی از تبار و خویش غائب می شوی

گفت نی نی بلکه امشب جان من می رسد خوش از غریبی در وطن

گفت ای جان و دلم وا حسرتا گفت نی نی جان من یا دولتا

گفت آن رویت کجا بینیم ما گفت اندر حلقه خاص خدا

گفت ویران گشت این خانه دریغ گفت اندر مه نگر منگر بمیغ

کرد ویران تا کند معمورتر قوم آنبه بود و خانه مختصر

انبیا را تنگ آمد این جهان چون شهان رفتند اندر لا مکان

مردگان را این جهان بنمود فرّ ظاهرش زفت و بمعنی تنگتر

روح از ظلم طبیعت باز رست مرد زندانی ز فکر حبس جست

و قد مضى بيان باقى كلامه هذا فى شرح الخطبه المقدم ذكرها من الشارح الخوئى رحمه الله، و سيأتى فى شرح المختار ٧٧ من هذا الباب مباحث متعلقه بالمقام إن شاء الله تعالى.

الترجمه

از سخنان أمير المؤمنين عليه السلام که پیشترک از بدرود زندگانی، زمانی که از ضربت پسر ملجم در بستر بیماری افتاده بود بر سبیل وصیت فرموده است:

وصیتم بشما این است که چیز را همتای خدا ندانید (شرک بخدا نیاورید) و سنت پیمبر را تباه نکنید، و این دو ستون دین را که توحید و حفظ سنت پیمبر است بر پا بدارید، از شما نکوهش دور باد - من دیروز یار شما بودم و امروز مایه پند برای شما و فردا از شما جدا میشوم، اگر از بیماری نجات یافتم و در این جهان باقی ماندم من خود ولی خونم می باشم و اگر نماندم مرگ میعاد من است، اگر قاتلم را عفو کنم پس عفو برای من موجب قربت است و برای شما موجب پیشگیری بطلب اجر و تحصیل آن بتسلیم و صبر است (۱) پس عفو کنید آیا دوست ندارید که خدا شما را بیامرزد؟ بخدا قسم از پیش آمد مرگ واردی که آنرا ناخوش داشته باشم بمن روی نیاورد، و چیزی که آنرا بد داشته باشم بر من ظاهر نشد، و نیستم من مگر چون جویای آب که باب برسد، و چون طالبی که مطلوبش را یافته است و آنچه که نزد خدا است بهتر است برای نیکوکاران.

ص: ۳۶۳

۱- (۱) شراح و مترجمین نهج البلاغه همه عبارت نهج را چنین نقل کرده اند: و هو لکم حسنه، و این گونه ترجمه کرده اند که: آن برای شما نیکوکاری و مثبت است ولی نسخه رضی همان است که در متن اختیار کردیم که حسبه بود و ترجمه ما مطابق نسخه رضی است و همین با مقام مناسب است.

سید رضی گوید: که پاره از این گفتار در باب خطب گذشت، جز این که در اینجا کلامی بیشتر بود که در پیش نیاوردیم از این روی تکرار آن واجب شد.

و من وصیه له علیه الصلاه و السلام بما يعمل فی

اشاره

أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفین.

و کلامه هذا هو المختار الرابع و العشرون من باب كتبه علیه السلام و رسائله:

هذا ما أمر به عبد الله علي بن أبي طالب في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنه، و يعطيه به الأمانه. منها: و إنه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف و ينفق منه في المعروف، فإن حدث بحسن حدث و حسين حي قام بالأمر بعده و أصدره مصدره.

و إن لابني فاطمه من صدقه علي مثل الذي لبني علي.

و إنني إنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمه ابتغاء وجه الله و قربه إلى رسول الله، و تكريما لحرمته، و تشريفا لوصلته. و يشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله و ينفق من ثمره حيث أمر به، و هدى له؛ و أن لا يبيع من أولاد نخيل

ص: ۳۶۴

هذه القرى وديّه حتّى تشكل أرضها غراسا. و من كان من إمائي اللّاتي أطوف عليهنّ لها ولد أو هي حامل فتمسك علي ولدها و هي من حظّه فإن مات ولدها و هي حيّه فهي عتيقه قد أفرج عنها الرّق، و حرّرها العتق. قال الرّضى رضوان الله عليه: قوله عليه السّلام في هذه الوصيّه: «و ألاّ يبيع من نخلها وديّه» فإنّ الوديه الفسيله و جمعها ودى. و قوله عليه السّلام: «حتّى تشكل أرضها غراسا» هو من أفصح الكلام و المراد به أنّ الأرض يكثر فيها غراس النخل حتّى يراها الناظر على غير تلك الصّفه الّتي عرفها به فيشكل عليه أمرها و يحسبها غيرها. انتهى.

المصدر و نقل الوصيه على صورتها الكامله

رواها ثقه الاسلام الكلينيّ قدّس سرّه في كتاب الوصايا من الجامع الكافي (ص ٢٤٧ من الطبع الحجري، باب ٣٥ من كتاب الوصايا) عن أبي عليّ الأشعري عن محمّد بن عبد الجبار و محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الرّحمن بن الحجّاج.

و شيخ الطائفه الطوسي قدّس سرّه في كتاب الوقوف من التهذيب (ص ٣١٩ من الطبع على الحجر) عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن عبد الرّحمن بن الحجّاج و بينهما اختلاف في الجملة و دونك الوصيّه على نسخه الكافي قال عبد الرّحمن ابن الحجّاج: بعث إليّ أبو الحسن عليه السّلام بوصيّه أمير المؤمنين عليه السّلام و هي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ فِي مَالِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ لِيَدْخُلَنِي (١) بِهِ الْجَنَّةَ وَيَصْرِفَنِي بِهِ عَنِ النَّارِ، وَ يَصْرِفُ النَّارَ عَنِّي «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ».

أَنَّهُ مَا كَانَ لِي مِنْ مَالٍ بَيْنَعُ يَعْرِفُ لِي فِيهَا وَ مَا حَوْلَهَا صَدَقَهُ، وَ رَقِيقَهَا غَيْرَ أَنَّ رِبَاحًا، وَ أَبَا نِزْرًا، وَ جَبِيرًا عَتَقًا لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِمْ سَبِيلٌ فَهَمَّ مَوَالِيٌّ يَعْمَلُونَ فِي الْمَالِ خَمْسَ حَجَجٍ وَ فِيهِ نَفَقَتُهُمْ وَ رِزْقُهُمْ وَ أَرْزَاقَ أَهْلِيهِمْ. وَ مَعَ ذَلِكَ مَا كَانَ لِي بِوَادِي الْقُرَى كُلِّهَا مِنْ مَالٍ لِبْنِي فَاطِمَةَ وَ رَقِيقَهَا صَدَقَهُ، وَ مَا كَانَ لِي بِدِيمَةٍ وَ أَهْلِهَا صَدَقَهُ غَيْرَ أَنَّ زَرِيقًا لَهُ مِثْلَ مَا كَتَبْتُ لِأَصْحَابِهِ، وَ مَا كَانَ لِي بِأَدْنِيهِ وَ أَهْلِهَا صَدَقَهُ، وَ الْفُقَرَاءَ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ صَدَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَ أَنَّ الْعَدِيَّ كَتَبْتُ مِنْ أَمْوَالِي هَذِهِ صَدَقَهُ وَاجِبُهُ بِتَلِّهِ حَيًّا أَنَا أَوْ مَيِّتًا يَنْفَقُ فِي كُلِّ نَفَقَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ وَجْهَهُ وَ ذَوِي الرَّحْمِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَ الْقَرِيبِ وَ الْبَعِيدِ فَإِنَّهُ يَقُومُ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْفَقُهُ حَيْثُ يَرَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي حَلٍّ مُحَالٍ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ نَصِيبًا مِنَ الْمَالِ فَيَقْضِي بِهِ الدَّيْنَ فَلْيَفْعَلْ إِنْ شَاءَ وَ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَ إِنْ شَاءَ جَعَلَهُ سَرَى الْمَلِكِ.

وَ أَنَّ وَلَدَ عَلِيٍّ وَ مَوَالِيَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ وَ إِنْ كَانَتْ دَارُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ غَيْرَ دَارِ الصَّدَقَةِ فَبَدَا لَهُ أَنْ يَبِيعَهَا فَلْيَبِيعْ إِنْ شَاءَ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَ إِنْ بَاعَ فَإِنَّهُ يَقْسِمُ ثَمَنَهَا ثَلَاثَةَ أَثْلَاطٍ: فَيَجْعَلُ ثَلَاثًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ يَجْعَلُ ثَلَاثًا فِي بَنِي هَاشِمٍ وَ بَنِي الْمُطَّلِبِ، وَ يَجْعَلُ الثَّلَاثَ فِي آلِ أَبِي طَالِبٍ، وَ أَنَّهُ يَضَعُهُ فِيهِمْ حَيْثُ يَرَاهُ اللَّهُ، وَ إِنْ حَدَثَ بِحَسَنِ حَدَثٌ وَ حَسِينٍ حَتَّىٰ فَإِنَّهُ إِلَى حَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ.

وَ أَنَّ حَسِينًا يَفْعَلُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ حَسَنًا لَهُ مِثْلَ الَّذِي كَتَبْتُ لِلْحَسَنِ وَ عَلَيْهِ مِثْلَ الَّذِي عَلَى الْحَسَنِ.

ص: ٣٦٦

وإنّ لبنى ابني فاطمه من صدقه عليّ مثل العدي لبنى عليّ و إنّما جعلت العدي جعلت لبنى فاطمه ابتغاء و الله عزّ و جلّ و تكريم حرمه رسول الله صلّى الله عليه و اله و تعظيمها و تشریفها و رضاها، و إن حدث بحسن و حسين حدث فإنّ الاخر منهما ينظر في بنى عليّ فان وجد فيهم من يرضى بهداه و إسلامه و أمانته فإنّه يجعله إليه إن شاء، و إن لم يرفيهم بعض العدي يريده فإنّه يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به، فإن وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراًوهم و ذوو رأيهم فإنّه يجعله إلى رجل يرضاه من بنى هاشم.

و أنّه يشترط على العدي يجعله إليه أن يترك المال على اصوله و ينفق ثمره حيث أمرته به من سبيل الله و وجهه و ذوى الرّحم من بنى هاشم و بنى المطلب و القريب و البعيد، لا يباع منه شيء و لا يوهب و لا يورث.

و إنّ مال محمّد بن عليّ على ناحيه و هو إلى بنى فاطمه.

و إنّ رقيقى الدين في صحيفه صغيره التي كتبت لي عتقاء.

هذا ما قضى به عليّ بن أبي طالب في أمواله هذه الغد من يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله و الدار الاخره و الله المستعان على كلّ حال و لا- يجلّ لامرئ مسلم يؤمن بالله و اليوم الاخر أن يقول في شيء قضيته من مالى و لا يخالف فيه أمرى من قريب و لا بعيد.

أمّا بعد فإنّ و لائدى اللاتي أطوف عليهنّ السبعه عشر منهنّ أمّهات أولاد معهنّ أولادهنّ، و منهنّ حبالى، و منهنّ من لا ولد له فقضائى فيهنّ إن حدث بي حدث أنّه من كان منهنّ ليس لها ولد و ليست بحبلى فهي عتيق لوجه الله عزّ و جلّ ليس لأحد عليهنّ سبيل، و من كان منهنّ لها ولد أو حبلى فتمسك على ولدها و هي من حظّه (حصّيته - خ ل) فإن مات ولدها و هي حيّه فهي عتيق ليس لأحد عليها سبيل، هذا ما قضى به عليّ في ماله الغد من يوم قدم مسكن شهد أبو سمر بن أبرهه و صعصعه بن صوحان و يزيد بن قيس و هياج بن أبي هياج و كتب عليّ بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى سنه سبع (تسع - خ ل) و ثلاثين.

(ليولجه) أى ليدخله، و منه الولجه بالتحريك موضع أو كهف تستر فيه المارّه من مطر و غيره.

(الابتغاء): الطلب، قال الجوهريّ فى الصحاح: ابتغيت الشيء و تبغيتّه إذا طلبته و بغيته (حدث) بالتحريك: الحادث.

(أصدره مصدره) يصح المصدر بفتح الميم و ضمّه معا، و الفتح أصحّ و اختاره الرّضىّ رضوان الله عليه، كما فى النسخه التى قوبلت على نسخته، ففى الصحاح: أصدرته فصدر أى رجعت فرجع، و الموضع مصدر و منه مصادر الأفعال.

(الوصله) بالضمّ: الصله و القرابه.

و فيه (الودىّ) على فعيل صغار الفسيل، الواحد و ديه، و الفسيله و الفسيل على فعيله و فعيل صغار النخل و الجمع الفسلان، انتهى، و فى العبارة كناية حسنه عن النخيلات التى تنبت من النوى تحت أشجار النخل، أو تنبت من اصولها، و كأنّ حملها على ما تنبت من اصولها أولى و أنسب.

(تشكل) قال ابن الأثير فى النهايه: و فى وصيه على عليه السلام: «و أن لا يبيع من أولاد نخل هذه القرى و ديه حتّى تشكل أرضها غراسا» أى حتّى يكثر غراس النخل فيها فيراها الناظر على غير الصفه التى عرفها به فيشكل عليه أمرها. انتهى.

و قال الكسائى: أشكل النخل طاب رطبه و أشكل العنب أئنع بعضه.

(الغراس) بالكسر: فصيل النخل، و يقال للنخله أول ما ينبت غريسه، و يقال: للجلده الرقيقه التى تخرج مع الولد إذا خرج من بطن امّه غرس بالكسر.

(قد أفرج عنها الرقّ) كلمه أفرج مشكوله فى أكثر النسخ المطبوعه و شروحها بضمّ الهمزه و كسر الراء و لكنّها فى نسخه الرضىّ بفتحهما و لذا اخترناه فى المتن و هذا هو الصحيح ففى الصحاح للجوهريّ: أفرج الناس عن طريقه أى انكشفوا.

(ابتغاء) منصوب فى كلا-الموضعين لأنّه مفعول له للفعلين: أمر و جعلت و كلّ واحد من قربه و تكريما و تشريفا منصوب معطوف على الابتغاء الثانى مفعول له.

(ليولجه) منصوب بأن الناصبه المقدّره، و يعطيه منصوب معطوف على يولج، و ضمير الفعلين يرجع إليه عليه السّلام، و فى بعض النسخ من المخطوطه و غيرها ليولجنى و يعطينى ففيه التفات من ضمير الغيبه إلى ضمير المتكلم و ما فى المتن مطابق لنسخه الرضى و مختاره، و ضمير به فى كلا الموضوعين الأخيرين يصح أن يرجع إلى ما كالأوّل أو إلى الابتغاء.

(يأكل منه بالمعروف) حال للحسن عليه السّلام فإنّ الجملة الفعلية إذا كانت مبدوءه بمضارع مثبت بدون قد فلا بدّ من ضمير رابط وحده أو معها فمع الواو، و الاولى كما نحن فيه، و الثانى كقوله تعالى: «لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ».

(و ينفق) معطوف على يأكل.

(و حسين حى) جملة اسميه حاليه و الرابط هو الواو، (قام) جواب إن، (أصدر) عطف على قام، و الضميران فى أصدره و مصدره يرجعان إلى الأمر، (مثل) منصوب اسم لأنّ (لابنى) ظرف مستقرّ خبر لها.

الظاهر أن ضمير (يشترط) يرجع إلى الأمير عليه السّلام غايه الأمر أنّ فى الكلام التفاتا من التكلم إلى الغيبه، أو عطف على أمر به فلا يلزم التفات و يؤيّده ما فى النسخه الاتى نقلها من الاتيان بالفعل الماضى: و أنّه شرط، و جاز أن يرجع إلى الامام الحسن عليه السّلام بقرينه يقوم و يأكل أو إلى الامام الحسين عليه السّلام فأنّه أقرب المراجع أو أنّه راجع إلى من يتفوّض الامور إليه خلفا بعد سلف، و لكنّ الصواب هو الأوّل كما يدلّ عليه اسلوب الكلام و صوره الوصيه.

جملة (أن يترك) مفعول يشترط، و ينفق عطف على يترك، و أن لا يبيع عطف على أن يترك.

(تشكل) منصوب بأن الناصبه المقدّره وجوبا، (أرضها) مرفوعه على الفاعليه لتشكل، (غراسا) منصوب على التميز، من موصول اسمى يستوى فيه المذكر و المؤنث من جاره بيائيه لمن، (لها ولد) حال للإمام و كذلك جملة هي حامل، و لم يقل حامله لكونها صفة خاصه للانثى، فتمسك خبر الموصول الاسمى و قد دريت فى المباحث السالفه أنّ الفاء يدخل فى خبر الموصول الاسمى فى عدّه مواضع و هذا منها و هي من حظّه حاله لضمير تمسك، و هي حيه أيضا حال لها، فهى عتيقه جواب إن، و ادخل الفاء لكون الجملة اسميه، (قد أفرج) صفة للعتيقه لكونها نكره و كذلك التاليه.

المعنى

هذه الوصيه قد رويت فى الجوامع الروائيه بصور مختلفه فى الجملة و لعلنا نأتى بها و نبينها مع ذكر مصادرها و أسانيدھا فى شرح وصيته الاتيه للإمامين الحسن و الحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم، كما وعدناه فى شرح المختار المقدم و ما أتى بها الرضى رضوان الله عليه ملتقط منها كما هو دأبه و عنايته فى كلام الأمير عليه السلام.

و اعلم أنّ جميع وصاياہ عليه السلام لأولاده و بما يعمل فى أمواله على ما استقصيناہ إنّما هي كانت بعد منصرفه من صفين، و ذلك لما كان يعلم من دنوّ شهادته، و لعلك تقول إن كان علم الإمام فى زعمك على هذا المنوال فلم قال عليه السلام: «فإن حدث بحسن حدث و حسين حى» و لم يجزم بما هو آت و جار فى مستقبل الزمان؟ قلت:

إنّہ عليه السلام تكلم بما هو متعارف الناس فى محاوراتهم و قد مضى بحثنا عن طور علم الإمام فى المجلد الخامس عشر فى شرح قوله عليه السلام: «فجعلت أتبع مأخذ رسول الله صلى الله عليه و اله فأطأ ذكره حتى انتهيت إلى العرج» على أنّه يأتي البحث عن

ذلك في شرح الوصية الاثني عشرية في ذلك إن شاء الله تعالى.

قوله عليه السلام: (يأكل منه بالمعروف - إلخ) لعل كلامه هذا لدفع ما عسى يتوهم من أنّ هذه الصدقة حرام على الحسن بن عليّ عليهما السلام كالزكاة فقال عليه السلام:

أنّه يأكل منها بالمعروف و ينفق منها بالمعروف فإنّها مال أبيه وقف عليه قوله عليه السلام:

«فإن حدث بحسن حدث» أي إن أدركه الموت بقرينه قوله: و حسين حيّ.

قوله: (و إنّ لابني فاطمه من صدقه - اه) يعنى أنّهم فيها شرع واحد، لا تختصّ ببعض دون بعض و لا مزيّة لابني فاطمه في منافعتها على غيرهما؛ نعم إنّما جعلت القيام بذلك أي من يتولّى أمرها و يتصدّى عليها إليهما بتلك الوجوه الأربعة من ابتغاء وجه الله - إلخ، أو المراد منه دفع التوهم المتقدّم.

قال الشارح المعتزلي: ثمّ بين لما ذا خصّهما بالولاية؟ فقال: إنّما فعلت ذلك بشرفهما برسول الله صلّى الله عليه و اله فتقرّبت إلى رسول الله بأن جعلت لسبطيه هذه الرّياسه و في هذا رمز و إزراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه و اله مع وجود من يصلح للأمر أي كان الأليق بالمسلمين و الأولي أن يجعلوا الرّياسه بعده لأهله قرابه إلى رسول الله صلّى الله عليه و اله، و تكريماً لحرمة و طاعه له و أنفه لقدرة صلّى الله عليه و اله أن تكون ورثته سوقه يليهم الأجنبي و من ليس من شجرته و أصله، ألا ترى أنّ هيبه الرساله و النبوه في صدور الناس أعظم إذا كان السلطان و الحاكم في الخلق من بيت النبوه، و ليس يوجد مثل هذه الهيبة و الجلال في نفوس الناس للنبوه إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدّعوة عليه السّلام، انتهى، و نعم ما قال.

و كان لأمر المؤمنين عليه السّلام فيهما شأن خاصّ و قصد تامّ و مزيد اهتمام و زياده عناية يخصّيهما بها دون سائر بنيه تشريفاً لوصله رسول الله صلّى الله عليه و اله و تنبيهاً و اعلاماً بمقامهما الشامخ و منزلتهما الساميه حتّى أنّه عليه السّلام كان يرضنّ بهما على الحرب و القتال لئلا ينقطع نسل رسول الله صلّى الله عليه و اله من هذه الامّه فإنّ نسله من الحسن و الحسين و تسعه من أولاد الحسين بعد أبيهم أبي الأئمّه عليّ عليه السّلام هم حجج الله تعالى واحداً بعد واحد على عباده و لم تخل الأرض من حجّه لله على عباده قطّ و لا يخرج

الحجّه من بيت النبوه قطّ، و قد روى نصر بن مزاحم فى أواخر صفين عن عبد الرحمن بن جندب قال: لما أقبل على عليه السلام من صفين أقبلنا معه فأخذ طريقا غير طريقنا الذى أقبلنا فيه، ثم أخذ بنا طريق البرّ على شاطئ الفرات حتى انتهينا إلى هيت و أخذنا على صندوقا فبات بها ثم غدا و أقبلنا معه حتى جزنا النخيله و رأينا بيوت الكوفه - إلى أن قال: ثم مضى غير بعيد فلقبه عبد الله بن وديعه الأنصارى فدنى منه و سأله فقال: ما سمعت الناس يقولون فى أمرنا هذا؟ قال:

منهم المعجب به، و منهم الكاره له؛ و الناس كما قال الله تعالى: «و لا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» فقال له: فما يقول ذوو الرأى؟ قال: يقولون: إنّ علينا كان له جمع عظيم ففرقه، و حصن حصين فهدمه و حتى متى يبني مثل ما قد هدم، و حتى متى يجمع مثل ما قد فرّق؟ فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك إذا كان ذلك هو الحزم.

فقال على عليه السلام: أنا هدمت أم هم هدموا؟ أم أنا فرقت أم هم فرقوا؟ و أمّا قولهم: لو أنّه مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذا كان هو الحزم، فو الله ما غفلت عن ذلك الرأى و إن كنت سخرى النفس بالدنيا طيب النفس بالموت و لقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين قد استقدمانى فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمد صلى الله عليه و اله من هذه الامه فكرهت ذلك و أشفقت على هذين أن يهلكا و لو علمت أنّ هؤلاء مكاني لم يستقد ما - يعنى بذلك ابنه الحسن و الحسين - و أيم الله لئن لقيتهم بعد يومى لقيتهم و ليس هما معى فى عسكر و لا دار.

قوله عليه السلام: (و يشترط - إلخ) شرط عليه السلام على من يفوض الأمر إليه و يتولّى امور أموال الصدقه شرطين: الأول أن لا يبيعها و لا يوهبها و لا يتصرّف فيها تصرفات اخرى تخرجها عن أصلها بل يتركها على أصلها و ينفق ثمرها حيث أمره الله من سبيل الله و وجوهه و ذوى الرحم من بنى هاشم و بنى المطلب و القريب و البعيد فإنّ الوقف تحبب الأصل و تسبيل الثمره.

و الثاني أن لا- يبيع من صغار النخيل ما لم يكثر غراسها و ذلك لأنّ الحاحه ربّما تسوق إليها بحدوث آفه في النخيل فتغرس الفسيله مكانها، أو لأنّ قلع الفسلان ما لم تكثر النخيل و لم تكامل بعد يضرّها بخلاف ما إذا بلغت إلى حدّ تشكل أرضها غراسا، سيّما إذا قلنا أنّ المراد من أولاد النخيل و فصيلها و غراسها نخيلات تنبت من أصولها كما هو الظاهر من العبارة، لا ما تنبت من النوى، أو لأنّ النخيل قبل أن تشكل أرضها غراسا مظنه للفساد من حيث قلتها و عدم التفافها، و إذا كثرت و كثفت و التفت لا تسلط عليها آفات من البرد و الحرّ و الجذب و نحوها و لا تضرّها عندئذ قلع الفسلان.

قوله عليه السّلام: (و من كان من إمائي- إلخ) الطواف عليهنّ كناية عن غشيانهنّ أى نكاحهنّ يعنى أنّ الأمه التي لها ولد منّي كسائر الإماء من التركهمن كان من إمائي اللاتيلها ولد منّي، أو هي حامل منّي فهي تتعلّق بولدها لا يجوز لسائر الورثه التصرف فيها مطلقا كما تدلّ عليه قوله عليه السّلام مفتمسك على ولدها، فإذا صارت من ميراث ولدها من تركتي تقوّم و تباع على الولد فتحرّر قهرا لأنّ الولد لا يملك العمودين و متى ملكهما عتقا و لا يحتاج في ذلك إلى عتق الولد كما تحكّم به الرّوايات الوارده عنهم عليهم السّلام في البابقلها و البحث عنها يجزّنا إلى الأطناب و الخروج عن موضوع الكتاب و كلامه هذا صريح في أنّ أمّ الولد لا تتحرّر بمجرد موت مولاها المستولد بل تنعتق من نصيب ولدها من تركه أبيه، و هذا من مذهبنا الإماميه، و للعامّه فيها اختلاف.

قوله عليه السّلام: (فإن مات ولدها - إلخ) و اعلم أنّ أمّ الولد قبل موت مولاها المستولد مملوكه له لا تخرج بمجرد صيرورتها أمّ الولد عن الرقيّه و يجوز له التصرف فيها بما شاء من وطئها و استخدامها و عتقها في كفّاره و غيرها سوى التصرف الذي يخرجها عن ملكه بغير العتق فلا يجوز له بيعها و لا هبتها و لا نحوهما من الناقلات، ثمّ إن مات ولدها قبل موت مولاها رجعت تلقا فتعود إلى حكمها

الأول العدى كان لغير أم ولد فيجوز لمولاهما التصرف فيها مطلقا، و إن مات ولدها بعد موت مولاهما و لو كانت حياته برهه قليله من الزمان كما أنها كانت حاملا به و وضعته حيا و مات بعد ساعه فحكمها حكم أم الولد التي قد دريت أنفا أنها تجعل من حظّه من تركه أبيه و تعتق عليه لا- أنها ترجع بموته حينئذ طلقا كالصوره المتقدمه حتى تعود مملوكه إلى الورثه نعم إن ولدته ميتا بعد موت مولاهما سقطا كان أو غير سقط فلا يصدق به أنها أم ولد و أن ولدها مات.

فنقول: إنه عليه السلام أراد بقوله فإن مات ولدها و هي حيه فهي عتيقه - إلخ دفع ما عسى يتوهم بأن أم الولد إذا مات ولدها بعد موت مولاهما سيما إذا كانت حاملا- به و وضعته بعد موت مولاهما ثم مات ترجع طلقا كما إذا مات في حياته فقال عليه السلام: ليس حكمها في هذه الحاله كالصوره المتقدمه بل إنها عتيقه قد أفرج عنها الرق و حرّرها العتق و ذكر الفعلين على هيئه الماضى إشاره لطيفه إلى أنها كانت عتيقه منذ موت مولاهما فتأمل (1)، و فى ما أشرنا إليها أحكام اخرى خاصه و مباحث فقهيته تطلب فى الكتب الفقهيّه.

ثم إن فى أصل الوصيّه مواقع للبحث عن مسائل فقهيته و غيرها أعرضنا عنه خوفا للإطاله و لعلنا نأتى بطائفه منها فى شروح الوصايا الاتيه و نكتفى الان ببيان بعض اللغات و العبارات:

(ينبع): قال فى القاموس: ينبع كينصر حصن له عيون و نخيل و زرع بطريق حاج مصر، و قال ياقوت فى معجم البلدان: ينبع بالفتح ثم السكون و الباء الموحده مضمومه و عين مهمله بلفظ ينبع الماء قال عزّام بن الأصبغ السلمى هى عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينه إلى البحر على

ص: ٣٧٤

١- (١) وجه التأمل أن هذه الاشاره تفيد اذا كانت هى ذات ولد عند موت مولاهما و أما اذا كانت حاملا عندئذ فلا و ان لم تكن رقا محضا. نعم ان حمل الفعلين على تأكيد الحكم و تشديده فالاشاره تشملهما. منه.

ليه من رضوى من المدينة على سبع مراحل و هى لبنى حسن بن على و كان يسكنها الأنصار و جهينه و ليث و فيها عيون عذاب
غزيره و واديهها ليليل و بها منبر و هى قريه غناء و واديهها يصب في غيقه، و قال غيره: ينبع حصن به نخيل و ماء و زرع و بها وقوف
لعلى بن أبى طالب عليه السلام يتولأها ولده، و قال ابن دريد: ينبع بين مكه و المدينة، و قال غيره: ينبع من أرض تهامه غزاها
النبي صلى الله عليه و اله فلم يلق كيدا و هى قريه من طريق الحاج الشامى أخذ اسمه من الفعل المضارع لكثره ينايعها، و قال
الشريف بن سلمه بن عيأش الينبعى: عدت بها مائه و سبعين عينا، و عن جعفر ابن محمد عليهما السلام قال: أقطع النبي صلى
الله عليه و اله عليا عليه السلام أربع أرضين الفقيران و بيرقيس و الشجره و أقطع عمر ينبع و أضاف إليها غيرها انتهى ما فى
المعجم.

(حجج) أى سنوات جمع الحجّه أى السنه، (بديمه) و فى التهذيب: بدعه و هى بالعين المهمله عين قريب المدينة، (غير أن زريقا
له مثل ما كتبت لأصحابه) و فى التهذيب: غير أن رقيقها لهم مثل ما كتبت لأصحابهم، و فى أول كتاب الوقوف من التهذيب
بإسناده عن ربيع بن عبد الله، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بدار له بالمدينه فى بنى زريق
فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به على بن أبى طالب و هو حىّ سوى تصدق بداره التى فى بنى زريق صدقه
لاتباع و لا- توهب حتى يرثها الله الذى يرث السماوات و الأرض، و أسكن هذه الصدقه خالاته ما عشن و عاش عقبهنّ فإذا
انقرضوا فهى لذوى الحاجه من المسلمين، انتهى، و بنى زريق بالتصغير بطن من الأنصار (بادنيه) و فى التهذيب:

بأذنيه.

(و الفقيرين كما قد علمتم) و فى التهذيب: و القصيره كما قد علمتم، و قال المجلسى رحمه الله فى كتاب الوصايا من مرآه
العقول (ص ١٣٥ ج ٤ من الطبع الحجرى) قوله عليه السلام: العفرتين، و فى بعض النسخ الفقيرتين، و فى بعضها الفقرتين قال فى
تاريخ المدينة: موضعان بالمدينه يقال لهما الفقيران، عن جعفر الصادق عليه السلام

ص: ٣٧٥

أقطع النبي صَلَّى اللهُ عليه و اله عليًا عليه السَّلام أربع أرضين الفقيرين و بئر قيس و الشجره، و قال:

الفقير اسم حديقه بالعالیه قرب بنى قريظه من صدقه عليّ بن أبى طالب عليه السَّلام، قال ابن شهبه فى كتاب عليّ عليه السَّلام: الفقير لى كما قد علمتم صدقه فى سبيل الله؛ و أهل المدينه ينطقون مفردا مصغرا. انتهى ما فى المرآه.

(واجبه بتله) بتقديم الباء، قال فى القاموس: صدقه بتله منقطعه عن صاحبها (سرى الملك) السرى، النفيس و الشريف، و فى نسخه التهذيب: شراء الملك (ولد عليّ) جمع الولد كاسد و أسد.

قوله عليه السَّلام: (فليبع إن شاء لا حرج عليه) قال فى مرآه العقول: ظاهره جواز اشتراط بيع الوقف متى شاء الموقوف عليه و هو خلاف ما هو المقطوع به فى كلام الأصحاب إلا أن يحمل على أنه عليه السَّلام إنما وهبها لهما و كتب الوقف لنوع من المصلحه قال: قال فى الدروس: لو شرط بيعه متى شاء أو هبته أو نقله بوجه من وجوه التملك بطل.

قوله عليه السَّلام (و إن حدث بحسن و حسين حدث - إلى قوله: يرضى به) و فى التهذيب: و ان حدث بحسن و حسين حدث فإنّ الآخر منهما ينظر فى بنى عليّ فإن وجد فيهم من يرضى بهديه (بهده - خ ل) و إسلامه و أمانته فإنّه يجعله إليه إن شاء و إن لم يرفيهم بعض الذى يريد فإنّه فى بنى ابني فاطمه فإن وجد فيهم من يرضى بهديه و إسلامه و أمانته فإنّه يجعله إليه إن شاء، و إن لم يرفيهم بعض الذى يريد فإنّه يجعله إلى رجل من آل أبى طالب يرضى به.

قوله عليه السَّلام: (و إن مال محمّد بن عليّ على ناحيه) قال بعض شراح الحديث:

يمكن أن يقرأ أنّ مشدده و يكون المراد أنّ مال محمّد ابن الحنفية ليس داخلا فيما سبق من أنّ ولد عليّ و أموالهم إلى الحسن، و لعلّه عليه السَّلام علم أنّه لم يتابع الحسن كباقي أولاده، أو أنّه لا يحتاج إلى معاونه الحسن لرشده و كمال عقله، و يمكن أن يقرأ إن المخففه و يكون المراد أنّ الأمر إلى الحسن و الحسين عليهما السَّلام فى جميع ما سبق و إن مال محمّد ابن الحنفية إلى جانب و لم يرض بذلك. و قوله: و هو إلى ابني

فاطمه أى النظر فى الامور المذكوره إليهما و هو تأكيد لما سبق و الله اعلم، انتهى كلامه.

قوله عليه السلام: (كتبت لى عتقاء) و فى التهذيب: كتبت عتقاء، بدون كلمه لى (مسكن) بكسر الكاف موضع من أرض الكوفه، كما فى الصحاح، و قوله عليه السلام:

(هذا ما قضى به على فى ماله الغد من يوم قدم مسكن) يعنى أن ذلك كان فى غد من يوم ورودنا و قدومنا الموضع الذى يقال له مسكن، أرخ الكتابه و ذكر الشهور و سائر الخصوصيات لأنها توجب زياده الوثوق بها.

قوله عليه السلام: (أبو سمر) فى نسخه الكافى كان بالسین المهمله، و فى التهذيب بالمعجمه، و قال فى مرآه العقول: قال ابن حجر فى التقريب فى حرف الشين المعجمه: أبو سمر بكسر أوله و سكون الميم الضبعى المصرى.

و ليعلم أن فى العتق فضلا كثيرا و ثوابا جزيلا، و الشارع تعالى جعل لعتق العبيد و الإمام أسبابا عديده لكى يخرج عباد الله عن الرقيه و يكونوا أحرارا، منها: التدبير، و منها المكاتبه بقسميها، و منها العتق فى كفاره، و منها التحرير و هذه الأقسام تعمهم، و منها ما يخص الإمام و هو صيروتهم أمهات أولاد.

و قد قال الله تعالى: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبِهِ» - الايه، و قد روى شيخ الطائفه فى أول كتاب العتق من التهذيب بإسناده عن حفص بن البختري عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال فى الرجل: يعتق المملوك قال: يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار، و قال: يستحب للرجل أن يتقرب عشيه عرفه و يوم عرفه بالعتق و صدقه.

و بإسناده عن زراره، عن أبى جعفر محمد بن على عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله:

من أعتق مسلما أعتق الله العزيز الجبار بكل عضو منه عضوا من النار.

و بإسناده عن إبراهيم بن أبى البلاد، عن أبيه رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله:

من أعتق مؤمنا أعتق الله العزيز الجبار بكل عضو له (منه - خ ل) عضوا من النار

فإن كانت انثى أعتق الله العزيز الجبار بكلّ عضوين منها عضوا من النّار لأنّ المرأه نصف الرّجل، و غيرها من النصوص المرويّه في الجوامع الروائيه من الفريقين.

الترجمه

از جمله وصیت امیر المؤمنین - علیه الصلاه و السلام - است به آن چه که در اموال او عمل شود، و این وصیت را بعد از برگشتن از جنگ صفین فرموده است:

این است آنچه که بنده خدا علی بن ابی طالب در مال خود برای طلب وجه الله فرموده و حکم کرده است تا خداوند وی را بدین کار ببهشت برد، و امن و آسایش بخشد.

از جمله آن وصیت این که: حسن بن علی باید متصدی آن باشد و بمضمون وقف عمل نماید، از آن بوجه پسندیده و مطابق دستور شرع بخورد و ببخشد، پس اگر برای حسن پدیده مرگ پیش آمد و حسین زنده است باید حسین مانند او بانجام کار آن قیام کند و تولیت را در عهده بگیرد، و همانا که برای این دو فرزند فاطمه (حسن و حسین) از مال وقف علی مثل آن چیز است که برای دیگران فرزندان علی است - یعنی باید همه از آن بهره ببرند نه این که چون صدقه و زکاه بر حسن و حسین حرام باشد و یا آن دو را بر دیگری مزیتی از این حیث باشد - و همانا که تولیت و تصدّی وقف را بدو فرزند فاطمه از جهت طلب وجه الله، و تقرب برسول خدا، و گرامی داشتن حرمت او، و بزرگ داشت و تشریف به وصلت او قرار داده ام، و آنکه تولیت را عهده دار است باید که اصل مال را بهیچ وجه منتقل نسازد و آنرا بهمانطور باقی بگذارد و در آمد و ثمره آنرا مطابق دستور مصرف کند، و باید که اولاد نخل را (نهالهای ریزی که از ریشه درختهای بزرگ یا از هسته خرما می روید) بفروشد تا این که درختها بزرگ و انبوه شوند بحدی که کثرت اشجار سبب اشتباه و عدم معرفت

بحال سابق آن زمین شود.

و کنیزکانی که به آنها مباشرت کردم آنکه از من فرزندان یا باردار است باید از مال فرزندش که از ترکه من ارث می برد محسوب شود و آزاد گردد، و اگر فرزندش مرد و خود زنده است آزاد است.

و من وصیه له علیه السلام کان یکتبها لمن یتعمله علی الصدقات

اشاره

و انما ذکرنا هنا جملا منها لیعلم بها أنه علیه السلام کان یقیم عماد الحق، و یشرع أمثله العدل فی صغیر الامور و کبیرها، و دقیقها و جلیلها:

انطلق علی تقوی الله وحده لا شریک له، و لا تروعن مسلما، و لا تختارن علیه کارها، و لا تأخذن منه أكثر من حق الله فی ماله، فإذا قدمت علی الحی فانزل بمائهم من غیر أن تخالط أبیاتهم، ثم امض إلیهم بالسکینه و الوقار حتی تقوم بینهم فتسلم علیهم. و لا تخرج بالتحیه لهم ثم تقول: عباد الله أرسلنی إلیکم ولی الله و خلیفته لاخذ منکم حق الله فی أموالکم، فهل لله فی أموالکم من حق فتؤدوه إلی ولیه؟ فإن قال قائل: لا. فلا تراجع، و إن أنعم

ص: ۳۷۹

لك منع فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعدده أو تعسفه أو ترهقه؛ فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة؛ فإن كان له ماشيه أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به. ولا تنفرن بهيمه ولا تفرعنها (ولا- تفرعنها - معا) ولا- تسوءن صاحبها فيها. و اصدع المال صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره. ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختار، فلا تزال بذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله؛ فاقبض حق الله منه فإن استقالك فأقله، ثم اخلطها (اخلطهما - نسخه) ثم اصنع مثل المذى صنعت أولا حتى تأخذ حق الله في ماله. ولا تأخذن عودا، ولا هرمه، ولا مكسوره، ولا مهلوسه ذات عوار، ولا تأمنن عليها إلا من تثق به، رافقا بمال المسلمين حتى توصله (بالتاء و الياء - معا) إلى وليهم فتقسمه (بالياء نسخه) بينهم، ولا توكل بها إلا ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا غير معنف و لا مجحف و لا ملغب و لا متعب. ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به فإذا،

أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقه و بين فصيلها، و لا يمصر لبنها فيضّر ذلك بولدها، و لا يجهدنّها ركوبا، و يعدل بين صواحباتها في ذلك و بينها، و ليرفّه على اللاغب، و ليستأن بالتقب و الظّالع، و ليوردها ما تمرّ به من الغدر، و لا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطّرق، و ليروّحها في السّاعات، و ليمهلها عند النّطاف و الأعشاب، حتّى يأتينا بإذن الله بدنا منقيات، غير متعبات و لا مجهودات، لنقسمها على كتاب الله، و سنّه نبيّه صلى الله عليه و اله فإنّ ذلك أعظم لأجرک و أقرب لرشدك إن شاء الله.

اللغة

(و لا تروعن) من الروع بالفتح بمعنى الفزع، و الكلمه مشكوله في أكثر النسخ بضمّ التاء و فتح الراء و كسر الواو المشدّده من الترويع، و في نسخه الرّضى بفتح التاء و ضمّ الراء من الرّوع كما اخترناها في المتن، و معناها على الوجهين واحد ففي الصحاح: رعت فلانا و روّعته فارتاع أى أفزعته ففزع.

(و لا- تختارنّ) بالخاء المعجمه و الراء المهمله من الاختيار على نسخه الرّضى رضوان الله عليه، و في نسخ (تجتازنّ) بالجيم و الزاي المعجمه من الاجتياز بمعنى السلوك من قولك جزت الموضوع أجوزه جوازا أى سلكته و سرت فيه.

(الحىّ) واحد أحياء العرب أصله من حى و.

(تخدج) بالخاء المعجمه و الجيم، قال ابن الأثير فى النهايه: خدجت الناقه إذا ألقت ولدها قبل أوانه و إن كان تام الخلق و أخذجته إذا ولدته ناقص الخلق

و إن كان لتمام الحمل؛ و منه حديث سعد «أنه أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بِمَخْدَجٍ سَقِيمٍ» أى ناقص الخلق، و منه حديث عليّ عليه السّلام: «تسلّم عليهم و لا تخذج التحية لهم» أى لا تنقصها، انتهى، و قال الجوهرىّ فى الصحاح: و فى الحديث كلّ صلاه لا يقرأ فيها بآم الكتاب فهى خداج أى نقصان، و أخذجت الناقه إذا جاءت بولدها ناقص الخلق و إن كانت أيامه تامّه فهى مخدج و الولد مخدج، و منه حديث عليّ عليه السّلام فى ذى الثديه مخدج اليد أى ناقص اليد. انتهى.

(تخيفه) من الإخافه بمعنى التخويف و أصلها الخوف، يقال: وجع مخيف أى يخيف من رءاه.

(توعده) من الإيعاد يستعمل فى الشرّ، قال الجوهرىّ فى الصحاح: الوعد يستعمل فى الخير و الشرّ، قال الفراء يقال: وعدته خيرا، و وعدته شرّا، قال الشاعر:

ألا علّلتنى كلّ حيّ معلّل و لا تعدانى الشرّ و الخير مقبل

فإذا أسقطوا الخير و الشرّ قالوا فى الخير: الوعد و العده و فى الشرّ: الإيعاد و الوعيد، قال الشاعر:

و إنى و إن أوعده أو وعدته لمخلف إيعادى و منجز موعدى

(تعسفه) من العسف بمعنى الأخذ على غير الطّريق، كما فى الصحاح، و قال ابن الأثير فى النهاية: العسف: الجور، و فى الحديث: لا تبلغ شفاعتى إماما عسوفاً أى جائرا ظالما، و العسف فى الأصل أن يأخذ المسافر على غير طريق و لا جادّه و لا علم، و قيل: هو ركوب الأمر من غير رويّه فنقل إلى الظلم و الجور، انتهى.

(ترهقه) من الإرهاق، يقال: أرهقه طغيانا أى أغشاه إياه، و يقال:

أرهقنى فلان إثما حتّى رهقته أى حملنى إثما حتّى حملته، قال أبو زيد: أرهقه عسرا أى كلفه أيّاه، يقال: لا ترهقنى لا أرهقك الله أى لا تعسرنى لا أعسرك الله، قاله فى الصحاح.

(الماشية) جمعها المواشى و هى اسم يقع على الإبل و البقر و الغنم و أكثر ما يستعمل فى الغنم، قاله فى النهايه.

(عنيف به) العنف بالضّمّ فالسكون - ضدّ الرفق تقول: منه عنف عليه بالضّمّ و عنف به أيضا، و العنيف المذى ليس له رفق بركوب الخيل و الجمع عنف، قاله فى الصحاح.

و فى النهايه: فى الحديث إنّ الله يعطى على الرفق ما لا- يعطى على العنف هو بالضّمّ: الشدّه و المشقّه و كلّ ما فى الرفق من الخير ففى العنف من الشرّ مثله.

(تنفّر) نفرت الدابّه من كذا نفورا و نفارا من بابى نصر و ضرب: جزعت و تباعدت فهى نافر و نفور و نفّره جعله نافرا.

(لا تفرّ عنها) أصلها من الفرع بمعنى الدعر، و رويت فى نسخه الرضى على وجهين بضّمّ التاء و كسر الزاء من الإفزع و بضّمّ التاء و فتح الفاء و كسر الزاء المشدّده من التفريع، و الإفزع بمعنى الإخافه و الاغاثه من الأضداد و كذلك التفريع، يقال: فرّعه أى أخافه، و فرّعه عنه أى - كشف عنه الخوف، و منه قوله تعالى: «خَيَّئِ إِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» أى كشف عنها الفرع، قاله فى الصحاح.

(و اصدع) الصدع: الشقّ، (استقالك) الاستقاله طلب الإقاله أصلها من قى ل، يقال: أقاله يقيله إقاله و تقايلا إذا فسخا البيع و عاد المبيع إلى مالكه و الثمن إلى المشتري إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما.

(عودا) بفتح العين المهمله و سكون الواو، قال فى الصحاح: العود: المسنّ من الإبل و هو الذى جاوز فى السنّ البازل و المخلف، و جمعه عوده، و قد عوّد البعير، و فى المثل: إن جرجر العود فزده و قرا، و الناقه عوده، و يقال: راحم بعود أودع أى استعن على حربك بأهل السنّ و المعرفه فإنّ رأى الشيخ خير من مشهد الغلام، انتهى.

(هرمه) مؤنثه هرم من الهرم بالتسكين بمعنى كبر السنّ.

(مهلوسه) الهلاس بالضّمّ السّلّ و قد هلسه المرض يهلسه هلسا أى أضعفه

و رجل مهلوس العقل أى مسلوبه، و يقال: السلاس فى العقل و الهلاس فى البدن.

(عوار) قال فى النهايه فى حديث الزكاه: «لا يؤخذ فى الصدقه هرمه و لا ذات عوار» العوار بالفتح: العيب و قد يضم.

(ملغب) فاعل من الإلغاب بمعنى الإتعاب و الإعياء.

(أو عز إليه) و عز إليه فى كذا أن يفعل أو يترك يعز و عزا - من باب ضرب - تقدّم و أشار، و أوعز إليه إيعازا بمعنى و عز إليه.

(الفصيل) ولد الناقه إذا فضّل عن امّه و الجمع فصلان و فصال.

(و لا يمصر لبنها) قال فى الصحاح: المصّر: حلب بأطراف الأصابع، قال ابن السكيت: المصّر حلب كلّ ما فى الضرع، و التّمصّر حلب بقايا اللبن فى الضرع.

و قال ابن الأثير فى النهايه: و فى حديث علىّ عليه السّلام «و لا يمصر لبنها فيضّر ذلك بولدها» و المصّر الحلب بثلاث أصابع يريد لا يكثر من أخذ لبنها.

(لا يجهدنّها) من الجهد بالفتح أى المشقّه يقال: جهد دابّته و أجهدّها إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها.

(اللاغب) فاعل من اللّغوب بمعنى التعب و الاعياء.

(و يستأن) من الأناه أصلها الونى يقال: أستأنيت بكم أى انتظرت و تربّصت.

(النقب) يقال: نقب البعير بالكسر إذا رقت أخفافه، و قال ابن الأثير فى النهايه: النقب: رقه الأخفاف و منه حديث علىّ عليه السّلام «و يستأن بالنقب و الضالع» أى يرفق بهما و يجوز أن يكون من الجرب.

أقول: يعنى أن يكون النقب مشتقا من النقبه بالضم و هى أوّل ما يبدو من الجرب

و قال فى مادّه ظلع منها: الظلع بالسكون العرج و قد ظلع يظلع ظلعا فهو ظالع، و منه حديث الأضحى: و لا العرجاء البين ظلعها، و فى حديث علىّ عليه السّلام: و ليستأن بذات النقب و الظالع أى بذات الجرب و العرجاء، انتهى، و سيأتى البحث عن ذلك فى المعنى.

(الغدر) بضمّتين جمع الغدير، و فى الصحاح الغدير: القطعه من الماء يغادرها السيل و هو فعيل فى معنى مفاعل من غادره، أو مفاعل من أغدره، و يقال:

هو فعيل بمعنى فاعل لأنّه يغدر بأهله أن ينقطع عند شدّه الحاجه إليه، قال الكميت:

و من غدره نبز الأولون إذ لقبوه الغدير الغدير

و الجمع غدران و غدر.

(جواد) بتشديد الدال جمع الجادّه بتشديدها أيضا بمعنى معظم الطريق.

(التطاف) جمع النطفه بمعنى الماء الصافى قلّ أو كثر، و أما النطفه بمعنى ماء الرّجل فجمعها نطف.

(الأعشاب) جمع العشب بالضمّ فالسكون و هو الكلاء الرطب.

(بدنا) البدن كطلب جمع بادن كطالب، يقال: بدن بدنا و بدنا و بدونا من باب نصر إذا عظم بدنه بكثره لحمه فهو بادن للمذكّر و المؤنث، و قد يقال فى المؤنث بادن، و البدن: السمن، و البدنه بالفتحات ناقه أو بقره تنحر بمكّه سميت بذلك لأنهم كانوا يسمونها.

الاعراب

(على تقوى الله) متعلّق بمقدّر أى اذهب معتمدا على تقوى الله، مثلاً (وحده) حال لله أى موحّدا، (امض إليهم) فى بعض النسخ: امض عليهم (بالتحيه) قرئت

بالوجهين بالباء و عدمها (صدعين) مفعول مطلق عدديّ (بذلك) في أكثر النسخ:

كذلك، و ما في المتن مطابق لنسخه الرّضى، (و لا- يمصر) منصوب بأن لأنّه معطوف على قوله لا يحول أى أو عز إليه أن لا يمصر لبنها و فى سائر النسخ مجزومه و هى و هم (ركوبا) بضمّ الراء و فتحها تميز (منقيات) و أخواتها صفات للبدن لأنّها تذكّر و تؤنّث.

هذا آخر المجلد الثامن عشر من هذه الطبعة النفيسه، و قد تم تصحيحه و تهذيبه بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه فى الرابع من ذى القعدة - ١٣٨٦ - و يليه انشاء الله الجزء التاسع عشر و أوله فى معنى المختار الخامس و العشرين.

و الحمد لله رب العالمين.

ص: ٣٨٦

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

